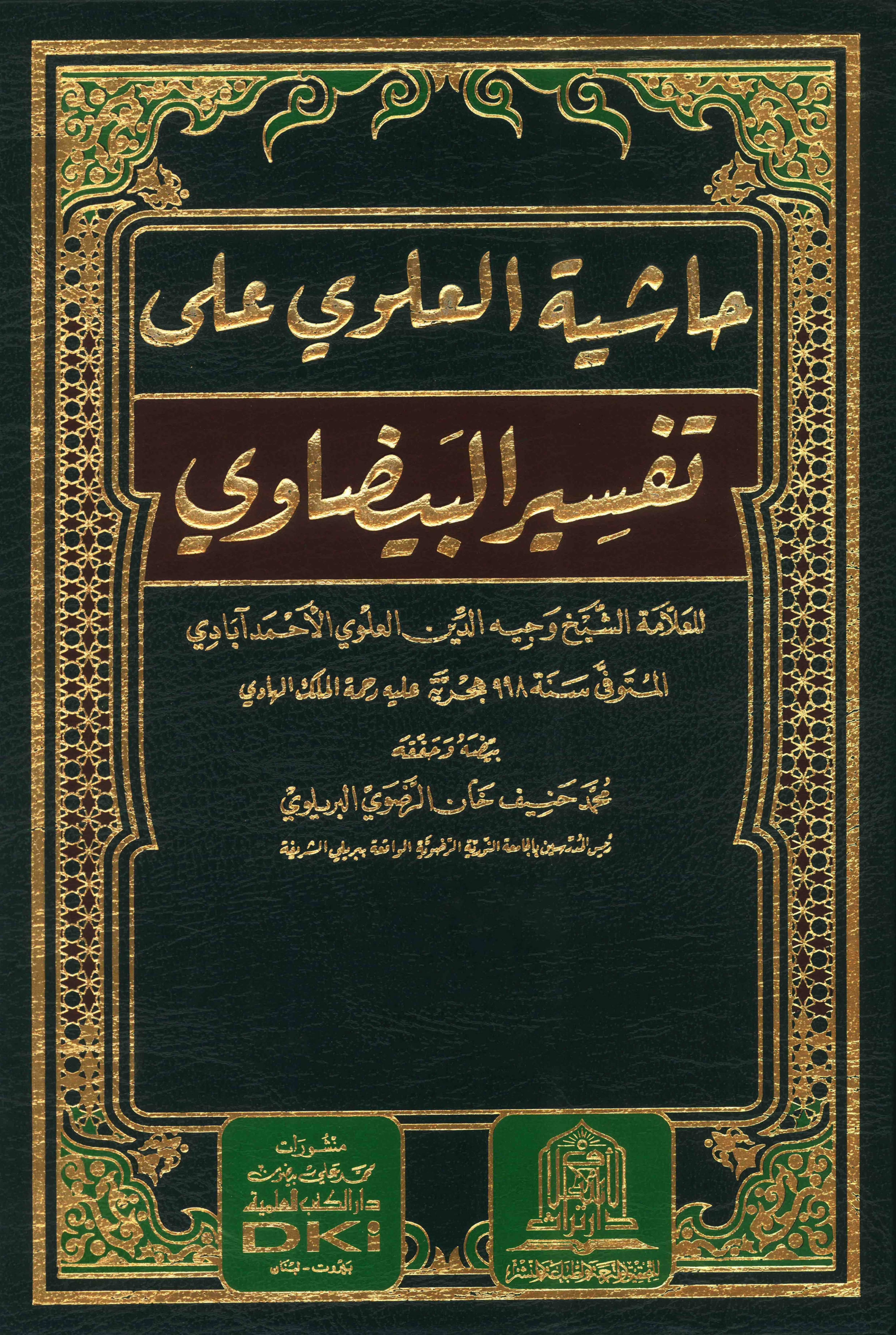

حاشية العلوي على
تفسير البيضاوي
للعلامة الشيخ وجيه الدين العلوي الأحمد آبادي
المتوفى سنة ٩٩٨ هجرية عليه رحمة الملك الهادي
ضبطه وحققه
محمد حنيف خان الرضوي البريلوي
رئيس المدرسين بالجامعة النورية الرضوية الواقعة ببريلي الشريفة
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان
دار تراث
للتحقيق والترجمة والطباعة والنشر

حاشية العلوي

على

تفسير البيضاوي

للعلامة الشيخ وجيه الدين العلوي الأحمد آبادي

المتوفى سنة ٩٩٨ هجرية عليه رحمة الملك الهادي

بيّضه وحققه

محمد حنيف خان الرضوي البريلوي

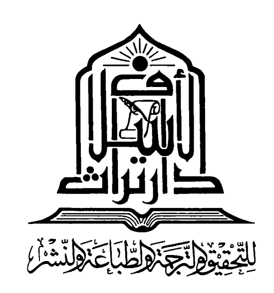
رئيس المدرسين بالجامعة النورية الرضوية الواقعة ببريلي الشريفة

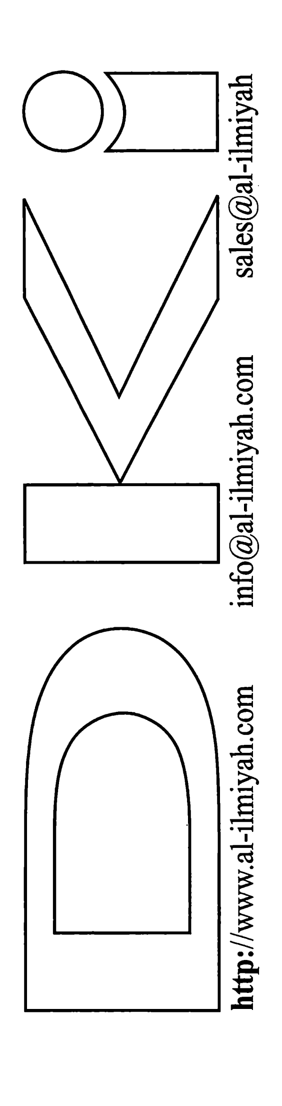
الجزء الثاني

المحتوى:

من أول سورة آل عمران حتى آخر سورة الأنعام







الكتاب: حاشية العلوي على تفسير البيضاوي **Title:** ḤĀŠIYAT AL-'ALAWĪ 'ALĀ TAFSĪR AL-BAYḌĀWĪ	
التصنيف: تفسير قرآن **Classification:** Exegesis Of Qur'an	
المؤلف: الشيخ وجيه الدين العلوي الأحمد آبادي (ت ٩٩٨ هـ) **Author:** Al-Shaykh Wajih Addin Al-Alawi Al-Ahmad Abady (D. 998 H.)	
المحقق: محمد حنيف خان الرضوي البريلوي **Editor:** Mohammad Haneef Khan Al-Radawi Al-Bareillwy	
الناشر: دار الكتـــب العلمـيـــة - بيـــروت **Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah - Beirut**	
Pages (3Parts/3Vols.) 1248 (٣أجزاء/٣مجلدات)	**عدد الصفحات**
Size 17 x 24 cm	**قياس الصفحات**
Year 2021 A.D. - 1442 H.	**سنة الطباعة**
Printed in Lebanon	**بلد الطباعة لبنـــان**
Edition 1st	**الطبعة الأولى**

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



سورة آل عمران مدنية

وآياتها مائتانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ[١]﴾﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إنـمـا فتح الميم في المشهور وكـان حقها أن يوقف عليها لإلـقـاء حـركة الهـمزة عليها ليدل على أنها في حكم الثابت؛ لأنها أسقطت لـلتـخـفيف لاللدرج. فإن الميم في حكم الوقف، كقولهم: واحد إثنان بإلقاء حركة الهمزة عـلى الدال لا لالتقاء الساكنين. فإ نـه غيـر محذور في با ب الوقف.ولذلك لم يتحرك الميم فـي لا م. وقـرئ بـكسـرهـا على تو هم التحريك لا لتقاء السا كنين. وقرأ أبو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الأصل﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ[٢]﴾

قـوله: كان حقها أن يوقف عليها. يعني أن حق الميم أن يوقف عليها كما وقف على ألف ولام لأن هذه الأسماء في الأصل ساكنة الأعجاز لعدم مقتضى الإعراب ثم إذا نقلت إلى الـعـلمية فحقها أن تحكى أي تؤتى بها ساكنة على استبقاء صورتها لكن فتح الميم لأجل أنها حركة الهمزة ألـقيـت عـليها ليدل على أنها في حكم الثابت لأن ثبات حركتها كثباتها وإنما كـانت في حكم الثابت لأنها أسقطت للتخفيف لا للدرج والوصل لأن الميم في حكم الوقف والسـكـون فـلا يـكون الهمزة في الدرج بل في الابتداء ونظيره واحد إثنان بالقاء حركة الهمزة عـلـى الـدال وليسـت فتحة الميم لالتقاء ساكنين كما هو مذهب سيبويه وكثير من النحاة أنها حـركـت لالتـقـاء سـاكنين وأو ثر الفتحة للخفة لأنه جائز في حال الوقف ولا جل أنها ليست لالتـقـاء سـاكـنين لم يحرك لام. ميم. صاد. كاف. قاف. نون، ونحو ذلك مما وقع في أوائل السـور ولـو كـانـت لالتـقـاء سـاكـنين لحرك في جميع ذلك كذا في شرح الكشاف للعلامة التـفـتـازانـي وأيـضًـا لـم يحرك الميم بالكسر لأجل ساكن بعده وهي لام الله ولو كان لالتقاء سـاكـنيـن لـحـرك بـالـكسر لأجل ساكن بعده لأن هذا الالتقاء غير جائز فلا بد من التحريك بالكسر على ماهوالأصل فقوله في لام معناه لأجل لام الله .

روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور: في البقرة: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾. وفي آل عمران: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وفي طه: ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم﴾﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتٰبَ﴾ القراٰن نجو ماً . ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعدل، أو بالصدق في أخباره ، أو بالحجج المحققة أنه من عندا لله وهو في موضع الحال ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب.﴿وَأَنْزَلَ التَّوراٰةَ وَالإِنْجِيْلَ[٣]﴾ جملة على موسى وعيسى.واشتقاقهما من الورى والنجل . ووزنهما بـ" تفعلة" و"افعيل" تعسف؛ لأنهما أعجميان . ويؤيد ذلك أنه قرئ الأَنجيل بفتح الهمزة، وهو ليس من أبنية العربية . وقرا أبو عمروو ابن ذكوان والكسائي: التورية بالإمالة في جميع القرآن. ونافع وحمزة بين اللفظين إلاقالون فإنه قرأ بالفتح كقراء ة الباقين .﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل تنزيل القراٰن﴿ هُدىً لِّلنَّاسِ﴾ على العموم إن قلنا إنا متعبدون بشرع من قبلنا. وإلاافالمراد به قومهما﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ يريد به جنس الكتُب الإلٰهية ، فإنها فارقة بين الحق والباطل . ذكر ذلك بعد ذكر الكتُب الثلاثة ليعم ما عداها. كأنه قال: وأنزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل . أو الزبور أو القرآن . وكرر ذكره بما هو نعت له مدحًا وتعظيمًا وإظهاراً لفضله من حيث إنه يشاركهما في كونه وحياً منزلاً، ويتميز بأنه معجز يفرق بين المحق والمبطل . أو المعجزات ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِاٰيٰتِ اللّٰهِ﴾ من كتبه المنزلة وغيرها.﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ﴾ بسبب كفرهم .﴿وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ﴾ غالب لا يمنع من التعذيب ﴿ذُوانْتِقَامٍ[٤]﴾ لا يقدر على مثله منتقم . والنقمة عقوبة المجرم، والفعل منه نقم بالفتح والكسر. وهو وعيد جيء به بعدتقريرالتوحيد والإشارة إلى ما هو العمدة في إثبات النبوة تعظيمًا للأمر وزجراً عن الإعراض عنه .

قوله: نجو ماً: يدل عليه نزّل لأن فعّل يجيء للتكثير كما أن أنزل يدل على الجملة

قوله: من الوري والنجل .قال الكوفيون أصلها تورية بفتح الياء فقبلت الياء ألِفا ولما لم توجد تفعلة قال بعضهم أنها تفعلة بالكسر كالتوصية ففتحت ثم قلبت كما في توصية توصاة وقال البصريون: الأصل وورية على وزن فوعلة قلبت الواو الأولى تاء كما في تولج من وولج قال الجوهري: وري الزند بالفتح إذا أخرجت ناره وأوريته أنا وكذلك وريته تورية، والنجل الخروج والسعة .

قوله: بما هو نعت له: وهو الفرقان أي الفارق بين الحق والباطل .

قوله: لا يقدر على مثله منتقم. مستفاد من تنكير التعظيم .

قوله: إلى ما هو العمدة في إثبات النبوة. وهو أنزل الكتب .

﴿إِنَّ اللّٰهَ لَايَخْفٰى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ[٥]﴾أي شيء كائن في العالم كلياً كان أو جزئياً، إيماناً أو كفراً، فعبر عنه بالسماء والأرض، إذ الحس لايتجاوزهما . وإنما قدم الأرض ترقيًا من الأدنى إلى الأعلى . ولأن المقصود بالذكر ما اقترف فيها. وهو كالدليل على كونه حيا وقوله ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾أي من الصور المختلفة ، كالدليل على القيومية. والاستدلال على أنه عالم بإتقان فعله في خلق الجنين وتصويره .وقرئ تَصَوَّرَكُم أي صَوَّركم لنفسه وعبادته . ﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله .﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيْمُ[٦]﴾إشارة إلى كمال قدرته وتناهي حكمته. قيل: هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان ربًا . فإن وفد نجران لما حاجوا فيه رسول اللّٰه ﷺ نزلت السورة من أولها إلى نيف وثمانين آية تقريراً لما احتج به عليهم وأجاب عن شبههم.

﴿هُوَ الَّذِىٓ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتٰبَ مِنْهُ اٰيٰتٌ مُّحْكَمٰتٌ﴾ أحكمت عبارتها بأن حفظت من الإجمال والاحتمال .﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتٰبِ﴾ أصله يُرَدُّ إليها غيرُها والقياس أمهات، فأفرد على تأويل كل واحدة ، أو على أن الكل بمنزلة اٰية واحدة .

﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَات﴾ محتملات لا يتضح مقصودها. لإجمال أو مخالفة ظاهر إلا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على أن يجتهد وا في تدبرها

قوله: إذ الحس لا يتجاوزهما. فهما العالم كله في الحس والنظر الظاهر .

قوله: أي صوركم لنفسه وعبادته. كقولك أثلث مالا أي: جعلته أثلةً أي أصلاً وتأثلته إذاأثلته لنفسك كذا في الكشاف. ولا يوجد هذا المعنى في كتب اللغة ولهذا قال العلامة التفتازاني: يقال صورة صورة حسنة فتصور: أي صار ذا صورة وأما تصوره بمعنى صوره لنفسه فكأنه من تصورات الشيء بمعنى توهمت صورته فيتصور لي .

قوله: أصله يرد إليها غيرها. مثال ذلك ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.وقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ والاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى الاستيلاء ولا يجوز الأول على اللّٰه فيحمل على الثاني بدليل قوله تعالى﴿ ليس كمثله شيء﴾ وهو محكم .

قوله: بمنزلة آية واحدة. من حيث الغاية والمقصود وهوظهور المراد وعدم احتمال غيره .

وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها - وبإتعاب القرائح في استخراج معانيها. والتوفيق بينها وبين المحكمات - معالي الدرجات. وأما قوله تعالى﴿الرٰ كِتٰب أحكمت اٰيٰته﴾[١١.هود:١]فمعناه أنها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ .

وقوله﴿كتٰباً متشٰبهاً ﴾[٣٩.الزمر:٢٣]فمعناه أنه يشبه بعضه بعضاً في صحة المعنى وجزالة اللفظ. وأخر جمع أخرى، إنما لم ينصرف؛ لأنه وصف معد ول عن "الآخر" ولا يلزم منه معرفته ؛ لأن معناه أن القياس أن يعرف ولم يعرف لا أنه في معنى المعرف، أو عن "آخر من" ﴿فَأَمَّا الَّذِيْنَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ عدول عن الحق كالمبتدعة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ فيتعلقون بظاهره أو بتأويل باطل﴿ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ﴾ طلب أن يفتنو الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه.﴿وَابْتِغَآءَ تَأْ وِيْلِهِ﴾ وطلب أن يؤ ولوه على ما يشتهونه . ويحتمل أن يكون الداعي إلى الاتباع مجموع الطلبتين أو كل واحدة منهما على التعاقب ، والأول يناسب المعاند، والثاني يلائم الجاهل ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ﴾ الذي يجب أن يحمل عليه ﴿ إِلَّا اللّٰهُ وَالرّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾ أي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه . ومن وقف على" إلااللّٰه" فسر المتشابه بما استأثر اللّٰه بعلمه، كمدة بقاء الدنيا. ووقت قيام الساعة . وخواص الأعداد كعدد الزبانية ، أو بمادل القاطع على أن ظاهره غير مراد ولم يدل على ماهو المراد . ﴿يَقُولُونَ اٰمَنَّا بِهِ﴾ استئناف موضح لحال الراسخين ، أو حال منهم، أو خبر إن جعلته مبتدأ.﴿ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أي كل من المتشابه والمحكم من عنده ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوالْأَلْبَابِ[٧]﴾ مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر. وإشارة إلى ما استعد وا به للاهتداء إلى تأويله. وهو تجرد العقل عن غواشي الحس. واتصال الأية بما قبلها من حيث إنها في تصوير الروح بالعلم وتربيته، وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته. أو أنها جواب عن تشبث النصارى

قوله: أن القياس أن يعرف ولم يعرف :يعني أن القياس الآخر إلا أنه جاء آخر .

قوله: كعدد الزبانية. وهو تسعة عشر فيقوله تعالى﴿عليها تسعة عشر﴾ .

قوله: أو بما دل القاطع على أن ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد: فالمراد مختص به تعالى وتقدس. قوله: استيناف موضح لحال الراسخين أو حال منهم: إن جعل الراسخون معطوفا على اللّٰه أو خبر مبتدأ إن جعل مبتدأ.

قوله: أوأنها جواب عن تشبث النصارى: يعني أو اتصالها من حيث إنها جواب النصارى بأنكم تشبثتم بتأويل باطل .

بنحو قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [٤.النساء:١٧١] كماأنه جواب عن قوله:" لا أب له غير الله" فتعين أن يكون هو أباه بأنه تعالىٰ مصور الأجنة كيف يشاء فيصور من نطفة أب ومن غيرها . وبأنه صوره في الرحم ، والمصوِّر لا يكون أب المصوَّر.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ من مقال الراسخين . وقيل:استيناف، والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق إلى اتباع المتشابه بتأويل لاترتضيه . قال عليه الصلاة والسلام: " قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه على الحق وإن شاء أزاغه عنه " وقيل: لاتبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا. ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى الحق والإيمان بالقسمين :من المحكم والمتشابه . وبعد نصب على الظرف . وإذ في موضع الجر بإضافته إليه . وقيل: إنه بمعنى "إن" ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ تزلفنا إليك ونفوز بها عندك .أو توفيقاً للثبات على الحق ،أو مغفرة للذنوب ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ[٨]﴾ لكل سؤال، وفيه دليل على أن الهدى والضلال من الله وأنه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾لحساب يوم أو لجزائه.﴿ لَّا رَيْبَ فِيْهِ﴾ في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء . نبهوا به على أن معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالأٰخرة فإنها المقصد والمآل . ﴿ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيْعَادَ[٩]﴾ فإن الإلهية تنافيه وللإشعار به وتعظيم الموعود لوّن الخطاب . واستدل به الوعيدية ، وأجيب بأن وعيد الفساق مشروط

قوله: ومن غيرها: أي نطفة أم يحتمل أن يكون نفخ جبرئيل عليه السلام.

قوله: بين إصبعين:أي صفتي اللطف والقصر، ويحتمل أن يكون المرادلا كأصابعنا.

قوله: من الطلبتين: أي طلب ترك إزاغة قلوبهم وطلب موهبة الرحمة .

قوله: فإن الإلهية تنافيه: لأن الإلهية تنافي خلف الميعاد. كرر ما يخاطب به من الكلام ليوتى بلفظ الله المشعر بالإلهية والعظمة وذلك أن يفهم من قوله:﴿ ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾ أن جمعه للحساب ووعده للجمع واقع البتة لا تخلف فيكون قوله: ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾تكرار له . وفي بعض النسخ لون الخطاب وهو ظاهر: أي نقل الكلام المخاطب به من الخطاب الى الغيبة فيوتى بلفظ الله للإشعارالمذكور وتعظيم الموعود .

قوله: واستدل به الوعيدية:أي وعلى أن ما أو عده الله تعالى لا يعفو عنه بدون التوبة .

بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقاً.

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا﴾ عام في الكفرة . وقيل: المراد به وفد نجران ، أو اليهود، أو مشركوالعرب. ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللّٰهِ شَيْئًا﴾أي من رحمته. أو طاعته على معنى البدلية . أو من عذابه ﴿ وَأُولٰئِكَ هُمْ وَقُوْدُ النَّارِ[١٠]﴾حطبها، وقرئ بالضم بمعنى أهل وقودها.

﴿كَدَأْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ﴾ متصل بما قبله أي لن تغني عنهم كما لم تغن عن أولئك . أو توقد بهم كما توقد بأولئك. أو استئناف مرفوع المحل تقديره:دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب، وهو مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه، فنقل إلى معنى الشأن.﴿وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾عطف على" اٰل فرعون" وقيل استئناف ﴿ كَذَّبُوا بِاٰيٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ حال بإضمار" قد". أو استئناف بتفسير حالهم . أو خبر إن ابتدأت بالذين من قبلهم ﴿وَاللّٰهُ شَدِيْدُ الْعِقَابِ[١١]﴾ تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف الكفرة .

﴿قُلْ لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلٰى جَهَنَّمَ﴾أي قل لمشركي مكة: ستغلبون يعني يوم بدر. وقيل لليهود فإنه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بقريش. فقالوا: لا يغرنك أنك أصبت أغماراً لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس. فنزلت. وقد صدق اللّٰه وعده لهم بقتل قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة . وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على أن الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه

قوله: على معنى البدلية: يعني كلمة "من" بمعنى البدل أي لا يصير الأموال والأولاد بدل رحمته أو طاعته .

قوله: في سوق بني قينقاع. وهو سوق من أسواق المدينة قريبة من محلة اليهود وبنو قينفاع اسم قبيلة، ورجل غمروغمز لم يجرب الأمور بين الغمارة:أي من قوم أغمار .

قوله: فحذرهم .قال صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وآله وسلم يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبيمرسل فقالوا لا يغرّنكم

قوله:على أن الأمر بأن يحكي لهم ما أخبر به من وعيدهم بلفظه:أي بلفظ ماأخبر به. أخبر اللّٰه تعالى للنبي عليه السلام بأنهم سيغلبون ويحشرون فأمره عليه السلام بأن يحكي لهم ذلك بلفظه وقال: قل لهم: قولي لك سيغلبون ويحشرون بخلاف معنى القراءة الأولى فإنه إخبار بمعنى سيغلبون .

﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ[١٢]﴾ تمام ما يقال لهم ، أو استئناف وتقديره :بئس المهاد جهنم، أو ما مهدوه لأنفسهم .

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ الخطاب لقريش أو لليهود، وقيل للمؤمنين ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ يوم بدر ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾ يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريباً من ألف، أو مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر. وذلك كان بعد ماقللهم في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم وتوجهوا إليهم . فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا مدداً من الله تعالى للمؤمنين ، أو يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله : ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[٨.الأنفال:٦٦]ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء، وقرىء بهما على البناء للمفعول أي يريهم الله . أو يريكم ذلك بقدرته. و"فئة" بالجر على البدل من "فئتين" والنصب على الاختصاص ، أو الحال من فاعل "التقتا".﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾رؤية ظاهرة معاينة ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾نصره كما أيد أهل بدر﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي التقليل والتكثير، أو غلبة القليل عديم العدة في الكثير شاكي السلاح. وكون الواقعة آية أيضًا يحتملها وقوع الأمر على ما أخبر به الرسول ﷺ ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ[١٣]﴾أي لعظة لذوي البصائر. وقيل لمن أبصرهم.

قوله: بعد ما قللهم .كما نطق به أي: بالتقليل في قوله تعالى﴿ ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا﴾وقد أشار إلى دفع ما يتوجه من السوأل وهو أن هذا مناقض لقوله ﴿ويقللكم﴾ وذلك أن التقليل والتكثير في حالين مختلفين.

قوله:مددا من الله. مفعول له لكثروا. قوله: أي يريهم الله أو يريكم الله الأول ناظرإلى قوله يرى المشركون المؤمنين والثاني إلى قوله: يرى المؤمنون المشركين .

قوله: وكون الواقعة آية أيضاً يحتملها:يعني كما أن التقليل والتكثير أو غلبة القليلِ عديمِ الاستعداد على الكثير شاكي السلاح آية كذلك نفس الواقعة آية باعتبار اشتمالها عليهما وباعتبار وقوع الأمر كما أخبر به الرسول ﷺ فيفسر الآية به أيضًا .

قوله: لذوي البصائر:جمع بصيرة وهي الاستبصار في الشيء يعني أن الأبصار جمع بصر، والبصر يكون بمعنى العلم وبمعنى الرؤية ففسر بهما. قال الجوهري: البصر حاسة الرؤية، وأبصرت الشيء: رأيته والبصر العلم، و بصرت بالشيء :علمته.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوٰتِ﴾ أي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وإيماء على أنهم انهمكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها كقوله تعالى: ﴿أحببت حب الخير﴾[٣٨.ص:٣٢] والمزين هوالله تعالىٰ؛ لأنه للأفعال والدواعي. ولعله زينه إبتلاء . أولأنه يكون وسيلة إلى السعادة الأخروية إذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى، أو لأنه من أسباب التعيش وبقاء النوع. وقيل: الشيطان فإن الأية في معرض الذم. وفرق الجبائي بين المباح والمحرم. ﴿مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِيْنَ وَالْقَنَاطِيْرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ بيان للشهوات. والقنطار المال الكثير. وقيل: مائة ألف دينار. وقيل ملء مسك ثور، واختلف في أنه فعلال أو فنعال. والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم :بدرة مبدرة ، والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة، أو المرعية من أسام الدابة وسومها، أو المطهمة ، والأنعام الإبل والبقر والغنم﴿ ذٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ﴾ إشارة إلى ما ذكر﴿ وَاللّٰهُ عِنْدَهٗ حُسْنُ الْمَاٰبِ[١٤]﴾ أي المرجع. وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقة الأبدية بالشهوات المخدجة الفانية.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذٰلِكُمْ﴾ يريد به تقريرأن ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا﴿لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَاالْأَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا﴾استئناف لبيان ما هو خير. ويجوزأن يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على ما هوجنات. ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير.

قوله: سماها شهوات: أي سمي الأعيان المشتهيات التي ذكرها شهوات مبالغة لأنها ليست نفس الشهوات .

قوله: زينه ابتلاء: أي للابتلاء لا للرغبة فيها و الحرص عليها كقوله تعالى ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم﴾

قوله: والمقنطرة ماخوذةمنه: أي من القنطار وإنما قال ما خوذ منه ولم يقل مشتق منه لأن القنطار أسم جامد غير مصدر، قال الإمام المرزوقي: إن من شان العرب أن يشتقوا من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه ما يتبعونه تاكيدا أو تنبيهاعلى تناهيه، من ذلك ظل ظليل وداهية دهياء وشعر شاعر، والمصنف أخذ الاشتقاق أعم من طريق الفاعلية والمفعولية ومعنى بدرة مبدرة: كاملة .

قوله: أو المطهمة: هي التامة الخلق .قوله: المخدجة: قال الجوهري: أخدجت الناقة إذا جاء ت بولدها ناقص الخلق وإن كانت إيامه تامة فهي مخدج والوالد مخدج .

﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ مما يستقذر من النساء﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّٰهِ﴾ قرأ عاصم في رواية أبى بكر في جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله تعالى ﴿رضوانه سبل السلام﴾[٥.المائدة:١٦] بكسر الراء وهما لغتان ﴿وَاللّٰهُ بَصِيْرٌ بِالْعِبَادِ[١٥]﴾ أي بأعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء. أو بأحوال الذين اتقوا فلذلك أعد لهم جنات. وقد نبه بهذه الآية على نعمه فأدناها متاع الحياة الدنيا وأعلاها رضوان اللّٰه تعالى لقوله تعالى ﴿ورضوان من اللّٰه أكبر﴾[٩. التوبة:٧٢] وأوسطها الجنة ونعيمها.﴿اَلَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ اٰمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[١٦]﴾ صفة للمتقين أو للعباد ،أو مدح منصوب أو مرفوع. وفي ترتيب السؤال على مجرد الإيمان دليل على أنه كاف في استحقاق المغفرة أو الاستعداد لها.

﴿الصَّابِرِيْنَ وَالصَّادِقِيْنَ وَالقَانِتِيْنَ وَالْمُنْفِقِيْنَ وَالْمُسْتَغْفِرِيْنَ بِالْأَسْحَارِ[١٧]﴾حصر لمقامات السالك على أحسن ترتيب.فإن معاملته مع اللّٰه تعالى إما توسل وإما طلب. والتوسل إما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما. وإما بالبدن . وهو إما قولي وهو الصدق وإما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة. وإما بالمال وهو الإنفاق في سبيل الخير. وإما الطلب فبالاستغفار لأن المغفرة أعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينهما للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها. وتخصيص الأسحار؛ لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة. لأن العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروع أجمع سيما للمجتهدين . قيل: إنهم كانوا يصلون إلى السحر ثم يستغفرون ويدعون.

﴿شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وإنزال الآيات

قوله: لأن المغفرة أعظم المطالب: إذ لو لا المغفرة ويعطى المطالب كلها تلاشت تلك المطالب ويطلب المغفرة ودفع العذاب بل الجامع للمطالب كلها لأن عند مغفرة الذنوب يكون اللّٰه الموجب لسعادة الدارين .

قوله: وتوسيط الواو:يعني توسيط الواو بين الصفات يدل على أن كل صفة تامة مستقلة بنفسها لا أن تكون مع غيرها صفة وعلى أن الموصوف غريق في كل واحدة منها كامل فيها لأن الكلام مسوق لكمال الموصوف في الاتصاف وإذا كان كل واحدة مستقلة يكون الكمال فيها إذ لا كمال بدون الكمال فيها .

الناطقة بها﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ﴾ بالإقرار﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ بالإيمان بها والاحتجاج عليها. شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد، ﴿قَآئِمًا بِالْقِسْطِ﴾ مقيماً للعدل في قسمته وحكمه، وانتصابه على الحال من "الله" وإنما جاز إفراده بها ولم يجز "جاء زيد وعمرو راكباً" لعدم اللبس كقوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهٗ إسحٰق ويعقوب نَافِلَةً﴾[٢١.الأنبياء:٧٢] أومن"هو" والعامل فيها معنى الجملة أي تفرد قائماً، أو أحقه؛ لأنها حال مؤكدة أو على المدح. أو الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في ا لمشهود به اذا جعلته صفة أو حالا من الضمير، وقرئ القا ئم با لقسط على البدل من "هو".أو الخبر لمحذوف﴿لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة وليبني عليه قوله ﴿الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ[١٨]﴾ فيعلم أنه الموصوف بهما . وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته .

قوله: شبه ذلك: يعني أن هذا استعارة تصريحة تبعية حيث شبه بيان وحدانيته وإظهارها بنصب الدلائل العقلية وإنزال الأدلة السمعية الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف.وكذلك شبه إقرار الملائكة وأولي العلم بالتوحيد واحتجاجهم عليه بشهادة الشاهد في البيان والكشف.

قوله: مقيما للعدل: إشارة إلى أن الباء للتعدية ولم يجعله من قبيل قام بالأمر إذا ثبت ملتبسا به مباشراً له على طريق الاستعارة من القيام بمعنى الانتصاب مبالغة في تجنب وصفه بصفات المخلوقين .

قوله: في قسمته: أي في قسمة الأرزاق والآجال والثواب والعقاب وفي حكمه بالأمر والنهي .

قوله: وإنما جازإ فراده بالحال:أي إفراد الله تعالى بالحال دون المعطوفين عليه أي الملائكة وأو لو العلم مع أنه لم يجز مثل جاء زيد وعمرو راكبا؛ لعدم اللبس لأنه علم اختصاصه تعالى بالقيام بالعدل .

قوله: أو الصفة للمنفي:أي لا اله قائما بالعدل إلاهو .

قوله:وليبني عليه قوله:﴿العزيز الحكيم ﴾:فليعلم أنه الموصوف بهما بخلاف ماإذا لم يذكر فإنه يكون الموصوف بهما كل واحد من الثلاثة .

قوله: لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته: لأن الحكمةإيجاد الشيء على ما يليق به وإيتاء ه إياه، وذا لا يكون بدون القدرة .

ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل" شهد".

وقد روي في فضلها أنه عليه الصلاة والسلام قال: "يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى : إن لعبدي هذا عندى عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد ، أدخلوا عبدي الجنة" وهي دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله .

﴿إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللّٰهِ الإسلامُ﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أي لا دين مرضي عندالله سوى الإسلام . وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد ﷺ . وقرأ الكسائي بالفتح على أنه بدل من "أنه" بدل الكل إن فسر الإسلام بالإيمان . أو بما يتضمنه وبدل اشتمال إن فسر بالشريعة. وقرئ "إنه" بالكسر وأن بالفتح على وقوع الفعل على الثاني. واعتراض ما بينهما أو إجراء "شهد" مجرى "قال" تارة و"علم" أخرى لتضمنه معناهما.﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِيْنَ أُوتُوالْكِتٰبَ﴾ من اليهود والنصارى ، أو من أرباب الكتب المتقدمة في دين الإسلام فقال قوم: إنه حق، وقال قوم: إنه مخصوص بالعرب، ونفاه آخرون مطلقاً. أو في التوحيد فثلثت النصارى﴿وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ﴾[٩.التوبة: ٣٠] وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده . وقيل: هم النصارى اختلفوا في أمر عيسى عليه السلام .

قوله: على أنه بدل الكل إن فسر الإسلام بالإيمان أو بما يتضمنه: أي بما يتضمن الإيمان أعني مجموع الإيمان وللشريعة ،أما على الأول فظاهر، وأما على الثاني فلأن الإيمان أصل والشريعة من توابعه ولواحقه فكأن الإسلام كل الإيمان .

قوله: وقرئ إنه بالكسر .يعني قريء شهد الله إنه بالكسر وأن الدين بالفتح بناء على أن الفعل أعني "شهد الله" واقع على أن الدين وما بينهما اعتراض أوإجراء شهد مجرى قال فكسر إنه، ومجرى علم ففتح أن الدين الذي جاء به محمد ﷺ .

قوله:في دين الإسلام:أي الشرع.

قوله: في التوحيد: أي اختلف اليهود والنصارى في التوحيد بأن تركوه فأثبت النصارى ثلثة، واليهود اثنين .

قوله: وقيل هم قوم موسى: واختلافهم أن موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني إسرائيل وجعلهم أمناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء سبعين بعد ماجاء علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة

قوله:اختلفوا في أمرعيسى: بعد ما جاء هم العلم أنه عبد الله ورسوله .

﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَ هُمُ الْعِلْمُ﴾ أي بعد ما علمواحقيقة الأمر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج. ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً وطلباً للرئاسة لا لشبهة وخفاء في الأمر. ﴿ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ فَإِنَّ اللّٰهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ[١٩]﴾ وعيد لمن كفر منهم .

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ في الدين أو جادلوك فيه بعد ما أقمت الحجج ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلّٰهِ﴾ أخلصت نفسي وجملتي له لا أشرك فيها غيره. وهو الدين القويم الذي قامت به الحجج ودعت إليه الأيات والرسل . وإنما عبر بالوجه عن النفس لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس . ﴿ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾عطف على التاء في "أسلمت" وحسن للفصل ، أو مفعول معه. ﴿وَقُلْ لِّلَّذِيْنَ أُوتوالْكِتٰبَ وَالْأُمِّيِّنَ﴾ الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب. ﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ كما أسلمت لما وضحت لكم الحجة أم أنتم بعد على كفركم ونظيره وقوله ﴿فهل أنتم منتهون﴾[٥.المائدة: ٩١] وفيه تعيير لهم بالبلادة أو المعاندة. ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ فقد نفعوا أنفسهم بأن أخرجوها من الضلال ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلٰغُ﴾ أي فلم يضروك إذ ما عليك إلا أن تبلغ وقد بلغت.﴿ وَاللّٰهُ بَصِيْرٌ بِالْعِبَادِ[٢٠]﴾ وعد ووعيد.

قوله:أو جادلوك فيه بعد ما أقمت الحجج: فإن المقصود من الجدل دفعُ الخصم لا إظهار الحق كما في المناظرة والمحاجاة والمعنى الأول ناظرإلى قوله تعالىٰ ﴿إن الدين عند اللّٰه الإسلام﴾ والثاني إلى قوله تعالىٰ:﴿ إلامن بعد ما جاء هم العلم بغياً بينهم﴾ .

قوله: ومظهر القوى والحواس: أي مظهر القوى الخمس الباطنة التي هي الحس المشترك والخيال والوهم والحافظة والمتصرفة. والحواس الخمس الظاهرة التي هي الباصرة والسامعة والشامة والذائقة واللامسة .

قوله:﴿ ومن اتبعن﴾ عطف على التاء: وحسن للفصل أو مفعول معه: يعني يجوز فيه الوجهان: العطف ومفعول معه لوجود شرط جوازالعطف على المرفوع المتصل وهو الفصل فيجوز الوجهان .

قوله:﴿ أسلمتم﴾ كما أسلمت لما وضحت لكم الحجة: يعني قد أتاكم الحجة ووضحت لكم الحجة التي توجب الإسلام وتقتضي حصوله لا محالة فهل أسلمتم أم بعدُ على كفركم؟ لا ينبغي لكم ذلك بل يجب عليكم، وهذا كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم يبق من طرق البيان والكشف طريق إلاسلكته فهل فهمته أم لا: يعني لا ينبغي لك أن لا تفهمها .

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُونَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيّٖنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِيْنَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ[٢١]﴾ هم أهل الكتاب الذين في عصره عليه السلام . قتل أو لهم الأنبياء ومتابعيهم وهم رضوابه وقصدوا قتل النبي ﷺ والمؤمنين ولكن اللّٰه عصمهم . وقد سبق مثله في سورة البقرة. وقرأ حمزة :ويقاتلون الذين. وقد منع سيبويه إدخال الفاء في خبر "إنّ" كـ" ليت ولعل" ولذلك قيل: الخبر "أُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ" كقولك: زيد ـ فافهم ـ رجل صالح. والفرق أنه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما . ﴿أُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ﴾لأن لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الأخرة ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نّٰصِرِيْنَ[٢٢]﴾ يدفع عنهم العذاب.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتٰبِ﴾أي التوراة أو جنس الكتاب السماوية. ومن للتبعيض أو للبيان . وتنكير "النصيب" يحتمل التعظيم والتحقير﴿يُدْعَوْنَ إِلٰى كِتٰبِ اللّٰهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الداعي محمد عليه الصلاة والسلام وكتاب اللّٰه القراٰن.أو التوراة لما روي أنه عليه الصلاة والسلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت. فقال: على دين إبراهيم . فقالاله: إن إبراهيم كان يهودياً فقال: هلمّوا إلى التوراه فإنها بيننا وبينكم . فأبيا فنزلت، وقيل نزلت في الرجم . وقرئ ليحكم على

قوله: بخلافهما: فإنهما يغيرانِ معنى الابتداء ؛لأنه ينتقل الكلام من الإخبار إلى الإنشاء فلا يبقى المبتدأ مع الخبر على ما كان عليه من الإخبار.

قوله: ومن للتبعيض أو للبيان: يعني على كل من التفسيرين يكون كلمة "من" إما للتبعيض ؛لأن ما فهموه مع وفوره ليس إلاالبعض من التوراة أو من جنس الكتب السماوية لا غيره مما أنزل على غيرهم .

قوله: وقيل نزلت في الرجم: أي في أن المحصن يرجم أو يسخم وجهه. قال ابن عباس رضي اللّٰه تعالٰى عنهما أن رجلا وإمرأة من اليهود زنياوكانا ذوي شرف وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فرجعوا في أمره إلى النبي ﷺ على رجاء أن يكون عنده رخصة في ترك الرجم فحكم النبي عليه السلام بالرجم فأنكروا ذلك فقال عليه السلام: بيننا وبينكم التوراة فإ ن فيها الرجم فمن أعلمكم؟ قال ابن صوريا فأتوا به واحضروا التوراة فلما أتى على آية الرجم وضع يدا عليها فقال ابن سلام قد جاوز موضعها يارسول اللّٰه فرفع كفه عنها فوجد آية الرجم فأمر النبي ﷺبهما فرجما فغضبت اليهود من ذلك غضبًا شديداً فنزلت،

البناء للمفعول فيكو ن الاختلاف فيما بينهم ، وفيه دليل على أن الادلة السمعية حجة في الأصول ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ استبعاد لتوليهم مع علمهم بأن الرجوع إليه واجب ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ[٢٣]﴾ وهم قوم عادتهم الإعراض. والجملة حال من "فريق" وإنما ساغ لتخصصه بالصفة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى التولّي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ . ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ[٢٤]﴾ من أن النار لن تمسهم إلا أياماً قلائل .أو أن آباء هم الأنبياء يشفعون لهم .أو أنه تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم "لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات" روي أن أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم إلى النار

قوله: فيكون الاختلاف فيما بينهم: المتبادرأن الاختلاف فيما بين اليهود لا بين اليهودوالرسول مبني على قراء ة البناء للمفعول ولا يظهر له وجه فإن كان من القراء تين يحتمل الوجهين، وظاهر كلام الكشاف بل صريحه أن هذا الاختلاف في القراء تين وكذا كلام الطيبي يدل على ذلك أيضًا، وكذا فيه دليل على أن الدلالة السمعية حجة في الأصول: أي الاعتقاديات؛ لأنه أثبت نبوته بهذه الآية وهو من الأصول والاعتقاديات ولأن هذه الآية نزلت في اعتقاد إبراهيم عليه السلام وأنه ليس يهوديا .

قوله:وإنما ساغ لتخصيصه بالصفة:أي إنما ساغ بدون تقديم الحال عليه لتخصيصه بالصفة إذ لو كان نكرة محضة لوجب تقديم الحال عليها .

قوله: والطمع الفارغ: عن الوصول إلى المقصود .

قوله:إلا تحلة القسم:أي إلاقدرمايبرالله قسمه فيه بقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾.قال الجوهري: قولهم فعليه إلاتحلة القسم: أي لم أفعل إلاقدر ماحللت به يميني ولم أبالغ وفي الحديث لا يموت للمؤمن ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة قسم أي قدرما يبر الله تعالى قسمه فيه بقوله:﴿وإن منكم إلاواردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ .

قوله:﴿ فكيف إذا جمعناهم﴾:أي فكيف يصنعون أو فكيف حالهم.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ جزاء ما كسبت. وفيه دليل على أن العبادة لا تحبط وأن المؤمن لا يخلد في النار. لأن توفية إيمانه وعمله لاتكون في النار ولاقبل دخولها . فإذن هي بعد الخلاص منها﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ[٢٥]﴾ الضمير لكل نفس على المعنى لأنه في معنى كل إنسان.

﴿قُلِ اللّٰهُمّ﴾ الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان . وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم . وقيل: أصله يا أللّٰه أمنا ب خير. فخفف حرف النداء و متعلقات الفعل وهمزته﴿مٰلِكَ المُلكِ﴾ يتصرف فيما يمكن التصريف فيه تصرف الملاك فيما يملكون. وهو نداء ثان عند سيبويه فإن الميم عنده تمنع الوصفية.﴿ تُؤتِى المُلكَ مَنْ تَشَآءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ﴾ تعطي منه ما تشا من تشا وتسترد . فالملك الأول عام والآخران بعضان منه .وقيل: المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم إلى قوم ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَآءُ﴾ في الدنيا أو في الآخرة . أو فيهما بالنصر والإدبار والتوفيق والخذلان.﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلٰى كُلِ شَىْءٍ قَدِيْرٌ[٢٦]﴾ ذكر الخير وحده لأنه المقضي بالذات ؛والشر مقضي بالعرض . إذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيراً كلياً. أولمراعات الأدب في الخطاب . أو لأن الكلام وقع فيه إذ روي أنه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً. وأخذوا يحفرون. فظهر فيه صخرة عظيمة

قوله: ولا قبل دخولها: أي النارحتى يكون إدخال الجنة قبل دخول النار فيلزم التخليد في النار، وذلك للأدلة الدالة على أن توفية إيمانه وإدخال الجنةبعد دخول النار.

قوله: الضمير لكل نفس على المعنى : أراد أنه ذكر الضمير وجمعه باعتبارا لمعنى لأنه في معنى كل الناس.كذا في الكشاف فقوله: "لأنه في معنى كل إنسان" بدون اللام ليس على ما ينبغي لأنه لا يدفع إلاوجه تذكير الضميردون جمعه.

قوله: وهو نداء ثان: لاصفة اللهم فإن الميم تمنع الوصفية لأن تعويض الميم عن "يا"أخرجه عن كونه متصرفا لأن الميم المشددة بمنزلة الأصوات فلا يوصف.وجوز وا وصفيته وجعلوا مالك الملك صفة .

قوله: فإن الملك الأول عام والآخر ان بعضان منه: لأنه مالك للمملوكات كلها والموتى به والمنتزع بعض .

قوله: مقضى بالعرض :أي بواسطة أنه متضمن للخير وذلك أن أفعال اللّٰه تعالى من نافع أو ضار صادرة عن الحكمة والمصلحة فهي خير كله .

لـم يـعـمـل فيهـا الـمـعـاول . فـوجـهـوا سلمان إلى رسول اللهﷺ يخبره فجاء عليه الصلاة والسـلام فـأخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء منه ما بين لابتيها لـكـأن بهـا مـصبـاحـا في جوف بيت مظلم. فكبر وكبر معه المسلمون وقال:" أضاء ت لي منهاقصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب". ثم ضرب الثانية فقال: "أضاء ت لى منها القصور الـحـمـر مـن أرض الروم" ثم ضرب الثالثة فقال: "أضاء ت لى منها قصور صنعاء ، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة على كلها فابشروا" فقال المنافقون: ألا تعجبون يمنّيكم ويـعـدكـم البـاطـل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى. وأنها تفتح لـكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت.فنبه على أن الشر أيضاً بيده بقول﴿إِنَّكَ عَلٰى كُلِ شَىْءٍ قَدِيْرٌ﴾

﴿ تُولِجُ الَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِى الَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الْـحَيِّ وَتَـرْزُقُ مَـنْ تَشَـآءُ بِـغَيْرِ حِسَابٍ[۲۷]﴾عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فـضـله دلالة على أن من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والـعـز وإيتـاء الـمـلك ونـزعه . والولوج: الدخول في مضيق. وإيـلاج الـليل والنهار: إدخال أحـدهـما في الآخرة بالتعقيب ،أو الـزيـادة والنقص. وإخراج الحي من الميت وبالعكس. إنشاء الحيوانات من موادها وإماتتها، أو إنشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه. وقيل: إخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن . وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وابن عامر وأبو بكر "الميت" بالتخفيف.

﴿لَّا يَتَّـخِـذِ الـمُـؤْمِـنُـوْنَ الْكفِرِيْنَ أَوْلِيَآءَ﴾نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية ونـحـوهـما حتى لا يكون حبهم وبغضهم إلا في الله ، أو عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الأمـور الـدينية﴿مِـنْ دُونِ الْـمُؤْمِنِيْنَ﴾إشارة إلى أنهم الأحقاء بالموالاة . وأن في موالاتهم مندوحة عن موالاة الـكفرة﴿ وَمَـنْ يَّـفْـعَلْ ذٰلِكَ﴾ أي اتخاذهم أولياء. ﴿فَلَيسَ مِنَ اللّٰهِ فِي شَىْءٍ﴾ أي من ولايته فـي شـيءٍ يـصح أن يسمى ولاية . فإن موالاة المتعاديين لا يجتمعان

قوله: ما بين لابتيها: أي ما بين جبلي مدينة .

قـولـه:وإيـلاج الـليـل والـنـهـار إدخـال أحـدهما في الآخر بالتعقيب: لأنه إذا جاء أحـدهـمـا عـقيب الآخر يستتر أحدهما بالآخر. الضوء يستتر بالظلمة وبالعكس فكأنه ولج أحدهما في الآخر: وأما على تقدير الزيادة والنقصان فظاهر .

قوله: من ولايته: صفة شيء تقدم فصار حالا يعني اتخاذ الولايةمن الكافرين ليس

قال:

تَوَدُّ عَدُوي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّني صَدِيْقُكَ لَيْسَ النوكَ عنك بِعَازِبِ

﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَةً﴾إلا أن تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاء ه ،أو اتقاء. والفعل معدى بـ" من"؛ لأنه في معنى"تحذروا ـ و ـ تخافوا". وقرأ يعقوب: تقية . منع عن موالاتهم ظاهراً وباطناً في الأوقات كلها إلا وقت المخافة. فإن إظهار الموالاة حينئذ جائز كماقال عيسى عليه السلام: كن وسطاً وامش جانبا ً﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّٰهِ الْمَصِيْر[٢٨]﴾ فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه . وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي النهي في القبح وذكر النفس. ليعلم أن المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلايؤبه دونه بما يحذرمن الكفرة.

﴿قُلْ اِنْ تُخْفُوْا مَا فِىْ صُدُوْرِكُمْ اَوْ تُبْدُوْهُ يَعْلَمْهُ اللّٰهُ ﴾أى أنه يعلم ضما ئركم من ولا ية الكفار وغيرها إن تخفوها أو تبد وها﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَ رْضِ﴾فيعلم سركم وعلنكم ﴿وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ[٢٩] ﴾ فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه. والاٰية بيا ن لقوله تعالىٰ: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾فكأنه قال: ويحذركم نفسه لأنها متصفة بعلم ذا تي محيط با لمعلو مات كلها ، وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها ، فلا تجسروا على عصيا نه؛ اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قا در على العقا ب بها.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوْٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهٗٓ أَمَداً بَعِيْدًا﴾يوم منصوب بـ "تودُّ "أي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها، أو جزاء أعمالها من الخير والشر حاضرة لوأن بينهاوبين ذلك اليوم.وهو له أمداً بعيداً، أو

في شيء من ولاية الله تعالىٰ فيقع اسم الولاية عليه ويسمى ولاية.

قوله: النوك: وهو الحمق، والعازب الغائب .

قوله: ما يجب اتقاؤه: أي فيكون كلمة من للابتداء متعلق بتتقوا، وتقاة مصدر بمعنى المفعول في موضع المفعول به ويجوز أن يكون كلمة "من" صلة تتقوا على تضمين معنى تحذروا أو تخافوا وتقاة على أصله في موقع المفعول المطلق .قال العلامة التفتازاني هذا يشعر أن حذر وخاف يجيء متعديا بمن، ولم يوجد في كتب اللغة خاف وحذر إلامتعديا بنفسه.

قوله: كن وسطا وامش جانبا: أي كن في الناس وقلبك مع الله وفي طاعته .

بمضمر نحو" اذكر" و"تود" حال من الضمير في "عملت" أو خبر لـ" ما عملت من سوء" و"تجد" مقصور على "ما عملت من خير" ولا تكون "ما" شرطية لارتفاع "تود". وقرئ "ودت" وعلى هذا يصح أن تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر أوقع معنىً؛ لأنه حكاية كائن وأوفق للقراءة المشهورة.﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كرره للتأكيد والتذكير. ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ[٣٠]﴾ إشارة إلى أنه تعالى إنما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم. أو أنه لذو مغفرة وذو عقاب أليم فترجى رحمته ويخشى عذابه .

قوله : أو خبر لما عملت: يعني "أن ما عملت من سوء" مبتدأ" وتود" خبره ويكون ضمير بينه عائداً إلى ما وحينئذ يكون تجد مقصورا على ما عملت من خير لايكون عاملا في ما عملت من سوء، وكلمة ما موصولةلا شرطية لارتقاع تود.و لو كانت شرطية لكان مكسورا أو مفتوحا لأن الساكن إذا حرك حرك بالكسر، وتفتح لمناسبة حركة ما قبله. اعترض عليه بأنه إذا كان الشرط ماضيا والجزاء مضارعا جاز فيه الرفع والجزم من غير تفرقة بين إن الشرطية وأسماء الشرط ولا يمتنع إطباق القراء على أحد الوجهين وإن كان مرجوحا .وأجيب بأن رفع المضارع في الجزاء شاذ كرفعه في الشرط، نص عليه المبرد وشهد به الاستعمال حيث لم يوجد إلا في قول زهير:

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لاغائب مالى ولا حرم .

قوله: ولكن الحمل على الخبرأ وقع :أي لكن الحمل على الموصول لأنه أوفق للقراءة المشهورة لفظا لأنه في القراءة المشهورة مرفوع على أنه خبرلا مكسورولا مفتوح هذا الكلام حكاية الكائن في ذلك اليوم فيجب أن يحمل على ما يفيد الكينونة والوقوع، ولا كذلك الشرطية فإن معنى ما صنعت صنعت: إن صنعت هذا صنعت هذا أو ذاك فذاك أي ما لا يحصى على للاستقبال ولا عمل سوء في استقبال ذلك اليوم .فإن قيل فهذا يوجب منع صحة كونها شرطية. قلنا الشرط وإن لم يدل على الوقوع فلا ينا فيه فربما ينصرف إليه بحسب المقام وحدث الاستقبال يندفع بتقدير كان أي وما كان عملت من سوء .

قوله:رأفةبهم ومراعاةلصلاحاهم:وذلك أنهم إذاعرفواأن اللّٰه تعالى عالم قادروحذرهم دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه .

قوله: أوأنه لذو مغفرة وذوعقاب أليم فترجى رحمته ويخشى عذابه .يعني أنه تعالىٰ مع كونه محذّ را لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته لقوله أنه لذو مغفرة وذوعقاب أليم.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ اللّٰه فَاتَّبِعُونِى﴾ المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، بحيث يحملها على مايقربها إليه. والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا، لله، وأن كل مايراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلالله، وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه. فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته. ﴿يُحبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْلَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جواب للأمر أي يرضَ عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوء كم في جوار قدسه . عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة ﴿وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيْم[٣١]﴾ لمن تحبب إليه بطاعته واتباع نبيه ﷺ . روي : أنها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه. وقيل: نزلت في وفد نجران لما قالوا: إنما نعبد المسيح حباً لله. وقيل: في أقوام زعموا على عهده ﷺ أنهم يحبون الله فأمروا أن يجعلوا لقولهم تصديقاً من العمل.

﴿قُلْ أَطِيْعُواللّٰه وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوا﴾ يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فإن تتولوا ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ لَايُحِبُّ الْكٰفِرِيْنَ[٣٢]﴾ لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم . وإنما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على أن التولي كفر. وإنه من هذه الحيثية ينفي محبة لله وأن محبته مخصوصة بالمؤمنين.

﴿إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى اٰدَمَ وَنُوحًا وَّاٰلَ إِبْرٰهِيْمَ وَاٰلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ[٣٣]﴾ بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية . ولذلك قووا على مالم يقو عليه غيرهم . لما أوجب طاعة الرسول وبين أنها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضاً عليها. وبه

قوله: فهو من الله و بالله وإلى الله: فذلك الكمال صادر من الله وظهور صفاته وعطاء منه وهو تعالى متصف بذلك فى عا لم الجبروت ومر تبة الصفات، والصفات صادرة من الله وظهوره إليه فإليه تعالى ينتهى ذلك الكمال فى مرتبة الذات وهناك يضمحل ذلك بل كل ما سوى الله فالكمال فى الحقيقة لله تعالى .

قوله :على طريق الاستعارةأ والمقابلة: أي المشاكلة شبه الرضا عنكم با لمحبة فى الميل والالتفات بالكلية، أو عبر عنه با لمحبة لوقوعه في مقابلة يحبون الله

قوله: فأمروا أن يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل: أي أمروا أن يجعلوا العمل مصدقا لقولهم فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه.

استدل على فضلهم على الملائكة . وآل إبراهيم: إسماعيل و إسحق وأولادهما. وقد دخل فيهم الرسول ﷺ . وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاحث بن لاؤى بن يعقوب . أو عيسى وأمه مريم بنت عمران بن ماثان بن العازار بن أبي يوذ بن يوزن بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن أوشيا بن أمون بن منشكن بن حازقا بن أخاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عوبد بن سلمون بن ياعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام. وكان بين العمرانين ألف وثمان مائة سنة .﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ حال أو بدل من الآلين أو منهما ومن نوح أي إنهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض. وقيل بعضها من بعض في الدين . الذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر أو فعولة من الذرء أبدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وأدغمت ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ[٣٤]﴾ بأقوال الناس وأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل، أو سميع بقول امرأة عمران، عليم بنيتها.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى﴾ فينتصب به إذ على التنازع. وقيل نصبه باضمار اذكر. وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسىٰ . وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون فظن أن المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فإنه كان معاصراً لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع . وكان يحيىٰ وعيسىٰ عليهما السلام ابني

قوله من الذر:الذر جمع ذرة وهى أصغر النمل، مائة منها بزنة شعير، والذر أيضا تفريق الحب، كذا فى القاموس.

قوله: من الذرأ: قال الجوهري ذرأ الله الخلق يذرأهم ذرأ: خلقهم، ومنه الذرية فينتصب به أي على تقدير أن يكون المراد سميع بقول إمرأه عمران ينتصب بسميع .

قوله: فظن أنه المراد و زوجته: أي ظن بعض أن عمران بن يصهر هو المراد بقوله عمران وزوجته هو المراد بإمرأته.

قوله بنته إيشاع : صوابه أشاع بنت فاقوذخالة مريم لما قال عن زكريا عندى خالتها وقال رغب أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد أختها. وأجيب بأن إيشاع أخت مريم من الأب وأخت حنة من الأم على أن عمران نكح أم حنة فولدت لهما إيشاع ثم نكح حنة علىٰ حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكا نت إيشاع أخت مريم من الأب وخالتها. قال العلامة التفتازاني هذا الاحتمال لا رواية فيه.

خالة من الأب روي أنهـا كانت عاقراً عجوزاً . فبينـما هي في ظل شجرة إذ رأت طائراً يـطـعـم فـرخـه فـحنت إلى الولد وتمنته وقالت : اللهم إن لك علي نذراً إن رزقتني ولداً أن أتـصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه . فحملت بمريم وهلك عمران. وكان هذا الـنـذر مشـروعـاً فـي عهـدهـم للغمـان فـلـعلهـا بـنـت الأمـر عـلـى التقدير أو طلبت ذكـراً﴿مُحَرَّراً﴾معتـقـاً لـخـدمتـه لا أشـغـلـه بشـيءٍ ، أو مـخـلـصاً للعبادة ونصبه على الحال.﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّى﴾ماندرته﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ[٣٥]﴾ لقولي ونيتي.

﴿فَلَـمَّـا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثٰى﴾ الضمير لما في بطنها وتأنيثه لأنه كان أنثى . وجاز انتصاب أنثى حالاً عنه لأن تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات

قـولـه: روي أنهـا كانت عاقرا عجوزا: قيل لا يوافق ما في القرآن ظاهرا فإنه يدل عـلـى أنهاحاملة لم تكن عاقرا. وقد يجاب عنه بأنه قيل لها عاقرا بناء على ظاهر حالها وهو أنهـا أمسك عـنهـا ولـد ها حتى أسنّت وإلا ففي بطنها الولد لم تكن عاقرا .قال فى التفسير الـرحـمـانـي: حـنة بـنت فاقوذحين حملت بعد ما أمسك عنها الولد حتى أسنت فبينماهي تحت ظل شجرة إلى آخر القصة .

قـولـه فـلـعـلها:أي إذا كان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان فلعلها بني الأمر عـلـى التـقـدير وإلا فكيف قطعت بأن مافي بطنها ذكر حتى يصح هذا النذر منها أي نذرته مـحـررا إن كـان ذكـرا، أو إشـارة إلى طلب أن يكون ذكرا على ما هو قاعد ة إشارة النص حيـث سيـق الـكـلام لـنذرا لتحريروفهم منه ضمنا طلب أن تلد ذكرا ليتأتى تحريره فكأنها قالت طلبت منه ذكرا ونذرت تحريره.

قوله وتأنيثه لأنه كان أنثى: لأن هذا الإخبار بعد وضعها وبعد الوضع قد علم كونه أنثـى ولـمـا كان المتكلم الله تعالى صرح صاحب الكشاف بقوله في علم الله وإن لم يحتج إليه لما ذكرنا، ولذلك ترك المصنف ذلك.

قوله وجاز انتصاب أنثى حالاعنه: جواب سوال، تقرير السوال كيف جاز انتصاب أنثى حالا من الضمير في وضعتها وهو عبارة عن أنثى فكأنه قال وضعت أنثى أنثى. وتقرير الـجواب أن تا نيثه لتانيث الحال والأصل وضعته أي ما في بطني أنثى ثم أنث الضمير العائد "إلـى" ما نظرا إلى الحال من غير أن يعتبر فيه معنى الأنو ثة ليلزم اللغو فكأنه قال وضعت ما في بطني أنثى كما فى قوله تعالى:﴿ فإن كانتا اثنتين ﴾فا ن ضمير كانتا لمن يرث وهو مفرد

واحداً . أو علـى تـأويل مؤنث كالنفس والحبلة. وإنما قالته تحسراً وتحزناً إلى ربها لأنها كـانـت تـرجـوا أن تلد ذكراً ولذلك نذرت تحريره.﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ أى بالشيء الذي وضعت. هو استئناف من الله تعالى تعظيماً لموضوعها وتجهيلاًلها بشأنها . وقرأ ابن عـامـر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب "وَضَعْتُ" على أنه من كلامها تسلية لنفسها أي ولعل لله سبحانه وتعالى فيه سراً . أو الأنثى كانت خيراً . وقرئ" وضعتِ" على أنه خطاب الله تـعـالى لها.﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ بيـان لقوله والله أعلم أي وليـس الذكر الذي طلبت كـالأنثـى التـي وهبـت. واللام فيهما للعهد، ويجوز أن يكون من قبلها بمعنى "وليس الذكر والأنثى سيان فيما نذرت" فتكون اللام للجنس﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ عطف على ما قبلها من مقالها بمعنى وما بينهما اعتراض. وإنما ذكرت ذلك لربها تقرباً إليه وطلباً لأن يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها، فإن "مريم" في لغتهم بمعنى العابدة ، وفيه دليل عـلـى أن الاسـم والـمسـمـى والتسمية أمـور متـغـايـرة.﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَـا بِكَ﴾ أجيرهـا بـحفظك.﴿وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ[٣٦]﴾ المطرود . وأصل الرجم الرمي بالحجارة. وعن النبي ﷺ " ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد. فيستهل من مسه إلا مريم وابـنـهـا." ومـعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله تـعـالـى عـصـمهـمـا ببـركة هذه الاستعاذة.﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ فرضي بها في النذر مكان الذكر﴿ بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أي بوجه حسن يقبل به النذائر .

وإنما ثني نظرًاإلى الخبر فكا ن المعنى إن كان من يرث إثنين، ولا لغو فيه.

قوله: تعظيما لموضوعها: أي‌الولد الذى وضعتها.

قـولـه :ولـعـل اللهسبـحانه وتعالى فيه سرًا:يعني يكون معنى قوله:" والله أعلم بما وضعت"حين يكون من قولهاإن فيها سرًا لعل الله أعلم به، أوالمعنى لعل الأنثى كان خيرا.

قـولـه بيـان لـقـولـه والله أعلم: جواب سوال، تقرير السوال أن قوله والله أعلم بما وضعت دل على أنه أفضل من الذكر فما فائدة ذكره؟ أجاب بأن فائدته البيان والتفسير.

قـولـه بـوجـه حسـن تـقبـل بـه النذائر:كان الظاهر أن يقال :فتقبلها ربها قبولا لأنه مـصـدر فـاحتيج لتصحيح معنى الباء إلى حمل القبول على الاختصاص الذى هو ما يقبل به الشيء إما بجعله بمعنى المفعول بالواسطة أ و ما يتقبل به وهو قريب من الآ لة، وإما بحمله على حذف المضاف أي ذي قبول فصار المعنى تقبلها ملتبسة بهذا الاختصاص وهو

وهـو إقامتها مقام الذكر، أو تسلمها عقيب ولا دتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة. روي أن حـنة لـمـا ولدتها لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأبار وقالت: دونكم هـذه الـنذيرة . فتنافسوا فيها؛ لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم . فإن بني ماثان كـانـت رؤوس بـنـي إسـرائـيـل ومـلوكهم فقال زكريا: أنا أحق بها. عندي خالتهافأبوا إلا الـقرعة، وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت أقـلامهم فتكفلها زكريا. ويجوز أن يكون مصدراً على تقدير مضاف أي بذي قبول حسن، وأن يـكـون "تقبل" بمعنى "استقبل" كتقضى وتعجل أي فأخذها في أول أمرها حين ولدت بـقبـول حسـن﴿ وَأَنۢبَتَهَـا نَبَـاتًـا حَسَنًـا﴾ مـجـاز عـن تربيتهـا بمـا يصلحهـا في جميع أحوالها.﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم . وقصروا زكريا غير عاصم فـي رواية ابـن عيـاش عـلـى أن الـفـاعـل هـو الله تعالى وزكريا مفعول أي جعله كافلاً لها وضـامـنـاً لـمـصـالـحهـا. وخـفف البـاقون ومد وا زكرياء مرفوعاً﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا ذَكَرِيَّا الْـمِحْرَابَ﴾ أي الغرفة التي بنيت لها، أو المسجد ، أو أشرف مواضعه ومقدمها . سمي به لأنـه مـحل محاربة الشيطان كـأنهـا وضـعت في أشرف موضع من بيت المقدس﴿وَجَدَ عِـنْـدَهَـا رِزْقًـا﴾ جـواب كـلـمـا ونـاصبـه . روي: أنـه كان لايدخل عليها غيره وإذا خرج

إقـامتهـامـقـام الـذكـر ولم يقبل قبلها أنثى فى ذلك .أو أن تسلمها وأخذها من أمها عقيب الـولادة قبل أن تنشأ ويصلح للسدانة وجوز أن يكون تقبل بمعنى استقبل وتلقى فيكون الباء صلة .

قـوله: وصاحب قربانهم :هو الذي يلي أمر القرابين في البيت الذي تنزل فيه النار. والـقـربـان بالضم ما يتقرب به إلى الله، جمعه القرابين وكانوا يتقربون بالبقرو الغنم إلى الله تـعـالـى بـأن يجعلوها متعرضة لنار تنزل من السماء وتأ كلهما كما قال تعالى: ﴿حتى يأتينا بـقربان تأكله النار﴾ وكان قربان هذه الأمة الدماء. وفي الحديث: صفة هذه الأمة في التوبة قربانهم دماء هم .

قـولـه: سـمي به لأنه محل محاربة الشيطان: يعني سمي أشرف مواضعه ومقدمها وهـو مـوضـع الإمامة بالمحراب؛ لأنه محل يحارب فيه الشيطان وأريد بالمحراب ذلك إذ بـعـلـهـا وضـعت في أشرف مواضع بيت القدس ومقدمها .وأما الغرفة والمسجد فلم يسميا محرابا حتى تبين وجه تسميتها به وإنما أريد بالمحراب مجازا لعلاقة المجاورة .

أغلق عليها سبعة أبواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس ﴿ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ من أين لك هذا الرزق الآتي في غير أوانه والأبواب مغلقة عليك. وهو دليل جواز الكرامة للأولياء. وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الأمر عليه ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فلا تستبعده. قيل: تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثدياً قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ[٣٧]﴾ بغير تقدير لكثرته، أو بغير استحقاق تفضلاً به . وهو يحتمل أن يكون من كلامهما وأن يكون من كلام الله تعالى . روي أن فاطمة رضي الله تعالى عنها أهدت لرسول الله ﷺ رغيفين وبضعة لحم فرجع بها إليها وقال: هلمي يابنية. فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً فقال لها: أنَّى لك هذا! فقالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال :الحمد الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل.ثم جمع علياً والحسن والحسين وجمع أهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت على جيرانها.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ في ذلك المكان ، أو الوقت؛ إذ يستعار "هنا وثم وحيث" للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كما وهبتها لـ" حنة العجوز العاقر". وقيل: لما رأى الفواكة في غير أَوَانِهَا انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ. فسأل وقال: هب لي من لدنك ذرية. لأنه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالأسباب المعهودة. ﴿إِنَّكَ سَمِيْعُ الدُّعَآءَ[٣٨]﴾مجيبه.

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ﴾ أي من جنسهم كقولهم: زيد يركب الخيل . فإن المنادي كان جبريل وحده.وقرأ حمزة والكسائي فناده بالإمالة والتذكير.﴿ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي قائماً في الصلاة. و"يصلي" صفة قائم أو خبر أو حال آخر أو حال من الضمير في "قائم" ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾أي بأن الله. وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على إرادة القول، أو لأن النداء نوع منه . وقرأ حمزة والكسائي "يبشُرُك". ويحي اسم أعجمي، وان جعل عربياً فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي عيسى عليه

قوله: فرجع: أي النبي ﷺ بها أي بالرغيفين والبضعة إليها .أي إلى فاطمة رضي الله تعالى عنها وذهب معها إليهاوقال هلمي: أي أقبلي وتعالي.

قوله: أي من جنسهم :يعني نسب حكم الفرد من الجنس إلى الجنس نفسه كقولهم زيد يركب الخيل ويلبس الديباج وإن لم يركب ولم يلبس إلاواحدًا .

السلام . سمي بذلك لأنه وجد بأمره تعالى دون أب فشابه البدعيات التي هي عالم الأمر، أو بكتاب الله . سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته. ﴿وَسَيِّداً﴾ يسود قومه ويفوقهم وكان فائقاً للناس كلهم في أنه مَا هَمَّ بمعصية قط﴿وَحَصُورًا﴾ مبالغاً في حبس النفس عن الشهوت والملاهي ، روي أنه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال:ما للعب خلقت.﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِيْنَ[٣٩]﴾ ناشئاً منهم أو كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة.

﴿قَالَ رَبِّ أَنّٰى يَكُونُ لِىُ غُلَمٌ﴾ استبعاداً من حيث العادة ، أو استعظاماً، أو تعجيباً،أو استفهاماً عن كيفية حدوثه﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ الْكِبَرُ﴾ أدركني كبر السن وأثر فيّ. وكان له تسع وتسعون ولإمرأته ثمان وتسعون سنة . ﴿وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾ لا تلد من العقر وهو القطع؛ لأنها ذات عقر من الأولاد﴿ قَالَ كَذٰلِكَ اللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ[٤٠]﴾ أي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل. وهو إنشاء الولد من شيخ فانٍ وعجوز عاقر. أو كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد، أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي الله على مثل هذه الصفة . ويفعل مايشاء بيان له، أو كذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك. والله يفعل مايشاء بيان له.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّىُ ايَةً﴾ علامة أعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقةالانتظار﴿ قَالَ ايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ أيلا تقدر على تكليم الناس ثلاثاً. وإنما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاءً لحق النعمة، وكأنه اٰيتك أن يحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب مااشتق من السؤال .﴿ إِلَّا رَمْزاً﴾ إشارة بنحو يد أو رأس . وأصله التحرك ومنه الراموز للبحر

قوله: استبعادا من حيث العادة: لا إنكارا لما قالته الملائكة .

قوله: أي يفعل ما يشاء من العجائب:أي مثل ذلك وهو إنشاء الولد من شيخٍ فانٍ وعجوزٍعاقرٍ يفعل ما يشاء من العجائب .فضمير هو عائد إلى ذلك .

قوله: وأحسن الجواب ما اشتق عن السؤال :أي ما كان ما خوذا من السؤال ومنتزعا منه فالسؤال طلب آية للشكر والجواب أن الآية أن تشكر الله كثيرا ولا تقدر على شيء آخر من الكلام فجعل العلة الغائية للسؤال وهو الشكر آية له بأن لا تقدر إلاعلى الشكر .

والاستثناء منقطع، وقيل متصل، والمراد بالكلام ما دل على الضمير. وقرئ رَمَزاً بفتحتين كخدم، جمع رامز، ورُمُزًا كرسل جمع رموز على أنه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله:

مَتَى مَا تَلْقَنِي فَرْدَيْنِ تَرْجِف رَوَانِفُ أَلِيتَيْكَ وَتُسْتَطَارَا

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيْرًا﴾ في أيام الحبسة، وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه. وتقييد الأمر بالكثرة يدل على أنه لا يفيد التكرار ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ﴾ من الزوال إلى الغروب. وقيل من العصر أو الغروب إلى ذهاب صدر الليل. ﴿وَالإِبْكَارِ[٤١]﴾ من طلوع الفجر إلى الضحى. وقرئ بفتح الهمزة جمع "بكر" كسحر وأسحار.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يٰمَرْيَمُ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفٰكِ عَلٰى نِسَآءِ الْعٰلَمِيْنَ[٤٢]﴾ كلموها شفاهاً كرامة لها. ومن أنكر الكرامة زعم أن ذلك كانت معجزه لزكريا أو إرهاصاً لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام. فإن الإجماع على أنه سبحانه وتعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قبلك إِلَّا رِجَالاً﴾ [١٢. يوسف:١٠٩] وقيل: ألهموها. والاصطفاء: الأول تقبلها من أمها ولم يقبل قبلها أنثى وتفريغها للعبادة وإغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء. والثاني هدايتها وإرسال الملائكة إليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها مما قذفتها به اليهود بإنطاق الطفل وجعلها ابنها اٰية للعالمين.

﴿يٰمَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ واسْجُدِى وارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِيْنَ[٤٣]﴾ أمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها، وقدم السجود على الركوع إما لكونه

قوله: كقوله متىٰ ما تلقني فردين: فإن فردين حال من الفاعل والمفعول، وترجف: تضطرب وتتحرك، وأراد بالروانف التثنية لأن للإليتين رانفين لا غير وهما طرفا هماولذلك ثني ضمير تستطاران، والأصل تستطاران سقط النون بالجزم.

قوله: ومن أنكر الكرامة: كالمعتزلة فإنهم ينكرون الكرامة فلا يكون الخارق عندهم إلا معجزة فيكون الخارق إما معجزة زكريا أوإرهاصًا لنبوة عيسى وذلك أن يتقدم على دعوى النبوة ما يشبه المعجزة كإظلال الغمام لرسولنا ﷺ.

قوله: أمرت بالصلوٰة في الجماعة: يعني أمرت بالصلوٰة مع قيدٍ فيها وهي الجماعة بذكر أركانها وهو السجود والركوع مبالغة في المحافظة عليها.

كذلك في شريعتهم ،أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب، أو ليقترن اركعي بالراكعين للإيذان بأن من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين. وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعة كقوله الخشوع والإخبات.

﴿ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيْهِ إِلَيْكَ﴾ أي ماذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقلامَهُمْ﴾ أقداحهم للاقتراع ، وقيل اقترعوا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركاً ، والمراد تقرير كونه وحياً على سبيل التهكم بمنكريه ، فإن طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم، فبقي أن يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه" يلقون أقلامهم" أي يلقونها ليعلموا، أو يقولوا أيهم يكفل مريم ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ[٤٤]﴾ تنافساً في كفالتها .

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ﴾ بدل من "إذ قالت" الأولى وما بينهما اعتراض، أو من "إذ يختصمون" على أن وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا .

قوله: أوليقترن اركعي مع الراكعين:أي الذين يركعون في الصلوٰة لامع الذين يصلون بلا ركوع تنبيها على أنهم ليسوا مصلين فلا تكونين غير مصلية أيضًا .

قوله: أ قداحهم: قال الزجاج الأقلام ههنا القداح، جعلوا فيها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة وسمي السهم قلما؛ لأنه يقلم أي يبرى وكل ما قطعت منه شيئايعرفون فقد قلمته .

قوله: على أن وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا:أرادأن زمان وقوع الاختصام إلى زمان البشارة زمان واحد متسع متصل بعضه ببعض على طريقة قوله:لقيته سنة كذا مع أنه لم يلقه إلا في جزء من أجزاء السنة، والمراد الزمان الممتد فكذا ههنا المراد الزمان الممتد وقع الاختصام في بعض أجزائه والبشارة في بعض آخر ليصح بالنظر إلى ذلك الزمان أنهما في زمان واحد كما يقال: وقع القتال والصلح في سنة واحدة مع أن القتال وقع في أول السنة والصلح في آخرها. وتحقيقه أن كلا من الزمان والمكان قديؤخذ حقيقياً وهو القدر الذي ينطبق على الشيء ولا يفضل عليه. وقد يؤخذ غير حقيقي وهو الذي يفضل .أشار بذلك إلى دفع ما قيل أن الاختصام عند ولادة مريم وإذهاب أمها إلى بيت المقدس وقول الملائكة كان في زمان غير زمان الاختصام فلا يصح البدل .

﴿يَـٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ المسيح لقبه وهو من الألقاب المشرفة كالصديق، وأصله بالعربية مشيحا، ومعناه : المبارك . وعيسى معرب إيشوع واشتقاقهما من المسح لأنه مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب، أو مسح الأرض ولم يقم في موضع ، أو مسحه جبريل . ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته. وابن مريم لما كان صفة تميّز تمييز الأسماء نظمت في سلكها ، ولا ينا في تعدد الخبر وإفراد المبتدأ فإنه اسم جنس مضاف، ويحتمل أن يراد به أن الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة . فإن الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه . ويجوز أن يكون "عيسى" خبر مبتدأ محذوف و"ابن مريم" صفته . وإنما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيهاً على أنه يولد من غير أب؛ إذ الأولاد تنسب إلى الآباء ولا تنسب إلى الأم إلا إذا فقد الأب. ﴿وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ حال مقدرة من "كلمة" وهي وإن كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره للمعنى. والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة﴿ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ[٤٥]﴾ من الله. وقيل إشارة إلى علو درجته في الجنة أو رفعه إلى السماء وصحبة الملائكة.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا﴾ أي يكلمهم حال كونه طفلاً وكهلاً كلام

قوله: لأنه مسح بالبركة: أي لأنه ممسوح بالبركة من الله أو بما طهره من الذنوب .

قوله: وابن مريم كان صفة: جواب سوال وهو ابن مريم صفة فكيف يقال اسمه ابن مريم على أنه خبر بعد خبر عن اسمه، وتقرير الجواب ظاهر .

قوله: ولا ينافي تعدد الخبر إفراد المبتدأ :جواب سوال وهو أن يقال:إن المبتدأ وهو "اسمه" مفرد والخبر متعدد وهو هذه الثلثة فلا يصح؛ إذ لا يصح أن يقال اسمه الواحد هذه الثلثة، وعدل عن تقرير صاحب الكشاف وهو أنه "لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلثة أشياء ، اسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة"؛ لما أن ابن مريم نزل منزلة الاسم كما مرّ، وأن المراد بالاسم العلم لا ما يقابل الكنية واللقب وهو يشمل الاسم واللقب وغيرهما فأجاب بأنه اسم جنس مضاف فيعم فالمعنى جميع أسمائه هذه الثلثة وبأن المراد الذي يعرف ويتميز عن غيره هذه الثلثة أي مجموع الثلثة ومجموع الثلثة يصلح خبرا عن الذي يعرف به لأن يعرف به كل واحد من هذه الثلثة .

قوله: والخطاب لها: أي لمريم فلا حاجة إلى هذا القول .

الأنبياء من غير تفاوت والمهد: مصدر سمي به ما يمهد للصبي في مضجعه وقيل: إنه رفع شاباً والمراد وكهلاً بعد نزوله . وذكر أحواله المختلفة المتنافية إرشاداً إلى أنه بمعزل عن الألوهية﴿وَمِنَ الصَّٰلِحِيْنَ[٤٦]﴾ حال ثالث من "كلمة " أو ضميرها الذي في "يكلم".

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِيُ وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِيُ بَشَرٌ﴾تعجب ،أو استبعاد عادي ، أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ اللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ القائل جبريل ،أو الله تعالى وجبريل حكى لها قول الله تعالى ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهٗ كُنْ فَيَكُون[٤٧]﴾ إشارة إلى أنه تعالى كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرجاً بأسباب ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك.

﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوراٰةَ وَالإِنْجِيلَ[٤٨]﴾ كلام مبتدأ ذكر تطييباً لقلبها وإزاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت أنها تلد من غير زوج،أو عطف على "يبشرك" أو "وجيهاً" والكتاب الكتبة أو جنس الكتب المنزلة ، وخص الكتابان لفضلهما . وقرأ نافع وعاصم و"يعلمه" بالياء.

قوله: من غير تفاوت: أي في كلام الأنبياء بين حال الطفولية وحال الكهولة التي يستحكم فيه العقل ويستنبأ فيها الأنبياء .

قوله: والمراد وكهلا بعد نزوله: يعني أنه يكلم الناس حال كونه في المهد صبيا وحال كونه كهلا بعد نزوله من السماء إلى الدنيا في آخر الزمان .

قوله: حال ثالث من كلمة : وهذا بناء على أن ويكلم الناس ليس حالا وإنما هو ابتداء كلام لتقرير كونه من المقربين كما أن﴿ ويعلمه الكتاب﴾ ابتداء كلام وقع بين الأحوال على وجه لتطييب قلبها .

قوله: أو عطف على يبشرك الخ: لا يخفى أ ن هذه الوجوه سوى الرابع على تقدير قراءة يعلمه بياء الغيبة. أما على قراء ة النون فلا يحسن إلا بتقدير القول أي إن الله يبشرك بعيسى ويقول:يعلمه وكذلك يخلق الله ما يشاء ويقول نعلم عيسى، أو حال كونه وجيها ومقولاً فيه نعلمه واعتذر بأن يشرك ويخلق وإن وقعا في كلام الملائكة بطريق الغيبة لكنه ذاك حكاية من الله فكأنما وقعا بطريق التكلم من الله تعالى وحينئذ يستقيم العطف. قال العلامة التفتازاني فيه: ولا يخفى أن مع هذه لايحسن انتظام الكلام.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ منصوب بمضمر على إرادة القول تقديره: ويقول: أرسلت رسولاً بأني قد جئتكم ، أو بالعطف على الأحوال المتقدمة متضمناً معنى النطق فكأنه قال: وناطقاً بأني قد جئتكم . وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثته إليهم،أو للرد على من زعم أنه مبعوث إلى غيرهم ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ نصب بدل من "أني قد جئتكم" أو جر بدل من "آية"، أو رفع على "هي أني أخلق لكم" والمعنى:أقدر لكم وأصور شيئاً مثل صورة الطير. وقرأ نافع "إني" بالكسر﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف:أي في ذلك الشيء المماثل﴿ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فيصير حياً طائراً بأمرالله . نبه به على أن إحياء ه من الله تعالى لا منه . وقرأ نافع هنا وفي" المائدة" طائراً بالألف والهمزة.﴿ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ الأكمه الذي ولد أعمى أو الممسوح العين . روي:أنه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه الصلاة والسلام وما يداوي إلا بالدعاء ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ كرر"بإذن الله" دفعاً لتوهم الألوهية ، فان الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ بالمغيبات من أحوالهم التي لا تشكون فيها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[٤٩]﴾ موفقين للإيمان فإن غيرهم لا ينتفع بالمعجزات ،أو مصدقين للحق غير معاندين.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ عطف على" رسولا" على الوجهين ، أو منصوب بإضمار فعل دل عليه قد جئتكم: أي وجئتكم مصدقاً﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ مقدر بإضماره .

قوله: منصوب بمضمر على إرادة القول: يعني أن رسولاً وكذا مصدقاً منصوب بإضمارأرسلت على إرادة القول .تقديره ويعلمه اللهتعالى الكتاب والحكمة، يقول صلوات الله عليه حال كوني رسولا بأني قد جئتكم بآية من ربكم ومصدقا لما بين يدي من التوراةفيكون رسولا في حكم التكلم كما أن قد جئتكم في حكمه فلا ياباه، وإنما يا باه لوكان معطوفا على القول السابق من قوله: وجيها وما عطف لأنها في حكم التكلم بدليل أني قد جئتكم أو معطوف على الأحوال السابقة باعتبار تضمن رسولا ومصدقا معنى النطق وحينئذ يكون رسولا في حكم الغيبة أيضًا:أي حال كون عيسى رسولا ناطقا بأني قد جئتكم وناطقا بأني أصدق ما بين يدي .

قوله: مقدر بإضماره:أي بإضمارفعل دل عليه قد جئتكم: أي قد جئتكم لأحل لكم.

أو مردود على قوله : إني قد جئتكم بآية، أو معطوف على معنى "مصدقاً" كقولهم: جئتك معتذراً ولأطيب قلبك﴿ بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي في شريعة موسى عليه الصلاةو السلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى السبت ، وهو يدل على أن شرعه كان ناسخًا لشرع موسى عليه الصلاة والسلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقاً للتوراة كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب ، فإن النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الأزمان ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِاٰيَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوااللّٰه وَأَطِيْعُونِ[٥٠]﴾

﴿إِنَّ اللّٰه رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمُ[٥١]﴾ أي جئتكم بآية أخرى ألهمنيها ربكم وهو قوله﴿إِنَّ اللّٰه رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ فإنه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر ،أو جئتكم بآية على أنَّ اللّٰه رَبِّيْ وربكم وقوله﴿فاتَّقُو اللّٰه وَأَطِيْعُونِ﴾ اعتراض، والظاهر أنه تكرير لقوله﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِاٰيَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ أي جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم ، والأول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها إلى الحكم؛ ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى﴿فَاتَّقُوااللّٰه﴾ أي لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة فاتقوااللّٰه في المخالفة وأطيعون فيما أدعوكم إليه، ثم شرع في الدعوة وأشار إليها بالقول المجمل قال: ﴿إن اللّٰه ربي وربكم ﴾ إشارة إلى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد. وقال﴿فاعبدوه﴾ إشارة إلى استكمال القوة العملية فإنه بملازمة الطاعة التي هي الإتيان بالأوامر والانتهاء عن المناهي .

قوله: أو مردود على قوله: قد جئتكم بآية من ربكم الخ: يعني معطوف على آية أي جئتكم بآية للتصديق لما بين يدي ولأ حل لكم. قال العلامة التفتازاني: لاوجه لعطف المفعول له على المفعول به .

قوله: والثروب: الثرب شحم دقيق يغشي الكرش والأمعاء .

قوله: بيان وتخصيص:أي بيان مدة انتهاء الحكم وتخصيص للحكم بهذا الأمر والغاية .

قوله: الفارقة بين النبي والساحر: فالآية بمعنى العلامة يعرف بها أنه رسول اللّٰه لا ساحر وليس المراد بالآية المعجزة ليرد الاعتراض بأن مثل هذا القول قد يصدر عن العوام بل المراد أنه بعد ما ثبتت نبوته بالمعجزة كان ذلك القول لكونه طريقة الأنبياء ودليل الاهتداء علامة لنبوته يفيد المسترشد قوة يقين وزيادة اطمينان .

قوله: مما ذكرت لكم: من خلق الطير والإبراء والإحياء والإنباء بالخفيات .

ثم قرر ذلك بأن بين أن الجمع بين الأمرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام: "قل آمنت بالله ثم استقم"

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيْسٰى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِىٓ إِلَى اللّٰهِ﴾ ملتجئاً إلى الله تعالى،أو ذاهباً، أو ضاماً إليه. ويجوز أن يتعلق الجار بـ" أنصاري" مضمناً معنى الإضافة : أي من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله تعالى في نصري . وقيل:"إلى" هنا بمعنى "مع" أو"في"أو"اللام" ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ حواري الرجل خالصته من الحوَر وهو البياض الخالص، ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهن، سمي به أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم . وقيل: كانوا ملوكاً يلبسون البيض استنصرهم بهم عيسى عليه الصلاة والسلام من اليهود. وقيل: قصارون يحورون الثياب أي يبيضونها ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللّٰهِ﴾ أي أنصار دين الله.

﴿اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُوْنَ[٥٢]﴾ لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ﴿رَبَّنَآ اٰمَنَّا بِمَآ أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُوْلَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشّٰهِدِيْنَ[٥٣]﴾ أي مع الشاهدين بوحدانيتك . أو مع الأنبياء الذين يشهدون لأتباعهم ، أو مع أمة محمد ﷺ فانهم شهداء على الناس.

﴿وَمَكَرُوْا﴾ أي الذين أحس منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا عليه من يقتله غيلة﴿وَمَكَرَاللّٰهُ﴾ حين رفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل، والمكر من حيث إنه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرة لا يسند إلى الله تعالى إلا على سبيل المقابلة والإزدواج ﴿وَاللّٰهُ خَيْرُ الْمٰكِرِيْنَ[٥٤]﴾ أقواهم مكراً وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يحتسب.

قوله: أن الجمع بين الأمرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة :يعني أن الطريق المستقيم هي ضم العبادات و الانتهاء عن المنهيات لا مجرد الإيمان كما لأهل الفسق، وإليه أشارصلى الله تعالٰى عليه وآله وسلم بقوله" قل:آمنت بالله ثم استقم".أي ثم آت بالعبادات التي هي طريق مستقيم.

قوله: تحقق كفرهم عند تحقق ما يدرك بالحواس:إشارة إلى أن الإحساس ههنا استعارة للعلم اليقيني الجلي لأن الكفر ليس ما يحسن به .

قوله: إلاعلى سبيل المقابلة: يعني أطلق مكرالله لكونه واقعا في مقابلة مكرهم وإلا فالمراد جزاء مكرهم على هذه الطريقة الحاصلة لأن المكرمذموم عند الخلق .

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ ظرف لمكر الله، أو خير الماكرين، أو المضمر مثل وقع ذلك ﴿يٰعِيْسىٰٓ إِنِّىْ مُتَوَفِّيكَ﴾ أي مستوفي أجلك مؤخرك إلى المسمى عاصماً إياك من قتلهم أو قابضك من الأرض من توفيت مالي، أو متوفيك نائماً إذ روي أنه رفع نائماً، أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت. وقيل: أماته الله سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهبت النصارى ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا﴾ من سوء جوارهم أو قصدهم ﴿وَجَاعِلُ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوكَ فَوقَ الَّذِينَ كَفَرُوْٓا إِلىٰ يَومِ القِيٰمَةِ﴾ يغلبونهم بالحجة، أو السيف في غالب الأمر، ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى وإلى الآن لم تسمع غلبة لليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة. ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ الضمير لعيسى عليه الصلاة والسلام ومن تبعه ومن كفر به، وغلّب المخاطبين على الغائبين. ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيْمَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُونَ[٥٥]﴾ من أمر الدين.

﴿فَأَمَّاالَّذِيْنَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيْداً فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نّٰصِرِيْنَ[٥٦]﴾

﴿وَأَمَّاالَّذِيْنَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ تفسير للحكم وتفصيل له. وقرأ حفص فيوفيهم بالياء. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحَبُّ الظّٰلِمِيْنِ[٥٧]﴾ تقرير لذلك.

﴿ذٰلِكَ﴾ إشارة إلى ماسبق من نبأ عيسى وغيره. وهو مبتدأ خبره ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ وقوله: ﴿مِنَ الأيٰتِ﴾ حال من الهاء. ويجوز أن يكون الخبر و"نتلوه" حالا على أن العامل معنى الإشارة وأن يكونا خبرين وأن ينتصب بمضمر يفسره نتلوه ﴿وَالذِّكْرِالْحَكِيْمِ[٥٨]﴾ المشتمل على الحِكَم أو المحكم الممنوع عن تطرق الخلل إليه يريد به القرآن. وقيل: اللوح.

قوله: أي مستوفي أجلك: لما كان ظاهر الكلام أنه يميته مقارنا لرفع السماء ولم يكن كذلك أو بحيث يحتمل أن يكون معه أو قبله أو بعده ولم يكن في الإخبار بذلك كثير فائدة احتاج إلى تفسيره بوجه يفيد فائدة يعتدبها فذكر أربعة أوجه. الأول أنه كناية عصمة من أن تقتله الكفار لكون ذلك مردوفا ومتبوعا لتأخيره إلى أجله وإماتته في وقته. الثاني أنه عبارة عن قبضه من وجه الأرض ثم رفعه إلى السماء، من توفيت مالى على فلان إذا استوفيته أي قبضته. الثالث أنه إخبار بأنه إنما يرفعه الى السماء بعد تسليط النوم بحيث لا يشعر بذلك من قوله: والتي لم تمت في منامها. الرابع أن المراد مميتك عن الشهوات أي مزيل ومبعد.

قوله: وأن ينتصب بمضمر: أي يجوز أن يكون تتلوه مفسر المضمر وينتصب ذلك بذلك المضمر.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللّٰهِ كَمَثَلِ اٰدَمَ﴾ إن شأنه الغريب كشأن آدم عليه الصلاة والسلام ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما به الشبه . وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم . شبه حاله بما هو أغرب منه إفحاماً للخصم وقطعا لمواد الشبهة والمعنى خلق قالبه من التراب ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ أي أنشأه بشراً كقوله تعالى ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾[٢٣.المؤمنون:١٤] أو قدر تكوينه من التراب ثم كوّنه . ويجوز أن يكون "ثم" لتراخي الخبر لا المخبر ﴿فَيَكُونُ[٥٩]﴾ حكاية حال ماضية.

﴿اَلْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ﴾خبر مبتدأمحذوف: أي هو الحق. وقيل "الحق" مبتدأ و"من ربك" خبره أي الحق المذكور من الله تعالى﴿فَلَا تَكُنْ مِّنَ الْمُمْتَرِيْنَ[٦٠]﴾ خطاب للنبي ﷺ على طريقة التهييج لزيادة الثبات أو لكل سامع.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾ من النصارى ﴿فِيْهِ﴾ في عيسى﴿ مِنْ بَعْدِ مَاجَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي من البينات الموجبة للعلم ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ هلموا بالرأي والعزم﴿ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ أي يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة ويحتمل عليها. وإنما قدمهم على الأنفس؛ لأن الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي نتباهل بأن نلعن الكاذب منا. والبهلة بالضم والفتح: اللعنة، وأصله الترك من قولهم:أبهلت الناقة إذا تركتها بلا صرار﴿ فَنَجْعَلْ لَّعْنَةَ اللّٰهِ عَلَى الْكٰذِبِيْنَ[٦١]﴾ عطف فيه بيان، روي أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب: وكان ذا رأيهم ما ترى فقال: والله لقد عرفتم نبوته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم ، والله ما باهَل قوم نبياً إلا هلكوا، فإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين اٰخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي

قوله: لما به الشبه: أي لما لأجله الشبه وهو وجه الشبه .

قوله: ويجوز أن يكون" ثم" لتراخي الخبر لا المخبر: يعني أن الخبر وهو القول وقع في زمان الخلق لأن الله تعالى أخبر بذلك متراخيا عن زمان الخلق .

قوله: أي من البينات الموجبة للعلم:أي العلم بأن عيسى من مخلوقاته وليس بابن له، والتفاوت بينه وبين آدم المخلوق من التراب المكون من كلمة كن .

قوله: فلما تخالوا: أي خلا بعضهم ببعض، والعاقب اسم رجل من نصارى نجران والأسقف خادم البيعة .

خلفه وعلي رضي الله عنه خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا. فقال أسقفهم: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا. فأذعنوا لرسول الله ﷺ وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعاً من حديد. فقال عليه الصلاة والسلام: والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير، ولا ضطرم عليهم الوادي ناراً، ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر. وهو دليل على نبوته وفضل من أتى بهم من أهل بيته.

﴿إِنَّ هٰذَا﴾ أي ما قص من نبأ عيسى ومريم ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ بجملتها خبر إن، أو هو فصل يفيد أن ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه. وما بعده خبر واللام دخلت فيه لأنه أقرب إلى المبتدأ من الخبر، وأصلها أن تدخل على المبتدا ﴿وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللّٰهُ﴾ صرح فيه بـ" من" المزيدة للاستغراق تأكيداً للرد على النصارى في تثليثهم ﴿وَإِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ[٦٢]﴾ لا أحد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الألوهية.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ بِالْمُفْسِدِيْنَ[٦٣]﴾ وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على أن التولي عن الحجج والإعراض عن التوحيد إفساد للدين والاعتقاد المؤدي إلى فساد النفس بل وإلى فساد العالم.

﴿قُلْ يٰأَهْلَ الْكِتٰبِ﴾ يعم أهل الكتابين. وقيل يريد به وفد نجران، أو يهود المدينة ﴿تَعَالَوا إِلٰى كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها. ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللّٰهَ﴾ أن نوحده بالعبادة ونخلص فيها﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهٖ شَيْئًا﴾ولا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلاً لأن يعبد.﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللّٰهِ﴾ ولا نقول عزير ابن الله، ولاالمسيح ابن الله، ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل؛ لأن كلامنهم بعضنا بشر مثلنا. روي أنه لما نزلت﴿اتخذوا أحبارهم

قوله: بجملتها خبر إنّ: يعني أن مجموع" لهو القصص" خبرإنّ.

قوله: وأصلها أن تدخل على المبتدأ: لأنها لام الابتداء ولها الصدر لكنها زحلقت عن مركزها إلى الخبر كراهة توالي حر في التأكيد.

قوله: بعضنا: خبرأن والمعنى عليه إلا أن كون المبتدأ نكرة والخبر معرفةً يابى ذلك فيأول بأنه خبر مبتدأ محذوف، والجملة خبر المبتدأ الأول و"بشر مثلنا" بدل من بعضنا.

ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾[٩.التوبة:٣١]قال عدي بن حاتم: ماكنا نعبد هم يارسول الله قال: "أليس كانوا يحلون ويحرمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم، قال "هو ذاك"﴿فَإِنْ تَوَلَّوا﴾عن التوحيد﴿فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ[٦٤]﴾أي لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم ، أو اعترفوا بأنكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل.

تنبيه: انظر إلى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الإرشاد وحسن التدرج في الحجاج بين ، أولاً: أحوال عيسى عليه الصلاة و السلام وما تعاور عليه من الأطوار المنافيه للألوهية ، ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم ، فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم إلى المباهلة بنوع من الإعجاز ، ثم لما أعرضوا عنها وانقاد وا بعض الانقياد عاد عليهم بالإرشاد وسلك طريقاً أسهل ، والزم بأن دعاهم إلى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الأنبياء والكتب، ثم لما لم يجد ذلك أيضاً عليهم وعلم أن الآيات والنذر لا تغني عنهم أعرض عن ذلك وقال: ﴿فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [٣.آل عمران:٦٤]

﴿يَـأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيْمَ وَمَآ أُنْزِلَتِ التَّورٰةُ وَالْإِنْجِيْلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ تنازعت اليهود والنصارى في إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وزعم كل فريق أنه منهم وترافعوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت. والمعنى أن اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة والإنجيل على موسى وعيسىٰ عليهما الصلاة والسلام ، وكان ابراهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى بألفين فكيف يكون عليهما﴿ أَفَلَا تَعْقِلُون[٦٥]﴾ فتدعون المحال.

﴿هَـأَنْتُمْ هٰـؤُلَآءِ حٰـجَـجْتُـمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ "ها" حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها ، و"أنتم" مبتدأ و"هؤلاء" خبره و"حاججتم" جملة أخرى مبينة للأولى:أي أنتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والإنجيل عناداً، أو تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له فى كتابكم من دين إبراهيم .

قوله:أ واعترفوا بأنكم كافرون فيكون قوله:﴿اشهدوا بأنا مسلمون﴾ من باب التعريض

قوله: وبيان حماقتكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه:ما هو فى كتابكم من نعت محمدﷺ فتيسر لكم التغييرفلم جادلتم فيما ليس لكم به علم وليس فى كتابكم من دين إبراهيم عليه السلام ولا يتيسر لكم التغيير .

قوله أو تدعون وروده فيه. علىٰ ما قاله الإمام قال فيما له علم لم يقصد به حقيقة

وقيل: هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته . وقيل:"ها أنتم" أصله "أأنتم" على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء . وقرأ نافع وأبو عمرو "هاأنتم" حيث وقع بالمد من غير همز. وورش أقل مداً . وقنبل بالهمز من غير ألف بعد الهاء والباقون بالمد والهمزة . والبزي بقصر المد على أصله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما حاججتم فيه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ[٦٦]﴾ وأنتم جاهلون به .

﴿مَا كَانَ إِبْرٰهِيْمُ يَهُودِيًّا وَّلَا نَصْرَانِيًّا﴾تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ﴿ وَلٰكِنْ كَانَ حَنِيْفًا﴾مائلاً عن العقائد الزائغة﴿ مُّسْلِمًا﴾منقاداً لله، وليس المراد أنه كان على ملة الإسلام وإلا لاشترك الإلزام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ[٦٧]﴾ تعريض بأنهم مشركون لا شتراكهم به عزيراً والمسيح ورد لا دعاء المشكرين أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرٰهِيْمَ﴾ إن أخصهم به وأقربهم منه من الولى وهو القرب ﴿لَلَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُ﴾ من أمته ﴿وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوا﴾ لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم على الإصالة . وقرئ وهذاالنبي بالنصب عطفاً على الهاء في"اتبعوه " وبالجر عطفاً على "إبراهيم"﴿وَاللّٰهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِيْنَ[٦٨]﴾ ينصرهم ويجازيهم الحسنى لإيمانهم.

﴿وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ لَو يُضِلُّونَكُمْ﴾ نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهودية و"لو" بمعنى "إن" ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ وما يتخطاهم الإضلال ولا يعود وباله إلا عليهم إذ يضاعف به عذابهم ، أو ما يضلون إلا أمثالهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ[٦٩]﴾ وزره واختصاص ضرره بهم .

العلم وإنما أرادبه أنكم تستجيزون محاجتكم فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم البتة.

قوله وإلالاشترك الإلزام: لأنهم ألزموا اليهود والنصارى بأن اليهودية أنما حدثت بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإ نجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهد بزمان متطاولة؟ فلو كان المراد دين الإسلام وهو دين محمد ﷺ يلزمهم ما ألزموا اليهود والنصارى أي بين محمد وإبراهيم أكثر من ثلثة آلاف فكيف يكون على دين لم يحدث إلا بعد أزمنة متطاولة؟.

قوله: على الأصالة .يعني شرح لهم على الأصالة فاتفق موافقتهم إياه لا أنهم تابعون له فى أكثر شرائعه .

﴿يٰأَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ﴾ بما نطقت به التوراة والإنجيل ودلت على نبوة محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ[٧٠]﴾ أنها آيات الله ، أو بالقرآن وأنتم تشهدون نعته في الكتابين، أو تعلمون بالمعجزات أنه حق.

﴿يٰأَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ بالتحريف وإبراز الباطل في صورته، أو بالتقصير في التميز بينهما. وقرئ "تلبّسون" بالتشديد و"تلبَسون" بفتح الباء أي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه الصلاة و السلام: " كلابس ثوبي زور"﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نبوة محمد عليه السلام ونعته﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ[٧١]﴾ عالمين بما تكتمونه.

﴿وَقَالَتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ اٰمِنُواْ بِالَّذِىْ أُنْزِلَ عَلَى الَّذِيْنَ اٰمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ﴾ أي أظهروا الإيمان بالقرآن أول النهار﴿وَاكْفُرُوْااٰخِرَهٗ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[٧٢]﴾ واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظناً بأنكم رجعتم لخلل ظهرلكم ، والمراد بالطائفة كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف قالا لأصحابهما لما حولت القبلة: اٰمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلّوا إليها أول النهار ثم صلّوا إلى الصخرة اٰخره لعلهم يقولون: هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون. وقيل: اثنا عشر من أحبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا في الإسلام أول النهار ويقولوا اٰخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماء نا فلم نجد محمداً عليه الصلاة والسلام بالنعت الذي ورد في التوراة لعل أصحابه يشكون فيه .

قوله: بما نطقت: أي بالآيات التى نطقت عن نبوة محمد ﷺودلت عليها من التوراة والإنجيل وأنتم تشاهدون نعت الرسول المذكور فى التوراة والإنجيل، أو المراد بآيات الله القرآن ومعنى تشهدون تعلمون حقيقتها بلا شبهة بمنزلة علم المشاهدة والمعنى كيف تكفرون با لقرآن وأنتم تعلمون نعت محمد فى الكتابين أو تعلمون با لمعجزات أنه حق وهو ﷺيقول إن القرآن حق وإنه من عند الله ، وتلبسون أي تلبسون الحق مع الباطل من لبست الثوب فيكون الباء بمعى مع وأما على قرا ء ة الكسر فهو من لبست الشيء بالشيء أي خلطته به واستشهد لاستعمال اللبس ومافى معناه للاتصاف بالشيء والتلبس به بقوله عليه السلام: المتشبع بما لا يملك كلا بس ثوبي زور.والمتشبع الذى يرى أنه شبعان وليس به، والمراد المتصلف، ولابس ثوبي زور وهو الذى استعارثوبا يتجمل به أو يتنسك به لتقبل شهادته فيشهد به زورًا ويظهرأنه له وليس له فيتلبس بجهتي زور ويصير كأنه لا بس ثوبين من زور.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِيْنَكُمْ﴾ ولا تقروا عن تصديق قلب إلا لأهل دينكم ، أو لا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم فإن رجوعهم أرجى وأهم ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدىٰ هُدىَ اللّٰهِ﴾ هو يهدي من يشاء إلى الإيمان ويثبته عليه ﴿أَنْ يُّؤْتیٰٓ أَحْدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيْتُمْ﴾ متعلق بمحذوف أي دَبَّرْتُمْ ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد ، والمعنى أن الحسد حملكم على ذلك ، أو بـ" لا تؤمنوا" أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم إلا لأشياعكم ، ولا تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ، ولا إلى المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام، وقوله﴿قُلْ إِنَّ الْهُدىٰ هُدىَ اللّٰهِ﴾اعتراض يدل على أن كيدهم لا يجدي بطائل أو خبر "إن" على أن هدى الله بدل من الهدى . وقراء ة ابن كثير أن يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد الوجه الأول: أي إلا أن يؤتى احد دبرتم . وقرئ "إن" على أنها نافية فيكون من كلام الطائفة :أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم: ما يؤتى مثل ما أوتيتم ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُم عِنْدَ رَبِّكُم﴾ عطف على "أن يؤتى" على الوجهين الأولين وعلى الثالث معناه :حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم عند ربكم ، والواو ضميرأحد لأنه في معنى الجمع إذ المراد به غير أتباعهم ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّٰهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَآءُ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيْم[٧٣]﴾

﴿يَّخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَّشَآءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ[٧٤]﴾ رد وإبطال لما زعموه بالحجة الواضحة.

قوله: أولا تظهرواإيمانكم:أي لا تظهروا تصديقكم بأن المسلمين قدأوتوا مثل ما أو تيتم من الكتاب والرسول إلا لمن تبع دينكم من أشياعكم ولا تفشوه للمسلمين لئلا يزيد ثبا تهم ولا للمشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام .

قوله: لمن كان على دينكم: ثم أسلم .

قوله: عطف على "أن يؤتى" على الوجهين الأولين: أي دبرتم ذلك التدبير لأن يؤتى أحد مثل ما أو تيتم، ولما يترتب عليه من غلبتهم با لحجة يو م القيامة أي لم يكن لكم داع إلى هذا الفعل والكيد باعث سوى الحسد والغيظ، وعدل عن الواو إلى أو إشارة إلى أن كلا من الأمرين مستقل بكونه سبب الحسد والغيظ أو تظهروا تصديقكم بأن المسلمين قدأوتوا مثل ما أوتيتم، وبأن المسلمين يحاجونكم يوم القيٰمة با لحق ويغالبونكم عند الله بالحجة.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ كعبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأداه إليه ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِيْنَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ كفنحاص بن عازوراء استودعه قريشي آخر ديناراً فجحده. وقيل: المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة. والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب فيهم الخيانة. وقرأ حمزة وأبوبكر وأبو عمرو: ويؤده إليك بإسكان الهاء، وقالون باختلاس كسرة الهاء، وكذا روي عن حفص، والباقون بإشباع الكسرة ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ إلا مدة دوامك قائماً على رأسه مبالغاً في مطالبته بالتقاضي والترافع وإقامة البينة ﴿ذٰلِكَ﴾ إشارة إلى ترك الأداء المدلول عليه بقوله لا يؤديه ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ بسبب قولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْأُمِّيِّيْنَ سَبِيْلٌ﴾ أي ليس علينا في شأن من ليسوا من أهل الكتاب . ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ﴿وَيَقُوْلُوْنَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ﴾ بادعائهم ذلك.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ[٧٥]﴾ أنهم كاذبون . وذلك لأنهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا: لم يجعل لهم في التوراة حرمة . وقيل عامل اليهود رجالاً من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا أنه كذلك في كتابهم . وعن النبي ﷺ أنه قال عند نزولها" كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر".

﴿بَلٰى﴾ إثبات لما نفوه أي بلى عليهم فيهم سبيل ﴿مَنْ أَوْفٰى بِعَهْدِهٖ وَاتَّقٰى فَإِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ[٧٦]﴾ استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها . والضمير المجرور لمن أو لله وعموم المتقين ناب عن الراجع إلى من . وأشعر بأن التقوى ملاك الأمر وهو يعم الوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهي.

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَشْتَرُوْنَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللّٰهِ﴾ بما عاهدوا الله عليه من الإيمان بالرسول والوفاء بالأمانات. ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ﴿ثَمَنًا قَلِيْلاً﴾ متاع الدنيا. ﴿أُولٰٓئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِى الْاٰخِرَةِ

قوله فى شان من ليسوا من أهل الكتاب: أي فى جنس أموالهم والإضراربهم .
قوله: ظلم من خالفهم :أيظلمهم على من يخالفهم .
قوله تحت قدمي. أي منسوخ متروك .
قوله: وأشعربأن التقوى ملاك الأمر: حيث وضع المظهر موضع المضمر .

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ بما يسرهم أو بشيء أصلاً . وأن الملائكة يسألونهم يوم القيامة . أو لا ينتفعون بكلمات الله وآياته. والظاهر أنه كناية عن غضبه عليهم لقوله.﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾فان من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه ، كما أن من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر إليه ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يثني عليهم﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[٧٧]﴾ على ما فعلوه . قيل: إنها نزلت في أحبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد ﷺ وحكم الأمانات وغيرهما وأخذوا على ذلك رشوة . وقيل: نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به . وقيل: نزلت في ترافع كان بين الأشعث بن قيس ويهودي في بئر أو أرض وتوجه الحلف على اليهودي.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي بن أخطب.﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَٰبِ﴾ يفتلونها بقراء ة فيميلونها عن المنزل إلى المحرف . أو يعطفونها بشبه الكتاب . وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها.﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ﴾ الضمير لمحرف المدلول عليه بقوله يلوون . وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير أيضاً للمسلمين.﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ تأكيد لقوله﴿وما هو من الكتاب ﴾وتشنيع عليهم وبيان لأنهم يزعمون تصريحاً لا تعريضاً : أي ليس هو نازلاً من عنده . وهذا لا يقتضي أن لا يكون فعل العبد فعل الله تعالى .

قوله :﴿ولايكلمهم الله﴾ بما يسرهم :أشار بذلك إلى دفع التناقض بينه وبين قوله تعالىٰ:﴿ لنسئلنهم أجمعين﴾ وذلك أن ليس المراد نفي التكلم مطلقا بل نفيه بما سرهم أو المراد نفيه مطلقا وأن الله تعالى لا يسألهم وإنما الملائكة يسألونهم .أوأن المراد نفي انتفاعهم بكلماته تعالىٰ وآياته في يو م القيٰمة، أو المراد سخطه تعالىٰ بطريق الكناية كماإذا سخط الإنسان على شخصه يقول: لا أكلمك .

قوله: يفتلو نها: أي الألسنة، يقال: فتله عن وجهه فا نفتل أي صرفه فا نصرف، يعني أنه على حذف المضاف وهي القراء ة والباء للاستعانة أوالظر فيةوالضمير فيلتحسبوه للمحرف ، أ والمضاف المحذوف الشبه، والضمير في لتحسبوه له، ولواه بمعنى عطفه، والباء صلة كما فى قولك لوى لسانه با لشعرإذا قاله مع تعمل وميل للآلة .

قوله: وهذا لا يقتضي أن لايكون فعل العبد فعل الله تعالىٰ بل يكون فعل العبد

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ[٧٨]﴾ تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه .

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام. وقيل (إن أبا رافع القرظي والسيد النجراني قالا: يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا. فقال: معاذ الله أن نعبد غير الله وأن نأمر بعبادة غير الله. فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني) فنقلت. وقيل (قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك . قال: لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله)﴿ وَلٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ولكن يقول كونوا ربانيين . والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل.﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتٰبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ[٧٩]﴾بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له . فإن فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل . وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين . وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من أدرس بمعنى درس كأكرم وكرم . ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضاً بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا﴾ نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفاً على ثم يقول . وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان . أي ما كان

مخلوقا للعبد كما هو مذهب أهل الاعتزال لأن الله تعالى إنما نفى النزول من عنده لا نفى كونه مقولا له تعالىٰ بل هو مقول له باعتبار التخليق .

قوله: كاللحياني والرقباني: نسبة إلى اللحية بمعنى عظيم اللحية وإلى الرقبة بمعنى غليظ الرقبة .

قوله: عطفا على ثم يقول: يعني في العطف وجهان: أحدهما أن تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي سيما مع طول العهد وتخلل الفصل و المعنى ما صح وماستقام لبشر أن يوتيه الله الكتاب ثم يترتب عليه أن يقول للناس كونوا عبادا لى ولا ماصح لهم أن يأمر هم باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا، وثانيهما أن يكون "لا" نافية معطوفا هذا النفي على ثم يقول قصدا إلى ترتب هذا المجموع على الإيتاء بمعنى ما كان لبشرأن يؤتى النبوة ثم يترتب على

لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً . أو غير مزيدة على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ أكفائه أرباباً . بل ينهى عنه وهو أدنى من العبادة . ورفعه الباقون على الاستئناف . ويحتمل الحالَ وقرأ أبو عمرو على أصله برواية الدورى باختلاس الضم. ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ﴾ إنكار . والضمير فيه للبشر وقيل لله﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ[٨٠]﴾ دليل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لأن يسجدوا له

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْتُكُمْ مِّنْ كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ قيل إنه على ظاهره . وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى . وقيل معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم. وقيل إضافة الميثاق إلى النبيين إضافته إلى الفاعل . والمعنى وإذ أخذالله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم . وقيل المراد أولاد النبيين على حذف المضاف. وهم بنو إسرائيل . أو سماهم نبيين تهكماً لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب والنبيون كانوا منا. واللام في لما موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف . وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن سادٌّ مسدَّ جواب القسم والشرط ، وتحتمل الخبرية .

ذلك أمره بعبادة نفسه ونهيه عن عبادة الملائكة والنبيين مع استوائهم فى عدم استحقاق العبادة، بل يترتب عليه نهيه عن عبادته وعبادتهم، وعدم الأمر وإن كان أعم من النهي لكن فسره به لكونه أمثل با لمقصود وأدخل فى الاستبعاد وأوفق للواقع.

قوله: قيل إنه على ظاهره: و هوأخذالميثاق من النبيين بأنه إن جاء هم رسول ليؤمنن به و لينصرنه .

قوله: وإذ أخذالله الميثاق الذى وثقه الأنبياء على أممهم:أي أخذالله الميثاق على أممهم بتو ثيقهم .

قوله: واللام في"لما"موطئة للقسم :كأنها وَطّأت طريق جواب القسم أي سهلت تفهيم الجواب. قيل: هي لام دخلت على حرف الشرط بعد تقدم القسم لفظا أو تقديرا ليؤذن بأن الجواب له لا للشرط، ويجوز أن يدخل الموطئة على غير الشرط كما صرح به صاحب الكشاف فى سورة هود في قوله:﴿ وإن كل لما ليوفينهم ﴾وقال: اللام في لما ليوفينهم موطئة للقسم وما مزيدة.

قوله: و تحتمل الخبرية: أي الموصول بخلاف الوجه الأول فإن "ما"فيه إنشائية لأن الشرط الإنشاء.

وقرأ حمزة لما بالكسر على أن ما مصدرية أي لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب . ثم مجيء رسول مصدق له أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه . أو موصولة والمعنى أخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له . وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم . أو لمن أجل ما آتيتكم على أن أصله لمن ما بالإدغام فحذف إحدى الميمات الثلاث استثقالاً . وقرأ نافع آتيناكم بالنون والألف جميعاً . ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ أي عهدي . سمي به لأنه يؤصر أي يشد. وقرئ بالضم وهو إما لغة فيه كعبر وعبر أو جمع إصار وهو ما يشد به . ﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ﴾ أي فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار . وقيل الخطاب فيه للملائكة . ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِّنَ الشَّٰهِدِيْنَ[٨١]﴾وأنا أيضاً على اقراركم وتشاهدكم شاهد . وهو توكيد وتحذير عظيم .

﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ[٨٢]﴾ المتمردون من الكفرة .

﴿أَفَغَيْرَ دِيْنِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للإنكار ، أو محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون . وتقديم المفعول لأنه المقصود بالإنكار والفعل بلفظ الغيبة عند أبي عمرو و عاصم في رواية حفص ويعقوب . وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم ﴿وَلَهُ و أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَّكَرْهًا﴾: أي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل

قوله إيتائي إيا كم بعض الكتاب: إشارة إلى أن" من" على هذا الوجه تبعيضية لا زائدة؛ لأن "من" لا تزاد في الإثبات خلافا للأخفش .

قوله: أي طائعين: يعني أنهم أسلموا وآمنوا طوعًاورغبةً بالنظر والاستدلال واتباع الحجة أوكرها بالسيف وغيره فعلى هذا لا يشمل الملائكة إذ ليس إسلامهم وإيمانهم با لاستدلال واتباع الحجة لأن المعنى منهم أسلموا وانقادوا بالاختيار والطوع والرغبة كالملائكةأولا بالاختياروالطوع، بل با لتسخير لأجل أنهم لا يقدرون على الامتناع عما قضى عليهم فيقبلون ما حكم عليهم كا لبهائم لا يقدرون على الامتناع عما قضى عليهم فيتحملون ما حمل عليهم من الأثقال .

قوله: كنتق الجبل: أي زعزعته ونقضه لبني إسرائيل وإدراك الغرق لفرعون والإشراف على الموت للكفارعند حضورالموت .

وإدراك الغرق، والإشراف على الموت، أو مختارين كالملائكة والمؤمنين أومسخرين كالكفرة فإنهم لايقدرون أن يمتنعوا عما قضي عليهم ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ[٨٣]﴾ وقرئ بالياء على أن الضمير لـ" من".

﴿قُلْ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنْزِلَ عَلٰى إِبْرٰهِيْمَ وَإِسْمٰعِيْلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسٰى وَعِيْسٰى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَّبِّهِمْ﴾ أمر للرسول ﷺ بأن يخبر نفسه ومتابعيه بالإيمان. والقرآن كما هومنزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه إليهم وأيضًا المنسوب إلى واحد من الجمع قد ينسب إليهم. أو بأن يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك إجلالاً له. والنزول كما يعدى بـ" إلى" لأنه ينتهي إلى الرسل يعدى بـ" على" لأنه من فوق. وإنماقدم المنزل عليه عليه الصلاة والسلام على المنزل على سائر الرسل لأنه المعرف له والعيار عليه ﴿لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُونَ[٨٤]﴾ منقادون أو مخلصون في عبادته.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيْنًا﴾ أي غير التوحيد والإنقياد لحكم الله. ﴿فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْاٰخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ[٨٥]﴾ الواقعين في الخسران. والمعنى أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها. واستدل به على أن الايمان هُو الإسلام إذ لوكان غيره لم يقبل. والجواب إنه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل مايغايره. ولعل الدين أيضاً للأعمال.

قوله: أو مخلصون في عبادته: لا نعبد غيره. تفسير للإسلام المعدى باللام مع التقديم.

قوله: والجواب أنه ينفي قبول كل دين يغائره: يعني أن الإسلام هو التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى على ما فسره به، وكذلك الإيمان كما تقرر في علم الكلام، فهما متحدان واستدل به عليه بأنه لوكان الإيمان غير الإسلام على ما ذهب إليه بعض المعتزلة والحشوية لم يقبل من مبتغيه وهو باطل بالاتفاق. والجواب أنه إنما ينفي دينا غير الإسلام والإيمان وإن كان غير الاسلام لكنه ليس دينا غير الإسلام لأن الإسلام كما فسره هو مجموع التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى فالدين غير الإسلام هو الكفر فلا يقبل من مبتغيه فلا يلزم اتحاد هماعلى أنه يجوز أن يكون الدين الأعمال كالإسلام عند هم فلا يقبل غير الدين الذي هو الإسلام أعني الأعمال من مبتغيه وهو حق فلا يلزم اتحادهما.

﴿كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَّجَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ استبعاد لأن يهديهم الله فإن الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد . وقيل نفي وإنكار له وذلك يقتضي أن لا تقبل توبة المرتد . "وشهدوا" عطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل ونظيره فأصدق وأكن . أو حال بإضمار "قد" من "كفروا" وهو على الوجهين دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان . ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ[٨٦]﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالإخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الإيمان فكيف من جاء ه الحق وعرفه ثم أعرض عنه .

﴿أُولٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ[٨٧]﴾ يدل بمنطوقه على جواز لعنهم . وبمفهومه على نفي جواز لعن غيرهم . ولعل الفرق أنهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسًا بخلاف غيرهم . والمراد بالناس المؤمنين أو العموم فإن الكافر أيضاً يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لايعرف الحق بعينه .

قوله: وذلك يقتضي أن لا يقبل توبة المرتد: لا يقال كيف يقتضي ذلك مع أن الاستثناء وهو ﴿إلا الذين تابوا﴾ يأباه بل المعنى لايهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم إلا الذين تابوا لأنا نقول الاستثناء هو ﴿الاالذين تابوا وأصلحوا ما أفسد وا من الاضلال﴾ وإنما ياباه لوكان الاستثناء إلا الذين تابوا فقط، ومراد المصنف أنه يقتضي أن مجرد توبة المرتد لا يقبل.

قوله: عطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل: لأن المصدر بمعنى أن مع الفعل كأنه قيل بعدأن آمنوا وشهدوا كما عطف "وأكن" وهو مجزوم على "فأصدق" وهو منصوب بتقدير أن لأنه قد يكون مجزوما وذلك عند عدم الفاء كأنه قيل: ﴿ لولا أخرتني إلى أجل قريب﴾ أصدق وأكن .

قوله: وهو على الوجهين دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان: أما على الوجه الأول فظاهر لأن العطف يقتضي المغائرة وأما على الثاني فإنما يصح لو كان قيد الشيء يلزم أن يكون مغائرا لما يقابل ذلك الشيء وليس بلازم إذ يجوز أن يكون القيد مجامعا لكل واحد من المتقابلين وأيضًا الكفر لا يجامع الشهادة في الزمان لأن الشهادة سابقة على الكفر فلا يصح الحال .

قوله: يلعن منكر الحق والمرتد عنه: أي عن الحق ولكن يعرف الحق بعينه الذي هو الإسلام.

﴿خَٰلِدِيْنَ فِيْهَا﴾في اللعنة،أو العقوبة، أو النار وإن لم يجز ذكرهما لدلالة الكلام عليهما.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ[٨٨]﴾﴿إِلَّا الَّذِيْنَ تَابُواْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾ أي من بعد الارتداد.﴿ وَأَصْلَحُواْ﴾ ما أفسدوا . ويجوز أن لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح .﴿ فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ﴾ يقبل توبته .﴿رَّحِيْمٌ[٨٩]﴾ يتفضل عليه . قيل: انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فأرسل إلى قومه أن يسألوا هل لي من توبة . فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية فرجع إلى المدينة فتاب .

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً﴾ كاليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد الإيمان بموسى والتوراة . ثم ازدادوا كفراً بمحمد والقرآن . أو كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بالإصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الإيمان ونقض الميثاق، أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفراً بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون أو نرجع إليه وننافقه بإظهاره. ﴿ لَّنْ تُقْبَلَ تَوبَتُهُم﴾ لأنهم لايتوبون . أو لا يتوبون إلا إذا أشرفوا على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظاً في شأنهم وإبرازاً لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة . أو لأن توبتهم لا تكون إلا نفاقاً لارتدادهم وزيادة كفرهم . ولذلك لم تدخل الفاء فيه .﴿ وَ أُولٰٓئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ[٩٠]﴾ الثابتون على الضلال.

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ وَمَا تُوا وَهُمْ كُفَّا رٌ فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِّلْ ءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ لما كان الموت على الكفر سبباً لامتناع قبول الفدية أدخل الفاء هٰهنا للإشعار به . وملء الشيء ما يملؤه . وذهباً نصب على التمييز . وقرئ بالرفع على البدل من ملء أو الخبر لمحذوف.﴿وَلَوِ افْتَدىٰ بِهٖ﴾ محمول على المعنى كأنه قيل: فلن يقبل من أحدهم فدية

قوله:﴿ وأصلحوا ﴾ما أفسدوا: يعني أن مجرد التوبة التي هي الندم على ما مضى من الارتداد والعزم على تركه في الاستقبال غير كاف بل لا بد من تدارك لما أخلّوا به من الحقوق على أن "أصلح" متعد محذوف المفعول، أومن دخول في الصلاح في الأمر الظاهر والباطن على أنه منزل منزلة اللازم.

قوله: ريب المنون:أي حوادث الدهر .الريب القلق، والمنون الدهر .

قوله: محمول على المعنى: يعني أن مثل هذا الواو إنما يؤتى به حيث يراد تحقيق الحكم السابق على تقدير الشرط المذكور وعدمه حتى ذهب بعضهم إلى أنها للعطف

ولـو افتـدى بـمـلء الأرض ذهباً . أو معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة . أو المراد ولو افتدى بـمثـلـه كـقـولـه تـعـالـى ﴿إن الـذين كفروا لو أن لهم ما في الأض جميعاً ومثله معه﴾[٥. المائدة:٣٦]

والـمثل يحذف ويراد كثيراً ؛لأن المثلين في حكم شيء واحد﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْـمٌ﴾مبـالـغة في التحذير وإقناط لأن من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرماً ﴿وَمَالَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِيْنَ[٩١]﴾ في دفع العذاب و"من" مزيدة للاستغراق.

﴿لَـنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي لـن تبلغوا حقيقة البر الـذي هـو كمال الخير. أو لن تنالوا بـر الله الـذي هـو الـرحـمة والرضى والجنة .﴿حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي من المال أو ما

على محذوف هو نقيض الشرط المذكور أي لو لم نقيد به ولو افتدى به فمقتضى الظاهر أن يقـال لا يقبـل فـدية ولـو كـانت ملأ الأرض أو لا يقبل ملأ الأرض لو افتدي به بدون الواو وأجـاب بـوجـوه: الأول أن عـدم قبـول مـلأ الأرض كـناية عن عدم قبول فدية ما لأنه غاية الـفديةوضميربه لحقيقة ملأ الأرض فيصير المعنى لا تقبل منه فدية ولو افتدى بملأ الأرض ذهبـا. الثاني أن المعنى ولوافتدى بمثله أيضا فيصير المعنى لا تقبل ملأالأرض فدية ولو زيد عليه مثله .

الثـالـث أن لايـحـمـل مـلأ الأرض أولا على الافتداء بل على التصدق ولا يكون الشـرط الـمـذكـور مـن قبيـل مـا يقصد به تأكيد الحكم السابق بل يكون بشرط محذوف الـجـواب فيـكـون المعنى لا تقبل منه ملأ الأرض ذهبا تصدق به ولو افتدى به أيضًا لم يقبل منه ففي ضمير به يعتبر نفس ذلك المال من غير اعتبار وصرف التصدق .

قوله: أى لن تبلغوا حقيقة البرالخ: يريد أن اللام يحتمل أن يكون للجنس والحقيقة ويـحتـمـل أن يكون للعوض، وبيرحاء بفتح الباء اسم البستان لأبي طلحة. قال ابن الأثير في الـنهاية: هذه اللفظة كثيراما يختلف ألفاظ المحدثين فيها فيقولون بيرحا بفتح الباء وكسرها وبـفتـح الـراء وضـمـهـا والـمـد فيهما وبفتحها والقصر وهي اسم مال وموضع بالمدينة وقال الزمحشري في الفائق إنها فيعلى من البراح وهي الأرض الظاهرة انتهى. وبخ بخ كلمة مدح وهـي مبـنية عـلـى السـكون وقد تكسرو تنون ومال رائح أي قريب من المصر، يقال لضيعة الإنسان إذاكان قريبة، ورابح أي ذوربح ونفع كثير.

يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس . والبدن في طاعه الله والمهجة في سبيله. روي أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال: يا رسول الله إن أحب أموالي إليّ بير حاء فضعها حيث أراك الله . فقال: بخ بخ ذاك مال رابح أو رائح . وإني أرى أن تجعلها في الأقربين. وجاء زيد بن حارثه بفرس كان يحبها فقال: هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله ﷺ أسامة بن زيد فقال: زيد إنما أردت أن أتصدق بها فقال عليه السلام:"إن الله قد قبلها منك"وذلك يدل على أن إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب أفضل، وأن الأية تعم الإنفاق الواجب والمستحب. وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على أن "من" للتبعيض ويحتمل التبيين ﴿وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ شَىْءٍ﴾ أي من أي شيء محبوب أو غيره و"من" لبيان "ما". ﴿فَإِنَّ اللّٰه بِهٖ عَلِيْمٌ[٩٢]﴾فيجازيكم بحسبه .

﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾أي المطعومات والمراد أكلها﴿ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَائِيلَ﴾ حلالاً لهم . وهو مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، قال تعالى: ﴿لا هن حل لهم﴾[٦٠. الممتحنة: ١٠]﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآئِيْلُ﴾يعقوب﴿عَلٰى نَفْسِهٖ﴾ كلحوم الإبل وألبانها . وقيل كان به عرق النسا فنذر إن شفي لم يأكل أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه . وقيل: فعل ذلك للتداوي بإشارة الأطباء. واحتج به من جوز للنبي أن يجتهد . وللمانع أن يقول ذلك بإذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء .﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوراٰةُ ﴾ أي من قبل إنزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبةً وتشديداً . وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة مما نعى عليهم في قوله تعالى .﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبٰت﴾[٤ .النساء: ١٦٠] وقوله﴿وعلى الذين هادواحرمنا

قوله:ويحتمل التبيين: فيكون مفعول تنفقوا محذوفا: أي شيئا مما تحبونه أي جميع ما تحبونه.

قوله: واحتج به من جوزللنبى ﷺ أن يجتهد: لأن الله تعالى جوز تحريم إسرائيل على نفسه، وذا إنما يكون بالاجتهاد والجواب أن تحريم إسرائيل بأن أذن الله تعالى أن يحرم إسرائيل على نفسه فحرم عليها فكان كتحريمه تعالىٰ ابتداء .

قوله:وذلك رد على اليهود:أي قوله كل الطعام الخ رد على اليهود في دعوى البراءة مما نعى عليهم. وفي منع النسخ وفي الطعن في دعوى الرسول موافقة إبراهيم ونعي عليهم من نعى عليه هفوته شهره بها وجحود ما غاظهم.

كل ذى ظفر﴾[٦. الأنعام:١٤٦] الآيتين . بأن قالوا: ألسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده حتى انتهى الأمر إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا. وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الإبل وألبانها . ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورٰةِ فَاتْلُوهَآ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ[٩٣]﴾ أمر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من أنه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرماً . روى أنه عليه السلام لما قاله لهم بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة. وفيه دليل على نبوته .

﴿فَمَنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ﴾ ابتدعه على الله بزعمه أنه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن قبلهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾ من بعد ما لزمتهم الحجة .﴿فَأُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُونَ[٩٤]﴾الذين لا يُنصفون من أنفسهم ويكا برون الحق بعد ما وضح لهم .

﴿قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ﴾تعريض بكذبهم .أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون.﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ حَنِيْفًا﴾ أي ملة الإسلام التي هي في الأصل ملة إبراهيم . أو مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم إلى التحريف والمكابرة لتسوية الأغراض الدنيوية . وألزمتكم تحريم طيبات أحلها الله لإبراهيم ومن تبعه .﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ[٩٥]﴾ فيه إشارة إلى أن اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الإفراط والتفريط. وتعريض بشرك اليهود .

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُّضِعَ لِلنَّاسِ﴾ أي وضع للعبادة وجعل متعبداً لهم . والواضع هو الله تعالى . ويدل عليه أنه قرئ على البناء للفاعل . ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ للبيت الذي ببكة . وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط. وأمر راتب وراتم ولازب ولازم . وقيل هي موضع المسجد. ومكة البلد من بكة إذا زاحمه . أو من بكة إذا دقّه فإنها تبك أعناق الجبابرة روي أنه عليه السلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال: المسجد الحرام. ثم بيت المقدس. وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة ، وقيل: أول من بناه إبراهيم ، ثم هدم فبناه قوم من جرهم .

قوله: كالنبيط:النبيط قوم ينزلون بين العراقيين.

قوله: فإنها تبك أعناق الجبابرة :أي تدقها لم يقصد ها جبار إلا قصمه الله تعالىٰ كذا في الكشاف. ولعل المراد با لقصم الإهلاك .

قوله: من جرهم:حّي من اليمن وهوأ صهار إسمٰعيل عليه الصلاة والسلام، والعمالقة من ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح، وهم أمم تفرقوا في البلاد .والضرّاح بيت

ثـم الـعـمـالقة ، ثم قريش ، وقيل: هو أول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان، ثم بناه إبراهيم . وقيـل: كـان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة . فلما أهبط آدم أمر بأن يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان إلى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية. وقيـل الـمـراد إنه أول بيت بالشرف لا بالزمان. ﴿مُبَارَكًا﴾ كثير الخير والـنـفـع لـمـن حـجـه واعتـمـره واعتـكف دونـه وطـاف حـولـه . حـال من المستكن في الظرف﴿وَهُدىً لِّلْعٰلَمِيْنَ[٩٦]﴾ لأنه قبلتهم ومتعبدهم . ولأن فيه آيات عجيبة كما قال:

﴿فِيْـهِ آيٰـتٌ بَيِّنٰتٌ﴾ كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار . وأن ضـواري السبـاع تـخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها . وإن كل جبار قصده بسوء قهر الله كـأصـحـاب الـفيـل . والجملة مفسرة للهدى . أو حال أخرى ﴿مَّقَامُ إِبْرٰهِيْمَ﴾ مبتدأ مـحـذوف خبـره أي مـنهـا مـقـام إبراهيم . أو بدل من آيات بدل البعض من الكل . وقيل عـطف بيـان عـلى أن المراد بالآيات أثر القدم فـي الـصـخـرة الصماء وغوصها فيها إلى الـكـعبين . وتخصيصها بهذه الإلانة من بين الصخار وإبقاؤه دون سائر آثار الأنبياء وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف سنة. ويؤيده أنه قرئ آية بينة على التوحيد . وسبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه.

في السماء حيال الكعبة وهو البيت المعمور سمي به لأنه ضرح من الأرض أي أبعد.

قوله وهو لا يلائم ظاهر الآية:لأن ظاهر الآية أن ما وضع للناس يبقى عندهم ولا يرفع إلى السماء ليتعبدوا فيه.

قوله. وقيل عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم :يعني على تقدير أن يكون مقام إ براهيـم عـطف بيـان لآ يـات فـوجـه صحةوقوع المفرد عطف بيان للجمع أن مقام إبـراهيـم مشتـمل على آيات كثيرة، والقائل صاحب الكشاف وهو بناء على مذهبه وهو أنه يـجوز تخالف البدل والمبدل منه في التعريف والتنكير. قال ا بن مالك في التسهيل، ويوافق الـمتبـوع فـي الإفـراد وضديه وفي التذكير والتانيث وفي التعريف والتنكير خلافا لمن التزم، ولـمـن أجاز تعريفهما.قال صاحب التعليق: وهو الزمحشري، قال ابن مالك: وهو في ذلك مخالف للفريقين فلا يلتفت إليه. وقال ابن هشام: وقول الزمخشري أن مقام إبراهيم عطف بيان على آيات مخالف لإجماعهم .

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ جملة ابتدائية، أو شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لأنه في معنى أمن من دخله أي ومنها أمن من دخله. أو فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله . اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام " حبب إلـيَّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة " لأن فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الأثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيامة. قال عليه السلام " من مات في أحد الحرمين ، بعث يوم القيامة آمناً " وعند أبي حنيفة من لزمه القتل بردّةٍ أو قصاص أو غيرهما والتجأ إلى الحرم لم يتعرض له ولكن ألجئ إلى الخروج . ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ قصده للزيارة على الوجه المخصوص . وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حِج بالكسر وهو لغة نجد ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيْلًا﴾ بدل من الناس بدل البعض من الكل مخصص له . وقد فسر رسول الله ﷺ الاستطاعة بالزاد والراحلة . وهو يؤيد قول الشافعي رضي الله تعالى عنه إنها بالمال . ولذلك أوجب الاستنابة على الزمن

قوله: جملة ابتدائية الخ: إن كان "من" موصولا فيكون جملة من مبتدأ وخبروإن كان "من" شرطية فيكون جملة مركبة من شرط وجزاء.

قوله: واقتصر بذكرهما: يعني على أن يكون مقام إبراهيم عطف بيان ومن دخله عطفا عليه، لاجرم هناك آيات كثيرة إلاأنه اقتصر بذكرهما لأن فيهما غنية واستغناء عن ذكر غيرهما في الدارين لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية بينة في الدنيا وبقائه في الزمن، وهكذا إلى مدى الزمان بمنزلة آيات كثيرة والأمن من العذاب أبد الآبادآية بينة في الآخرة بمنزلة آيات كثيرة على مامر. ففيهما أي في بقاء الأثر والأمن غنية واستغناء عن غيرهما فلم يذكرهما فقوله بقاء الأثر والأمن بدل من فيهما كما استغنى عنه ذكر الثالث في قوله عليه السلام:" حبب إليّ من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوٰة". لأن قرةعيني في الصلوٰة ابتداء كلام مبتدأ قصد به الإعراض عن ذكر الدنيا وما حبب فيهاو ليس عطفا على الطيب والنساء كما سبق إلى الفهم لأنها ليست من الدنيا.

قوله :قصده للزيارة على الوجه المخصوص: وهو ما ورد به الشرع، فسر بذلك للإشعار بالمعنى اللغوي وكونه مرعيًا في المعنى الشرعي.

قوله: وهو لغةنجد: يوافق لغة قريش وإلا ففي المصحف لغة قريش .

قوله: ولذلك أوجب الاستنابة على الزمن:لأن الاستطاعة قد حصلت فوجب

إذا وجد أجرة من ينوب عنه . وقال مالك رحمه الله تعالى إنها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق . وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى إنهابمجموع الأمرين. والضمير في" إليه" للبيت. أو الحج وكل ما أتى إلى الشيء . فهو سبيله . ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَٰلَمِيْنَ[٩٧]﴾ وضع كفر موضع من لم يحج تأكيداً لوجوبه وتغليظاًعلى تاركه . ولذلك قال عليه السلام "من ما ت ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً" وقد أكد أمر الحج في هذه الآيه من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر . وإبرازه في الصورة الإسمية وإيراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس . وتعميم الحكم أولاً ثم تخصيصه ثانياً، فإنه كإيضاح بعد إيهام وتثنية وتكرير للمراد . وتسمية ترك الحج كفراً من حيث إنه فعل الكفرة . وذكر الاستغناء فإنه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله ﴿عن العالمين ﴾يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والإشارة بعظم السخط. أنه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وإتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والإقبال على الله . روي أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله ﷺ أرباب الملل فخطبهم وقال إن الله تعالى : كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل" ومن كفر"

عليه الحج فلا بد من الأداء.

قوله: بصيغة الخبر:الدال على الوقوع إشعارا بأ ن المامور به ينبغي أن يقع.

قوله: وإيراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله في رقاب الناس: حيث أورد لام التمليك وكلمة على.

قوله:وقوله:﴿ عن العالمين﴾ يدل عليه: يعني لم يقل عنه أي عمن كفر. وقال عن العالمين لما في التعميم من المبالغة لأنه يدل على الاستغناء الكامل حيث لا يفتقر إلى شيء مما سواه بوجه من الوجوه والدلالة على الاستغناء عنه با لبرهان فإنه إذا كان مستغنيا عن العالمين كان مستغنيا عن تارك الحج بالطريق الأولى والإشعار بعظم السخط لمافيه من الدلالة على عظم السخط .

قوله: صدرالآية: وهو﴿ ولله على الناس حج البيت﴾ .

قوله: خمس ملل: هم اليهود والنصارى والصابئون والمجوس والمشركون على مايدل عليه قوله تعالى :﴿إن الذين آمنوا والذين ها دوا﴾ الآية .

﴿قُلْ يٰأَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ﴾ أي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد ﷺ فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره ، وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح ؛ لأن معرفتهم بالآيات أقوى وأنهم وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل فهم كافرون بهما . ﴿وَاللّٰهُ شَهِيْدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُوْنَ[٩٨]﴾ والحال أنه شهيد مطلع على أعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار.

﴿قُلْ يٰأَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ مَنْ آمَنَ﴾ كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم . وإشعاراً بأن كل واحد من الأمرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب . وسبيل الله في دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الإسلام . قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الأوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه .﴿ تَبْغُوْنَهَا عِوَجًا﴾حال من الواو أي باغين طالبين لها اعوجا جاً بأن تلبسوا على الناس وتوهموا أن فيه عوجاً عن الحق . بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ﷺ ونحوهما. أو بأن تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم . ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَآءُ﴾ إنها سبيل الله والصد عنها ضلال وإضلال ، أو أنتم عدول عنه أهل ملتكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في القضايا . ﴿وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ[٩٩]﴾ وعيد لهم . ولما كان المنكر في الآية الأولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله ﴿وَاللّٰه شَهِيْد على ما تعملون﴾ وعيد لهم . ولما كان المنكر في الآية صدهم للمؤمنين عن الإسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون.﴿يٰأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا إِنْ تُطِيْعُوْا فَرِيْقًا مِّنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوالْكِتٰبَ يَرُدُّوْكُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ كٰفِرِيْنَ[١٠٠]﴾نزلت في نفر من الأوس والخروج كانوا جلوساً يتحدثون . فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فأمر شاباً من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه .

قوله بمنع النسخ .أي بقولهم:إن شريعة موسى لا تنسخ فالنسخ عوج وكذا بتغيير صفة الرسول عماهي عليه فالصفة على ماهي عليه اعوجاج عن المغير.

قوله: إنها سبيل الله .أي أنتم تشهدون أن سبيل الله المذكور وهو ملّة الإسلام سبيل الله في الواقع.

قوله: يوم بعاث:با لعين المهملة وهو موضع با لمدينة وقع الحرب بين الأوس والخزرج فيه.

وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس . ففعل فتنازع القوم وتفاخروا و تغاضبوا وقالو السلاح السلاح . واجتمع مع القبيلتين خلق عظيم . فتوجه إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه وقال " أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بين قلوبكم " فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم . فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضاً وانصرفوا مع رسول الله ﷺ . وإنما خاطبهم الله بنفسه بعد ما أمر الرسول ﷺ بأن يخاطب أهل الكتاب إظهاراً لجلالة قدرهم . وإشعاراً بأنهم هم الأحقاء بأن يخاطبهم الله ويكلمهم .

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلٰى عَلَيْكُمْ آيٰتُ اللّٰهِ وَفِيْكُمْ رَسُولُهٗ﴾إنكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان الصارفة عن الكفر. ﴿وَمَنْ يَّعْتَصِمْ بِاللّٰهِ﴾ ومن يتمسك بدينه أو يلتجئ إليه في مجامع أموره ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلٰى صِرَاطٍ مّسْتَقِيْمٍ[١٠١]﴾ فقد اهتدى لا محالة.

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اتَّقُوْا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰتِهٖ﴾حق تقواه وما يجب منها. وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله. ﴿فاتقوا الله مااستطعتم﴾[٦٤.التغابن:١٦] وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : وهو أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى، وقيل: هوأن تنزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازاة عليها. وفي هذا الأمر تأكيد للنهي عن طاعة أهل الكتاب . وأصل تقاة: وقية، فقلبت واوها المضمومة تاء كما في "تؤدة" و"تخمة" والياء ألفاً ﴿وَلَا تَمُوْتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ[١٠٢]﴾ أي ولا تكونن علىٰ حال سوى حال الا سلام إذ أدرككم الموات. فإن النهي عن المقيد بحال أو غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي.

﴿وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيْعًا﴾ بدين الإسلام . أو بكتابه لقوله عليه السلام .:" القرآن حبل الله المتين " استعار له الحبل من حيث إن التمسك به سبب للنجاة من

قوله: ومن يتمسك بدينه: يعني أنه على حذف المضاف أو استعارة للالتجاء إلى الله تعالىٰ .

قوله:دونهما:أي دون كل واحد منهما.

قوله:استعار له الحبل:أي استعار لدينهاأو لكتابه الحبل، ولا بد لقوله بحبل الله من

التردي. كما أن التمكن بالحبل سبب للسلامة من التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحاً للمجاز. ﴿جَمِيْعًا﴾ مجتمعين عليه ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ أي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب . أو لا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية يحارب بعضكم بعضاً . أو لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة .﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ﴾ التي من جمتلها الهداية والتوفيق للإسلام المؤدي إلى التآلف وزوال الغل . ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ في الجاهلية متقاتلين ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام. ﴿فَأَصْبَحتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ متحابين مجتمعين على الأخوة في اللّٰه . وقيل كان الأوس والخزرج أخوين فوقع بين أولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها اللّٰه بالإسلام وألف بينهم برسوله ﷺ .﴿وَكُنْتُمْ عَلٰى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم .إذ لو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم في النار.﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا﴾ بالإسلام . والضمير للحفرة ، أو للنار، أو للشفا ، وتأنيثه لتأنيث ما أضيف إليه أو لأنه بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة . وأصله شفو فقلبت الواو ألفاً في المذكر وحذفت في المؤنث .﴿كَذٰلِكَ﴾ مثل ذلك التبيين ﴿يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيَاتِه﴾ دلائله .﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ[١٠٣]﴾ إرادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه .

متعلق وهو الوثوق فاستعارله الاعتصام تر شيحا للمجاز الذي هو استعارة الحبل لدينه وليس المراد هنا مجرد الاعتصام من غير استعارته للوثوق حتى يكون تر شيحا للمجاز كمالايخفى فلا يكون الترشيح وجها مغائرًا لاستعارته الوثوق كماذكر في الكشاف فلذلك عدل المصنف رحمه اللّٰه تعالى عنه .

قوله: ﴿ولا تفرقوا﴾ عن الحق: بوقوع الاختلاف بينكم. على هذا الوجه النهي وارد على التفريق في الدين بواسطة الاختلاف بينهم وهوالمشاقة والمجادلة وهذا من قبيل إطلاق المسبب على السبب .

قوله وتانيثه لتانيث ماأضيف إليه: قال في التسهيل: ويؤنث المضاف إليه إن صح الاستغناء به وكان بعضه أو كبعضه أي في صحة السقوط كقولهم اجتمعت أهل اليمامة فلا بد من أن يقال لأنه منهما، كما قال صاحب الكشا ف .

قوله:لأنه بمعنى الشفة :فتانيثه باعتبارتاويله با لشفة نحوأتته كتابتي أي صحيفتي، كذافي المنهل.

﴿وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ "من" للتبعيض ؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية، ولأنه لا يصلح له كل أحد إذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الأمة كالعلم بالأحكام ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها والتمكن من القيام بها. خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على أنه واجب على الكل حتى لو تركوه رأساً أثموا جميعاً ولكن يسقط بفعل بعضهم . وهكذا كل ما هو فرض كفاية . أو للتبيين بمعنى وكونوا أمة يدعون كقوله تعالى.﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف﴾[٣. آل عمران : ١١٠] والدعاء إلى الخير يعم الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي . وعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للإيذان بفضله .﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[١٠٤]﴾ المخصوصون بكمال الفلاح. روي أنه عليه السلام سئل من خير الناس فقال" آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم " والأمر بالمعروف يكون واجباً ومندوباً على حسب ما يؤمر به . والنهي عن المنكر واجب كله لأن جميع ما أنكره الشرع حرام . والأظهر أن العاصي يجب عليه أن ينهى عما يرتكبه لأنه يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر.

قوله ومراتب الاحتساب :أي وكالعلم بمراتب الاحتساب فإن الاحتساب قد يكون واجباو قد يكون مندوبا وكالعلم بكيفية إقا متها بأن يبدأ بالسهل فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب، قال الله تعالى ﴿فأصلحوا بينهما﴾ ثم قال ﴿فقاتلوا﴾.

قوله: خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على أنه واجب على الكل:على ما هو مذهب المختار وذلك أن المعنى أيها المومنون جميعا لتكن بعضكم أمة قائمة با لأمر با لمعروف والنهي عن المنكر لا كلكم ونطلب أداء هذا الواجب من بعضكم، وههنا مذهب مردود وهو أن فرض الكفاية واجب على البعض من غير تعيين كالواجب المخير بعض منهم من الأمورالمعينة.

قوله: على حسب مايؤمربه: إن كان واجبا فواجب وإن كان ندبافندب .

قوله: لأن جميع ما أنكر الشرع حرام: إذالمكروه كراهة تنزيهية ليس مما أنكره الشرع بل مرخص فيه .

قوله :لأنه يجب عليه تركه وإنكاره: يعني عليه واجبان تركه وإنكاره ولا يسقط بترك أحد الواجبين وجوب الآخر.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِيْنَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ﴾ كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة على ما عرفت ﴿مِنْ بَعْدِ مَاجَآءَ هُمُ الْبَيِّنٰتُ﴾ الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه . والأظهر أن النهي فيه مخصوص بالتفرق في الأصول دون الفروع لقوله عليه السلام " اختلاف أمتي رحمة" ولقوله عليه الصلاة والسلام " من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد" . ﴿ وَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ[١٠٥]﴾ وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم .

﴿يَومَ تَبْيَضُّ وَجوهٌ وَّتَسْوَدُّ وَجُوهٌ﴾ نصب بما في لهم من معنى الفعل . أو بإضمار "اذكر". وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه .وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه . وأهل الباطل بأضداد ذلك ﴿ فَأَمَّا الَّذِيْنَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُم أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ على إرادة القول أي فيقال لهم أكفرتم . والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم . وهم المرتدون أو أهل الكتاب كفروا برسول الله و بعد إيمانهم به قبل مبعثه . أو جميع الكفار كفروا بعد ما أقروا به حين أشهدهم على أنفسهم أو تمكنوا من الإيمان بالنظر في الدلائل والآيات . ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أمر إهانة .﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ[١٠٦]﴾ بسبب كفركم أو جزاء لكفركم .

﴿وَأَمَّاالَّذِيْنَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّٰهِ﴾ يعني الجنة والثواب المخلد. عبر عن ذلك بالرحمة تنبيهاً على أن المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالىٰ لا يدخل الجنة إلا برحمته وفضله . وكان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم لكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم . ﴿ هُمْ فِيهَا خٰلِدُون[١٠٧]﴾ أخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل: كيف يكونون فيها ؟ فقال هم خالدون .

﴿تِلْكَ ايٰتُ اللّٰهِ﴾ الواردة في وعده ووعيده ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ متلبسة بالحق لا شبهة فيها .﴿وَمَا اللّٰهُ يُرِيْدُ ظُلْمًا لِّلْعٰلَمِيْنَ[١٠٨]﴾إذ يستحيل الظلم منه لأنه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه . ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله . لأنه المالك على الاطلاق كما قال: ﴿وَلِلّٰهِ مَافِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ[١٠٩]﴾فيجازي كلا بما

قوله :اختلفوا في التوحيد والتنزيه: حيث قالت اليهود عزيربن الله وقالت النصارى المسيح بن اللهوقالت اليهود:﴿ لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة﴾.

قوله أو جزاء لكفركم :هذا على تقدير أن يكون الباء للمقابلة.

وعد له وأوعد.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل علىٰ انقطاع طرأ كقوله تعالى: ﴿إن اللّٰه كان غفوراً رحيماً﴾[٤. النساء:٢٣] وقيل كنتم في علم اللّٰه أو في اللوح المحفوظ . أو فيما بين الأمم المتقدمين.﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أي أظهرت لهم .﴿ تَأْمُرُون بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ استئناف بين به كونهم خير أمة . أو خبر ثان لـ" كنتم" ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللّٰه﴾ يتضمن الإيمان بكل ما يجب أن يؤمن به . لأن الإيمان به إنما يحق ويعتدبه اذا حصل الإيمان بكل ما أمر أن يؤمن به ، وإنما اٰخره وحقه أن يقدم لأنه قصد بذكره الدلا لة على أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر إيماناً باللّٰه وتصديقاً به وإظهاراً لدينه . واستدل بهذه الآية على أن الاجماع حجة لأنها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر . إذ اللام فيهما للاستغراق فلو أجمعوا على باطل كا ن أمرهم على خلاف ذلك ﴿ وَلَوْ اٰمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ إيماناً كما ينبغي.﴿ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ لكان الإيمان خيراً لهم مما هم عليه .﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبداللّٰه بن سلام وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ[١١٠]﴾ المتمردون في الكفر. وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد .

قوله: ولم يدل على انقطاع طرًا: فيكون خبريتهم دائمة وكذا إذا كانت في علم اللّٰه أو في اللوح المحفوظ أو فيما بين الأمم المتقدمين بأن كانوا مذكورين في الأمم أنهم خير أمة موصوفين به لأن ذلك بإعلام اللّٰه إياهم .

قوله: بكل ما يجب أن يومن به: من رسول أوكتاب أو بعث أو حساب أو ثواب أو عقاب إلى غير ذلك.

قوله: لأنها تقتضى كو نهم آمرين بكل معروف: لا بغير معروف فلا يكون ما أجمعوا عليه لأن فيه صلاح الدارين بخلاف ماكانوا عليه ؛لأن صلاح الدنيا من الرياسة واستتباع العوام وغير ذلك .

قوله: و هذه الجملة:يعني قوله "منهم المومنون وأكثرهم الفاسقون" والتي بعدها أعني "لن يضروكم-إلى قوله-ثم لا ينصرون" ذُكرتا على سبيل الاستطراد بيانا لأحوالهم وذلك أن المقصود بيان حكم اللّٰه فيهم وهو أن الإيمان خيرلهم وأن الذلة والمسكنة ضربتا عليهم فبيان الحال يكون استطرادا.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذىً﴾ ضرراً يسيراً كطعن وتهديد. ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ ينهزموا ولا يضروكم بقتل وأسر. ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ[١١١]﴾ ثم لا يكون أحد ينصرهم عليكم أو يدفع بأسكم عنهم. نفي إضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بأنهم لو قاموا إلى القتال كانت الدبرة عليهم. ثم أخبر بأنه تكون عاقبتهم العجز والخذلان. وقرئ لا ينصروا عطفاً على يولوا على أن "ثم" للتراخي في الرتبة فيكون عدم النصر مقيداً بقتالهم. وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع إذ كان ذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ هدر النفس والمال والأهل. أو ذل التمسك بالباطل والجزية ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ وجدوا﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللّٰهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ استثناء من أعم الأحوال أي ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا معتصمين. أو متلبسين بذمة الله أو كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين، أو بدين الإسلام واتباع سبيل المؤمنين ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللّٰهِ﴾ رجعوا به مستوجبين له. ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ فهي محيط بهم إحاطة البيت المضروب على أهله. واليهود في غالب الأمر فقراء ومساكين. ﴿ذٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب. ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الأنبياء. والتقييد بغير حق مع أنه كذلك في نفس الأمر للدلالة على أنه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم أيضاً. ﴿ذَالِكَ﴾ أي الكفر والقتل. ﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ[١١٢]﴾بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله. فإن الإصرار على الصغائر يفضي إلى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر. وقيل معناه أن ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخره كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث إنهم مخاطبون بالفروع أيضاً.

قوله: كانت الدبرة عليهم: لا قبلك وهو خبر كان.

قوله: من أعم الأحوال: هذه الإضافة كما في قولهم حب رمان زيد حيث لارمان له. فإن القصد إلى إضافة الحب المختص بكونه للرمان إلى زيد وكذا القصد إلى إضافة أعم العام أعني الذي أعم منه في الجنس الذيمنه الاستثناء كالحالية مثلا إلى الأحوال وتحقيقه أن المقيد بالإضافة إلى الرمان مضاف إلى زيد، وكذا الأعم المقيد بالإضافة إلى العام إلى الأحوال.

﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾ في المساوي والضمير لأهل الكتاب . ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ أُمَّةٌ قَـآئِـمَةٌ﴾ استئناف لبيان نفي الاستواء. والقائمة المستقيمة العادلة من أقمت العود فقام وهم الذين أسلموامنهم . ﴿يَّتْلُونَ اٰيٰتِ اللّٰهِ آنآءَ الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ[١١٣]﴾يتلون القرآن في تهجدهم . عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ في المدح . وقيل المراد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها لما روي أنه عليه الصلاة والسلام أخرها ثم خر ج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال:" أما إ نه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غير كم".

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَومِ الاٰخِرِ وَيَأمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ الْمَنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْـخَيْرَاتِ﴾ صفات أخر لأمة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود . فإنهم منحرفون عن الحق غير متعبدين في الليل مشركون بالله ملحدون في صفاته. واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته . مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات.

﴿وَأُولٰئِكَ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ[١١٤]﴾ أي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت أحوالهم عندالله واستحقوا رضاه وثناء ه .

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُّكْفَرُوه﴾ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة . سمي ذلك كفراناً كما سمي توفية الثواب شكراً . وتعديته إلى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان . وقرأ حفص وحمزة والكسائي وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء﴿وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِالْمُتَّقِيْنَ[١١٥]﴾بشارة لهم وإشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل . وأن الفائز عند الله هو أهل التقوى.

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَولَادُهُمْ مِّنَ اللّٰهِ شَيْئًا﴾ من العذاب . أو من الغناء فيكون مصدراً . ﴿وَأُولٰٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ملا زموها.﴿ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُونَ[١١٦]﴾

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾ ما ينفق الكفرة قربة . أو مفاخرة وسمعة . أو المنافقون رياء أو خوفاً. ﴿فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيْحٍ فِيْهَا صِرٌّ﴾ برد شديد والشائع إطلاقه للريح الباردة كالصر صر . فهو في الأصل مصدر نعت به أو نعت وصف به البرد للمبالغة

قوله: فهو في الأصل مصدر:يعني أن الصرّ في اللغة البردالشديد، والشائع إطلاقه للريح البارد فمعنى "ريح فيها صر" ريح فيها ريح باردة فتوجيهه أنه في الأصل مصدر وصف به الريح في الشائع فجيء هنا على أصله فمعناه كمثل ريح فيها برد شديد، أوفي الأصل صفة مشبهة بمعنى الباردة، وصفه البرد للمبالغة كما تقول فيكون معناه كمثل ريح فيها بردة في غاية البردة .

كقولك برد بارد. ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي. ﴿فَأَهْلَكَتْه﴾ عقوبة لهم لأن الإهلاك عن سخط أشد. والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صرٌّ فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة، وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه للريح دون الحرث . ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَلٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ[١١٧]﴾ أي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم . ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها . أو ما ظلم أصحاب الحرث بإهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة . وقرئ ولكن أي ولكن أنفسهم يظلمونها . ولا يجوز أن يقدر ضمير الشأن لأنه لا يحذف إلا في ضرورة الشعر كقوله :

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ العِشْقُ قَلْبَهُ وَلٰكِنَّ مَنْ يُّبْصِرْ جُفُونَكِ يَعْشَقٖ

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ لَاتَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾ وليجة وهوالذي يعرفه الرجل أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام : "الأنصار شعار والناس دثار"﴿مِّنْ دُونِكُمْ﴾من دون المسلمين . وهو متعلق بـ" لا تتخذوا". أو بمحذوف هو صفة بطانة أي بطانة كائنة من دونكم .﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ أي لا يقصرون لكم في الفساد . والألو التقصير وأصله أن يعدى بالحرف وعدي إلى مفعولين كقولهم . لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع أو النقص. ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ تمنوا عنتكم . وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية.﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي في كلامهم لأنهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم .﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ مما بدأ لأن بدوه ليس عن روية واختيار. ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْاٰيٰتِ﴾ الدالة على وجوب الإخلاص وموالاة المؤمنين

قوله: ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث:مع أن الظاهر إيلاء به؛ لأن الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدوه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصرُّ وذلك أنه لايلزم في التشبيه المركب أن يكون مايلي أداته هو المشبه به .

قوله: وقرىء ولكن :أي بالتشديد على أن يكون" لكن" من الحروف المشبهة و"أنفسهم" اسم لكن لا مفعول يظلمون و"يظلمون" خبره.

قوله. و أصله أن يعدى بالحرف:أي بإلى وعدي إلى مفعولين على التقصير والمعنى لا يمنعن منكم الفساد أو لا ينقصون منكم الفساد.

ومعاداة الكافرين ﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ[١١٨]﴾ مابين لكم . والجمل الأربع جاء ت مستأنفات على التعليل . ويجوز أن تكون الثلاث الأول صفات لبطانة .

﴿هَآأَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم . بيان لخطئهم في موالاتهم . وهو خبر ثان أو خبر لـ"أولاء" والجملة خبرلـ" أنتم" كقولك : أنت زيد تحبه . أو صلته أو حال والعامل فيها معنى الإشارة . ويجوز أن ينصب أولاء بفعل مضمر يفسره ما بعده وتكون الجملة خبراً .﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَٰبِ كُلِّهِ﴾ بجنس الكتاب كله . وهو حال من لا يحبونكم والمعنى: إنهم لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضاً فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم .وفيه تو بيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم . ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ آمَنَّا﴾ نفاقاً وتغريراً ﴿وَإِذَا خَلَوْ عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ من أجله تأسفاً وتحسراً حيث لم يجدوا إلى التشقي سبيلاً ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يهلكوا به ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ[١١٩]﴾ فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق . وهو يحتمل أن يكون من المقول أي وقل لهم إن اللّه عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظاً . وأن يكون خارجاً عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائر هم .

﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة . وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة . والمس مستعار للإصابة . ﴿وَإِنْ تَصْبِرُواْ﴾ على عداوتهم . أو على مشاق التكاليف .﴿ وَتَتَّقُوا﴾ موالاتهم . أو ما حرم اللّه جل جلاله عليكم . ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ بفضل اللّه عزو جل وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر . المتدرب بالاتقاء

قوله: وهو خبر ثان :كأنه قال أنتم الخاطئون خطائكم هذا.

قوله: والمس مستعارلـلإصابة: بقوله تعالى:﴿ إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك سيئة يقولوا:قدأخذنا أمرنا من قبل﴾[التوبة: ٥٠] وقوله:﴿ ماأصابك من حسنة فمن اللّه وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾[النساء :٧٩] وذلك أنه ليس المراد هنا مجرد المس الدال على قلة الوصول لأن سوء تهم وحزنهم بمطلق إصابة الحسنة لا بمجرد المس كما أن فرحهم بمطلق إصابة السيئة لا بمجرد مسها .

والصبر يكون قليل الانفعال جرياً على الخصم . وضمة الراء للاتباع كضمة مد . وقرأ ابن كثير و نافع وأبو عمرو و يعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ﴿إِنَّ اللّٰه بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من الصبر والتقوى وغيرهما ﴿ مُحِيْطٌ[١٢٠]﴾ أي محيط علمه فيجازيكم مما أنتم أهله . وقرئ بالياء أي بما يعملون . في عداوتكم فيعاقبهم عليه .

﴿وَإِذْ غَدَوتَ﴾ أي واذكر إذ غدوت ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي من حجرة عائشة رضي الله عنها﴿ تُبَوِّئُ الْمُؤمِنِيْنَ﴾ تنزلهم أو تسوي وتهيء لهم، ويؤيده القراءة باللام ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مواقف وأماكن له . وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى:﴿ في مقعد صدق﴾[٥٤.القمر:٥٥] وقوله تعالى :﴿قبل أن تقوم من مقامك ﴾[٢٧.النمل:٣٩]﴿وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيْمٌ[١٢١]﴾ بنياتكم روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء - ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة - فاستشار الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه. وقد دعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يدعه من قبل فقال هو وأكثر الأنصار: أقم يا رسول الله بالمدنية ولا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا ؟ فدعهم، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس . وإن دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة . وإن رجعوا رجعوا خائبين . وأشار بعضهم إلى الخروج فقال عليه الصلاة والسلام : " إني رأيت في منامي بقرة مذبوحة حولي فأولتها خيراً ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً فأولته هزيمة . ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة . فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم ، فقال رجال فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد أخرج بنا إلى أعدائنا. وبالغوا حتى دخل ولبس لامته ، فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا: اصنع يا رسول

قوله: "بشر محبس": إذلاماء ولا طعام." بقر مذبوحة": أي القطيع من البقر. فأولتها خيرا أي شهادة جمع من أصحابه. ولم يذكر ذلك صريحا لئلا ينكسر خواطرهم. "ذباب السيف": طرفه الذي يضرب به.وفي الحديث "رأيت أن ذباب سيفي كسر فأولته بأن يصاب رجل من أهلي فقتل حمزة رضى الله تعالى عنه". فإن رأيتم جوابه محذوف أي فأقيموا فيها فأتتهم صفة رجال، والشعب الطريق في الجبل، ولأمة -مهموزة- الدرع، وقيل: السلاح ، ولامة الحرب : أداته وقد يترك الهمزة تخفيفاً. وعدوة الوادي: جانبه. انضحوا عنا: فرقوا النبل فيهم كالماء المنضوح ذابّينَ عنا .

الله ما رأيت فقال: " لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل " فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أُحُد يوم السبت ، ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوى صفهم ، وأمَّر عبد الله بن جبير على الرماة وقال: انضجوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا".

﴿إِذْ هَمَّتْ﴾ متعلق بقوله﴿سميع عليم ﴾ أو بدل من" إذ غدوت" ﴿طَّآئِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ بنو سلمة من الخزرج ، وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ أن تجبنا وتضعُفا. روي أنه عليه الصلاة والسلام خرج في زهاء ألف رجل ووعدلهم النصر إن صبروا، فلما بلغوا الشوط اختزل ابن أبي في ثلاثمائة رجل وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا، فتبعهم عمر و بن حزم الأنصاري وقال: أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم ، فقال ابن أبي: لو نعلم قتالًا لا تبعانكم . فهمّ الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ﷺ والظاهر أنها ما كانت عزيمة لقوله تعالى:﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة . ويجوز أن يراد: والله ناصر هما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله.﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ[١٢٢]﴾ أي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبدْرٍ﴾ تذكير ببعض ما أفادهم التوكل، وبدر ماء بين مكة

قوله: متعلق بقوله سميع عليم: لأن المراد ـ كما مر ـ سميع لأقوالهم عليم بنياتهم إذهمت طائفتان؛ لأن أقوالهم ونياتهم إنما تكون في ذلك الوقت، وليس المراد بهما صفتي السمع والعلم مطلقا إذ لا معنى لتقييد كونه سميعا عليما بذلك الوقت .وقال صاحب الكشاف: عمل فيه معنى سميع عليم. وقال العلامة التفتازاني: أي يجمع بين سماع الأقوال والعلم بالضمائر،وإنما قدم وجه التعليق على وجه ا لبدل مع أن صاحب الكشاف أخر عنه لأنه الظاهر القريب كما أن الظاهر أن قوله: إذ تقول، متعلق بقوله نصركم ولذا قدمه أيضًا على البدل .

قوله: فهم الحيان: أي قصد القبيلتان متابعة ابن أبي .

قوله: والظاهر أنه ما كانت عزيمة :إنما هي خطرة وحديث نفس لأنه أليق بحال أصحاب النبي ﷺ وكلام ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يشعر بأن همهم كان عزيمة وقصدا للرجوع عن الحرب اتباعا لعبد الله.

والـمـدينة كان لرجل يسمي بدراً فسمي به ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ حال من الضمير. وإنما قال أذلة ولـم يـقـل ذلائـل تـنبيهـاً عـلـى قـلتهـم مـع ذلتهـم لـضعف الحال وقلة المراكب والسلاح ﴿فَاتَّقُوااللّٰه﴾في الثبات﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ[١٢٣]﴾ بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصره ، أو لعلكم ينعم اللّٰه عليكم فتشكرون ، فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سببه.

﴿إِذْ تَـقُـولُ لِـلْـمُؤْمِنِيْنَ﴾ ظرف لنصركم . وقيل بدل ثان من "إذ غدوت" على أن قـوله لهم يوم أحدوكـان مـع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة . فـلما لم يصبروا عن الـغـنـائـم وخـالفوا أمر الرسول ﷺ لم تنزل الملائكة﴿أَلَنْ يَّكْفِيْكُمْ أَنْ يُّمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْـمَـلٰٓئِكَةِ مُنْزَلِيْنَ[١٢٤]﴾إنكارأن لا يكفيهم ذلك. وإنما جيء بـ" لن" إشعاراً بـأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم . قيل أمدهم اللّٰه يوم بـدر أولًا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف .وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج.

﴿بَـلٰٓـى﴾إيـجـاب لـما بعد" لن" أي بلى يكفيهم ، ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتـقـوى حثًـا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال: ﴿إِنْ تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُمْ﴾ أي المشركون ﴿مِّنَ فَـورِهِـمْ هٰـذَا﴾ من ساعتهم هذه ، وهو في الأصل مصدر من فارت القدر إذ غلت . فـاستـعيـر لـلسـرعة ثـم أطـلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي ، والمعنى إن يأتوكم في الـحال ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ اٰلَافٍ مِّنَ الْمَلٰٓئِكَةِ﴾ في حال إتيانهم بلا تراخ ولا تأخير. ﴿مُسَوِّمِيْن[١٢٥]﴾ مـعـلمين من التسويم الذي هو إظهار سيما الشيء لقوله عليه الصلاة والسلام

قوله: وكان مع اشتراط الصبر الخ: جواب سوال وهو أن يقال كيف يصح أن يقول لهـم يـوم أحـد ولـم يـنزل فيه الملائكة وتقريرالجواب أنه قال مع اشتراط الصبر والتقوى، فـلـمـا لـم يـصبروا عن الغنائم لم ينفقوا حيث خالفوا أمر الرسول لم تنزل الملائكة فلوأتموا عـلـى مـاشـرط عليهم لنزلت. فإن قيل إن اشتراط الصبر والتقوى للإمداد بخمسة آلاف لا لـلإمـداد أجيـب بـأن اشتـراط الـصبـر والتـقـوى يقدرلهذا الوعد لئلا يلزم الخلف في وعد الـرسول ﷺ لأن الغالب أنه عليه السلام إنما وعد بإذن اللّٰه تعالى وإنما لم يذكر بالتقاء بما ذكـر فـي وعـد الـزيـادة، والـمـعـنـى ألن يكفيكم أن يمدكم بثلثة آلاف إن صبروا ؟بلى. يـكـفيـكـم ذلك إن صبـروا يمدكم بالزيادة عليه وهو خمسة آلاف فوعدأولًا بالامداد بثلثة آلاف على الصبر، ثم وعد بخمسة آلاف على الصبر أيضًا .

لأصحابه ."تسوموا فإن الملائكة قد تسومت ". أو مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ وما جعل إمدادكم بالملائكة ﴿إِلَّا بُشْرىٰ لَكُمْ﴾ إلا بشارة لكم بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ ولتسكن إليه من الخوف ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ لا من العدة والعدد. وهو تنبيه على أنه لا حاجة في نصرهم إلى مدد، وإنما أمدهم ووعدلهم به بشارة لهم وربطاً على قلوبهم من حيث إن نظر العامة إلى الأسباب أكثر وحثاً على أن لا يبالوا بمن تأخرهم عنهم ﴿الْعَزِيْزِ﴾ الذي لا يغالب في أقضيته ﴿الحَكِيْمِ[١٢٦]﴾ الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا﴾ متعلق بنصركم ، أو وماالنصر إن كان اللام فيه للعهد. والمعنى لينقص منهم بقتل بعض وأسر آخرين . وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أو يخزيهم . والكبت شدة الغيظ، أو وهن يقع في القلب و"أو" للتنويع دون الترديد ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَآئِبِيْنَ[١٢٧]﴾ فينهزموا منقطعي الآمال .

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ا عتراض﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ عطف على قوله أو يكبتهم . والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم

قوله: بمعنى الإسامة: من أسمت الإبل إذا أرسلتها .

قوله: متعلق بنصركم : على تقدير أن يجعل "إذ تقول" ظرفا لنصركم لا بد لاً ثانيا من إذ غدوت؛لأن ذلك يوم أحد فيكون أجنبيا فيلزم الفصل به وما تعلقها بقوله:" وما النصر إلا من عند الله" فيصح على التقديرين لكن العامل النفي المنقوض بإلا أو النصر الواقع مبتدأ فيه تردد .

قوله: إن كان اللام فيه للعهد :لأن جنس النصر لا يكون لقطع طرف من الذين كفروا.

قوله: دون الترديد:أي الشك لاستحالته على الله تعالى .

قوله:أو يكبتهم :وجه سببية النصر على تقدير تعلق اللام بقوله" ومالنصر إلا من عند الله ظاهر". وأما على تقدير تعلقها بقوله:" ولقد نصركم الله ببدر" فلأن النصر الواقع ببدر كان من أظهر الآيات وأبهر البينات فيصلح أن يكون سببا للتوبة على تقدير الإسلام أو لتعذيبهم على تقديربقائهم على الكفر.

إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء . وإنما أنت عبد مأمور لإنذارهم وجهادهم . ويحتمل أن يكون معطوفاً على الأمر أو شيء بإضمار "أن" : أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء أو ليس لك من أمرهم شيء، أوالتوبةعليهم أو تعذيبهم وأن تكون "أو" بمعنى إلا أن ، أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتسر به أو يعذبهم فتشتفي منهم، روي أن عتبة بن أبي وقاص شجه يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول:" كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم" فنزلت: وقيل: همّ أن يدعوعليهم فنهاه الله لعلمه بأن فيهم من يؤمن ﴿ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ[١٢٨]﴾ قد استحقوا التعذيب بظلمهم .

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً فله الأمر كله لا لك ﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ﴾ صريح في نفي وجوب التعذيب ؛ والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[١٢٩]﴾ لعباده فلا تبادرإلى الدعاء عليهم .

﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰٓا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ لا تزيدوا زيادات مكررة . ولعل التخصيص بحسب الواقع . إذا كان الرجل منهم يربي إلى أجل ثم يزيد فيه زيادة

قوله: ويحتمل أن يكون معطوفاً على الأمر:أي ليس لك من أمرهم الذي هو القطع أو الكتب أو التوبة أو العذاب شيء إنما أنت منذر ومجاهد إنما النصر من الله وكذا التوبة عليهم والعذاب .

قوله: أو شيء: قيل العطف على شيء ليس بالقوي الظاهرو تصحيحه أن يقدر من الأمر مؤخرا أي ليس لك شيء من أمرهم الذي هو القطع والكتب وأن يتوب عليهم أوأن يعذبهم .

قوله: أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أومن تعذيبهم شيء إلا أن يتوب: أي ما حصل لك من أمرهم وشأنهم شيء توجب النفع إلا التوبة عليهم أو عذابهم فحينئذ تفرح بحالهم أو تشقى منهم .

قوله: صريح في نفي وجوب التعذيب :أي إلى الله حيث جعل مدار المغفرة والتعذيب المشيئة وتقدير المغفرة بالتوبة والتعذيب بعدمها على ماهو مذهب الاعتزال مناف لصريح الآية .

قوله :ولعل التخصيص بحسب الواقع:أي تخصيص الربا المنهي عنه بالأضعاف المضعّفة بحسب الواقع وإلّا فالربا مطلقا حرام .

أخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون . وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة . ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾فيما نهيتم عنه﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[١٣٠]﴾ راجين الفلاح .

﴿وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَفِرِيْنَ[١٣١]﴾ بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي أفعالهم وفيه تنبيه علىٰ أن النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة ﴿ وَأَطِيْعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ[١٣٢]﴾ أتبع الوعيد بالوعد ترهيباً عن المخالفة وترغيبًا في الطاعة،و"لعل" و"عسى" في أمثال ذلك دليل عزة التوصل إلى ما جعل خبراً له.

﴿وَسَارِعوآ﴾ بادروا وأقبلوا﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إلى ما يستحق به المغفرة . كالإسلام والتوبة والإخلاص . وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي عرضها كعرضهما . وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل ؛ لأنه دون الطول . وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِيْنَ[١٣٣]﴾هيئت لهم . وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة وإنها خارجة عن هذا العالم .

﴿الَّذِيْنَ يُنْفِقُونَ﴾ صفة مادحة للمتقين ،أو مدح منصوب، أو مرفوع ﴿فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾ في حالتي الرخاء والشدة ، أو الأحوال كلها ؛إذ الإنسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة: أي لا يخلون في حال ما بإنفاق ما قدروا عليه من قليل أو كثير﴿وَالْكاظِمِيْنَ الْغَيْظَ﴾ الممسكين عليه الكافين عن إمضائه مع القدرة ، من كظمت القربة إذا ملأتها وشددت رأسها . وعن النبى ﷺ " من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ اللّٰه قلبه أمناً وإيماناً" ﴿وَالْعَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ﴾ التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته . وعن النبي عليه

قوله: ولعل وعسى في أمثال ذلك: يعني أن ذكر عسى ولعل اللّٰه في نحو هذه المواضع وإن قال أهل التفسير إن لعل وعسى من اللّٰه للتحقيق دليل على عزة التوصل إلى الخير ففيما نحن فيه دليل على عزة التوصل إلى الفلاح والتوصل إلى الخير على مالا يخفى على العارف الفطن .

قوله: وذكر العرض للمبالغة فى وضعها بالسعة :يعني ليس الغرض تحديد عرض الجنة ليمتنع كونها في السماء بل هو كناية عن غاية السعة والبسطة بما هو غاية في ذلك في علم السامعين وخص العرض للمبالغة لأنه دون الطول لأنه أطول الامتدادين، وإذا كان أقصر الامتدادين كذلك فكيف أطولهما .

الصلاة والسلام " إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله " وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ[١٣٤]﴾ يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء. أوالعهد فتكون الإشارة إليهم.

﴿وَالَّذِيْنَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ فعلة با لغة في القبح كالزنى ﴿أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ﴾ بأن أذنبوا أي ذنب كان. وقيل: الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة. ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ تذكروا وعيده أو حكمه أو حقه العظيم ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ بالندم والتوبة ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين. والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَافَعَلُواْ﴾ ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله ﷺ "ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة" ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ[١٣٥]﴾ حال من "يصروا" أي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به ﴿أُولَٰئِكَ جَزَآؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَجَنّٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا﴾ خبر لـ" الذين" إن ابتدأت به وجملة مستانفة مبينة لما قبلهاإن عطفته على المتقين ،أو على الذين ينفقون. ولا يلزم من إعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم أن لا يدخلها المصرون ،كما لا يلزم من

قوله: . إلا من عصم الله :استثناء منقطع وهوظاهر والمعنى هؤلاء في أمتي قليل لكن من عصمه الله في أمتي كثيراً واستثناء متصل لما في القلة من معنى العدم كأنه قيل هؤلاء في أمتي لايوجدون إلا من عصمه الله فإنه يوجب في أمتى وأما إذا أبقي معنى القلة على حاله لا يصح الاستثناء إذ يلزم أن يكون هؤلاء كثير في أمتى وليس كذلك.

قوله:أو حقه العظيم:أي جلاله الموجب للخشية والحياء.

قوله: ولا يلزم من إعداد الجنة للمتقين :رد على صاحب الكشاف حيث قال بناء على مذهبه في هذه الآية بيان قاطع إن الذين آمنوا على ثلث طبقات: متقون وتائبون ومصرّون وأن الجنة للمتقين والتائبين دون المصرين، ومن كابر في ذلك كابر عقله، ووجه الرد أن ليس في هذه الآية سوى أن الجنة أعدت للمتقين والتائبين جزاء لهم، ولا يلزم من ذلك أن لا يدخلها المصرّون كما لا يلزم من إعداد النار للكافرين أن لا يدخلها الفساق مع أنكم قائلون به وأيضًا من أين البيان القاطع أنهم لا يدخلون الجنة البتة، وأنه لا يجوز في حقهم التفضل والإحسان وهل القطع بذلك إلا مكابرة للعقل ومعاندة للرب.

إعداد النار للكافرين جزاءً لهم أن لا يدخلها غير هم . وتنكير جنات على الأول يدل على أن ما لهم أدون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة.وكفاك فارقاً بين القبيلين أنه فصل آيتهم بأن بين أنهم محسنون مستوجبون لمحبة الله .وذلك لأنهم حافظوا على حدودالشرع وتخطّوا إلى التخصص بمكارمه.وفصل اٰية هؤلاء بقوله:﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعٰمِلِيْنَ[١٣٦]﴾لأن المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه . وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والأجير .ولعل تبديل لفظ الجزاء بالأجر لهذه النكتة .والمخصوص بالمدح محذوف تقديره :ونعم اجر العاملين ذلك، يعني المغفرة والجنات.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾وقائع سنها الله في الأمم المكذبه كقوله تعالىٰ:﴿وقُتلوا تقتيلاً سنة اللّٰه في الذين خلوا من قبل ﴾[٣٣. الأحزاب:٦١-٦٢]وقيل أمم قال: مَا عَايَنَ النَّاسُ مِنْ فَضْلٍ كَفَضْلِكُمُو وَلَا رَأَوْا مِثْلَهٗ فِي سَالِفِ السُّنَنِ

﴿فَسِيْرُواْ فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِيْنَ[١٣٧]﴾لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم .

﴿هٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدىً وَّمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِيْنَ[١٣٨]﴾ إشارة إلى قوله قد خلت، أو مفهوم قوله "فانظروا" أي أنه مع كونه بياناً للمكذبين فهو زيادة وموعظة للمتقين ، أو إلى ما لخص من أمر المتقين والتائبين . وقوله "قد خلت" جملة معترضة للحث على الإيمان والتوبة وقيل: إلى القرآن .

﴿وَلَا تَهِنُوْا وَلَا تَحْزَنُوْا﴾ تسلية لهم عما أصابهم يوم أحد . والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ وحالكم إنكم أعلى

قوله: وتنكير جنات على الأول: يعني نكّر "جنات" على تقدير أن يكون قوله:﴿والذين إذا فعلوا﴾ ابتداء كلام ولم يعرف على ذلك التقدير ليدل أن ما لهم من الجنات أدون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات وهي جنات عرضها السموات والأرض، ولو عرّف "جنات" لدل باللام العهدية على أن ما لهم مثل ما للمتقين ، وكذلك لو عطفت على المتقين أو على الذين ينفقون يدل على ذلك أيضًا لأنه حينئذ يكون جملة مستانفة بياناً لجزاء جميعهم

منهم شأناً ، فإنكم على الحق وقتالكم الله وقتلاكم في الجنة ، وإنهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار، أو لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم ، أو أنتم الأعلون في العاقبة فيكون بشاره لهم بالنصرة والغلبة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ[١٣٩]﴾ متعلق بالنهي أي لا تهنوا إن صح إيمانكم . فإنه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله أو بـ" الأعلون".

﴿إِنْ يَّمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَومَ قَرْحٌ مِّثْلُهٗ﴾ قرأ حمزه والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف، والباقون بالفتح وهما لغتان كالضَعف والضُعف. وقيل: هو بالفتح الجراح ، وبالضم ألمها . والمعنى إن أصابوا منكم يوم أحد فقد أصبتم منهم يوم بدر مثله. ثم إنهم لم يضعفوا ولم يجيبوا فأنتم أولى بأن لا تضعفوا ؛ فانكم ترجون من الله ما لا يرجون . وقيل: كِلا المَسَّين كان يوم أحد، فان المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر الرسول ﷺ ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقوله .

فَيَوْماً عَلَيْنَا وَيَوْماً لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَومٌ نُسَرُّ

والمداولة كالمعاودة يقال: داولت الشيء بينهم فتداولوه ، و"الأيام" تحتمل الوصف والخبر، و"نداولها" يحتمل الخبر والحال والمراد بها أوقات النصر والغلبة .

﴿وَلِيَعْلَمَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا﴾ عطف على علة محذوفة أي نداولها ليكو ن كيت وكيت وليعلم الله ايذاناً بأن العلة فيه غير واحدة،وأن ما يصب المؤمن فيه من المصا لح ما لا يعلم ، أو الفعل المعلل به محذوف وتقديره: وليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف فعلنا ذلك . والقصد في أمثاله ونقائضه ليس إلى إثبات علمه تعالى ونفيه بل إلى إثبات المعلوم ونفيه على

قوله:ليكون كيت كيت. كناية عن المصالح التي لا يعلهما إلاالله كما صرح به، وقيل: كناية عن رفع درجاتهم وعن أن الأيام دول وعن استدراجهم ونحوها.

قوله: وليتميزالثابتون على الإيمان من الذين على حرف:أي طرف وجانب من الإيمان.

قوله: والقصد في أمثاله ونقائضه:إشارة إلى دفع ما يقال: إن هذا العلم يحصل بعد الفعل وعلم الله تعالى أزلي لا يتصف بالحدوث ولو سلم فالعلم بالمؤمن و الكافر حاصل قبل ذلك الفعل، ووجه الدفع أن القصد في أمثاله ونقائضه مثل: ﴿ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ ومثل:﴿يعلم الصابرين﴾ ليس إلى إثبات العلم ونفيه ليلزم ما ذكر، بل إلى إثبات المعلوم على طريقة البرهان: أي نداول الأيام ليؤمنوا أي يثبتوا على الإيمان يعني أن

طريق البرهان . وقيل معناه ليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجوداً ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَآءَ﴾ ويكرم ناساً منكم بالشهادة يريد شهداء أحد، و يتخذ منكم شهوداً معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِيْنَ[١٤٠]﴾ الذين يضمرون خلا ف ما يظهرون ، أو الكافرين وهو اعتراض . وفيه تنبيه على أنه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وإنما يغلبهم أحياناً استدراجاً لهم وابتلاءً للمؤمنين.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِيْنَ آمَنُواْ﴾ليطهرهم ويصفّيهم من الذنوب إن كانت عليهم ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِيْنَ[١٤١]﴾ ويهلكهم إن كانت عليهم . والمحق نقص الشيء قليلاً قليلاً.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ بل أحسبتم ومعناه الإنكار﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِيْنَ جاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ولما تجاهدوا . وفيه دليل على أن الجهاد فرض كفاية والفرق بين "لما" و"لم" أن فيه توقع الفعل فيما يستقبل .وقرئ يعلم بفتح الميم على أن أصله "يعلمن " فحذفت النون ﴿ وَيَعْلَمَ الصَّٰبِرِيْنَ[١٤٢]﴾ نصب بإضمار" أن" على أن الواو للجمع. وقرئ بالرفع على أن الواو للحال كأنه قال: ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوتَ﴾ أي الحرب فإنها من أسباب الموت ،أو الموت بالشهادة . والخطاب للذين لم يشهدوا بدراً وتمنوا أن يشهدوا مع رسول الله ﷺ مشهداً لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا

فيكم الإيمان لأن الله تعالىٰ علم بذلك ولو لم يكن فيكم ذلك لما علم الله وأحسبتم أن تدخلوا الجنة ولما تجاهد وا ولم تصبروا: أي ليس فيكم جهاد وصبر إذ لوكان لعلم الله، وقيل: المراد علم يتعلق به الجزاء ويترتب عليه وهو أن يعلمهم موجودا منهم الثبات على الإيمان ولا يلزم منه الحدوث في علم الله وكون ذاته محلا للحوادث لأن الحدوث إنماهو في تعلم العلم، كما تقرر في علم الكلام .

قوله: وفيه دليل على أن الجهاد فرض كفاية: وذلك أنه فرض الجهاد عليهم ثم بعض منهم بفرض الجهاد فعلم أنه فرض كفايةيسقط بأداء بعض عن الكل .

قوله: وقرىء يعلم بفتح الميم على أن أصله يعلمن: بالنون الخفيفة تشبيهاً للنفي بالنهي وحذفها من غير ملاقات ساكن بعد ها كما في قوله: أصرف عنك الهموم طارقها، وقيل: تحريك لالتقاء الساكنين بالفتح إيثارا للأخف واتباعا للام .

يوم أحد على الخروج ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ من قبل أن تشاهد وا وتعرفوا شدته ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ[١٤٣]﴾ أي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من إخوانكم .وهو توبيخ لهم على أنهم تمنوا الحرب وتسووا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها ، أو على تمني الشهاده فإن في تمنيها تمني غلبة الكفار .

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فسيخلوا كما خلوا بالموت أو القتل ﴿أَفَإِمَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ إنكار لا رتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموت، أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به . وقيل: الفاء للسببية والهمزه لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لا نقلابهم على أعقابهم بعد وفاته . روي أنه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسولَ الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه، فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه قتل النبي عليه الصلاة والسلام فقال: قد قتلت محمداً وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل . فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يدعوا إليّ

قوله: معاينين له :أي لا على غفلة واشتغال بأمرسواه، وهذا ماقال الزجاج: المعنى فقد رأيتموه وأنتم بصراء كما تقول وقد رأيت وكذا ليس في عينك علة: أي قد رأيته حقيقة وفيه تأكيد.

قوله: فإن في تمنيها تمنى غلبة الكفار:يعني أن تمني الشهادة وإن كان تمنيا لثواب الشهادة التي لا محذور فيه إلا أنه يتضمن تمني غلبة الكفار الذي هو تمني الشرك بالله يظهر ذلك بعد التامل.

قوله :إنكار لارتدادهم: والمعنى﴿ وما محمد إلا رسول﴾ كسائر الرسل فيخلوه كما خلون فبعد خلوه با لموت أو القتل لا ينبغى أن يرتدوا بل وجب عليكم أن تمسكوا بدينه بعده كما وجب على المتقدمين التمسك بدينهم بعدهم فعلى هذايكون الفاء لمجرد التعقيب.

قوله :وقيل الفاء للسببية والهمزة للإنكار:والمعنى لا ينبغى أن يجعلوا خلوا لرسل قبله سببا لارتدادهم بعده عليه السلام بل سبب لتمسكهم بدينه بعد كما هو سائر الأنبياء.

قوله: لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي: قد سبق أنه عتبة بن أبي وقاص فذكرالروايتين ثم شد أي حمل عليهم بسيفه .

عباد الله فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون . وقال بعضهم : ليت ابن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان . وقال ناس من المنافقين: لو كان نبياً لما قتل، ارجعوا إلى إخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما: ياقوم ،إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ماقاتل عليه . ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقولون وأبرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلٰى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَّضُرَّ اللّٰهَ شَيْئًا﴾ بارتداه بل يضر نفسه﴿وَسَيَجْزِى اللّٰهُ الشّٰكِرِيْنَ[١٤٤]﴾ على نعمة الإسلام بالثبات عليه كأنس وأضرابه .

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ﴾ إلا بمشيئة الله تعالى أو بإذنه لملك الموت عليه الصلاة والسلام في قبض روحه . والمعنى أن لكل نفس أجلاً مسمى في علمه تعالى وقضائه﴿لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[٧. الأعراف:٣٤-١٦.النحل:٦١] بالإحجام عن القتال والإقدام عليه . وفيه تحريض وتشجيع على القتال . ووعد للرسول ﷺ بالحفظ وتأخير الأجل ﴿كِتٰبًا﴾مصدر مؤكد؛إذ المعنى كتب الموت كتاباً ﴿مُؤَجَّلًا﴾ صفة له أي مؤقتاً لا يتقدم ولا يتأخر ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيا نُؤْتِهٖ مِنْهَا﴾ تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم أحد. فإن المسلمين حملوا على المشركين وهز موهم وأخذوا ينهبون ، فلما رأى الرما ة ذلك أقبلوا على النهب وخلوا مكا نهم فا نتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْاٰخِرَةِ نُؤْتِهٖ مِنْهَا﴾ أي من ثوابها﴿وَسَنَجْزِى الشّٰكِرِيْنَ[١٤٥]﴾ الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ أصله "أيٌّ" دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى "كم" والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس . وقرأ ابن كثير وكائن كـ"كاعن" ووجهه أنه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم: رَعُمَلِي في لَعَمْرِي . فصار كَيِّئْ ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم

قوله: ووعد للرسول بالحفظ وتاخير الأجل: وذلك أن الموت بإذن الله ولم يأن وقت إذنه لموت النبي عليه السلام لأن أمر النبوة لم يبلغ الآخر حتى يتم وأذن لموته كما أشار إليه بقوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم ﴾.

قوله: والنون: أي نون كأين.

قوله: قلب قلب الكلمة الواحدة :أي قلب في الكلمة الواحدة هي كأي بتقديم الياء على الهمزة بدون الحركة فصار كيان .

أبدلت الياء الأخرى ألفاً كما أبدلت من طائي . ﴿مِّنْ نَّبِيٍّ﴾ بيان له﴿قٰتَلَ مَعَهٗ رِبِّيُّوْنَ كَثِيْرٌ﴾ ربانيون علماء أتقياء، أو عابدون لربهم . وقيل: جماعات، والربي منسوب إلى الربة وهي الجماعة للمبالغة . وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو و يعقوب قُتِل . وإسناده إلى ربّيون أو ضمير النبي و"معه ربيون" حال منه، ويؤيد الاول أنه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الأصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من قتل النبي أو بعضهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن العدو أو في الدين ﴿وَمَا اسْتَكَانُوْا﴾ وما خضعوا للعدو. وأصله استكن من السكون؛ لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده . والألف من إشباع الفتحة ، أو استكون من الكون ؛لأنه يطلب من نفسه أن يكون لمن يخضع له . وهذا تعريف بما أصابهم عند الإرجاف بقتله عليه الصلاة والسلام .﴿وَاللّٰهُ يُحِبُّ الصّٰبِرِيْنَ[١٤٦]﴾فينصرهم ويعظم قدرهم .

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ إِلَّآ أَنْ قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْلَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ[١٤٧]﴾ أي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين إلا هذا القول. وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم هضمًالها وإضافة لما أصابهم إلى سوء أعمالها والاستغفار عنها ، ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة . فيكون أقرب إلى الاجابة . وإنما جعل قولهم خيراً؛ لأن" أن قالوا" أعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث.

﴿ فَاٰتٰهُمُ اللّٰهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابَ الْاٰخِرَةِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ[١٤٨]﴾ فاٰتاهم الله بسبب الا ستغفار واللجأ إلى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا . والجنة

قوله: كما أبدلت من طائي: أصله طيي فحذف إحدى اليا ئين ثم قلب الأخرى ألفا.

قوله: على الأصل. الذي هو القياس لأنه منسوب في الرب أي با لضم والكسر وهما من تعبيرات النسب.

قوله: لأن أن قالوا أعرف: أي جهة النسبة وذلك من نسبة المصدر وإضافته من حيث هي يحتمل أن يكون إلى مفعوله وإن كان هنا لا يحتمل بقرينة ونسبة الفعل متعينة لا تكون إلا إلى الفاعل وعلى زمان الحدث فيكون أعرف، والأ نسب أن يكون الأعرف مبتدأ وإن كان هذا التعريف غير ما هو المتعارف في تعريف المبتدأ رعاية للأصل بقدر الإمكان .

والنعيم في الآخرة . وخص ثوابها با لحسن إشعاراً بفضله وأنه المعتد به عندالله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا إِنْ تُطِيعُوا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ﴾ أي إلى الكفر ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنْقَلِبُواْ خَـٰسِرِيْنَ[١٤٩]﴾ نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى دينكم وإخوانكم ولو كان محمد نبياً لما قتل : وقيل أن تستكينوا لأبي سفيان وأشياعه وتستامنوهم يردوكم إلى دينهم . وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فإنه يستجر إلى موافقتهم .

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَـٰكُمْ﴾ ناصركم . وقرئ بالنصب على تقدير بل أطيعوا الله مولاكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِيْنَ[١٥٠]﴾ فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره .

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِيْنَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب . ونادى أبو سفيان يا محمد، موعدنا موسم بدر القابل إن شئت، فقال عليه الصلاة والسلام : " إن شاء الله " وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم . فألقى الله الرعب في قلوبهم . وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الأصل في كل القرآن .﴿بِمَآ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ بسبب إشراكهم به ﴿مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـٰنًا﴾ أي آلهة ليس على إشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطاناً وهو كقوله : وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ

وأصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ﴿وَمَأْوَٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِيْنَ[١٥١]﴾ أي مثواهم .فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي وعده إياكم بالنصر بشرط التقوى والصبر ، وكان كذلك حتى خالف الرماة فإن المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون

قوله: وقيل أن تستكينوا :أي تخضعوا لأبى سفيان وتطلبوا الأمان منه .

قوله: أي آلهة ليس على إشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطاناً: يعني أن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا ولم يرد هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأن الشرك لا يستقيم أن يقوم عليه حجة.

قوله: وهو كقوله: ولا ترى الضب بها ينجحر:أي ليس بها أي في المفازة ضب فينجحر ولم يرد أن بها ضبا ولم يجحر.

قوله يرشقونهم :رشقه بالسهم رماه .

يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم ﴿إِذْ تَحُسُّوْنُهمْ بِإِذْنِهِ﴾ تقتلونهم . من أحسه إذا أبطل حسه ﴿حَتّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جبنتم وضعف رأيكم . أو ملتم إلى الغنيمة فإن الحرص من ضعف العقل ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ يعني اختلا ف الرما ة حين انهزم المشركو ن فقال بعضهم : فما مو قفنا هٰهنا . وقال آخرون :لا نخالف أمر الرسول فثبت مكا نه أميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله:﴿ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَـآأَرٰكُمْ مَّا تُحِبُّونَ﴾ من الظفر والغنيمة وانهزام العدو. وجواب "إذا" محذوف وهو امتحنكم . ﴿ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيْدُ الدُّنْيَا﴾ وهم التاركون المركز للغنيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرِيْدُ الاٰخِرَةَ﴾ وهم الثابتون محافظة على أمر الرسول عليه السلام ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ على المصائب ويمتحن ثباتكم على الإيمان عندها .﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ تفضلاً ولما علم من ندمكم على المخالفة ﴿وَاللّٰهُ ذَو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ[١٥٢]﴾ يتفضل عليهم بالعفو، أو في الأحوال كلها سواء أديل لهم عليهم إذ الابتلاء أيضاً رحمة .

﴿إِذْ تُصْعِدُوْنَ﴾ متعلق بصرفكم ، أو ليبتليكم أو بمقدر كـ" اذكروا". والإصعاد الذهاب والإبعاد في الأرض يقال: أصعدنا من مكة إلى المدينة ﴿وَلَا تَلْوٗنَ عَلٰٓى أَحَدٍ﴾ لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره ﴿ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان يقول: إليَّ عبادالله ، إليَّ عبادالله، انا رسول الله من يكرّ فله الجنة﴿فِيٓ أُخْرٰكُمْ﴾ في ساقتكم أو جماعتكم الأخرى ﴿فَأَثٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلٰى مَافَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَابَكُمْ﴾ عطف على صرفكم . والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غماً متصلا بغم . من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والإرجاف بقتل رسول الله ﷺ.أو فجازاكم غماً بسبب غم أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم لهلتتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد

قوله فما موقفناههنا: يعني انهزم المشركون فما يو قفناههنافاد خلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة.

قوله: امتحنكم: بأن منعكم بصره.

قوله: حتى حالت الحال: أي تغيرت.

قوله: غما متصلا بغم: فالباء إما للمصاحبة أوللإلصاق بخلاف الوجه الأخير فانها فيه للسببية.

عـلـى نفع فائت و ضر لا حق .وقيل: "لا" مزيدة، والمعنى لتأسفوا على ما فا تكم من الظفر والـغـنيـمة ، وعـلـى مـا أصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم، وقيل:الضمير فى أثا بكم لـلرسول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أي فآسا كم في الاغتما م فاغتم بما نزل علييكم .كما اغتـمـمتـم بما نزل عليه. ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم مـن الـنـصـر ولا عـلـى ما أصابكم من الهزيمة .﴿وَاللَّهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ عليم بأعمالكم وبما قصدتم بها.

﴿ثُـمَّ أَنْـزَلَ عَـلَيْـكُـمْ مِّـنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾أنزل الله عليكم الأمن حتى أخذكم الـنـعـاس . وعن أبي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيـأخذه ، ثم يسقط فيأخذه. والأمنة نصب على المفعول ونعاساً بدل منها أو هو المفعول . وأمـنة حـال مـنـه متقدمة ، أو مفعول له أو حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة ، أو على أنه جـمـع آمـن كـ"بار وبررة" . وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الأمن ﴿يَغْشٰى طَآئِفَةً مِّنْـكُـمْ﴾ أي الـنـعـاس . وقـرأ حـمـزـة والـكسـائـي بـالتاء رداً على الأمنة والطائفة المؤمنين حـقاً.﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ هم المنافقون ﴿ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ أوقـعتهم أنفسهم في الهموم. أو ما يهـمهـم إلا هـمّ أنـفسهـم وطـلـب خـلاصها ﴿ يَظُنُّونَ بِاللّٰهِ غَيْرَ الْحقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ صفة أخرى لـطـائفة أو حال أو استئناف على وجه البيان لما قبله . وغير الحق نصب على المصدر أي: يظنون بالله غيـر الظن الحق الذي يـحق أن يظن به . وظـن الـجاهلية بد له وهو الظن المختص بالملة الجاهلية وأهلها.﴿يَقُولُونَ﴾ أي لرسول الله ﷺ وهو بدل من "يظنون".

قـوله: فآساكم :من آسيت بما لى جعلته أسوتى فيه، والتثريب التعبير والاستقصاء في اللوم.

قـولـه: ونـعـاسـا بدل منها :على أنه كأنه نفس الأمنة وكذا على تقدير جعل أمنة حالامن نعاسا .

قـولـه: قـد أهـمتهـم أنـفسهم .أهمه الأمركان مهما له معتنى بشأنه، وأهمه أقلقه وأحزنه فالوجه الأول نا ظرإلى الثاني، والثاني إلى الأول والحصرمستفاد من المقام.

قـولـه: صـفـة أخـرى: والصفة الأولى قد أهمتهم والخبر محذوف: أي لـم يغشهـم وقيل أي منهم طائفة.

قوله: غير الظن الحق الذي يحق أن يظن به: وهو أن ينصر محمد ﷺ .

﴿هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ هل لنا مماأمر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط . وقيل: أخبر ابن أبي بقتل بني الخزرج فقال ذلك . والمعنى إنا منعنا تدبير أنفسنا وتصريفها باختيارنا، فلم يبق لنا من الأمر شيء ،أو هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الأمر شيء ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ أي الغلبة الحقيقة لله تعالى ولأوليائه، فإن حزب الله هم الغالبون ، أو القضاء له يفعل مايشاء ويحكم ما يريد، وهو اعتراض . وقرأ أبو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَّالَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ حال من ضمير "يقولون" أي يقولون مظهرين إنهم مسترشدون طالبون النصر مبطلين الإنكار والتكذيب﴿ يَقُولُونَ﴾ أي في أنفسهم وإذا خلا بعضهم إلى بعض ، وهو بدل من "يخفون" أو استئناف على وجه البيان له ﴿لَوكَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ كما وعد أو زعم أن الأمر كله لله ولأوليايه ، أو لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأي ابن أبي وغيره ﴿مَّا قُتِلنَا هٰهُنَا﴾ لما غلبنا ، أو لما قتل من قتل منا في هذه المعركة﴿قُلْ لَّوْكُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَالَّذِيْنَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْل إِلٰى مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتبه في اللوح المحفوظ إلى مصارعهم ولم تنفعهم الإقامة بالمدينة ولم ينج منهم أحد. فإنه قدر الأمور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه. ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللّٰه مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الإخلاص والنفاق ، وهو علة فعل محذوف أي وفعل ذلك ليبتلي، أو عطف على محذوف أي لبرز لنفاذ القضاء ، أو لمصالح جمة وللابتلاء ، أو على قوله "لكيلا تحزنوا"﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وليكشفه ويميزه أو يخلصه من الوساوس . ﴿وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ[١٥٤]﴾ بخفياتها قبل إظهارها ، وفيه وعد ووعيد وتنبيه على أنه غني عن الابتلاء وإنما فعل ذلك لتمرين المؤمنين وإظهار حال المنافقين .

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ تَوَلَّوا مِنْكُمْ يَومَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ يعني إن الذين انهزموا يوم أحد إنما كان السبب في انهزامهم أن الشيطان طلب منهم الزلل فأطاعوه واقترفوا ذنوباً لمخالفة النبي ﷺ بترك المركز، والحرص على الغنيمة، أو الحياة فمنعوا التاييد وقوة القلب . وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسب ذنوب

قوله: أي وفعل ذلك: أي كونهم مغلوبين.

قوله: أن الشيطان طلب منهم الزلل: أي إن الشيطان بالوسوسة طلب الزلة أي الذنوب فا قترفواذنوبا هي ترك المركز والحرص على الغنيمة با لوسوسة .

تقدمت لهم، فإن المعاصي يجر بعضها بعضاً كالطاعة ، وقيل: استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتال قبل إخلاص التوبة والخروج من المظلمة ﴿ وَلَقَدْ عَفَااللّٰهُ عَنهُمْ﴾ لتوبتهم واعتذارهم ﴿ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيْمٌ[١٥٥]﴾ لا يعاجل بعقوبة الذنب كي يتوب .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَالَّذِيْنَ كَفَرُوا﴾ يعني المنافقين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ لأجلهم وفيهم . ومعنى أخوتهم اتفاقهم في النسب أو المذهب ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِى الْأَرْضِ﴾ إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها. وكان حقه إذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية ﴿ أَوْ كَانُواْ غُزّىً﴾ جمع غاز كعاف وعفّىً . ﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ مفعول قالوا وهو يدل على أن إخوانهم لم يكونوا مخاطبين به . ﴿لِيَجْعَلَ اللّٰهُ ذٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ متعلق بـ"قالوا" على أن اللام لام العاقبة مثلها في "ليكون لهم عدواً وحزناً". أو لا تكونوا أي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله مثلهم خاصة . ذلك إشارة إلى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد . وقيل: إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل اللّٰه انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم ؛ فإن مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم ﴿ وَاللّٰهُ يُحْيِ وَيُمِيْتُ﴾ رداً لقولهم أي هو المؤثر في الحياة والممات لا الإقامة والسفر؛ فإنه تعالى قد يحي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد﴿ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيْرٌ[١٥٦]﴾تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم . وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على أنه وعيد للذين كفروا.

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ أي متم في سبيله. وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّٰهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ[١٥٧]﴾ جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء، والمعنى: أن السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل وإن وقع ذلك في سبيل اللّٰه فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا.وقرأ حفص بالياء.

﴿وَلَئِنْ مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ على أي وجه اتفق هلاككم ﴿لَإِالَى اللّٰهِ تُحْشَرُونَ[١٥٨]﴾ لإلى معبودكم الذي توجهتم إليه ، وبذلتم مهجكم لوجهه لا إلى غيره لا محالة تحشرون .

قوله: وهو يدل على أن إخوانهم لم يكونوا مخاطبين به: أي بهذاالقول إذلوكانوا مخاطبين به لقيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ، و لهذا فسر المصنف بقوله لأجلهم وفيهم.

فيوفّى جزاءكم ويعظم ثوابكم .

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ أي فبرحمة . وما مزيدة للتأكيد والتنبيه والدلالة على أن لِيُنَه لهم ما كان إلا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ سيئ الخلق جافياً ﴿غَلِيْظَ الْقَلْبِ﴾قاسية ﴿لَا نْفَضُّواْ مِنْ حَولِكَ﴾لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾فيما يختص بك.﴿وَاسْتَغْفِرْلَهُمْ﴾ فيما الله﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ﴾ أي في أمر الحرب إذ الكلام فيه ، أو فيما يصح أن يشاور فيه استظهاراً برأيهم وتطييباً لنفوسهم وتمهيداً لسنة المشاورة للأمة ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ فإذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك . فإنه لا يعلمه سواه . وقرئ فإذا عزمت على التكلم أي فإذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل على الله ولا تشاور فيه أحداً ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِيْنَ[١٥٩]﴾ فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح .

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ﴾ كما نصركم يوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ فلا أحد يغلبكم ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾ كما خذلكم يوم أحد﴿فَمَنْ ذَا لَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد خذلانه أو من بعد الله بمعنى إذا جاوزتموه فلا ناصر لكم . وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل

قوله: وما مزيدة للتاكيدوالتنبيه والدلالة: قيل لابد من تقدير محذوف ليصح الكلام لأن الحصر مستفاد من تقديم الجار والمجرور على العامل والتوكيد من زيادة مافالتقدير ما مزيدة والجار والمجرور مقدم للتوكيد والدلالةعلى الاختصاص فهو من باب اللف التقديري. قوله: وهو ربطه، قال الجوهري: ربطت الشيء أربطه أي شدد ته والموضع مربط وفلان رابط الجاش وربيط الجاش أي شديد القلب كأنه ير بط نفسه عن الفرار انتهى. والظاهر أن المصنف أراد المعنى الأول وأنه استعار ربط الشيء بتعليق القلب بهم الموجب للرفق بهم وأن قوله بهم متعلق به على التنازع أي ربطه تعالى جاشه عليه السلام بهم و يحتمل المعنى الثاني وعلى هذا إنما كان الرفق ولين الجانب مسببا عن ربط الجاش بكسر سورة الغضب الموجب لغلظ القلب المنافي للين فيرفق ويلين .

قوله: من بعد خذلانه: يعنى أنه على حذف المضاف أو هو من قولك وليس لك يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته يعني أن يخذلكم اللهٰتعالىٰ بأن تجاوزتموه عنه ولم تعملوا بما أمربه رسوله فلاناصرلكم من بعد تجاوزكم.

وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه . ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ[١٦٠]﴾ فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصرلهم سواه وآمنوا به .

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَّغُلَّ﴾وما صح لنبي أن يخون في الغنائم فإن النبوة تنا في الخيانة، يقال: غل شيئًا من المغنم يغل غلولًا وأغل إغلالًا إذا أخذه في خفية ، والمراد منه : إما براءة الرسول عليه السلام عما اتُّهم به؛ إذ روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين: لعل رسول اللهﷺ أخذها، أو ظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا: نخشى أن يقول رسول الله ﷺ: من أخذ شيئًا فهو له ولا يقسم الغنائم . وإما المبالغة في النهي للرسول ﷺ على ما روي أنه بعث طلائع ، فغنم رسول الله ﷺ فقسم على من معه ولم يقسم على الطلائع فنزلت . فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولًا تغليظاً ومبالغة ثانية . وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب أن يُغل على البناء للمفعول، والمعنى: وما صح له أن يوجد غالًا أو أن ينسب إلى الغلول . ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث، أو بما احتمل من وباله وإثمه ﴿ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ يعنى تعطى جزاء ما كسبت وافياً ، وكان اللائق بما قبله أن يقال: ثم يوفّى ما كسبت، لكنه عم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه ، فإنه إذاكان كل كاسب مجزياً بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك أولى﴿وَهُم لَا يُظْلَمُونَ[١٦١]﴾ فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم .

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾بالطاعة ﴿كَمَنْ بَآءَ﴾ رجع﴿بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾بسبب المعاصي ﴿وَمَأْوٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ[١٦٢]﴾ الفرق بينه وبين المرجع أن المصير يجب أن يخالف الحالة الأولى ولا كذلك المرجع.

﴿هُمْ دَرَجٰتٌ عِنْدَاللَّهِ﴾ شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب ، أو هم ذوو درجات ﴿وَاللَّهُ بَصِيْرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ[١٦٣]﴾ عالم بأعمالهم ودرجات صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها.

قوله: على الطلائع: جمع طليعة، وطليعة الجيش من بعث ليطلع طلع العدو: أي حقيقة أمرهم.

قوله: ومبالغة ثا نية: وذلك أن المقصود النهي عن حرمان البعض عن القسمة فعدل إلى قوله: وما كان لنبي، مبالغة في النهي وإلى تسمية الحرمان غلًّا مبالغةثانية في النهي.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ أنعم على من آمن مع الرسول ﷺ من قومه وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها . وقرئ لمن من الله عليه أنه خبر مبتدأ محذوف مثل "منه" أو "بعثه" ﴿إِذْ بَعَثَ فِيْهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من نسبهم ،أو من جنسهم عربياً مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به ، وقرئ من أنفسهم أي من أشرفهم ؛لأنه عليه السلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيَاتِهٖ﴾ أي القرآن بعد ما كانوا جهالاً لم يسمعوا الوحي﴿وَيُزَكِّيْهِمْ﴾ يطهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والأعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي القرآن والسنة ﴿ وَإِنْ كَانُواْ مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلٰلٍ مُّبِيْنٌ[١٦٤]﴾ إن هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة، والمعنى إن الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم في ضلال ظاهر.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيْبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنّٰى هٰذَا﴾ الهمزة للتقريع والتقرير . والواو عاطفة للجملة على ماسبق من قصة أحد ، أو على محذوف مثل أفعلتم كذا وقلتم، و"لما" ظرفه المضاف إلى ما أصابتكم أي أقلتم حين أصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم أحد والحال أنكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من أين هذا أصابنا وقد وعدنا الله النصر ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الأمر بترك المركز فإن الوعد كان مشروطاً بالثبات والمطاوعة ، أو اختيار الخروج من المدينة . وعن علي رضي الله تعالى عنه باختياركم الفداء يوم بدر.

قوله: ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة: فكان ذلك أقرب إلى تصديقهم.

قوله: والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة أحد: وهي قوله ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ إلى قوله ﴿لفي ضلال مبين﴾ لأن الكل يتعلق بقصة أحد من غير تخلل أجنبي فالهمزة دخلت بين المعطوف والمعطوف عليه كما في أومن كان ميتا لكون الهمزة أعم تصرفا .

قوله: أ فعلتم كذا:أي الفشل والتنازع والعصيان والخروج من المدينة والإلحاح.

قوله: أي قلتم حين أصابتكم مصيبة الخ: فالتقرير والتفريع على أمرين، أحدهما إصابة مصيبة لهم مع إصابة مثليها يوم بدر. والثاني إنكارهم المصيبة مع وعد الله، مع أن وعد الله مشروط با لثبات والمطاوعة .

﴿إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ[١٦٥]﴾ فيقدر على النصر ومنعه وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم

﴿وَمَآ أَصَابَكُمْ يَومَ الْتَقَى الْجَمْعٰنِ﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم أحد﴿فَبِإِذْنِ اللّٰهِ﴾ فهو كائن بقضائه ، و تخليته الكفار سماها إذناً لأنها من لوازمه﴿ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِيْنَ[١٦٦]﴾

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِيْنَ نَافَقُوا﴾وليتميز المؤمنين والمنافقون فيظهر إيمان هؤلاء وكفر هؤلاء ﴿وَقِيْلَ لَهُمْ﴾ عطف على "نافقوا" داخل في الصلة أو كلام مبتدأ﴿تَعَالَوا قَاتِلُوا فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾تقسيم للأمر عليهم وتخيير بين أن يقاتلوا للآخرة، أو للدفع عن الأنفس والأموال . وقيل: معناه قاتلوا الكفرة أو ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين . فإن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر همته ﴿ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَتَّبَعْنٰكُمْ﴾لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً لا تبعناكم فيه لكن فيه ما أنتم عليه ليس بقتال بل إلقاء بالأنفس إلى التهلكة ، أو لو نحسن قتالاًلا تبعناكم فيه . وإنما قالوه دغلا واستهزاء ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْاِيْمَانِ﴾ لا نخذالهم وكلامهم هذا، فإنهماأول أمارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم . وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان؛ إذ كان انخذالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلاً للمؤمنين ﴿يَقُوْلُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم ألسنتهم بالإيمان. وإضافة القول إلى الأفواه تأكيد وتصوير﴿ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ[١٦٧]﴾من النفاق . وما يخلو به بعضهم إلى بعض فإنه يعلمه مفصلاً بعلم واجب وأنتم تعلمونه مجملاً بأمارات.

﴿الَّذِيْنَ قَالُوا﴾ رفع بدلاً من واو يكتمون ، أو نصب على الذم، أو الوصف "للذين نافقوا" أو جر بدلاً من الضمير في "بأفواههم" أو" قلوبهم" كقوله :

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ لَضَنَّ بِالماءِ حَاتِمِ

قوله: وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم: قال العلامة التفتازاني أصاب منه: هزمه ونال منه ما أراد. وأصاب به: جعله واحدا من العدو ما أراد.

قوله: لكن فيه ما أنتم عليه ليس بقتال: لأن القتال ما يكون لمتقا بلين مثلين في العدد وأعداء كم زائد على ضعفكم .

قوله: لا نخذالهم :أي انقطاعهم و رجوعهم عن عسكر المومنين.

قوله :على جوده :وحاتم با لجر بدل من ضمير جوده لأن القوا في على الكسر .

﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي لأجلهم . يريد من قتل يوم أحد من أقاربهم أو من جنسهم ﴿وَقَعَدُوا﴾ حال مقدرة بـ" قد " أي قالوا قاعدين عن القتال ﴿لَو أَطَاعُونَا﴾ في القعود بالمدنية ﴿مَا قُتِلُوا﴾ كما لم نقتل. قرأ هشام :ما قتلوا بتشديد التاء ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوتَ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْن[١٦٨]﴾ أي إن كنتم صادقين إنكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه. فإنه أحرى بكم . والمعنى أن القعود غير مغن عن الموت ؛ فإن أسباب الموت كثيرة كما أن القتال يكون سبباً للهلاك والقعود يكون سبباً للنجاة قد يكون الأمر بالعكس.

﴿وَلَا تَحسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوا فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ أَمْوَاتَا﴾ نزلت في شهداء أحد. وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد. وقرئ بالياء على إسناده إلى ضمير الرسول ، أو من يحسب أو إلى الذين قتلوا. والمفعول الأول محذوف لأنه في الأصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة . وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المتقتولين ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ أي بل هم أحياء . وقرئ بالنصب على معنى بل أحسبهم أحياء .﴿عِنْدَ رَبِّهِم﴾ ذوو زلفى منه ﴿يُرْزَقُونَ[١٦٩]﴾ من الجنة وهو تأكيد لكونهم أحياء.

﴿فَرِحِيْنَ بِمَآ اٰتٰهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ﴾ وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ يسرون بالبشارة ﴿بِالَّذِيْنَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي بإخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم ﴿مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي الذين من خلفهم زماناً أو رتبة ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[١٧٠]﴾ بدل من الذين والمعنى : إنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين، وهو إنهم إذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور.

قوله: حال مقدرة بـ" قد": لأن الواو للحال لأن المعنى عليه دون العطف.

قوله: والمفعول الأول محذوف :على ما هو مذهب الاخفش و الكوفيين من جواز الاقتصار على أحد المفعولين ومذهب سيبويه المنع.

قوله بل أحسبهم أحياء: بلفظ الأمر با لحسبان لأنه ظن لاشكٌّ والتكليف با لظن واقع كقوله فاعتبروا أمر با لقياس وتحصيل الظن على ما يراه الأصو ليون.

قوله: بدل من الذين: هو بدل اشتمال والمعنى يستبشرون بعدم الخوف و الحزن على الذين خلفهم من المؤمنين .

وحزن فوات محبوب. والآية تدل على أن الإنسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ، ولا يتوقف عليه إدراكه وتألمه والتذاذه. ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون :﴿النار يعرضون عليها﴾[غافر: ٤٦] الآية وما روى ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال "أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل معلقة في ظل العرش" ومن أنكر ذلك ولم ير الروح إلا ريحاً وعرضاً قال: هم أحياء يوم القيامة . وإنما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه أو أحياء بالذكر أو بالإيمان وفيهاحث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة وإحماد لمن يتمنى لإخوانه مثل ما أنعم عليه . وبشرى للمؤمنين بالفلاح .

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ كرره للتأكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ ويجوز أن يكون الأول بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ ثواباً لأعمالهم ﴿وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه كقوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[١٠. يونس: ٢٦] وتنكيرهما للتعظيم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ[١٧١]﴾ من جملة المستبشر به عطف على فضل . وقرأ الكسائي بالكسر على أنه استئناف معترض دال على أن ذلك أجرلهم على إيمانهم مشعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطة وأجوره مضيعة.

﴿الَّذِيْنَ اسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ صفة للمؤمنين ، أو نصب على المدح أو مبتدأ خبره ﴿ لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيْمٌ[١٧٢]﴾ بجملته و"من"

قوله:وما روى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: أي ويؤيد ذلك ماروي عن ابن عباس، وهذا بناء على ماقيل إنه على ظاهره و أن أرواح الشهداء أعني نفوسهم التى بها الإدراك والتمييز تحل أبدان الطيور الخضر المتنعمة في الجنة فتلتذ بذلك أ و تتمثل طيورأو تتعلق بها: أي بالأبدان كما في حال حيوتهم .وقيل المراد أنها تتعلق بالكواكب والأفلاك فتلتذ بذلك و تكتسب زيادة كمال وهذا يلائم القناديل المعلقة تحت العرش .

قوله: وليعلق به ما هو بيان لقوله تعالى:﴿ أن لا خوف عليهم﴾: يعني ليتعلق به﴿بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ وهو بيان وتفسير لقوله تعالى:﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ لأن الخوف غم يلحق الإنسان مما يتوقعه من السوء ، والحزن يلحقه من فوات نافع أوحصول ضارّ فمن كان متقلبا في نعمة من الله فلا يحزن أبدًا، ومن جعلت أعماله مشكورة غير ضُيّعة فلا يخاف العاقبة .

للبيان . والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد. لأن المستجيبين كلهم محسنون متقون . روي أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهمّوا بالرجوع ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب أصحابه للخروج في طلبه وقال: لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس ، فخرج عليه الصلاة والسلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد ـ وهي ثمانية أميال من المدينة ـ وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر، وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت .

﴿الَّذِيْنَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس ،أو نعيم بن مسعود الأشجعي . وأطلق عليه الناس لأنه من جنسهم كمايقال: فلان يركب الخيل وماله إلا فرس واحد،أو لأنه انضم إليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُمْ﴾يعني أبا سفيان وأصحابه، روى أنه نادى عند انصرافه من أحد : يا محمد، موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه الصلاة والسلام : إن شاء الله تعالى . فلما كان القابل خرج في أهل مكة حتى نزل بمرّ الظهران فأنزل الله الرعب في قلبه وبداله أن يرجع ، فمر به ركب عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب أن ثبطوا المسلمين . وقيل : لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمراً فسأله ذلك والتزم له عشراً من الإبل ، فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم: أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد أفترون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا ، فقال عليه السلام :والذي نفسي بيده لأخرجن ولولم يخرج معي أحد" فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون حسبناالله ﴿ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا﴾ الضمير المستكن للمقول، أو لمصدر قال، أو لفاعله إن أريد به نعيم وحده ، والبارز للمقول لهم والمعنى :أنهم لم يلتفوا إليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد إيمانهم وأظهروا حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده . وهو دليل على أن الإيمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا:يا رسول الله ، الإيمان يزيد وينقص. قال: نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار" وهذا ظاهر إن جعل الطاعة من جملة الإيمان وكذا إن لم تجعل فإن اليقين يزداد بالإلف وكثرة التأمل وتناصر

قوله: موسم بدر :اسم مكان من الوسم ثم أطلق على الأيام المشهورة كالأعياد وأيام الحج والحروب العظام .

قوله:أن ثبطوا المسلمين:أي يشيعوا عن الخروج، يقال: ثبط عن الأمر أي أشاع .

الحجج ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ محسبنا وكافينا، من أحسبه إذا كفاه، ويدل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالإضافة تعريفاً في قولك: هذا رجل حسبك. ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ[١٧٣]﴾ ونعم الموكول إليه هو فيه .

﴿فَانْقَلَبُوا﴾ فرجعوا من بدر﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ عافية و ثبات على الإيمان وزيادةفيه ﴿وَفَضْلٍ﴾ وربح في التجارة، فإنهم لما أتوا بدراًوأوفوا بها سوقاً فاتجروا وربحوا. ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ من جراحة وكيد عدو ﴿ وَّاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم﴿وَاللَّهُ ذُوْ فَضْلٍ عَظِيْمٍ[١٧٤]﴾ قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين وإظهار الجرأة على العدو ، وبالحفظ عن كل ما يسوء هم ، وإصابة النفع مع ضمان الأجر حتى انقلبوا بنعمة اللّٰه وفضل . وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به .

﴿إِنَّمَا ذٰلِكُمُ الشَّيْطٰنُ﴾ يريد به المثبط نعيماً أو أبا سفيان ، والشيطان خبر "ذلكم" وما بعده بيان لشيطنته أو صفته وما بعده خبر . ويجوز أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف أي إنما ذلكم قول الشيطان يعني إبليس عليه اللعنة ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهٗ﴾القاعدين عن الخروج مع الرسول، أو يخوفكم أولياؤه الذين هم أبو سفيان وأصحابه﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ الضمير للناس الثاني على الأول وإلى الأولياء على الثاني ﴿وَخَافُونِ﴾ في

قوله: يريد به المثبط : يعني أن ذلكم الشيطان إن كان إشارة إلى القائل "إن الناس قد جمعوا لكم" فالشيطان يحتمل أن يكون خبرا وأن يكون صفة والمعنى على التشبيه، وإن كان إشارة إلى القول فالشيطان خبر على تقدير المضاف والشيطان هو إبليس فالتجوز في الإضافة حيث أضيف قول نعيم إلى إبليس .

قوله:﴿ يخوف أولياءه﴾ القاعدين عن الخروج :والمراد بالتخويف ما أوقع الشيطان على قلوبهم من الجبن والرعب .

قوله:الضمير للناس الثاني على الأول: أي على تقدير أن يكون المراد بالأولياء القاعدين عن الخروج .الضمير يرجع إلى الناس الثاني المذكورين بقوله تعالىٰ:﴿ إن الناس قد جمعوا لكم﴾ وهم أبو سفيان وأصحابه، والناس الأول هم المذكورون بقوله تعالىٰ:﴿ الذين قال لهم الناس﴾، وعلى تقدير أن يكون المراد أبا سفيان وأصحابه وهو على تقدير أن يكون الشيطان صفة لذلكم يرجع الضمير إلى أولياؤه .

مخالفة أمري فجاهدوا مع رسولي﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ[١٧٥]﴾ فإن الإيمان يقتضي إيثار خوف الله تعالى على خوف الناس.

﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِيْنَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾يقعون فيه سريعاً حرصاً عليه .وهم المنافقون من المتخلفين ، أو قوم ارتدوا عن الإسلام . والمعنى لا يحزنك خوف أن يضروك ويعينوا عليه لقوله:﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللّٰهَ شَيْئًا﴾ أي لن يضروا أولياء الله شيئًا بمسارعتهم في الكفر، وإنما يضرون بها أنفسهم . وشيئًا يحتمل المفعول والمصدر ، وقرأ نافع: يحزنك بضم الياء وكسر الزاي حيث وقع ما خلا قوله. في الأنبياء لا يحزنهم الفزع الأكبر. فإنه فتح الياء وضم الزاي فيه والباقون كذلك في الكل﴿يُرِيْدُ اللّٰهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ نصيباً من الثواب في الآخرة . وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر. وفي ذكر الإرادة إشعار بأن كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته. وإن مسارعتهم في الكفر؛ لأنه تعالى لم يرد أن يكون لهم حظ في الآخرة ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ[١٧٦]﴾ مع الحرمان عن الثواب.

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيْمَانِ لَنْ يَّضُرُّوا اللّٰهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ[١٧٧]﴾تكرير للتأكيد . أو تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين . أو ارتد من العرب .

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّاَنْفُسِهِمْ﴾ خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل من يحسب . و"الذين" مفعول و"أنما نملي لهم" بدل منه . وإنما اقتصر على مفعول واحد لأن التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون ﴾[٢٥.الفرقان: ٤٤] أو المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل:ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم، أو ولا تحسبن حال

قوله:وإنما يضرون بها أنفسهم :بين كيف يعود وباله عليهم بقوله تعالىٰ:﴿ يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة﴾ .

قوله: وشيئا يحتمل المفعول و المصدر: والتقدير على الأول بشيء من الضر وعلى الثاني شيئا من الضر .

قوله:لأن التعويل على البدل: يعني أن المبدل منه في حكم التوطية وإنما المقصود هو البدل وهو ينوب عن المفعولين لكون "أن" المفتوحة مع الإسم والخبر تقوم مقام المفعولين .

الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم . و"ما" مصدرية وكان حقهاأن تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الإمام فاتبع. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على أن "الذين" فاعل و"أن" مع ما في حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر و حمزة وعاصم .والإملاء الإمهال وإطالة العمر. وقيل تخليتهم وشأنهم، من أملى لفرسه إذا أرخى له الطِّوَل ليرعى كيف شاء وا ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ استئناف بما هو العلة للحكم قبلها. و"ما" كافة واللام لام الإرادة ، وعند المعتزلة لام العاقبة . وقرئ أنما بالفتح هنا وبكسر الأولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاء نا لهم لا زيادة الإثم بل للتوبة والدخول في الإيمان ." وإنما نملي لهم خير" اعتراض معناه أن املاء نا خير لهم إن انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ[١٧٨]﴾ على هذا يجوز أن يكون حالاً من الواو أي ليزدادوا إثماً معداً لهم عذاب مهين .

﴿مَا كَانَ اللّٰهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلٰى مَآ أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّٰى يَمِيْزَ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره . والمعنى لا يتركم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتَّى يميز المنافق من المخلص بالوحي إلى نبيه بأحوالكم ، أو بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها إلا الخلص المخلصون منكم ، كبذل الأموال والأنفس في سبيل الله؛ ليختبر النبي به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم . وقرأ حمزة والكسائي حتى يميز هنا، وفي الأنفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها، والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء ﴿ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلٰكِنَّ اللّٰه يَجْتَبِى مِنْ رُّسُلِهٖ مَنْ يَّشَآءُ﴾ وما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وإيمان . ولكن الله يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي إليه ويخبره ببعض المغيبات ، أو ينصب له ما يدل عليها.﴿ فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖ﴾ بصفة الإخلاص:أي بأن تعلموه وحده مطلعاً على الغيب وتعلموهم عباداً مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يقولون إلا ما أوحي إليهم ،روي أن الكفرة قالوا: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت. وعن السدي أنه عليه السلام قال" عرضت عليَّ أمتي وأعلمت من

قوله: في الإمام :أي مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه .

قوله: واللام لام الإرادة: لأن الله تعالى يريد الخير والشر في حق العباد، وعند المعتزلة لام العاقبة؛ لأن الأصلح واجب عليه تعالى في حقهم عندهم .

يؤمن بي ومن يكفر" فقال المنافقون إنه يزعم أنه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت﴿وَإِنْ تُؤمِنُوا﴾ حق الإيمان ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ النفاق.﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيْمٌ[١٧٩]﴾ لايقادر قدره .

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ يَبْخَلُونَ بِمَآ اٰتٰهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ القراء ات فيه على ما سبق . ومن قرأ بالتاء قدر مضافاً ليتطابق مفعولاه: أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم . وكذا من قرأ بالياء إن جعل الفاعل ضميرِ الرسول اللّٰهﷺ او من يحسب وإن جعله الموصول كان المفعول الأول محذوفاً لدلالة يبخلون عليه: أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيراً لهم .﴿بَلْ هُوَ﴾ أي البخل .﴿شَرٌّ لَّهُمْ﴾ لاستجلاب العقاب عليهم.﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهٖ يَومَ الْقِيٰمَةِ﴾ بيان لذلك . والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق . وعنه عليه الصلاة والسلام " ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعله اللّٰه شجاعاً في عنقه يوم القيامة"﴿ وَلِلّٰهِ مِيْرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ وله ما فيهما مما يتوارث . فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله . أو أنه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة ﴿ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المنع والإعطاء.﴿ خَبِيْرٌ[١٨٠]﴾ فيجازيكم . وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو أبلغ في الوعيد.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللّٰه قَوْلَ الَّذِيْنَ قَالُوْآ إِنَّ اللّٰه فَقِيْرٌ وَنَحنُ أَغْنِيَآءُ﴾ قالته اليهود لما سمعوا﴿من ذا الذي يقرض اللّٰه قرضاً حسناً﴾ [٢. البقرة : ٢٤٥[٥٧. الحديد: ١١] وروي أنه عليه الصلاة والسلام كتب مع أبي بكر رضي اللّٰه تعالى عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا اللّٰه قرضاً حسناً فقال فنحاص بن عازوراء : إن اللّٰه فقير حتى سأل القرض ، فلطمه أبو بكر رضي اللّٰه عنه على

قوله: والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوابه: إشارة إلى أن هذا تمثيل ولا طوق حقيقةً، وقيل هو على حقيقة وأنهم يطوقون حية أو طوقا من نار، وقوله: "وروي عنه عليه السلام ما من رجل" إشارة إلى قول البعض ومستدله .

قوله: قالته اليهود لما سمعوا ﴿من ذاالذي يقرض اللّٰه قرضا حسنا﴾: حيث استقرض فنحن أغنياء وهو فقير فلا يخلو إما أن يقولوه عن اعتقاده كذلك أ وعن استهزائه بالقرآن، وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر إلا عن متمردين في الكفر.

وجهه وقال: لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله ﷺ وجحد ما قاله فنزلت: والمعنى أنه لم يخف عليه وأنه أعد لهم العقاب عليه ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي سنكتبه في صحائف الكتبة ، أو سنحفظه في علمنا ولا نهمله ؛لأنه كلمة عظيمة؛ إذ هو كفر بالله عزوجل واستهزاء بالقرآن والرسول . ولذلك نظمه مع قتل الأنبياء . وفيه تنبيه على أنه ليس أول جريمة ارتكبوها وأن من اجترأ على قتل الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول . وقرأ حمزة سيُكتب بالياء وضمها وفتح التاء، وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ﴿وَنَقُولُ ذُوْقُوا عَذَابَ الْحَرِيْقِ[١٨١]﴾ أي وننتقم منهم بأن نقول لهم: ذوقوا العذاب المحرق . وفيه مبالغات في الوعيد . والذوق إدراك الطعوم ، وعلى الاتساع يستعمل لإدراك سائر المحسوسات والحالات. وذكره هٰهنا؛ لأن العذاب مرتب على قولهم الناشيء عن البخل والتهالك على المال . وغالب حاجة الإنسان إليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله به للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الأكل مع المال﴿ذٰلِكَ﴾إشارة إلى العذاب﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْكُمْ﴾ من قتل الأنبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم ، عبر بالايدي عن النفس ؛لأن أكثر أعمالها بهن ﴿ وَأَنَّ اللّٰه لَيْسَ بَظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ[١٨٢]﴾عطف على "ما قدمت"، و سببيته للعذاب من حيث إن نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء.

﴿اَلَّذِيْنَ قَالُوٓا﴾ هم كعب بن الأشرف ومالك وحي وفنحاص ووهب بن يهوذا﴿إِنَّ اللّٰهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ أمرنا في التوراة وأوصانا﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُوْلٍ حَتّٰى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نا ر سماوية فتأكله: أي تحيله إلى طبعها بالإحراق . وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم؛ لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك ﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنٰتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ[١٨٣]﴾ تكذيب وإلزام بأن رسلاً جاؤهم

قوله:وفيه مبالغات في الوعيد.أي في قوله:﴿ لقد سمع الله﴾ الخ. مبالغات في الوعيد حيث قال سمع الله ولم يقل: أنهم قالوا إن الله فقير، وأكد بالكتابة، ونظمه قتل الأنبياء، وجعله مثلاً، وصرح بأنهم ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ .وقوله: ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا﴾ في موضع جر بدل من ﴿الذين قالوا إن الله فقير﴾، أوصفة للعباد، أو نصب بإضمارهم.

قوله: شرع .بفتح الشين والراء .

قبله كزكريا ويحيي بمعجزات أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوا فقتلوهم . فلو كان الموجب للتصديق هو الإتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الإيمان لأجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات أخر واجترؤا على قتله .

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَآؤُوابِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيْرِ[١٨٤]﴾ تسلية للرسول ﷺ من تكذيب قومه واليهود . والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء إذا حبسته . والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن . وقيل: الزبر المواعظ والزواجر، من زبرته إذا زجرته . وقرأ ابن عامر "وبالزبر" وهشام "وبالكتاب" بإعادة الجار للدلالة على أنها مغايرة للبينات بالذات.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ وعد ووعيد للمصدق والمكذب . وقرئ ذائقةَ الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله : وَلَا ذَاكِرُ اللّٰهَ إلا قَلِيلاً ﴿وَإِنَّمَا تُوَفُّونَ أُجُوْرَكُمْ﴾ تعطون جزاء أعمالكم خيراً كان أو شراً تاماً وافياً ﴿يَومَ الْقِيٰمَةِ﴾ يوم قيامكم من القبور . ولفظ التوفية يشعر بأنه قد يكون قبلها بعض الأجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام : " القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. "﴿فَمَنْ زُحزِحَ عَنِ النَّارِ﴾ بعد عنها . والزحزحة في الأصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ

قوله: على الحكم: جمع حكمة وهي ما يترتب على الشيء ويكون زائدة له.

قوله: بالنصب مع التنوين وعدمه: أي بنصب الموت وتنوين ذائقة على ما هو الأصل وعدم تنوينه بناء على أن الأصل في التنوين عند ملاقاة الساكن أن يحرك بالكسر وأنهم قد يحذفون التنوين عند ملاقاة ساكن إما طلبا للخفة أو فرارا من التقاء الساكنين كما في قول أبى الأسود الدئلى:

فذكّرته ثم عاتبتُه عتابًارفيقًا وقولًا جميلًا
فأَلْفَيتُه غير مستعتبٍ ولا ذاكر اللّٰه إلا قليلًا

الأصل ذاكر بالتنوين مجرورا معطوفا على مستعتب ولا إضافة؛ لأن اللّٰه منصوب وإسم الفاعل معتمد على النفي، أو على المبتدأ في التقدير كما تقول أنت غير ضارب زيداً: أي لا ضارب فحذف التنوين والمعنى ذكرته ماكان بيننا من العهود والمودات وعاتبته أدنى عتاب فما وجدته طالب رضاي، يقال استعتبته فاعتبني: أي استرضيته فأرضاني.

﴿فَقَدْ فَازَ﴾ بالنجاة ونيل المراد . والفوز الظفر بالبغية . وعن النبي ﷺ " من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر . ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه " ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾ أي لذاتها وزخارفها ﴿إِلَّا متاع الْغُرُورِ[١٨٥]﴾ شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه . وهذا لمن آثرها على الآخرة . فأما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر أو جمع غار .

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أي والله لتختبرن ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بتكليف الإنفاق وما يصيبها من الآفات ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالجهاد والقتل والأسر والجراح . وما يرد عليها من المخاوف والأمر والمتاعب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ من هجاء الرسول ﷺ . والطعن في الدين وإغراء الكفرة على المسلمين، أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال . ويستعدوا للقائها حتى لا يرحقهم نزولها ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ مخالفة أمر الله ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعني الصبر والتقوى . ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ[١٨٦]﴾ من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها . أو مما عزم الله عليه: أي أمر به وبالغ فيه . والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه .

قوله: ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتي: في الأساس: آتى إليه إحسانا أي فعله أى يحسن إلى الناس ما يحب أن يحسن إليه.

قوله: بالمتاع الذي يدلس به على المستام: التدليس في البيع كتمان عيب السلعة عن المشتري، والمستام المشتري. في المغرب "لا يسوم الرجل على سوم أخيه" أي لا يشتري .

قوله: متاع بلاغ : أي تبليغ وإيصال إلى الآخرة .

قوله: حتى لا يرهقهم نزولها: أي لا يغشاهم فينكرونها ويشمئز منها أنفسهم .

قوله: من معزومات الأمور التي تجب أن يعزم عليها: يعني أن العزم مصدر مبني للمفعول: أي بمعنى المعزوم عليه، يقال عزمت على الأمر إذا أردت فعله وقطعت به ولم يسمع عزمته، والفاعل إما العبد بمعنى أنه يجب عليه أن يعزم، أو الله بمعنى أنه أراد وقطع أن يكون ذلك بأن أمر به وبالغ فيه .

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ أي اذكر وقت أخذه ﴿مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يريد به العلماء ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ حكاية لمخاطبتهم . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لأنهم غيب . واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله ﴿أخذ الله ميثاق الَّذين﴾ والضمير للكتاب ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ أي الميثاق ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يراعوه ولم يتلتفتوا إليه .والنبذ واء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات . ونقيضه جعله نصب عينيه وإلقاؤه بين عينيه ﴿وَاشْتَرَوا بِهِ﴾ وأخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من حطام الدنيا وأعراضها ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ[١٨٧]﴾ يختارون لأنفسهم . وعن النبي ﷺ "من كتم علماً عن أهله ألجم بلجام من نار" وعن على رضي الله تعالى عنه "ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعلموا".

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَنْ يُّحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ الخطاب للرسول ﷺ . ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين . والمفعول الأول "الذين يفرحون" والثاني "بمفازة" . وقوله" فلا تحسبنهم" تأكيد والمعنى : لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق وإظهار الحق والإخبار بالصدق بمفازة منجاة من العذاب:أي فائزين بالنجاة منه . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني على أن "الذين" فاعل، ومفعولا"لا يحسبن" محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده . فكأنه قيل : ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا فلا يحسبن أنفسهم بمفازة، أو المفعول الأول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الأول .﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[١٨٨]﴾ بكفرهم وتدليسهم . روي أنه عليه الصلاة والسلام: سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فأخبروا بخلاف ماكان فيها وأروه أنهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت. وقيل: نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في

قوله: واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله:﴿ وإذ أخذ الله ﴾:لأنه في معنى القسم في التأكيد: أي والله لتبيننه .

قوله: نصب عينه: بالضم والفتح .والفتح لحن كذا في القاموس .

قوله: وكأنه قيل: ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا فلا يحسبن أنفسهم بمفازة أي لا يحسبن الذين يفرحون إياهم أي أنفسهم بمفازة فلا يحسبن أنفسهم بمفازة .

التخلف وا ستحمدوابه. وقيل: نزلت في المنافقين فإنهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو يملك أمرهم ﴿وَاللَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[١٨٩]﴾ فيقدر على عقابهم. وقيل هو رد لقولهم إن الله فقير ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَاٰيٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ[١٩٠]﴾ لدلائل واضحة على وجود الصانع و وحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة. ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لأن مناط الاستدلال هو التغير. وهذه متعرضة لجملة أنواعه فإنه إما أن يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار، أو جزءه كتغير العناصر بتبدل صورها، أو الخارج عنه كتغير الأفلاك بتبدل أوضاعها. وعن النبي ﷺ: "ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها"

﴿الَّذِيْنَ يَذْكُرُونَ اللّٰهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلٰى جُنُوبِهِمْ﴾ أي يذكرونه دائماً على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين. وعنه عليه الصلاة والسلام "من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله" وقيل: معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين: "صل قائما فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب تومىء إيماء" فهو حجة للشافعي رضي الله عنه في أن المريض يصلي مضطجعاً على جنبه الأيمن مستقبلاً بمقاديم بدنه ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ استدلالاً واعتباراً. وهو أفضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام

قوله: لدلائل واضحة على وجود الصانع: أما أن فيها دلائل واضحةعلى وجود الصانع فواضح، وأما أن فيها دلائل على وحدته فلما تقرر في علم الكلام أن الصانع يجب أن يكون واجب الوجود لذاته، إذلوكان ممكنا لذاته لدار أو تسلسل، وأن وجوب الوجود لذاته يستلزم الوحدة، وأما أن فيها دلائل على كمال علمه وقدرته فلأن خلقهما على هذا النمط العجيب، وكذا اختلاف الليل والنهار على هذا النمط العجيب لا يكون بدون كمال علمه وقدرته.

قوله: استدلا لا واعتبارا: أما استدلالاًفبأن يستدل به على وجود الصانع كما مر وأما اعتبارًا فبأن يعتبر ويتعظ بأن من كان يقدر على مثل هذا المخلوق ويعلمه يقدر على الإنسان ويعلمه بجميع أحواله، لا يخفى عليه شيء منها فيسعى في عبادته ويخاف فيما نهى عنه.

"لاعبادة كالتفكر" لأنه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق. وعنه عليه الصلاة والسلام: "بينما رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم فقال: أشهد أن لك رباً وخالقاً، اللهم اغفرلي فنظر الله إليه فغفرله" وهذا دليل واضح على شرف علم الأصول وفضل أهله ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا﴾على إرادة القول: أي يتفكرون قائلين ذلك وهذا إشارة إلى المتفكر فيه :أي الخلق على أنه أريد به المخلوق من السمٰوٰتِ والأرض، أو إليهما؛ لأنهما في معنى المخلوق. والمعنى ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها أن يكون مبدأ لوجود الإنسان وسبباً لمعاشه ودليلايدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الأبدية والسعادة السرمدية في جوارك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[١٩١]﴾ للإخلال بالنظر فيه، والقيام بما يقتضيه. وفائدة الفاء هي الدلالة على أن علمهم بما لأجله خلقت السموات والأرض حملهم على الاستعاذة.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهٗ﴾ غاية الإخزاء، وهو نظير قولهم: من أدرك مرعى الصَّمان فقد أدرك. والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيهاً على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه. وفيه إشعار بأن العذاب الروحاني أفظع ﴿وَمَا لِلظّٰلِمِيْنَ مِنْ أَنْصَارٍ[١٩٢]﴾

قوله:وهذا إشارة إلى المتفكر فيه :وهو الظاهر المناسب المسوق، ولهذا اختاره، وقدمه على غيره: أي قائلين هذا المتفكر فيه ما خلقته باطلاعبثا وإن كان يتوهم في بادي النظر ذلك بل لحكمةٍ عظيمةٍ تظهر بالتفكر، أوالخلق من السموات والأرض بناء على أنه أريد به المخلوق إذ لا معنى لخلقه الخلق بمعنى المصدر،أو إلى السموات والأرض بتأويل المخلوق.

قوله: أن يكون مبدأ لوجود الإنسان:بناء على ما قالوا أن آباء ه العلويات وأمهاته السفليات لأنها مؤثرات بأوضاعها توجب الاستعدادات فيالسفليات، والسفليات متأثرات تقبل الاستعدادات فيتولد الإنسان وغيره من عالم المركبات، وكذلك تؤثر بأوضاعها السحب والاستعدادت النباتية فينبت الزروع والأشجار.

قوله: فقد أدرك :أي أدرك مرعى ليس بعده مرعى والصمّان جبل.

قوله: وفيه إشعار بأن العذاب الروحاني أفظع: لأنه رتب على عذاب النار الذي هو أفظع العذاب الخزي، وهو الاستحياء الذي هو عذاب الروح فيكون أفظع من العذاب الجسماني. وقيل: إن الآية تدل على التهديد بالخزي بعد عذاب النار والخزي عبارة عن

أراد بهم المدخلين . ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن ظلمهم سبب لإدخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها . ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لأن النصر دفع بقهر .

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ أوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه ، وفيه مبالغة ليست في إيقاعه على نفس المسموع، وفي تنكير المنادى وإطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه ، والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام، وقيل القرآن . والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بـ" إلى واللام" لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ﴿أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ أي بأن آمنوا فامتثلنا﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ كبائرنا فإنها ذات تبعة ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ صغائرنا فإنها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ[١٩٣]﴾ مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم . وفيه تنبيه على أنهم محبون لقاء الله . ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . والأبرار جمع برّ أو بارّ كأرباب وأصحاب.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب. لما أظهر امتثاله لما أمر به سأل ما وعد عليه لا خوفاً من إخلاف الوعد بل مخافة أن لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة ، أو قصور في الامتثال أو تعبداً أواستكانة . ويجوز أن يتعلق "على" بمحذوف تقديره:" ما وعدتنا منزلاً على رسلك" ، أو محمولاً عليهم . وقيل: معناه على ألسنة رسلك﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن تعصمنا مما يقتضيه﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ[١٩٤]﴾ بإثابة المؤمن وإجابة الداعي، وعن ابن عباس رضي الله عنهما:

الخجل وهو عذاب روحاني فالتعذيب الروحاني أشد فعلى هذا لا حاجة إلى الإرادة بالنار نارالحرمان كما قيل .

قوله: وفيه مبالغة ليست في إيقاعه على نفس المسموع؛ لأن فيه إشعاراً بأنه بلغ في الإسماع بحيث يكون نفس المسموع .

قوله: أي آمنوا أو بأن آمنوا:بأن كلمة أن يحتمل أن يكون مفسرة لما في ينادى من معنى القول وأن يكون مصدرية بتقدير الباء .

قوله: أواستكانة .عطف تفسير للتعبد أي للخضوع وإظهار الاحتياج على إيفاء الموعود.

الـميعادالبعث بعد الموت. وتكرير "ربنا" للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها . وفي الآثار" من حَزِبهُ أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف ".

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ إلى طلبتهم ، وهو أخص من أجاب ويعدى بنفسه وبالـلام ﴿أَنِّي لَآ أُضِيْعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ﴾ أي بأني لا أضيع . وقرئ بالكسر على إرادة القول ﴿مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثٰى﴾ بيان عامل ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ لأن الذكر من الأنثى والأنثى من الـذكـر ، أو لأنهما من أصل واحد ، أو لفرط الاتصال والاتحاد، أو للاجتماع والاتفاق في الدين . وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال . روي:أن أم سلمة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله ، إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت:﴿فَالَّذِيْنَ هَاجَرُوا﴾ إلخ . تفصيل لأعمال العمال وما أعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم . والمعنى فالذين هاجروا الشرك أو الأوطان والعشاير للدين ﴿وَأخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِى سَبِيْلِي﴾ بسبب إيمانهم بالله ومن أجله ﴿وَقَاتَلُوا﴾الكفار﴿وَقُتِلُوا﴾ في الجهاد . وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لأن الواو لا توجب ترتيباً والثاني أفضل ، أو لأن المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا .

قوله: ﴿بعضكم من بعض﴾ .أي بعضكم ناش وجزء من بعض لأن الذكرناش وجزء من الأنثى الذي هى الأم ومتولد منها وكذلك الأنثى يتولد من الذكر الذي هو الأب وجزء منه، وكل واحد منهما ينشأ من الآخر وجزء منه. أو لأنهما من أصل واحد في كون كل واحد منهما منشأ للآخر وجزأ له باعتبار الأصل ويكون هذا الكلام على الاستعارة التمثيلية، شبه فرط اتصالهم واتحادهم واجتماعهم وموافقتهم في الدين بفرط اتصال بين شيئين يكون أحدهما جزأ من الآخر.

قوله: لأن الواولا توجب ترتيبا. فيكون المعنى" وقاتلوا أولاثم قتلوا" كما في القراءة الأولى وهو الحق كقوله:﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ أي تصرفهم في التجارات وهذا ترغيب لهم عن الدنيا وتزويرلهم فيها والغرور أن يستحسن الرجل شيئاً في الظاهر ثم يجده عند التفتيش على خلافه .

قوله:والثاني أفضل. أي قراءة حمزة والكسائي أفضل من القراءة الأولى لأن فيها ترقي في المدح من الادنى إلى الأعلى لأن المقاتلة أفضل من المقتولية وإن كان فيها أفضيلة الشهادة لأن في المقاتلة إعلاء كلمة إلى يوم القيامة .

وشدّد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّاٰتِهِمْ﴾ لأمحوَّنها . ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ﴾ أي أثيبهم بذلك إثابة من الله تفضلاً منه ، فهو مصدر مؤكد﴿ وَاللّٰهُ عِنْدَهٗ حُسْنُ الثَّوَابِ[١٩٥]﴾ على الطاعات قادرعليه.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا فِى الْبِلَادِ[١٩٦]﴾ والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته أو تثبيته على ماكان عليه كقوله ﴿فلا تطع المكذبين﴾[٦٨.القلم:٨] أو لكل أحد . والنهي في المعنى للمخاطب وإنما جعل للتقلب تنزيلاً للسبب منزلة المسبب للمبالغة . والمعنى لا تنظرإلى ما الكفرة عليه من السعة والحظ، ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم . روي أن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون : إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت.

﴿مَتَاعٌ قَلِيْلٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف: أي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما أعدالله للمؤمنين ، قال عليه الصلاة والسلام " ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع " ﴿ثُمَّ مَأْوٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ[١٩٧]﴾ أي ما مهدوا لأنفسهم .

﴿لٰكِنِ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّٰتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ﴾ النزل والنزول ما يعدُّ للنازل من طعام وشراب وصلة، قال أبو الشعر الضبي:

وَكُنَّا إِذَا الجَبَّارُ بِالْجَيْشِ ضَافَنَا جَعَلْنَا القَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ لَهُ نُزلا

قوله: أو تثبيته على ماكان عليه: يعني كان رسول الله ﷺ غير مغرور بحالهم فأكد عليه ماكان عليه من عدم الإغرار وثبت على التزامه كقوله :﴿ ولا تطع المكذبين ولا تكونن من المشركين﴾

قوله: والنهي في المعنى للمخاطب:لأن المعنى لا تغتر بما الكفرة عليه ولا تنظر إليه، وإنما جعل النهي للتقلب لأنه سبب الاغترار .

قوله: لقصر مدته في جنب ما أعدالله للمؤمنين : من متاع الآخرة وثوابها فالأول بإعتبار المدة والثاني باعتبار نفسه. فإن ما أعد للمؤمنين كثير في نفسه .

قوله: وكنّا إذا الجبار: أي المتسلط العاتي، وضا فنا: أي نزل بنا ضيفا، والباء في بالجيش للتعدية أوللمصاحبة، يقول: إذا جعل الملك الجبار الجيش ضيفا لنا أو إذا صار مع الجيش ضيفا لنا، والمرهفات السيوف الباترات، جعل المرهفات نزلا على سبيل التهكم .

وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف . وقيل إنه مصدر مؤكد والتقدير أنزلها نزلاً ﴿وَمَا عِنْدَ اللّٰهِ﴾ لكثرته ودوامه ﴿خَيْرٌ لِّلْاَبْرَارِ[١٩٨]﴾ مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ لَمَنْ يُؤمِنُ بِاللّٰه﴾ نزلت في عبد اللّٰه بن سلام وأصحابه . وقيل في أربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فأسلموا. وقيل في أصحمة النجاشي لما نعاه جبريل إلى رسول اللّٰه ﷺ فخرج فصلى عليه فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط . وإنما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين "إن" بالظرف ﴿ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من القرآن ﴿وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتابيين ﴿ خٰشِعِيْنَ لِلّٰهِ﴾ حال من فاعل يؤمن، وجمعه باعتبار المعنى ﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ ثَمَنًا قَلِيْلاً﴾ كما يفعله المحرفون من أحبارهم ﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ما خص بهم من الأجر ووعده في قوله تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴾[٢٨. القصص: ٥٤] ﴿ إِنَّ اللّٰهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ﴾ لعمله بالأعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط . والمراد أن الأجر الموعود سريع الوصول فإن سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء.

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اصْبِرُوا﴾ على مشاق الطاعات وما يصيبكم من ا لشدائد ﴿وَصَابِرُوا﴾ وغالبوا أعداء اللّٰه بالصبر على شدائد الحرب، أوأعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى . وتخصيصه بعد الأمر بالصبر مطلقاً لشدته ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أبدانكم وخيولكم

قوله: إنه مصدر مؤكد:أي لمضمون جملة ﴿لهم جنات﴾ والتقدير أنزلوها نزلا على بناء المفعول والواو مفعوله الأول و'ها' مفعوله الثاني.

في أصحمة النجاشي: بفتح النون وتخفيف الجيم وسكون الياء لقب ملك الحبشة .أسلم وآمن بالنبي ﷺ .

فخرج فصلى: فعند الشافعي رحمه اللّٰه تعالى يجوز الصلوٰة على الغائب وعند أبي حنيفة رحمه اللّٰه تعالى لا يجوز، ولهذا قال صاحب الكشاف: فأبصر سرير النجاشي .

قوله: حال من فاعل يؤمن. وكذا"لا يشترون" حال آخر منه، لامن أهل الكتاب لأن جميع أهل الكتاب ليسوا خاشعين ولا غير مشترين بآيات اللّٰه ثمنا قليلا، ولا من الضمير المستكن في الظرف، لأن المقيد بالخشوع وكونهم غير مشترين بآيات اللّٰه ثمنا قليلا إيمانهم لا كونهم من أهل الكتاب .

فـي الثـغـور متـرصـديـن للغزو، وأنفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام:" من الـربـاط انتـظـار الـصـلاة بعد الصلاة" وعنه عليه الصلاة والسلام: " من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه، لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة " ﴿وَاتَّقُواْ اللّه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[٢٠٠]﴾اتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح ، أو واتـقـوا الـقبـائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المترتبة التيهي الصبر على مضض الـطاعات ومـصـابرة النفس فـي رفض العادات ومـرابـطة السـر على جناب الحق لترصد الـواردات الـمـعبـر عـنهـا بالشريعة والطريقة والحقيقة . عن النبي ﷺ : "من قرأ سورة آل عـمـران أعـطـي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم " وعنه عليه الصلاة والسلام " من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس" والله أعلم

قوله: كعدل. هو بالفتح المثل من غير الجنس وبالكسر المثل من الجنس .

قوله: على مضض الطاعات. أي مشقتها وهو في الأصل وجع المصيبة .

قوله: في رفض العادات. التي تعود بها من حيث المال والجاه والأهل .

سورة النساء مدنية

وآياتها ست و سبعون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب يعم بني آدم ﴿اتَّقُوْا رَبَّكُمْ الَذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَّاحِدَةٍ﴾ هي آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ عطف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد وخلق منه أمكم حواء من ضلع من أضلاله ، أو محذوف تقديره: من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها. وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيْراً وَّنِسَآءً﴾ بيان لكيفية تولدهم منهما، والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها

قوله: عطف على خلقكم .ذكر صاحب الكشاف الوجهين أحدهما وهو الذي اختاره حيث قدم على الثاني في أن المراد جميع بنى آدم، وأن ﴿خلق منها زوجها﴾ معطوف على محذوف لما أنه يلزم من العطف على خلقكم التكرار؛ لأن خلق الزوج وبث الرجال داخل في خلقكم من نفس واحدة .ويدل على المحذوف المعنى المقصود وهو أنه فرعكم من أصل واحد فلا بد من وضع الأصل وإنشائه أوّلا ثم ابتناء الفرع عليه ومن كون الأصل مثل الفرع في المخلوقية سيما وقد عبر عن البعض بلفظ الزوج إشعارًا بأن الكل جنس واحد، ثم المقصود من هذا الوصف بيان كيفية التفريع وتفصيل ما أجمل من الخلق والآخر أن المراد بالناس المخاطبين هم الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ لأنهم المامورون بالالتقاء حقيقة فإن خلق الزوج وبث الرجال والنساء غير داخلين في الناس المخاطبين، والمصنف عدل عن ذلك واختار أن المراد على الوجهين جميع بني آدم لا المبعوثون إليهم الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما في الخطابات العامة لجميع بني آدم، كقوله:﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان ﴾لما أن الأحكام الاتية يتناول جميع الناس لا المبعوث إليهم خاصة، وأن ﴿خلق منها زوجها﴾ لتقرير الخلق من نفس واحدة وأن "بث منهما رجالا ونساء" بيان لكيفية الخلق من نفس واحدة فلا يكونان داخلين في﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾فلا يلزم التكرار .

بنين وبنات كثيرة، واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها، إذ الحكمة تقتضي أن يكن أكثر . وذكر كثيراً حملاً على الجمع وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما فيه من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشىٰ.والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها. أو لأن المرا به تمهيد الأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها. وقرئ و"خالق" و"باث" على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ أي يسأل بعضكم بعضاً، تقول أسالك بالله. وأصله تتساء لون فأدغمت التاء الثانية في السين . وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك: مررت بزيد وعمراً . أو على "الله" أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها . وقرأ حمزة بالجر عطفاً على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة . وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك . أي مما يتقى أويتساء ل به . وقد نبه سبحانه وتعالى إذ قرن الأرحام باسمه الكريم على أن صلتها بمكان منه . وعنه عليه الصلاة والسلام " الرحم معلقة بالعرش تقول: ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله." ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْبًا[١]﴾ حافظاً مطلعاً .

﴿وَآتُوا الْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَالَهُمْ﴾ أي إذا بلغوا . واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات أبوه . من اليتم وهو الانفراد . ومنه الدرة اليتيمة ، إما على أنه لما أجري مجرى الأسماء كفارس

قوله: وترتيب الأمر بالتقوى .جواب سوال، تقرير السؤال أن جزالة النظم أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يدعو إليها فكيف كان خلقه تعالى إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره بقوله : ﴿وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾داعيا إليها. فأجاب بأن القصة مشتملة على القدرة الباهرة والنعمة الجسيمة والأول يوجب التقوى حذرا عن العقاب العظيم والثاني يدعوإليها وفاء بالشكر الواجب، وبأن هذا الأمر تمهيد وإنما المقصود الأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهله وبني جنسه .

قوله: لأنه كبعض الكلمة. أي الضمير المجرور كبعض الكلمة لأن الضمير المتصل كاسمه متصل والجار والمجرور كشيء واحد فاشبه العطف على بعض الكلمة .

قوله: أى مما يتقى .أي عن قطعها ويتسأل به، يقولون: بالرحم أفعل كذا على سبيل الاستعطاف .

وصاحب جمع على يتائم . ثم قلب فقيل يتامى ، أو على أنه جمع على يتمى كأسرى لأنه من باب الآفات . ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى وأسارى . والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ . وروده في الآية إما للبلغ على الأصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثاً على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أو نس منهم الرشد. ولذلك أمر بابتلائهم صغاراً أو لغير البلوغ، والحكم مقيد فكأنه قال: وآتوهم إذا بلغوا ، ويؤيد الأول ما روي : أن رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لا بن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه . فنزلت : فلما سمعها العم قال: أطعنا الله ورسوله، نعوذ بالله من الحوب الكبير ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيْثَ بِالطَّيِّبِ﴾ ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم ، أو الأمر الخبيث وهو اختزال أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها . وقيل ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها. وهذا تبديل وليس بتبدل .

قوله: إما على أنه لما أجري مجرى الأسماء. يعني أن فعيلا إذا كان اسما يجمع على فعائل، كأ فيل وافائل، وقل ذلك في الصفات فكون يتامى جمع يتيم إما بناء على أنه أجري مجرى الأسماء كصاحب وفارس فجمع على يتائم فقبلت الياء الواقعة بعد ألف الجمع همزة ثم قلب بتقديم الميم على الهمزة ثم قلبت الهمزة ياء لأنهم قد التزموا قلب الهمزة مفردة ياء في باب مطايا فاستثقلت الياء بعد الكسرة فأ بدلت الكسرة فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها أوعلى أنه جمعُ يتمى جمع يتامى لأنه من الآفات وفعيل من الآفات يجمع على فعلى .

قوله: حثا على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم: أي يدفع إليهم أموالهم حين بلغوا ولا يؤخر عنه كأن اسم اليتيم باق غير زائل لعدم تخلل زمان بينهما ولعدم اشتهاروصف البلوغ .

قوله: أي ولا تستبدلوا. يعني أن التفعل بمعنى الاستفعال ومثله غيرعزيز، ومنه التعجل بمعنى الاستعجال .

قوله:وهذا تبديل وليس بتبدل. لأن معنى تبدلت هذا بذاك أخذت ذاك وأعطيت هذا ، قال الله تعالىٰ:﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان﴾ لأن في التبدل مادخله الباء متروك وما تعدى إليه الفعل بنفسه ماخوذ، وفي التبديل بالعكس.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ولا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم : أي لا تنفقوهما معاً ولا تسووا بينهما . وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى:﴿فليأكل بالمعروف﴾[.النساء:٦] ﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للأكل ﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا[٢]﴾ ذنبا عظيماً . وقرئ حوباً وهو مصدر حاب حوباً وحابا كقال قولًا وقالًا .

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾أي إن خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن ، فتزوجوا ما طاب لكم من غير هن إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات ما ل وجمال فيتزوجها ضناً بها . فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن ، أو إن خفتم أن لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقداراً يمكنكم الوفاء بحقه ؛ لأن المتحرج من الذنب ينبغي أن يتحرج من الذنب كلها على ما روي : أنه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء وإضاعتهن فنزل. وقيل: كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنى . فقيل لهم: إن خفتم أن لا تعدلوا في أمر اليتامى فخافوا الزنى ، فانكحوا ما حل لكم . وإنما عبر عنهن بـ"ما" ذهابا إلى الصفة أو إجراء هن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن . ونظيره.

﴿أو ماملكت أيمانكم﴾[٤ .النساء :٣]وقرئ تقسطوا بفتح التاء على أن "لا" مزيدة أي إن خفتم أن تجوروا ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ معدولة عن أعداد مكررة وهي:

قوله: ضنا بها. أي بخلابها عن إعطائها وتزويجها بغيره.

قوله: وإنما عبر عنهن بما ذهابا إلى الصفة. يعني استعملت كلمة "ما" في النساء مع اختصاصها أو غلبتها في غير ذوي العقول لأن هذه التفرقة إنما هي إذا أريد الذات وأما إذاأريد الوصف نحو أكرم ما شئت من هؤلاء الرجال أي القائم أو القاعد أو نحو ذلك فهو لكلمة "ما" دون "من" بحكم الوضع على ما ذكره صاحب الكشاف وصاحب المفتاح وغيرهما وإن أنكره البعض وههنا المراد الصفة أي أنكحوا الموصوفة بأي صفة أردتم من البكر والثيب والشابة والجميلة والنسيبة وأضداد ذلك إلى غير ذلك من الصفات .

ثنتين ثنتين . وثـلاثـاً ثـلاثـاً . وأربعاً أربعاً . وهي غير منصرفة للعدل والصفة . فـإنها بنيت صـفات وإن كانت أصولها لم تبن لها .وقيل لتكرير العدل فـإنها معدولة باعتبار الصفة والتكرير مـنـصـوبة على الحال من فاعل "طاب" ومعناها:الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن يـنـكـح مـاشـاء مـن الـعدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كـقـولك: اقتسموا هذه البدرة درهـميـن درهمين . وثلاثة ثلاثة . ولـو أفـردت كـان الـمعـنـى تـجويز الجمع بين هذه

قـولـه: فـإنهـا بـنيت صفات وإن كانت أصولها لـم تبن لها .منع صاحب الكشاف اعتبـارا لـوصـفية فيها بناء على عدم اعتبارها في المعدول عنه فردّ عليه المصنف فقال: إنها بـنيـت صـفـات لـم تستـعـمل لغيرها وإن كانت أصولها وهي اثنين وثلثة وأربعة لـم تبن لها فـكـانـت فيهـا صـفـة أصـلية بخلاف أصولها .قال الرضي: التركيب المعدول لم يوضع إلا وصفا ولم يستعمل إلا مع اعتبار معنى الوصف ووضع المعدول غير وضع المعدول عنه .

قـولـه: فـإنها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير: يعنى أن الأصل ثلثة ثلثة، فعدل عن صيغة ثلثةإلى ثلث وعن تكريرها إلى توحيدها.

قـولـه: كـقـولك اقتسموا هذا البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة وأربعة أربعة. فإن الـمراد تجويز الاقتسام على هذه الأقسام متفقين فيه بأن يأخذ كل واحد درهمين أو ثلثة أو أربـعة أو مـختـلفين فيه بأن يأخذ بعضهم درهمين وبعضهم ثلثة وبعضهـم أربعة ولو أفردت ولـم يـكـرر كـان الـمعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد أي الاثنين والثلثة والأربعة فيكون المعنى اقتسموا هذا المال الذي درهمين وثلثة وأربعة أي تسعة، ولو ذكرت أو كان المعنى اقتسـمـوا على أحد هذه الأقسام غير متجاوز إياها إلى ما فوقها فكذا المراد في الآية تجويز النكاح على هذه الأقسام متفقين فيه بأن ينكح الكل اثنين اثنين أو ثلثة ثلثة أو أربعةأربعة أو مـختـلـفيـن فيـه بـأن يـنـكـح بـعـضهـم اثنين وبعضهم ثلثة وبعضهم أربعة، ولو أفردت ولـم يـكـرر كـان الـمـعـنـى تجويز تسعة ولو ذكرت أو كان بمعنى تجويز النكاح على أحد هذه الأقسام غير متجاوز إياها إلى مافوقها فيفوت تجويز الاختلاف في العدد .

الأعداد أيضاً دون التوزيع ولو ذكرت بـ" أو" للذهب تجويز الاختلاف في العدد ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ بين هذه الأعداد أيضاً ﴿ فَوَاحِدَةً ﴾فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع . وقري بالرفع على أنه فاعل محذوف أو خبره تقديره فتكفيكم واحدة ، أو فالمقنع واحدة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ سوى بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراري لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ﴿ذَٰلِكَ﴾أي التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسري ﴿ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ أقرب من أن لا تميلوا . يقال عال الميزان إذا مال وعال الحاكم إذا جار.وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة.وفسر بأن لا تكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم إذا مانهم ، فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية . ويؤيده قراء ة أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله ، ولعل المراد بالعيال الأزواج وإن أريد الأولاد فلأن التسري مظنة قلة الولد بالإضافة إلى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع .

﴿وَآتُواْ النِّسَاءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾مهورهن . وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف ، وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة ، وبضمهما على التوحيد وهو

قوله:﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا﴾. أي فإن كان لكم خوف من أن لا تعدلوا بين هذه الأعداد فاختاروا واحدة أو ما ملكت أيمانكم، ذلك أي التقليل منهن أو اختيار أحد هذين الأمرين أي الواحدة أوما ملكت أيمانكم أقرب في اليسر من التكثير وعدم الميل إلى بعضهن أو عدم الظلم عليهن أو ذلك أي السراري أقرب في اليسر من عدم كثرة العيال أي قلة الأزواج أو عدم كثرة الأولاد أي قلتها وذلك أن السراري مظنة قلة العيال فعلى الوجه الأخير يكون ذلك إشارة إلى ما ملكت أيمانكم أي السراري كما يشعر به قوله: إن السراري مظنة قلة العيال. قيل اختاربكلمة ذلك للإشارة إلى التقليل المفهوم من الأعداد المذكورة لا إلى الواحدة ،أو التسري ولو كان ظاهرًا لأن "أدنى" يقتضي القرب في المفضل عليه وإنما يتصور في الأعداد لا في الواحدة والتسري بل عدم الميل متحقق فيهما متحقق قطعا ولأن سوق الكلام لبيان حكم الأعداد المذكورة بأن التقليل منها أقرب من التكثير، وذلك أن المعنى ﴿فإن خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء﴾ إذا تزوجتموهن فاتركوهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن مرخصاً لكم في هذه الأعداد، لكن التقليل في هذه الأعداد أقرب من التكثير فيها.

تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة ﴿نِحْلَةً﴾ أي عطية، يقال: نحله كذا نحلة ونحلاً إذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلا توقع عوض . ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظراً إلى مفهوم الآية لا إلى موضوع اللفظ ، ونصبها على المصدر؛ لأنها في معنى الإيتاء أو الحال من الواو ، أو الصدقات أي اتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة . وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالاً من الصدقات . وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا إذا دان به على أنه مفعول له ، أو حال من الصدقات: أي ديناً من الله شرعه ، والخطاب للأزواج ، وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ الضمير للصداق حملاً على المعنى أو جرى مجرى اسم الإشارة كقول رؤبة .

كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِتَوْلِيْعُ الْبُهَق

إذ سئل فقال :أردت كأن ذاك . وقيل للإيتاء ، ونفساً تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد . والمعنى فإن وهبن لكم شيئًا من الصداق عن طيب نفس . لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بـ"عن" لتضمن معنى التجافي والتجاوز . وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهب ﴿فَكُلُوهُ هَنِيْئًا مَّرِيْئًا[٤]﴾ فخذوه وأنفقوه حلالًا بلا تبعة . والهنيء والمريء صفتان من هنأالطعام ومرأإذاساغ من غير غصص أقيمتا مقام المصدر

قوله: نظرًا إلى مفهوم الآية: وذلك أن الأمر للوجوب فيكون الما موربه واجبا بخلاف ماإذا كان المراد العطية فإنه موضوع اللفظ فالأولى التفسير به .

قوله: الضمير للصداق حملا على المعنى ، يعني أن الضمير إما للصداق للحمل على المعنى لأن المراد من الصدقات الجنس من حيث هو هو قل أو كثر. لأنك لو قلت: "واٰتوا النساء صدقاتهن" لم يخل بالمعنى. وقيل: لأن الصدقات يدل على الصداق كما أن "اعدلوا" تدل على العدل، أو للصدقات وأجري الضمير مجرى اسم الإشارة، واسم الإشارة يجوز تذكيرا مع تأنيث المشار إليه حيث اعتبر الفصحاء من العرب ذلك في اسم الإشارة بتأويل المذكور دون الضمير حيث قال رؤبة: أردت كأن ذلك مشيرًا إلى الخطوط وجعل الحجة ما ذكره رؤبة لانفس البيت لاحتمال أن يكون تذكير الضمير باعتبار الخبر: أعني توليع البهق أي استطالته كما في قولهم من كانت أمك.

قوله: أقيمتا مقام المصدر: فيكونان مفعولين مطلقين لفعلين محذوفين وقعتا على سبيل الدعاء والتقدير هنُؤ لكم ومرأ لكم هناء ة ومراء ة .

أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالامن الضمير. وقيل: الهنيء ما يلذه الإنسان. والمريء ما تحمد عاقبته . روي : أن ناساً كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئًا مما ساق إليها. فنزلت.

﴿وَلَا تُؤْتُواْ السُّفَهَآءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها . وإنما أضاف الأموال إلى الأولياء لأنها في تصرفهم وتحت ولا يتهم . وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة . وقيل نهي لكل أحد أن يعمد إلى ما خوله الله تعالى من المال فيعطي امرأته وأولاده . ثم ينظر إلى أيديهم . وإنما سماهم سفهاء استخفافاً بعقولهم واستهجاناً لجعلهم قواماً على أنفسهم وهو أوفق لقوله: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ أي تقومون بها وتنتعشون. وعلى الأول يؤول بأنها التي من جنس ما جعل الله لكم قياماً سمى ما به القيام قياماً للمبالغة . وقرأ نافع وابن عامر قيماً بمعناه كعوذ بمعنى عياذ . وقرئ قواماً وهو ما يقام به ﴿وَارْزُقُوهُم فِيهَا وَاكْسُوهُم﴾ واجعلوها مكاناً لرزقهم وكسوتهم بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون إليه ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا[٥]﴾ عدة جميلة تطيب بها نفوسهم ، والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن . والمنكر ما أنكره أحدهما لقبحه .

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَٰمَىٰ﴾ اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين ، والتهدي إلى ضبط المال وحسن التصرف بأن يكل إليه مقدمات العقد . وعن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه بأن يدفع إليه ما يتصرف فيه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ حتى إذا بلغوا حد البلوغ بأن يحتلم ، أويستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام : "إذا استكمل الولد خمس عشرة سنة. كتب ماله وما عليه وأقيمت عليه الحدود" وثماني عشرة عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى . وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ . لأنه يصلح للنكاح عنده ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ منهم رُشْدًا﴾ فإن أبصرتم منهم رشداً . وقرئ أحستم بمعنى أحسستم ﴿فَادْفَعُوٓا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ من غير تأخير عن حد البلوغ . ونظم الآية أن

قوله: أو وصف بهما المصدر: على الإسناد المجازي لأن الهنيء والمريء حقيقة هو الماكول أي أكلا هنيئا وأكلا مريئا .

"إن"الشرطية جواب إذا المتضمنة معنى الشرط ، والجملة غاية الإبتلاء فكأنه قيل: وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم . وهو دليل على أنه لا يدفع إليهم ما لم يونس منهم الرشد . وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : إذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الأحوال . إذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة، دفع إليه المال وإن لم يؤنس منه الرشد﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا﴾ مسرفين ومبادرين كبرهم ، أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ من أكلها ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر حاجته وأجرة سعيه. ولفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف مشعر بأن الوالي له حق في مال الصبي . وعنه عليه الصلاة والسلام " أن رجلاً قال له: إن في حجري يتيماً أفآكل من ماله ؟ قال: كل بالمعروف غير متأثل منه مالا ولا واق مالك بماله " وإيراد هذا التقسيم بعد قوله: ولا تأكلوها يدل على أنه نهي للأولياء أن يأخذوا وينفقوا على أنفسهم أموال اليتامى ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بأنهم قبضوها فإنه أنفىٰ للتهمة وأبعد من الخصومة . ووجوب الضمان وظاهره يدل على أن القيم لا يصدق في دعواه إلا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافاً لأبي حنيفة ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا[٦]﴾ محاسباً فلا تخالفوا ما أمرتم به ولا تتجاوزوا ماحد لكم .

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ يريد بهم المتوارثين بالقرابة ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾" بدل مما ترك" بإعادة

قوله: ولفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق في مال الصبي. قيل: أما الأكل فلأنه أساس الانتفاع ورأسه فلا يؤمر به ولا يباح ما لم يكن له حق، و أما الاستعفاف فلأنه مبالغة في العفة، ولايتحقق بمجرد الامتناع عما لاحق له أصلا . وقد يقال: أن الاستعفاف أبلغ من العفة كأنه لطلب زيادة العفة من نفسه بأن لا يأكل من الحلال مخافة الوقوع في الحرام بخلاف العفة فإنه الاجتناب عمالا يحل فيكون مال اليتيم حلالا له فيكون حقاله. والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل حسنه في مال اليتيم فيكون رخصة فيكون حقاله أيضًا .

قوله: غير متأثل منه مالا. أي غير متأصل يقال تأثّل المال أي اتخذه أثلة أي أصلا .

العامل ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا[٧]﴾ نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله تعالى: ﴿فريضة من الله﴾[٤. النساء: ١١]-[٩. التوبة: ٦٠] أو حال إذ المعنى: ثبت لهم مفروضاً نصيب، أوعلى الاختصاص بمعنى أعني نصيباً مقطوعاً واجباً لهم. وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه. روي أن أوس بن الصامت الأنصاري خلّف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة، أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فإنهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال ويقولون: إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة. فجاء ت أم كحة إلى رسول الله ﷺ في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال: ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله. فنزلت فبعث إليهما: لا تفرقا من مال أوس شيئاً فإن الله قد جعل لهن نصيباً ولم يبين حتى تبين. فنزلت:﴿يوصيكم الله﴾[النساء. ١١] فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم "وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقف الخطاب.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبٰى﴾ ممن لا يرث ﴿وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنُ فَارْزُقُوهُمْ مِّنْهُ﴾ فاعطوهم شيئاً من المقسوم تطيباً لقلوبهم وتصدقاً عليهم. وهو أمر ندب للبلغ من الورثة. وقيل أمر وجوب، ثم اختلفوا في نسخه والضمير لما ترك أو ما دل عليه القسمة. ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا[٨]﴾ وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم.

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِيْنَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعٰفًا خافُوا عَلَيْهِمْ﴾أمر للأوصياء بأن يخشوا الله تعالى ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم، أو للحاضرين المريض عند الإبصاء بأن يخشوا ربهم ، أو يخشوا على

قوله: نصب على أنه مصدر موكد .لمضمون الجملة باعتبار صفته وهو "مفروضًا" لأن مضمونه ومضمون الجملة ـ وهي "للرجال نصيب"ـ واحد أو حال باعتبار صفته أيضًا بناء على أنه حال موطئة وطّأت الطريق لما هو حال في الحقيقة والمعنى ثبت لهم مفروضاً نصيب، أو مفعول أعني: وام كحّة بالحاء المهملة وضم الكاف .

قوله: أو قتادة .قيل من شك الراوي في أن بني عميه الأولان أو الأخيران، والحوزة مجتمع الملك وموضع سلطانه، والفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين قيل صار اسما لموضع بالمدينة يفضخون فيه البسر أي يرضخون .

قوله: أو للحاضرين المريض عند الإيصاء بأن يخشوا ربهم، حتى لا يتركوا المريض أن يضربهم كما لا يضرون أولادهم .

أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضرَّ بهم بصرف المال عنهم ، أو للورثة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم ، أو للموصين بأن ينظروا فلا يسرفوا في الوصية و"لو" بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يخلفوا ذرية ضعافاً خافوا عليهم الضياع . وفي ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه ، وبعث على الترحم وأن يحب لأولاد غيره ما يحب لأولاده، وتهديد للمخالف بحال أولاده ﴿فَلْيَتَّقُواْ اللّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيْدًا[٩]﴾ أمرهم بالتقوى التي هى غاية الخشية بعد ما أمرهم بها مراعاة للمبتدأ والمنتهى ؛إذ لا ينفع الأول دون الثاني . ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل مايقولون لأولادهم بالشفة وحسن الأدب ، أو للمريض ما يصده عن الإسراف في الوصية وتضييع الورثة . ويذكره التوبة وكلمة الشهادة ، أو لحاضري القسمة عذرا جميلاً ووعداً حسناً،أو أن يقولوا في الوصية ما لا يؤدي إلى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة.

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتٰمٰى ظُلْمًا﴾ ظالمين، أو على وجه الظلم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ ملء بطونهم ﴿ نَاراً﴾ ما يجر إلى النار ويؤول إليها . وعن أبي بردة رضي اللّٰه تعالى عنه أنه صلى اللّٰه عليه وسلم قال: " يبعث اللّٰه قوماً من قبورهم تتأجج أفواههم نارا. فقيل : من هم ؟ فقال: ألم تر أن اللّٰه يقول :" إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً"﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيْراً[١٠]﴾ سيدخلون ناراً وأي نار " وقرأ ابن

قوله: أنهم لو كانوا .أي الورثة القسمة .

قوله: و"لو"بما في حيزه: من الشرط والجزاء .

قوله: وفي ترتيب الأمر عليه. أي في ترتيب الأمر بالخشي والتقوى في أمر اليتامى على مفهوم الصلة إشارةإلى المقصود وهو أمر اليتامى وإلى العلة فيه وهو الخوف على ذريتهم لو تركوا ضعافا، لأن هذا الخوف يوجب الخوف على ذراري غيرهم .

قوله: ظالمين أو على وجه الظلم: يعني أن ظلما يحتمل أن يكون حالا وأن يكون مفعولا له .

قوله: ملأ بطونهم .لأن حقيقة الظرفية الإحاطة على وجه لايفضل الظرف من المظروف فالأكل في البطن يكون ملأ البطن وفي بعض البطن دونه .

قوله: نارًا وأي نارا .أي عظيمة والتعظيم يستفاد من التنكير.

عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففاً ، وقرئ به مشدداً، يقال: صلى النار قاسى حرها. وصليته: شويته وأصليته وصليته: ألقيته فيها. والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار إذا ألهبتها.

﴿يُوصِيْكُمُ اللّٰهُ﴾ يأمركم ويعهد إليكم ﴿فِىٓ أَوْلَادِكُمْ﴾ في شأن ميراثهم وهو إجمال تفصيله ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ أي يعد كل ذكر بأنثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه. وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لأن القصد إلى بيان فضله ، والتنبيه على أن التضعيف كان للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة . والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَآءً﴾أي إن كان الأولاد نساء خلصاً ليس معهن ذكر ، فأنث الضمير باعتبار الخبر أو على تأويل المولودات ﴿فَوقَ اثْنَتَيْنِ﴾ خبر ثان، أو صفة للنساء أي نساء زائدات على اثنتين ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَاتَرَكَ﴾المتوفى منكم .

قوله: يقال صلى النار قا سى حرها. يعني أن "سيصلون" على قراء ة حمزة فتح الياء يكون من صلِيَ النار كرضي: قاساحرها، وعلى قرأة ضم الياء مخففا يحتمل أن يكون من صليته: شويته، وأن يكون من أصليته بمعنى ألقيته فيها وعلى تقدير التشديد يكون من صلاه بمعنى ألقاه فيها. قال في القاموس: صلى اللحم يصليه صليا: شواه أو ألقاه في النار للإحراق كأ صلاه وصلاه وصلي النار كرضي وبها صليا: قاساحرها .

قوله: يأمركم ويُعهد إليكم :لأن الوصية أمر بالإيتاء بعد الموت وقول يطلب المحافظة عليه فيكون هذا من باب إطلاق الخاص وإرادة العام .

قوله: وهو إجمال تفصيله﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين﴾. يعني أن الجملة في موقع التفصيل على ما يدل عليه المقصود الأظهر، لا مفعول ﴿يوصيكم﴾ باعتبار كونه في معنى القول أو الأمرأو الغرض أو الشرع .

قوله:وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه:جواب سوال، وهو أن يقال لما كان السبب في ورود الآية أنهم كانوا يورثون الذكور دون الأناث فكان الأ وفق أن يساق الكلام لإثبات نصيبهن ومنع حرمانهن. أجاب بأنه خولف مقتضى الظاهر لأن تخصيص الذكور بالتوريث إنما هو لفضلهم وفي تضعيف نصيبهم ما يكفي ذلك فما أنتم عليه إفراط في حقهم وتفريط في حق النساء مع استواء الفريقين في الأولاد فيكون خطأ وتما ديًا في الباطل.

ويدل عليه المعنى ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ أي وإن كانت المولودة واحدة . وقرأ نافع بالرفع على أن "كان" التامة. واختلف في الثنتين فقال ابن عباس رضي الله عنهما: حكمهما حكم الواحدة . لأنه تعالى جعل الثلثين لما فوقها . وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقها؛ لأنه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أنثى وهو الثلثان اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان . ثم لما أوهم ذلك أن يزاد النصيب بزيادة رد ذلك بقوله:﴿فإن كن نساء فوق اثنتين﴾ويؤيد ذلك أن البنت الثلثان . ثم لما استحقت الثلث مع أخيها فبالحري أن تستحقه مع أخت مثلها ، وأن البنتين أمس رحما من الأختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله تعالى: ﴿لهما الثلثان مماترك﴾ [٤. النساء: ١١] ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ ولأبوي الميت ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس، والتفصيل بعد الإجمال تأكيداً.﴿ السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ﴾ أي للميت ﴿وَلَدٌ﴾ذكر أوأنثى غير أن الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفريضة . وما بقي من ذوي الفروض أيضاً بالعصوبة ﴿وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ فحسب ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ مما ترك وإنما لم يذكر حصة الأب؛ لأنه لما فرض أن الوارث أبواه فقط وعين نصيب الأم علم أن الباقي للأب . وكأنه قال : فلهما ما ترك أثلاثاً . وعلى هذا ينبغي أن يكون لها حيث كان معهما أحد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور. لا ثلث المال كما قاله ابن عباس. فإنه يفضي إلى تفضيل الأنثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع ﴿ فَإِنْ كَانَ لَه إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ بإطلاقه يدل على أن الإخوة دونها من الثلث إلى السدس . وإن كانوا لا يرثون مع الأب . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم . والجمهور على أن

قوله: وفائدته التنصيص. إذ لو قيل: "ولأبويه السدس" لكان ظاهره اشتراكهما فيه، ولو قيل "ولكل واحد منهما السدس" لفات التوكيد لفوات الإجمال ثم التفصيل .

قوله: وعلى هذا .أي على ما ذكر من قبيل التوكيد فحسب وبقوله مما تركه أي من جميع المال .

قوله: فإنه يفضي إلى تفضيل الأ نثى على الذكر. فإن إمرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للأب، حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين .

المراد بالإخوة عدد ممن له إخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الإخوة أو الأخوات ، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : لا يحجب الأم من الثلث ما دون الثلاثة ولا الأخوات الخلص أخذا بالظاهر . وقرأ حمزة والكسائي فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها.﴿ مِنْۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أي هذه الأنصباء للورثة من بعد ماكان من وصية ، أو دين . وإنما قال بـ" أو" التي للإباحة دون الواو للدلالة على أنهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين . وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لأنها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب إليها الجميع ، والدين إنما يكون على الندور . وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد ﴿آبَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ أي لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم ، فتحروا فيهم ما أوصاكم الله به ، ولا تعمدوا إلى تفضيل بعض وحرمانه . روي أن أحد المتوالدين إذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة سأل أن يرفع إليه فيرفع بشفاعته . أو من مورثيكم منهم أو من أوصى منهم فعرضكم للثواب بإمضاء وصيته . أو من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض

قوله: للإباحة .أي التسوية وعدم اختلاف الحكم متعلقة بالأمرين جميعا أو بأحدهما سواء كان ذلك في الأمر أوفي غيره بخلاف الواو فإنها لا تفيد سوى وجوب تقديم الأمرين إذا وجدا جميعا دون ما إذا وجد أحدهما إذ ربما يكون وجوب التقديم أثر الاجتماع فلا يتحقق عند الانفراد وفي عبارة المفصل وهي يقال أن أوفي الخبر للشك وفي الأمر للتخيير والإباحة إشعار بأنه ليس قولاً متفقا عليه وحينئذ لا حاجة إلى ما يقال أن الخبر بمعنى الأمر أي أعطوا كل صنف نصيبه الذي ذكروأ قسموا المال تلك القسمة من بعد الوصية أو الدين إن كان أحدهما أو كلاهما .

قوله: روي أن أحد المتوالدين إذا كان أرفع درجة من الآخر. يعني أن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع إليه أبوه فيرفع وكذلك الأب إن كان أرفع درجة من ابنه في الجنة سأل أن يرفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا.

قوله: أو من مورثيكم منهم أو من أوصى:أي لا تعلمون من هو أقرب لكم نفعا من مورثيكم من الآباء والأبناء، أي نفعه الذي هو نيل ثواب الآخرة بإمضاء الوصية أقرب واحصرام النفع الدنيوي ـ وهو توفر المال بترك الوصية ـ أقرب .

مؤكد لأمر القسمة أو تنفيذ الوصية ﴿فَرِيْضَةً مِّنَ اللّٰهِ﴾ مصدر مؤكد . أو مصدر يوصيكم الله :لأنه في معنى يأمركم ويفرض عليكم .﴿إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيْمًا﴾ بالمصالح والرتب ﴿ حَكِيْمًا[١١]﴾ فيما قضى وقدر.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَاتَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهٗ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ﴾أي ولد وارث من بطنها ، أو من صلب بنيها ، أو بني بنيهاوإن سفل ذكرا كان أو أنثى منكم أو من غيركم ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُّوصِيْنَ بَهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب ، وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ، ولا يشتثنى منه إلا أولاد الام والمعتق والمعتقة . وتستوي الواحدة والعدد منهم في الربع والثمن ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ﴾ أي الميت ﴿يُورَثُ﴾ أي يو رث منه، من ورث، صفة رجل ﴿كَلٰلَةً﴾ خبر "كان"، أو يورث خبره ، وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولداً ولا والداً . أومفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد. ويجوز أن يكون الرجل الوارث ويورث من أورث. وكلالة من ليس له بوالد ولا ولد. وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت، وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة وعلى الأول خبر أو حال ، وعلى الثاني مفعول له . وعلى الثالث مفعول به . وهي في الأصل مصدر بمعنى الكلال قال الأعشى :

قوله: ﴿فريضة﴾ مصدر مؤكد أ ومصدر يوصيكم : يعني أنه من قبيل "له عليّ الف درهم اعترافا" أو من قبيل "قعدت جلوسا" .

قوله:فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما فيالنسب لـ قوله تعالىٰ:﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ .

قوله: وكلالة تحتمل المعاني الثلثة .وهي من لا يخلف ولدا ولا والدا وهو الميت ومن ليس بولد ولا والد وهو الوار،ث والقرابة من غير جهة الولد والوالد .

قوله: بمعنى الكلال. وهو ذهاب القوة من الإعياء .

قوله: قال الأعشى، في مدح النبي ﷺ لما أراد الوفادة عليه فصده كفارقريش بأنّ له تكاليف لايقدر عليها كتحريم الخمر . والضمير لناقة، وحفي من كثرة المشيء، أيرق قدمه أو حافره .

فآلَيْتُ لَا أَرْثِي لَهَا مِنْ كَلَالَة وَلَا مِن حَفَا حتى أُلَاقِي مُحَمَّداً

فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية ؛ لأنها كلالة بالإضافة إليها . ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي . ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ عطف على رجل ﴿وَلَدٌ﴾ أي وللرجل . واكتفي بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أى من الأم . ويدل عليه قراءة أبي وسعد بن مالك" وله أخ أو أخت من الأم" .وأنه ذكر في آخر السورة أن للأختيين الثلثين وللأخوة الكل . وهو لا يليق بأولاد الأم وأن ما قدر ههنا فرض الأم فيناسب أن يكون لأولادها﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوٓا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي الثُّلُثُ﴾ سوى بين الذكر والأنثى في القسمة ل؛أن الإدلاء بمحض الأنوثة . و مفهوم الآية أنهم لا يرثون ذلك مع الأم والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالإجماع ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ أي غير مضار لورثته بالزيادةِ على الثلث . أو قصد المضارة بالوصية دون القربة، والإقرارِ بدين لا يلزمه . وهو حال من فاعل "يوصَى" المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله "يوصى" على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد أو منصوب بغير مضار على المفعول

قوله: وأنه ذكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين وللإخوة الكل .وذلك أنه قال تعالى ﴿وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتااثنتين فلهما الثلثان﴾ أي الأخ يرث جميع المال إن كان للاخت ولد وإن كانت الأختان اثنتين فلهما الثلثان .

قوله: وهو لا يليق بأولاد الأم .إذ ليس لأولاد الأم في الثلثين وفي الكل نصيب لضعف قرابتهن بخلاف أولاد الأب ولهذا ترثون عند عدم الأخوات والإخوة لأب وأم بخلاف الإخوة والأخوات لأم .

قوله: وأن ما قدر. عطف على "أنه ذكر في آخر السورة" .

قوله: ومفهوم الآية أنهم لا يرثون ذلك مع الأم والجدة: يعني أن مفهوم المخالف للآية أن الميت إذا لم يكن كلالة لا يرث الأخ والأخت لأن الأم والجدة والدتان فلا يكونا كلالتين .

قوله: أو قصد المضارة .أي أو يوصى بالثلث وما دونه غير مضار لورثته يقصد مضارة ورثته ومغاضبتهم دون أداء حق القرابة .

قوله: والإقرار بدين، عطف على الزيادة .

بـه . ويـؤيده أنه قرئ غير مضار وصية بالإضافه أي لا يضار وصية من الله . وهو الثلث فما دونه بالزيادة أو وصية منه بالأولاد بالإسراف في الوصية والإقرار الكاذب ﴿وَاللّٰه عَلِيْمٌ﴾ بالمضار وغيره﴿ حَلِيْمٌ[١٢]﴾ لا يعاجل بعقوبته.

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلـى الأحـكـام التـي تقدمت في أمر اليتامى والوصايا والمواريث، ﴿حُدُودُ اللّٰهِ﴾ شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها .﴿وَمَنْ يُطِعِ اللّٰه وَرَسُوْلَهٗ يُدْخِلْهُ جَنّٰتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَذٰلِكَ الْفَوزُ الْعَظِيْمُ[١٣]﴾

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللّٰه وَرَسُولَهٗ ويَتَعَدَّ حُدُودَهٗ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيْهَا وَلَهٗ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ[١٤]﴾

تـوحيد الضمير في يدخله ، وجمع خالدين للفظ والمعنى . وقرأ نافع وابن عامر ندخله بـالـنـون وخـالـديـن حال مقدرة كقولك : مررت برجل معه صقر صائداً به غدا . وكذلك خالداً وليستا صفتين لـ"جنات" وناراً وإلا لوجب إبراز الضمير لأنهما جريا على غير من هماله

﴿وَالّٰتِي يَـأْتِيْـنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَآئِكُمْ﴾أي يفعلنها ، يقال : أتى الفاحشة وجاء ها وغشيها ورهقها إذا فعلها . والفاحشة الزنا لـزيادة قبحها وشناعتها ﴿ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَـعَةً مِّـنْـكُـمْ﴾ فاطلبوا ممن قذفهن أربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن ﴿ فَإِنْ شَهِدُوا فَـأَمْسِـكُـوهُـنَّ فِى الْبُيُوتِ﴾ فا حبسوهن في البيوت واجعلوها سجناً عليهن ﴿حَتّٰى يَتَوَفّٰهُنَّ الـمَوْتُ﴾ يستـوفـي أرواحهـن الموت ، أو يتـوفـاهـن مـلائـكة الـموت . قيل : كان ذلك

قوله: أو وصية منه .أي أووصية من الله بالأولاد بأن لا يدعهم عالة بإسرافه في الوصية

قـولـه: شرايعه التي كالحدود المحدودة .يعني سمي الأمور المذكورة حدودا لأن الشرائع كالحدود المضروبة المعينة للمكلفين لايجوز لهم أن يخالفوها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بحق .

قوله: توحيد الضمير في يدخله. وجمع خالدين للفظ والمعنى : يعني وحد الضمير في يدخله للفظ" مَنْ" لأنه موحد اللفظ وجمع خالدين لمعناه فإن من يطع الله كثيرون .

قـولـه: والـفـاحشة الـزنا. يعني أن المراد بالفاحشة هنا الزنا لزيادةقبحها وشناعتها لأن كل سوء جاوز الحد فهو فاحش .كذا في الصحاح .

قـولـه: حتى يستـوفـي أرواحهـن الموت: يعني أن المراد بالتوفي معناه الحقيقي وأن الموت استعارة بـالـكـنـاية بتشبيـه الـموت بشخص مستوفى أرواحهن لا ما اشتهر من معنى الموت، أو أن المراد الموت وأنه على حذف المضاف:أي يميتهن ملائكة الموت فلا يشكل بأن التوفي والموت واحد كأنه قيل حتى يميتهن الموت فمامعنى حتى يتوفٰهن الموت.

عقوبتهن في أوائل الإسلام فنسخ بالحد . ويحتمل أن يكون المراد به التوصية بإمساكهن بعد أن يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعريض للرجال . لم يذكر الحد استغناء بقوله تعالى :﴿الزانية والزاني﴾[٢٤.النور:٢] ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لَهُنَّ سَبِيْلًا[١٥]﴾ كتعيين الحد المخلص عن الحبس ، أو النكاح المغني عن السفاح.﴿وَالَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ﴾ يعني الزانية والزاني . وقرأ ابن كثير "واللذان" بتشديد النون وتمكين مد الألف ، والباقون بالتخفيف من غير تمكين ﴿فَآذُوهُمَا﴾ بالتوبيخ والتقريع . وقيل بالتغريب والجلد ﴿ فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآ﴾ فاقطعوا عنهما الإيذاء ، أوأعرضوا عنهما الإغماض والستر .

﴿إِنَّ اللّٰهَ كَانَ تَوّابًا رَّحِيْمًا[١٦]﴾ علة الأمر بالإعراض وترك المذمة . قيل هذه الآية سابقة على الاؤلى نزولاً وكان عقوبة الزنا الأذى ثم الحبس ثم الجلد. وقيل: الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين . والزانية والزاني في الزناة .

﴿إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللّٰهِ﴾ أى إن قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته، ﴿لِلَّذِيْنَ يَعْمَلُونَ السُّوٓءَ بِجَهَالَةٍ﴾ متلبسين بها سفهاً فإن ارتكاب الذنب سفه وتجاهل . ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيْبٍ﴾ من زمان قريب ، أي قريب . أي قبل حضور الموت لقوله تعالى: ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾[٤. النساء:١٨] وقوله عليه الصلاة والسلام " إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر" وسماه قريباً لأن أمد الحياة قريب لقوله تعالى:﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾[٤. النساء: ٧٧] أو قبل أن يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيعتذر عليهم الرجوع

قوله: فاقطعوا عنهما الإيذاء. لأن التوبة يمنع استحقاق الذم .

قوله: أي إن قبول التوبة كالمختوم على الله بمقتضى وعده: يعني أن كلمة على للإيجاب وليس المراد هنا الوجوب إذ لا يجب على الله تعالىٰ شيء بل تأكيد للوعد بمعنى أنه يكون لامحالة كالواجب لا يترك. وقالت المعتزلة قبول التوبة على الله تعالىٰ واجب .

قوله:من تاب عليه. أي قبل توبته .فإن قيل لو كان ما خوذا من تاب الله لجعل لفظة على داخلة على التائب كما في تاب الله .أجيب بأن على متعلقة بمحذوف لا بالتوبة حتى يلزم ما ذكر، والتقدير إنما التوبة على التائب حال كونه كالمختوم على الله﴿ للذين يعملون السوء بجهالة﴾ .

و"من" للتبعيض أي يتوفون في أي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل أن ينزل بهم سلطان الموت ، أو يزين السوء ﴿فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ﴾ وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله ﴿إنما التوبة على اللّٰه﴾ ﴿وَكَانَ اللّٰه عَلِيْمًا﴾ فهو يعلم بإخلاصهم في التوبة ﴿حَكِيْمًا[١٧]﴾ والحكيم لا يعاقب التائب .

﴿وَلَيْسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِيْنَ يَعْمَلُونَ السَّيِّاٰتِ حَتّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنّي تُبْتُ الْئٰنَ وَلَا الَّذِيْنَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ سُوّي بين من سوف يتوب إلى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة . وكأنه قال: وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء . وقيل: المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقين لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم ، وبالذين يموتون الكفار ﴿أولئِكَ أَعْتَدنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا[١٨]﴾ تأكيد لعدم قبول توبتهم ، وبيان أن العذاب أعده لهم، لا يعجزه عذابهم متى شاء . والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة . وقيل أصله أعددنا فأبدلت الدال الأولى تاء .

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا لَايَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُواْ النِّسَآءَ كَرْهًا﴾ كان الرجل إذا أمات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال: أنا أحق بها ثم إن شاء تزوجها بصداقها الأول ، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ، وإن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها ، فنهوا عن ذلك . وقيل: لا يحل لكم أن تأخذوهن على سبيل الإرث فتتزوجوهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه . وقرأ حمزة والكسائي كرهاً بالضم في مواضعه وهما لغتان . وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ اٰتَيْتُمُوهُنَّ﴾ عطف على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي أي ولا تمنعوهن من التزويج . وأصل العضل التضييق، يقال: عضلت الدجاجة بيضها . وقيل الخطاب مع الأزواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن أو يختلعن بمهورهن . وقيل تم الكلام بقوله كرهاً ثم خاطب

قوله: كارهات لذلك أو مكرهات.أي كارهات للتزوج والنكاح أو مكرهات عليه وكرها بالفتح من الكراهةوبالضم الإكراه فأشار بقوله كارهات أو مكرهات إلى ذلك.

قوله: عطف على أن ترثوا و"لا" لتأكيد النفي. فعلى هذا يكون الخطاب لقرابة الميت كالخطاب الأول فحينئذ يتوجه ماقيل أن هذا لا يلائم قوله: ﴿إلا أن يأتين بفاحشة﴾

الأزواج ونهاهم عن العضل ﴿إِلَّآ أَنْ يَأْتِيْنَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ كالنشوزوسوء العشرة وعدم التعفف. والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له، تقديره ولا تعضلوهن للافتداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة ، أولا تعضلوهن لعلة إلا أن يأتين بفاحشة . وقرأابن كثير وأبو بكر مبيِّنة هنا وفي الاحزاب بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّٰهُ فِيْهِ خَيْرًا كَثِيْرًا[١٩]﴾أي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فإنها قد تكره ما هو أصلح ديناً وأكثر خيراً . وقد تحب ما هو بخلافه . وليكن نظركم إلى ما هو اصلح للدين وأدنى إلى الخير . وعسى في الأصل علة الجزاء فأقيم مقامه . والمعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾تطليق امرأة وتزوج أخرى ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾أي إحدى الزوجات. جمع الضمير لأنه أراد بالزوج الجنس ﴿ قِنْطَاراً﴾ مالاً كثيراً ﴿ فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْه شَيْئًا﴾ أي من قنطار ﴿ أَتَأْخُذُونَهٗ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِيْنًا[٢٠]﴾ استفهام إنكار وتوبيخ . أي أتأخذونه باهتين وآثمين، ويحتمل النصب على العلة كما في قولك : قعدت عن الحرب جبناً : لأن الأخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم . قيل كان الرجل منهم إذا أراد امرأة جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة ، فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه . وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسرههنا بالظلم.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهٗ وَقَدْ أَفْضٰى بَعْضُكُمْ إِلٰى بَعْضٍ﴾إنكار لاسترداد المهر والحال أنه وصل إليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِّيْثَاقًا غَلِيْظًا[٢١]﴾عهداً وثيقاً. وهو حق الصحبة والمما زحة أو ماأوثق اللّٰه عليهم في شأنهن بقوله ﴿فإمساك

قوله: جمع الضمير. يعني ضمير 'أردتم 'لأن المراد بالزوج الجنس فهو في معنى الجمع فقابل الجمع بالجمع .

قوله: بهت التي تحته بفاحشة، أي افترى عليها ونسبهاإلى الفاحشةزورا.

قوله: الذي يبهت المكذوب عليه. أي يوقعه في حيرة.

قوله: أو ما أوثق اللّٰه عليهم في شانهن: يعني أن اللّٰه تعالى أخذ الميثاق على عباده لأجلهن فهو كأخذ هن .

بمعروف أو تسريح باحسان﴾[٢.البقرة:٢٢٩] أو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله : "أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكملة الله"

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَانَكَحَ ابَآؤُكُمْ﴾ ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم . وإنما ذكر "ما" دون "مَنْ" لأنه أريد به الصفة . وقيل "ما" مصدرية على إرادة المفعول من المصدر ﴿مِّنَ النِّسَآءِ﴾ بيان ما نكح على الوجهين ﴿إِلَّا مَاقَدْ سَلَفَ﴾ استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه قيل : وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباء كم إلا ما قد سلف ، أو من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله :

وَلَا عَيْبَ فِيْهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِب

والمعنى ولا تنسكحوا حلائل آبائكم إلا ما قد سلف إن أمكنكم أن تنكحوهن . وقيل: الاستثناء منقطع ومعنا ه لكن ما قد سلف . فإنه لا مؤا خذة عليه لأنه مقرر . ﴿إِنَّهٗ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا﴾ علة للنهي أي إن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لأمةٍ من الأمم . ممقوتاً عند ذوي المروء ات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة أبيه المقتي ﴿وَسَآءَ سَبِيْلًا[٢٢]﴾ سبيل من يراه ويفعله .

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهٰتُكُمْ وَبَنٰتُكُمْ وَاَخَوٰتكم وَعَمّٰتُكُمْ وَخٰلٰتُكُمْ وَبَنٰتُ الْأَخِ وَبَنٰتُ الْأُخْتِ﴾ ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لأنه معظم ما يقصد منهن

قوله: بأمانة الله: أي أمناء عليهن .

قوله: بكلمة الله: أي كلمة النكاح يستحل بها الفروج .

قوله: لأنه أريد به الصفة .يعني إنما ذكر كلمة "ما" مع أنه لغير العاقل لأنه أريد به الصفة، وقد تقرر في النحوأنه إذا أريد الصفة تجيء للعاقل كقوله تعالىٰ:﴿ والسماء وما بناها﴾ : أي بانيها .

قوله: من النساء. وإنما أ ريد به البيان بقوله تعالىٰ:﴿من النساء﴾ لأن المراد بقوله تعالىٰ: "ما نكح آباء كم" غير أمهاتهم وإن كان أعم من حيث المفهوم ومن النساء في مثل هذا المقام يطلق على غير أمهاتهم .

قوله:﴿ إلا ما قد سلف﴾ إن أمكنكم أن تنكحوه لكنه غير ممكن لأن ما قد سلف متوفى فكيف تنكحوه.

قوله:لأ نه مقرر: أي لأن مثل هذا النكاح مقرر على الكفرة .

ولأنـه المتبادر إلى الفهم كتحريم الأكل من قوله ﴿حرمت عليكم الميتة ﴾[٥.المائدة:٣] ولأن مـا قبلـه ومـا بـعـده في النكاح ."وأمهاتكم" تعم من ولدتك أو ولدت من ولدك وإن عـلـت . و"بناتكم" تناول من ولدتها أو ولدت من ولدها وإن سفلت ."وأخواتكم" الأخوات مـن الأوجـه الثلاثة . وكذلك الباقيات، والعمة كل أنثى ولدها من ولد ذكراً ولدك، والخالة كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتك قريباً أو بعيداً . وبنات الأخ وبنات الأخت تناول القربى والبعدى ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾نزّلَ اللهُ الرضاعة منزلة النسب حتـى سـمى المرضِعة أماً والمرضَعَة أختاً . وأمرها عـلـى قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي درَّ عليه اللبن قـال عليه الصلاة والسلام : "يحرم من الرضاع ما يحرم مـن النسب " واستثـنـاء أخـت ابـن الـرجـل وأم أخيه من الرضاع من هذا الأصل ليس بصحيح فـإن حـرمتهـما من النسب بالمصاهرة دو ن النسب﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَآئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ ذكر أو لاً محرمات النسب ثم محرمات الـرضـاعة ، لأن لهـا لحمة كلحمة النسب . ثم محرمات المصاهرة فإن تحريمهن عارض لـمـصـلـحة الـزواج . والربائب جمع ربيبة. والربيب ولد المرأ ة من آخر سمي به لأنه يربه كـمـا يـرب ولـده فـي غالب الأمر . فعيل بمعنى مفعول وإنـما لحقه التـاء لأنـه صار اسماً

قـولـه: عـلـى قياس النسب باعتبار المرضعةووالد الطفل الذيد رَّعليه اللبن: يعني جعل حرمة الرضاع كحرمة النسب باعتبار المرضعة فتسري إلى أصولها وفروعها وإخوتها وأخـواتهـا وبـاعتبار فحل المرضعة الذي هو والدالطفل من الرضاعة فتسري منه إلى أصوله وفروعه بخلاف الرضيع فإن الحرمة لاتسري إلا إلى فروعه فلا يكون كحرمة النسب .

قـولـه: واستثـنـاء أخـت ابـن الـرجـل وأم أخيـه من الرضاع من هذا الأصل ليـس بـصحيح. ذكر صاحب الكشاف هذا الاستثناء وقال: قالوا: تحريم الرضاع كتحريم النسب إلا فـي مسئـلتيـن أحـدهـما أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج أخت ابنه من النسب ويجوز أن يتـزوج أخـت ابـنـه مـن الـرضـاع. والثانية لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب ويجوز في الـرضـاع. وردَّ عليه المصنف بأن أخت ابن الرجل من النسب وهي ربيبة إنما حرمت عليه بسبـب الـمـصاهرة وهي نكاح أمها لا بسبب النسب، وكذا أم أخته في النسب وهيزوجة أبيـه إنـما حرمت بالمصاهرةلا بالنسب فلا وجه لاستثنائها من قوله عليه السلام :يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب .

ومن نسائكم متعلق بربائبكم . واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالإجماع قضية للنظم . والا يجوز تعليقها أيضاً لأن "مِن" إذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية . وإذا علقتها بالأمهات لم يجز ذلك بل وجب أن يكون بياناً لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الأدباء اللهم إذا جعلتها للاتصال كقوله :

إذا حاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُوراً فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِي

على معنى أن أمهات النساء وبناتهن متصلات بهن . لكن الرسول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها "إنه لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها" وإليه ذهب عامة العلماء . غير أنه روي عن على رضي اللّٰه تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ، ولا يجوز أن يكون الموصول الثاني صفة للنساء ين لأن عاملهما مختلف . وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها . والمعنى أن الربائب إذا دخلتم بأمهاتهن وهن في احتضانكم أو بصدده تقوى الشبه بينها وبين

قوله: وإنما لحقه التاء. يعني أن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث فلا حاجة إلى التاء فأجاب بأن هذه ليست للتأنيث وإنما للنقل من الصفة إلى الاسم كالذبيحة للشاة.

قوله: واللاتي بصلتها صفة لهامقيدة للفظ والحكم بالإجماع قضية للنظم :يعني أنها مقيدة للفظ الربائب بكونها من بنات المدخول بها وكذا حكمها الذي ثبت بالإجماع وهو الحرمة بأنها تتعلق ببنات المدخول بها لا بغيرها مقتضى لنظم هذه الآية بمعنى أن مستند الإجماع هو نظم الآية لا غيره من الأدلة .

قوله: اللهم إذا جعلتهاللاتصال: أي إذا جعلت من اتصالية كما في قوله عليه الصلاة والسلام : أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ .

قوله: على معنى أن أمهات النساء وبناتهن متصلات بهن، لكونها أمهاتها وبناتها .

قوله: لكن الرسول ﷺفرق بينهما: والاتصال يقتضي عدم الفرق بينهما فلا يصح الاتصال .

قوله: ولا يجوز أن يكون الموصول الثاني صفة للنساء ين: جعل بعض العلماء ﴿اللاتي دخلتم بهن﴾ وصفا للنساء المتقدمة والمتأخرة، وردَّ عليه بأن الوصف الواحد لا يجري على موصوفين مختلفي العامل .

قوله: وهن في احتضانكم أو بصدده :الأول على تقدير أن تربونهن كما تربون أولادكم في غالب الأمر، والثاني على تقدير أن لا تربونهن .

أولادكم وصارت أحقاء بأن تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة . وإليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه جعله شرطاً ، والأمهات والربائب تتناولان القريبة والبعيدة . وقوله: دخلتم بهن أي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع . ويؤثر في حرمة المصاهرة ما ليس بزنا كالوطء بشبهة ، أو ملك يمين . وعند أبي حنيفة لمسُ المنكوحة ونحوه كالدخول ﴿فَإِنْ لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ تصريح بعد إشعار دفعاً للقياس ﴿وَحَلاَئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ زوجاتهم . سميت الزوجة حليلة لحلهَا أو لحلولها مع الزوج ﴿الَّذِيْنَ مِنْ أَصْلَابِكُم﴾ احتراز عن المتبنين لا عن أبناء الولد ﴿وَأَنْ تَجْمَعُواْ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ في موضع الرفع عطفاً على المحرمات . والظاهر أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين .ولذلك قال عثمان و علي رضي الله تعالى عنهما : حرمتهما آية ، وأحلتهماآية، يعنيان هذه الآية . وقوله ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾[٤.النساء:٣] فرجح علي كرم الله وجهه التحريم . وعثمان رضي الله عنه التحليل . وقول علي أظهر لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام " ما اجتمع الحلال والحرام إلاغلب

قوله: تصريح بعد إشعار: يعني صرح بمفهوم المخالفة دفعا لقياس ربائب الغير المدخول بها على ربائب المدخول بها لأن القياس المخالف لمفهوم المخالفة صحيح فصرح بالمفهوم دفعا له لأنه حينئذ لم يبق المفهوم مفهوما .

قوله: وقول على رضي الله تعالىٰ عنه أظهر لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك .يعني أن آية التحليل وهي قوله تعالىٰ:﴿ أو ما ملكت أيمانكم ﴾مخصوصة في غير الحكم المبحوث الذي هو نكاح واحدة أو اختيار ما ملكت أيمانكم وحده والحكم الغير المبحوث هو الحرمة لأن ﴿والمحصنات من النساء﴾ أي ذوات الأزواج عام يتناول أيضا الإماء ذوات الأزواج وحكمهن الحرمة وقد خص منهن بقوله تعالىٰ: ﴿إلا ما ملكت أيمانكم ﴾الإماء التي سبين ولهن أزواج كفارفهن حلال، والعام الباقي على عمومه مقدم على العام المخصوص كما تقرر في الأصول فيكون قول على رضي الله تعالىٰ عنه أظهر،لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك :أي في غير حكم النكاح وملك اليمين المبحوث وذلك أنه خص في حكم الوطي باللاتي سبين وآية ﴿أن تجمعوا بين الأختين﴾ باق على عمومه، والباقي على عمومه قطعي بخلاف غير الباقي، كماتقرر في أصول الفقه فيرجح على غير الباقي .

الحرام"﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ استثناء من لازم المعنى ، أو منقطع لكن ما قد سلف مغفور لقوله :﴿إِنَّ اللّٰه كَانَ غَفُورًا رَحِيْمًا[٢٣]﴾

﴿ وَالْمُحْصَنٰتُ مِنَ النِّسَآءِ﴾ذوات الأزواج أحصنهن التزويج أو الأزواج . وقرأ الكسائي بكسرة الصاد في جميع القرآن لأنهن أحصن فروجهن ﴿إِلَّا مَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يريد ما ملكت أيمانكم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهنَّ حلال للسابين . والنكاح مرتفع بالسبي لقول أبي سعيد رضي اللّٰه تعالى عنه: أصبنا سبايا يوم أو طاس ولهن أزواج كفار فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبي ﷺ فنزلت الآية فاستحللناهن . وإياه عنى الفرزدق بقوله :

وَذات حَلِيلٍ أَنْكَحَتهَا رِمَاحُنَا حَلَالٌ لِمَنْ يَبْنِي بِهَا لَم تُطَلَّقِ

وقال أبوحنيفة: لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي . وإطلاق الآية والحديث حجة عليه ﴿كِتَابَ اللّٰه عَلَيْكُمْ﴾ مصدر مؤكد : أي كتب اللّٰهعليكم تحريم هؤلاء كتاباً . وقرئ كتب اللّٰه بالجمع والرفع أي هذه فرائض اللّٰه عليكم وكتب اللّٰه بلفظ الفعل .﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ﴾ عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتب اللّٰه. وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفاً على حرمت ﴿مَّا وَرَآءَ ذٰلِكُمْ﴾ ما سوى المحرمات الثمان المذكورة . وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر

قوله: ما سوي المحرمات الثمان المذكورة :أي في قوله تعالٰى:﴿ حرمت عليكم أمهاتكم- .إلى- وبنات الأخت﴾ وهن سبع والثامن ﴿أمهات نسائكم﴾ بناء على أن أمهات الرضاعة وأخواتها ملحقة بأمهاتكم وأخواتكم، وقد يقال أن الثمان المذكورة أي في قوله تعالٰى:﴿ حرمت عليكم أمهاتكم﴾ - إلى قوله تعالٰى: ﴿والمحصنات﴾ بناء على أنه تعالى ذكرأ ولا المحرمات النسبية من حيث أنها محرمات وفصله فيكون المحرمات النسبية من حيث أنها محرمات نسبية أحد الأمور المذكورة وإن كانت كثيرة في نفسه ، ويجوز أن يعتبر الأمورالكثيرة تارة واحدة وتارة كثيرة باعتبارين فاعتبرهنا واحدة واعتبر في حرمة الرضاعة وحرمة المصاهرة كثيرة فاعتبراثنين فيهما لأن ما سوي الأمهات والأخوات من الرضاعة مخصص من قوله تعالٰى:﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ على ما سيصرح به المصنف ، وثانيا محرمات الرضاعة اثنين، وثالثا محرمات المصاهرة اثنين، ورابعا محرمات مصاهرة ابناء كم، وخامسا الجمع بين الأختين، وسادسا ذوات الأزواج فتلك ثمانية .

محرمات الرضاع. والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ﴿ أَنْ تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُمْ مُّحْصِنِيْنَ غَيْرَ مُسٰفِحِيْنَ﴾ مفعول له والمعنى أحل لكم ما وراء ذلكم إرادة أن تبتغوا النساء بأموالكم بالصرف في مهورهن ، أو أثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين . ويجوز أن لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل إرادة أن تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين أو بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال .واحتج به الحنفية على أن المهر لا بد وأن يكون مالاً . ولا حجة فيه . والإحصان العفة فإنها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب . والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فإنه الغرض منه ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهٖ مِنْهُنّ﴾ فمن تمتعتم به من المنكوحات ، أو فما استمتعم به منهن من جماع أو عقد عليهن ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن فإن المهر في مقابلة الاستمتاع ﴿فَرِيْضَةً﴾ حال من الأجور بمعنى مفروضة ، أو صفة مصدر محذوف أي إيتاء مفروضاً أو مصدر مؤكد ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيْمَا تَرٰضَيْتُمْ بِهٖ مِنْ بَعدِ الْفَرِيْضَةِ ﴾ فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي ، أو فيما تراضيا به من نفقة أو مقام أو فراق . وقيل: نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام أباحها ثم أصبح يقول: " يا أيها النا س إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا إن اللّٰه حرم ذلك إلى يوم القيامة" وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمي بها إذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة ، أو تمتيعها بما تعطي . وجوزها ابن عباس رضي اللّٰه عنهما ثم رجع عنه ﴿إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيْمًا﴾ بالمصالح . ﴿حَكِيْمًا[٢٤]﴾فيما شرع من الأحكام.

قوله: ويجوز أن لا يقدر مفعول "تبتغوا" .أشار بذلك إلى أن في الوجه الأول المفعول مقدر وهو النساء وإذا لم يقدر يكون "تبتغوا" بمعنى "تصرفوا" على التضمين وقيل لأن الابتغاء بالمال يستلزم صرفها .

قوله: أو بدل من﴿ ماوراء ذلكم﴾ بدل الاشتمال وحينئذ لا بد من تقدير المفعول ضميرا يعود إليه ليصلح بدلا لاشتمال مثل أعجبني زيد حسنه .

قوله: واحتج به الحنفية على أن المهر لا بد وأن يكون مالا. لأن المراد أن تبتغوا بالمهر الذي هو في نفسه المال فيكون المهر مالا لاغير فيكون حجة لهم وليس المراد تعليق الحكم بالاسم حتى لايكون حجة لأن تعليقه به لا يدل على نفي ماعداه .

قوله: فإنه الغرض منه .دليل على أن المراد بالسفاح الزنا مع أن السفح مطلق صب المني .

﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾غنى واعتلاء وأصله الفضل والزيادة ﴿أَن يَنْكِحَ الْمُحْصَنٰتِ الْمُؤْمِنٰتِ﴾ في موضع النصب بـ"طولاً" أو بفعل مقدر صفة له أي ومن لم يستطع منكم أن يعتلي نكاح المحصنات ، أو من لم يستطع منكم غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله:﴿ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنٰتِ﴾يعني الإماء المؤمنات . فظاهر الآية حجة للشافعي رضي الله تعالى عنه في تحريم نكاح الأمة على من ملك مايجعله صداق حرة ، ومنع نكاح الأمة الكتابية مطلقاً . وأوَّل أبو حنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات بأن يملك فراشهن على أن النكاح هو الوطء وحمل قوله :﴿من فتياتكم المؤمنات﴾[٤ .النسا: ٢٥] على الأفضل . كما حمل عليه في قوله : ﴿المحصنات المؤمنات ﴾ ومن أصحابنا من حمله أيضاً على التقييد وجوز نكاح الأمة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذراً عن مخالطة الكفار وموالاتهم . والمحذور في نكاح الأمة رق الولد.وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج ﴿وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِإِيْمَانِكُمْ﴾فاكتفوا بظاهر الإيمان فإنه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الإيمان . فرب أمة تفضل الحرة فيه . ومن حقكم أن تعتبروا فضل الإيمان لا فضل النسب . والمراد تأنيسهم بنكاح الإيماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده ﴿ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ أنتم

قوله: فمن تمتعتم به من المنكوحات .فعلى هذا يكون المتمتع به نفس المنكوحات ويكون 'من' للبيان كما في قولك استمتع بالمال وهو الظاهر المتبادر من الكلام فلهذا اختاره المصنف وإن جوز صاحب الكشاف بطريق الاحتمال، أو المراد بما استمتعتم به الجماع أو عقد النكاح، ومن للابتداء إما متعلق باستمتعتم به أو حال منه، وعقد النكاح أيضًا مما يستمتع به إذ به يتمكن من الوطي فيسكن قلبه على محال الشهوة بملاحظة هذا التمكن وقيل نزلت الآية في المتعة فيكون المراد بالتمتع نكاح المتعة. أما كون الجماع استمتاعا به فظاهر. وأما كون العقد استمتاعا به فلأنه يفضي إلى الوطي وأيضًا يفضي إلى سائر المنافع سوى الوطي .

قوله: وأول أبو حنيفة طول الحرة. فجوز نكاح الأمة الكتابية على الحرة، والمعنى ومن لم يستطع منكم أن يملك وطي الحرة وذلك بأن لا يكون تحته حرة أي ومن لايكون تحته حرة فله أن ينكح من فتياتكم مؤمنات أ وكتابيات إلا أن نكاح المؤمنات أفضل لما فيه من عدم الاختلاط بالكفر .

وأرقاؤ كم متناسبون نسبكم من آدم و دينكم الإسلام ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ يريد أربابهن واعتبار إذنهم مطلقاً لا إشعار له على أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهم حتى يحتج به الحنيفة ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي أدوا إليهن مهورهن بإذن أهلهن، فحذف ذلك لتقدم ذكره ،أو إلى مواليهن فحذف المضاف للعلم بأن المهر للسيد لأنه عوض حقه فيجب أن يؤدي إليه . وقال مالك رضي الله تعالى عنه : المهورللأمة ذهاباً إلى الظاهر. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بغير مطل وإضرار ونقصان ﴿مُحْصَنٰتٍ﴾ عفائف﴿ غَيْرَ مُسٰفِحٰتٍ﴾ غير مجاهرات بالسفاح ﴿وَلَا مُتَّخِذٰتِ أَخْدَانٍ﴾ أخلاء في السر ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ بالتزويج . قرأ أبو بكر وحمزة بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزه وكسر الصاد ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ زنى ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصِنٰتِ﴾ يعني الحرائر .﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ من الحد لقوله تعالى: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾[٢٤. النور:٢] وهو يدل على أن حد العبد نصف حد الحر وأنه لا يرجم لأن الرجم لا يتنصف ﴿ذٰلِكَ﴾ أى نكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾لمن خاف الوقوع في الزنى ، وهو في الأصل انكسار العظم بعد الجبر، مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضررأعظم من موا قعة الإثم بأفحش القبائح . وقيل: المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الإماء ﴿وَأَنْ تَصبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي و صبركم عن نكاح الإماء متعففين خير لكم قال عليه الصلاة والسلام " الحرائر صلاح البيت والإماء هلاكه " ﴿وَاللّٰهُ غَفُورٌ﴾ لمن لم يصبر﴿رَّحِيْمٌ[٢٥]﴾ بأن رخص له .

﴿يُرِيْدُ اللّٰهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ما تعبدكم به من الحلال والحرام ، أو ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن أعمالكم . وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للإرادة كما في قول قيس بن سعد :

قوله: واعتبار إذنهم مطلقا لا إشعار له على أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن حتى يحتج به الحنيفة: يعني أن الآية تدل على ان الله تعالىٰ اعتبر الإذن في النكاح لا العقد ومباشرتهن إياه بأنفسهن فلا يكون حجة، ووجه احتجاج الحنفية في أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن أن الله اعتبر إذن الموالي وجعله متوقفا عليه لا عقد الموالي فالعقد باق على إطلاقه .

قوله:﴿ ولا متخذات أخدان﴾ أخلاء في السر :أي مسرَّات للزنا .

أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَم النَّاس أَنَّهُ سَرَاوِيْلُ قَيْسٍ وَالْوُفُودُ شُهُودُ

وقيل: المفعول محذوف، وليبين مفعول له أي يريد الحق لأجله ﴿وَيَهْدِيْكُمْ سُنَنَ الَّـذِيْـنَ مِـنْ قَبْلِكُمْ﴾مناهج من تقدمكم من أهل الرشد لتسلكوا طرقهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُم﴾ ويغفر لكم ذنوبكم ، أو يرشدكم إلى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة ، أو إلى ما يكون كفارة لسيئاتكم ،﴿ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ﴾ بها﴿حَكِيْمٌ[٢٦]﴾ في وضعها.

﴿وَاللّٰهُ يُـرِيْـدُ أَنْ يَتُـوبَ عَـلَيْـكُـمْ﴾ كرره للتأكيد والمبالغة ﴿وَيُرِيْدُ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَـوٰتِ﴾ يعني الفجرة فإن اتباع الشهوات الائتمار لها، وأما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها . وقيل: المجوس. وقيل: اليهود فإنهم يحلون الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت.﴿أَنْ تَمِيْلُوا﴾ عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات ﴿ مَيلًا عَظِيْمًا[٢٧]﴾ بالإضافة إلى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها .

﴿يُـرِيْـدُ اللّٰهُ أَنْ يُـخَـفِّفَ عَـنْـكُـمْ﴾ فلذلك شرع لكم الشرعه الحنيفة السمحة السهلة، ورخص لكم في المضايق كإحلال نكاح الأمة ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيْفًا[٢٨]﴾ لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات . وعن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما: ثمان آيات في سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت، هذه الثلاث : ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ﴾[٤. النساء : ٣١] ﴿إن اللّٰه لا يغفر أن يشرك به ﴾[٤.النساء :٤٨]﴿إن اللّٰه لا يظلم مثقال ذرة ﴾ ٣. النساء : ٤٠] ﴿ ومن يعمل سوءاً يجز به ﴾٤. النساء : ١٢٣] ﴿ وما يفعل اللّٰه بعذابكم ﴾[٤النساء : ٤٧]

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار ﴿ إِلَّآ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ استثناء منقطع : أي

قوله: ويغفر لكم ذنوبكم: فسر قبول التوبةالذي هو المعنى الموضوع له ليتوب عليكم بما ذكره من التفسيرين ليناسب المعطوف عليه وأيضًا قبول التوبة يقتضي سابقة التوبة ولاإشعار بها هنا بخلاف المغفرة فإنها يقتضي سابق الذنب وهو واقع قطعا ففسره باللازم لأن قبول التوبة يلزمه المغفرة .

قوله: استثناء منقطع :أي على التقديرين لأن التجارة عن تراض ليس من جنس الأكل بالباطل وفي الاستثناء المنقطع يجب أن يكون حكم المستثنى مخالفا لحكم سابق

ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه ، أو اقصدوا كون تجارة . وعن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين . وتخصيص التجارة من الوجوه التي يحل تناول مال الغير . لأنها أغلب وأرفق لذوي المروء ات . ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقاً . وقيل: المراد بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله . وبالتجارة صرفه فيما يرضاه . وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على "كان" الناقصة وإضمار الاسم إلا أن تكون التجارة أو الجهة تجارة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بالبخع كما تفعله جهلة الهند ، أو بإلقاء النفس إلى التهلكة . ويؤيده ما روي : أن عمرو بن العاص تأوله التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي ﷺ ، أو بارتكاب ما يؤدي إلى قتلها ، أو باقتراف ما يذلها ويرديها فإنه القتل الحقيقي للنفس. وقيل المراد بالأنفس من كان من أهل دينهم . فإن المؤمنين كنفس واحدة . جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث إنه سبب قوامها استبقاء لهم حيثما تستكمل النفوس . وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما أشار إليه بقوله :﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا[٢٩]﴾ أي أمر ما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم . وقيل: معناه إنه كان بكم يا أمة محمد رحيماً لما أمر بني اسرائيل بقتل الأنفس ونهاكم عنه .

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى القتل ، أو ما سبق من المحرمات ﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ إفراطاً في التجاوز عن الحق وإتياناً بما لا يستحقه . وقيل أراد بالعدوان التعدي على الغير ، وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب.

فاحتيج إلى اعتبار حكم مخالف لحكم سابق بحيث يصح بينهما الاستدراك فأخذ تارة من ظاهر النهي السابق واعتبر أمرا يقابله كأنه قيل لا تقصدو الأكل بالباطل لكن اقصدوا تجارة وتارةً بما يدل عليه النهي من أن الأكل بالباطل منهي عنه مواخذ عليه فاعتبر حكما يقابله به: أي لكن وقوع تجارة عن تراض ليس بمنهي ولامواخذ عليه .

قوله: من الوجوه التي يحل بها تناول مال الغير، كالهبة والقرض والبيع والسلم والمضاربة .

قوله: ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقا. أي يراد بالتجارة مطلق انتقال الشيء من ملك أحد إلى ملك غيره سواء بالتجارة أو غيرها فيشمل الكل فلا حاجة إلى بيان وجه تخصيص التجارة .

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيْهِ نَارًا﴾ ندخله إياها . وقرئ بالتشديد من صلى ، وبفتح النون من صلاه يصليه . ومنه شاة مصلية . ويصليه بالياء والضمير لله تعالى أو لذلك من حيث إنه سبب الصلي ﴿وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرًا[٣٠]﴾ لا عسر فيه ولا صارف عنه .

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَاتُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها. وقرئ كبير على إرادة الجنس﴿ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّاٰتِكُمْ﴾ نغفرلكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر. والأقرب أن الكبير كل ذنب رتب الشارع عليه حداً أو صرح بالوعيد فيه . وقيل ما علم حرمته بقاطع. وعن النبي ﷺ " أنها سبع : الإشراك بالله . وقتل النفس التي حرم الله ، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم ، والربا، والفرار من الزحف . وعقوق الوالدين " وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الكبائر إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع . وقيل أراد به ههنا أنواع قوله :إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .وقيل: صغر الذنوب وكبرها با لإضافة إلى ما فوقها وما تحتها . فأكبر الكبائر الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الأمران . فمن عنّ له أمران منها ودعت نفسه إليها بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرها كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الأكبر . ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الأشخاص والأحوال . ألا ترى أنه تعالى عاتب نبيه عليه الصلاة والسلام في كثير من خطواته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلاً عن أن يؤاخذه عليها ﴿ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيْمًا [٣١]﴾ الجنة وما وعد من الثواب ، أو إدخالاً مع كرامة . وقرأ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهوأيضاً يحتمل المكان والمصدر .

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهٖ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ﴾ من الأمور الدنيوية كالجاه والمال . فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة إلى التحاسد والتعادي ، معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وأنه تشبه لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذوم ، لأن

قوله: أو لذلك :أي للفظ ذلك وعائد إليه.

قوله: وعن ابن عباس رضي الله عنهما. قال رجل له: الكبائر سبع. فقال: هي إلى سبعمائة، أقرب منها إلى سبع. لأنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار. يعني أن الصغيرة كبيرة مع الإصرار والكبيرة لا تبقى مع الاستغفار فتكثر الكبائر .

تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر ، وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ، وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ بيان لذلك: أي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن أجله . فاطلبوا الفضل من الله تعالى بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه الصلاة والسلام "ليس الإيمان بالتمني". وقيل: المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه . وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حالة الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له ﴿وَسْئَلُواالله مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي لا تمنوا ما للناس واسألو الله مثله من خزائنه التي لا تنفد . وهو يدل على أن المنهي عنه هو الحسد ، أو لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه إليكن . وقرأ ابن كثير والكسائي وسلوالله من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه إذا كان أمراً مواجهاً به، وقبل السين واو أو فاء بغير همز وهمزة في الوقف على أصله، والباقون بالهمز ﴿ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا[٣٢] ﴾ فهو يعلم ما يستحقه كل إنسان فيفضل عن علم وتبيان . روي " أن أم سلمة قالت: يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا" فنزلت.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ أي ولكل تركة جعلنا وراثاً يلونها ويحرزونها، ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل ، أو لكل ميت جعلنا ورّاثاً مما ترك على أن "مِن" صلة موالي ؛ لأنه في معنى الورّاث . وفي ترك ضمير كل والوالدان

قوله: فلعل عدمه خير: يعني إنما نهوا عن تمني الأمور الدنيوية كالجاه والمال لما أن عدمها خير لما فيها من المفاسد، وعلى تقدير أن يكون خيرا فالمقتضي للنهي عن تمنيها هو كون تمنيها ذريعة مفضية إلى التحاسد وإلا فالغبطة جائزة عند بعض العلماء وهو تمني حصول مثل النعمة مع ثباتها بصاحبها بخلاف الحسد فإنه تمني حصول النعمة مع زوالها عن صاحبها، وكون ذلك التمني تشبيها لحصول ا لشيء من غير طلب وهو مذموم .

قوله: ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل :إشارة إلى دفع ما قال السجا وندي أن في الوجه الأول ضعفا للفصل بين الموصوف ـ أعني 'كل'ـ والصفة ـ أعني 'مما ترك'ـ بمنزلة قولك "لكل رجل جعلت درهما فقير"و وجه الدفع أن هذا فصل بالعامل ، والعامل لم يتخلل بل المعمول قد تقدم فجاء التخلل من ذلك فلم يضعف إذ حق المعمول التأخير عن عامله وحينئذ يكون الموصوف مقرونا بصفته .

والأقربون استئناف مفسر للموالي . وفيه خروج الأولاد فإن الأقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين ، أو لكل قوم جعلنا هم موالي حظ مما ترك الوالدان والأقربون . على أن جعلنا "موالي" صفة "كل" والراجع إليه محذوف ، وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر .
﴿وَالَّذِيْنَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ موالي الموالاة ، كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولي ببعض﴾[٨.الأنفال:٧٥] وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى : لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقد على أن يتعاقلا ويتوارثا صحّ و ورث أو الأزواج على أن العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره ﴿فَاٰتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ﴾ أو منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك : زيداً فاضربه ، أو معطوف على "الوالدان" وقوله "فآتوهم" جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها. والضمير للموالي وقرأ الكوفيون "عقدت" بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم فحذف العهود وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الأخرى ﴿إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدًا[٣٣]﴾ تهديد على منع نصيبهم .
﴿أَلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ﴾ يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية ، وعلل ذلك بأمرين: وهبي وكسبي فقال: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللّٰهُ بَعْضَهُمْ عَلٰى بَعْضٍ﴾ بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ، ومزيد القوة في الأعمال والطاعات .

قوله: وفيه خروج الأولاد:وفي الوجه الثاني يلزم خروج الأولاد مع أنهم وارثون للميت أيضًا لأنه على هذا الوجه مفسرا بالوالدين والأقربين فيكون الوارث مقتصرا عليهما بخلاف الوجه الأول فإن فيه الوالدان والأقربون فاعل "ترك" فيكون بيانا لكل تركة تركها الوالدان والأقربون أن له وارثا، وإنّ حكم تركة تركها الأولاد مسكوت عنه .

قوله: فالجملة من مبتدأ وخبر: المبتدأ هو "حظ" والخبر هو "لكل" وقد يقال: إن لكل قوم جعلنا هم موالي وارثًا حظ مما ترك الوالدان والأقربون مع أن الوالدين جعلا وارثين مع أنهما ليس لهما حظ مماترك الوالدان بل مما ترك أولادهما .

قوله: كما حذف في القراءة الأخرى .وهي عاقدت أيمانكم. أي عاقدتهم أيمانكم .

قوله: قيام الولاة على الرعية: أي آمرين ناهين إلى غير ذلك .

ولـذلك خصوا بالنبوة والإمامة ، وإقامة الشعائر ، والشهادة في مجامع القضايا ، ووجوب الـجهاد والجمعة ونحوها ، والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق . ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ في نكاحهن كالمهر والنفقة . روي أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير ، فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله ﷺ فشكى فقال رسول الله ﷺ : لتقتص منه . فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام :" أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراداللّه خير" ﴿ فَالصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ مطيعات للّه قائمات بحقوق الأزواج ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ لمواجب الغيب أي يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال . وعنه عليه الصلاة والسلام : " خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها." وتلا الآية . وقيل: لأسرارهم ﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ بحفظ اللّه إياهن بالأمر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له ، أو بالذي حفظة اللّه لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام يحفظهن والذب عنهن . وقرئ بما حفظ اللّه بالنصب على أن ما موصولة فإنها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل . والمعنى بالأمر الذي حفظ حق اللّه وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال ﴿ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنّ﴾ عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الأزواج من النشز ﴿فَعِظُوهُنَّ واهجروهُنَّ في الْمَضَاجِعِ﴾ في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف، أو لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع .

قوله:وإقامة الشعائر:أي شعائر الإسلام كالجمعة والعيدين.

قوله: والتعصيب : إنما قال والتعصيب دون العصوبة لأن النساء يصرن عصبات بالرجال كماإذا مات أحد وترك ابنًا وبنتًا يجعل الابن البنت عصبة لأنهاتأخذ مما بقي من أصحاب الفروض كالابن فيكون التعصيب من خواص الرجال .

قوله:والاستبداد بالفراق : أي للطلاق .

قوله: لمواجب الغيب. جمع موجب، والمراد بموجب الغيب ما يوجبه الغيب أي ما يجب المحافظة عليها في حالة غيب الزوج وهذا معنى قوله: أي يحفظن الخ.

قوله:من النشز.قال الجوهري :النشز المكان المرتفع .

قوله: فيكون كناية عن الجماع : يعني إذا كان المراد لا تباشروهن يكون المضاجعة كناية عن المجامعة فيكون عدم المضاجعة عدم الجماع هذا هو الظاهر لأنه لو

وقيل : المضاجع المبايت أي لا تبايتوهن ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ يعني ضرباً غير مبرح ولا شائن والأمور الثلاثة مرتبة ينبغي أن يتدرج فيها ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ بالتوبيخ والإيذاء . والمعنى فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا[٣٤]﴾ فاحذروه فانه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم . أو أنه على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عن أزواجكم ، أو أنه يتعالىٰ ويتكبر أن يظلم أحداً أو ينقص حقه .

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ خلافاً بين المرأة وزوجها . اضمرهما وإن لم يجر ذكرهما لجرى ما يدل عليهما وإضافة الشقاق إلى الظرف إما لإجرائه مجرى المفعول به كقوله : يَا سَارِقَ اللَّيْلَةَ أَهْلَ الدَّارِ أو لفاعل كقولهم نهارك صائم ﴿ فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ فابعثوا أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الأمر أو إصلاح ذات البين ، رجلاً وسطاً يصلح للحكومة والإصلاح من أهله وآخر من أهلها . فإن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح . وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الأجانب جاز . وقيل:الخطاب للأزواج والزوجات . واستدل به على جواز التحكيم . والأظهر أن النصب لإصلاح ذا ت البين أو لتبيين الأمر ولا يليان الجمع والتفريق إلا بإذن الزوجيين . وقال مالك لهما أن يتخالعا إن وجدا الصلاح فيه ﴿إِنْ يُرِيْدآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بِيْنَهُمَآ﴾ الضمير الأول للحكمين والثاني للزوجين . أي أن قصدا الإصلاح أو قع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين. وقيل كلاهما للحكمين أي إن

فرض تلك المضاجعة كناية عند ترك الجماع فإنما يكون بتبع تلك الكناية فلا يتجه ما قيل: الأظهر أن يقال عن ترك الجماع لرجع الضمير الى هجران المضاجع .

قوله:ضرباغير مبرح:قال الجوهري:بَرَّح به الأمر تبريحًا:جهد وضربه ضربًا مبرحًا.

قوله: والأمور الثلثة مرتبة ينبغي أن يتدرج فيها ، يعني إذا نشزن فعظوهن، ثم إن لم يتب فاهجروهن، ثم إن لم يتب فاضربوهن .

قوله: أو أنه يتعالىٰ ويكبر أن يظلم أحدا أو ينقص حقه. أي فإن لم تزيلوا عنهن التعرض فإن الله لا يظلم على أحد فيعدل بينكما، أو أن الله لا ينقص حق أحد بل يتم حقه فيتم حقهن .

قصدا الإصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما . وقيل للزوجين أي إن أراد الإصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الألفة والوفاق . وفيه تنبيه على أن من أصلح نيته فيما يتحراه أصلح الله مبتغاه ﴿إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيْمًا خَبِيْرًا[٣٥]﴾ بالظواهر والبواطن . فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق.

﴿وَاعْبُدُوا اللّٰهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهٖ شَيْئًا﴾ صنماً أو غيره ، أو شيئًا من الإشراك جلياً أو خفياً ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ وأحسنوا بهما إحساناً ﴿وَّبِذِى الْقُرْبٰى﴾ وبصاحب القرابة، ﴿وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنِ وَالجَارِ ذِ ى القُرْبٰى﴾أي الذي قرب جواره . وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين . وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيماً لحقه ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ البعيد ، أو الذي لا قرابة له . وعنه عليه الصلاة والسلام ." الجيران ثلاثة . فجار له ثلاثة حقوق : حق الجوار ، وحق القرابة ، وحق الاسلام ، وجار له حقان : حق الجوار وحق الإسلام . وجار له حق واحد : حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب " ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ا لرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر . فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة﴿ وَابْنِ السَّبِيْلِ﴾ المسافر أو الضعيف ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ العبيد والإماء ﴿إِنَّ اللّٰهَ لَايُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا ﴾ متكبراً عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم ﴿فَخُورًا[٣٦]﴾ يتفاخر عليهم.

﴿الَّذِيْنَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُنَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ بدل من قوله من كان ، أو نصب على الذم أو رفع عليه؛ أي: هم الذين، أو مبتدأ خبره محذوف تقديره: الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به . وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا اٰتٰهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ﴾ الغنى والعلم فهم أحقاء بكل ملامة ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابًا مُّهِيْنًا[٣٧]﴾ وضع الظاهر فيه موضع المضمر إشعاراً بأن من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله . وما كان كافراً لنعمة الله فله عذاب يهنه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء . والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوايقولون للأنصار تنصحياً : لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر . وقيل في الذين كتموا صفة محمد ﷺ .

﴿وَالَّذِيْنَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَآءَ النَّاسِ﴾ عطف على الذين يبخلون ، أو الكافرين . وإنما شاركهم في الذم والوعيد لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق لا على من ينبغي من

قوله: أو مبتداء خبره محذوف: "وهو أحقاء بكل ملامة" .

حيث إنهما طرفا إفراط وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم . أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه قوله:" ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قريناً "﴿ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ليتحروا بالإنفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة . وقيل هم المنافقون ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَـٰنُ لَهُ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا[٣٨]﴾ تنبيه على أن الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾[١٧ . الإسرائيل:٢٧] والمراد إبليس وأعوانه الداخلة والخارجة . ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن يقرن بهم الشيطان في النار .

﴿وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي وما الذي عليهم . أو أي تبعة تحيق بهم بسبب الإيمان والإنفاق في سبيل الله . وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعه والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه . وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة . والعوائد الجميلة وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغى أن يجيب إليه احتياطاً . فكيف إذا تضمن المنافع . وإنما قدم الإيمان هٰهنا وأخره في الآية الأخرى لأن القصد بذكره إلى التخصيص هٰهنا والتعليل ثمه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا[٣٩]﴾ وعيد لهم .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ لا ينقص من الأجر ولايزيد في العقاب أصغر شيء كالذرة . وهي النملة الصغيرة . ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء . والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره إيماء إلى أنه و إن صغر قدره عظم جزاؤه ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً﴾ وإن يكن

قوله: وأعوانه الداخلة: كالأوهام والشهوات، والخارجة كباقي الشياطين بأن يقرن بهم الشيطان :أي في النار .

قوله: أي وما الذي عليهم أوأي تبعة: يعني يجوز أن يراد بما ذا مطلق ما يضر كما هو الظاهر، أوالتبعة كما ذهب إليه صاحب الكشاف وهو ما يتبع به الشخص، والمعنى أي ضرر عليكم، أو أي تبعة في الإيمان: أي لا ضرر ولا تبعة فيه، بل هو مكان المنفعة .

قوله: لأن القصد بذكره إلى التحضيض ههنا،أي عليه فيكون أهم فيقدم والتعليل ثمة والتعليل يوخر عن المعلول .

قوله: وفي ذكره إيماء إلى أنه وإن صغر قدره عظم جزاء ه: يعني أن فيه ثقلا من حيث الأجر .

مثقال الذرة حسنة، وأنث الضمير لتأنيث الخبر ، أو لإضافه المثقال إلى مؤنث. وحذف النون من غير قياس تشبيهاً بحروف العلة . وقرأا بن كثير و نافع حسنةٌ بالرفع على "كان" التامة ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾يضاعف ثوابها، وقرأ ابن كثيروابن عامر ويعقوب يُضعِفها وكلاهما بمعنى ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ﴾ ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائداً على ما وعد في مقابلة العمل ﴿أَجْرًا عَظِيْمًا[٤٠]﴾ عطاء جزيلاً . وإنما سماه أجراً لأنه تابع للأجر مزيد عليه .

﴿فَكَيْفَ﴾ أي فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم ؟ ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍبِشَهِيْدٍ﴾يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح أعمالهم . والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر وتعظيم الشأن ﴿وَّجِئْنَا بِكَ﴾يا محمد ﴿عَلٰى هٰؤُلَاءِ شَهِيْدًا[٤١]﴾ تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم . واستجماع شرعك مجامع قواعدهم . وقيل: هؤلاء إشارة إلى الكفرة المستفهم عن حاله . وقيل: إلى المؤمنين كقوله تعالى:﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[٢. البقرة : ١٤٣﴾

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوّٰى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ بيان لحالهم حينئذ . أي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الأمر ، أو الكفرة والعصاة في ذلك الوقت أنَ يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى ، أو لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا هم والأرض سواء ﴿وَلَا يَكْتُمُوْنَ اللّٰهَ حَدِيْثًا[٤٢]﴾ ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم . وقيل الواو للحال أي يودون أن تسوى بهم الأرض وحالهم أنهم لا يكتمون من اللّٰه حديثاً ولا يكذبونه بقولهم ﴿واللّٰه ربنا ما كنا مشركين﴾[٦. الأنعام:٢٣] إذ روي أنهم إذا قالوا ذلك ختم اللّٰه على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم . فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض . وقرأ نا فع و ابن عامر تسوى بهم على أن أصله تتسوى فأدغمت التاء في السين . وقرأ حمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى .

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ الصَّلوٰةَ وَأَنْتُمْ سُكٰرىٰ حَتّٰى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُوْنَ﴾أي لا تقوموا إليها وأنتم سكارى من نحو نوم أو خمر حتى تتنبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم

قوله: والعامل في الظرف مضمون المبتداء والخبر. وهما فكيف حالهم أي حال وعظم شأن هؤ لاء إذا جئنا .

روي أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه صنع مأدبة ودعا نفراً من الصحابة حين كانت الخمر مباحة . فأكلوا وشربوا حتى ثملوا . وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم فقرأ : أعبد ما تعبدون فنزلت: وقيل: أراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد، وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلاة . وإنما المراد النهي عن الإفراط في الشرب والسكر . من السكر وهو السد . وقرئ سَكارى بالفتح وسَكرى على أنه جمع كهلكى . أو مفرد بمعنى وأنتم قوم سكرى . أو جماعة سكرى، وسكرى كحبلى على أنها صفه للجماعة ﴿وَلَا جُنُبًا﴾عطف على قوله وأنتم سكارى إذ الجملة في موضع النصب على الحال . والجنب الذي أصابته الجنابة . يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع . لأنه يجري مجرى المصدر ﴿ إِلَّا عَابِرِى سَبِيْلٍ﴾ متعلق بقوله ولا جنباً، استثناء من أعم الأحوال: أي لا تقربو الصلاة جنباً في عامة الأحوال إلا في السفر وذلك إذا لم يجد الماء وتيمم . ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم ، أو صفة لقوله جنبا ً أي جنباً غير عابري سبيل . وفيه دليل على أن التيمم لا يرفع الحدث . ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها . وجوز للجنب عبور المسجد ، وبه قال الشا فعي رضى الله تعالىٰ عنه. وقال أبو حنيفة رضى الله تعالىٰ عنه:لا يجو ز له المرور في المسجد إلا إذا كان فيه الماء أو الطريق ﴿حَتّٰى تَغْتَسِلُواْ﴾ غاية النهي عن القربان حال الجنابة . وفي الآية تنبيه على أن المصلي ينبغي أن يتحرز عما يليهه ويشغل قلبه . ويزكي نفسه عما يجد تطهيرها عنه .

قوله: وقيل: أراد بالصلوٰة مواضعها. إما بحذف المضاف ،أو من إطلاق الحال على المحل .

قوله: وهو السد: السد: المنع، والسكر يسد العقل؛ أي يمنعه عن فعله.

قوله: أو صفة لقوله جنبا. يعني جعل إلابمعنى غير ويكون صفة لجنبا لكونه جمعا منكرا كما في قوله تعالى:﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله ﴾ورد عليه بأن هذا إنما تصح عند تعذر الاستثناء ولا تعذر ههنا لعموم النكرة بالنفي .

قوله: أوالطريق. أيإلى الماء .

قوله: وفي الآية تنبيه على أن المصلي ينبغيله أن يتحرزعما يلهيه .حيث قال:﴿ولا تقربوا الصلوٰة وأنتم سكارى﴾ وأن يزكي نفسه عما يجب تطهيرها حيث قال ولا جنبا الخ.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْضىٰ﴾ مرضاً يخاف معه من استعمال الماء .فان الواجد كالفاقد ، أو مرضاً يمنعه عن الوصول إليه ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ لا تجدونه فيه ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَآئِطِ﴾ فأحدث بخروج الخارج من أحد السبلين . وأصل الغائط المكان المطمئن من الأرض ﴿أَوْ لٰمَسْتُمُ النِّسَآءَ﴾ أو ما سستم بشرتهن بشرتكم . وبه استدل الشافعي على أن اللمس ينقض الوضوء . وقيل: أو جامعتموهن . وقرأ حمزه والكسائي هنا وفي المائدة لمستم . واستعماله كناية عن الجمع أقل من الملامسة ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً﴾ فلم تتمكنوا من استعماله ؛ إذ الممنوع عنه كالمفقود . ووجه هذا التقسيم أن المترخص بالتيمم إما محدث أو جنب، والحالة المقتضية له في غالب الأمر مرض أو سفر، والجنب لما سبق ذكره، اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر من أسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض . واستغني عن تفصيل أحواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملاً فكأنه قيل : وإن كنتم جنباً مرضى أو على سفر أو محدثين جئتم من الغائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ما ء.

﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيْدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ﴾ أي فتعمدوا شيئًا من وجه الأرض طاهراً . ولذلك قالت الحنيفة: لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به أجزأه . وقال أصحابنا لا بد من أن يعلق باليد شيء من التراب لقوله تعالى في المائدة ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾[٥. المائدة : ٦﴾ أى من بعضه .

قوله: فلم تتمكنوا من استعماله .إنما فسر به ليتفرع على قوله : مرضى .لأن المريض يجد الماء لكن لم يتمكن من استعماله .

قوله: ووجه هذا التقسيم .يعني أن الذي رخص له التيمم إما محدث أو جنب والحالة المقتضية للتيمم في غالب الأمر إما مرض أو سفر فاكتفى بذكر الجنب سابقا عن ذكره وذكر بيان الحالة الموجبة للتيمم وهي المرض والسفر، وذكر المحدث بذكر أسبابه ما يحدث بالذات كالغائط وما يحدث با لعرض كملامسة النساء واكتفى عن ذكر أحواله الموجبة للتييم بذكر أحوال الجنب وبيان العذ ر مجملا الذي هو المرض والسفرفكأنه قال: وإن كنتم جنبا مرضى أو على سفرأ ومحدثين جئتم من الغائط أولا مستم النساء مرضى أو على سفر فلم تجد وا ماءً .

وجعل "من" لابتداء الغاية تعسف إذ لا يفهم من نحو ذلك إلا التبعيض . واليد اسم للعضو إلى المنكب . وما روي أنه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه إلى مرفقيه ، والقياس على الوضوء دليل على أن المراد ها هنا وأيدكم إلى المرافق ﴿إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا[٤٣]﴾فلذلك يَسّر الأمر عليكم ورخص لكم .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ أُوتُواْ﴾ من رؤية البصر أي ألم تنظر إليهم . أو القلب . وعدّي بإلى لتضمن معنى الانتهاء ﴿نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتٰبِ﴾ حظا يسيراً من علم التوراة لأن المراد أحبار اليهود﴿يَشْتَرُونَ الضَّلٰلَةَ﴾ يختارونها على الهدى ، أو يستبدلونها به بعد تمكنهم منه أو حصوله لهم بإنكار نبوة محمد ﷺ . وقيل: يأخذون الرشى ويحرفون التوراة . ﴿وَيُرِيْدُونَ أَنْ تَضِلُّواْ﴾ أيها المؤمنون﴿السَّبِيْلَ[٤٤]﴾ سبيل الحق .

﴿وَاللّٰهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم ﴿وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمركم ﴿وَّكَفٰى بِاللّٰهِ نَصِيْرًا[٤٥]﴾ يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره . والباء تزا د في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الإسنادي با لاتصال الإضافي . ﴿مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ﴾ بيان "للذين أوتوا نصيبًا"فإنه يحتملهم وغيرهم . وما

قوله:وجعل 'من' لابتداء الغاية: يعني جعلُ 'من' لابتداء الغاية بمعنى أن المسح يبتدأ منه وإن لم يلصق منه شيء با ليد تعسف؛ إذلا يفهم من نحوذلك إلاالتبعيض، مثل قول القائل مسحت براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب لا يفهم منه إلاالتبعيض.

قوله:وما روي الخ. يعني كل واحد من المروي والقياس علي الوضوء دليل على أن المراد من قوله: "وأيديكم" أيديكم إلي ا لمرافق .

قوله: أوالقلب وعدي بإلي لتضمين معنى الانتهاء :وذلك أن افعال القلوب تتعدى إلي المفعولين بنفسها، والمعنى ألم ينته علمك اليهم .

قوله: لتوكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي: أي صورةً إذ لا إضافة حقيقة في الحرف الزائد فكان فيه نسبتين. هذا بيان لوجه المناسبة وإلا فالحرف الزائد يفيد التأكيد مطلقا من غير أن يعتبر الاتصال.

قوله: فإنه يحتملهم وغيرهم: أي الذين أوتوانصيبا من الكتاب يحتمل اليهود والنصارى فبين باليهود وما بينهما أعني قوله تعالٰى: ﴿والله اعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا﴾ اعتراض للتأكيد والتهديد .

بينهما اعتراض أو بيان لأعدائكم أو صلة لنصيراً ، أو ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم أو خبر محذوف صفته﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم: أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بإزالته عنها وإثبات غيره فيها، أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه . وقري الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿ وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أي مدعوا عليك بـ" لا سمعت" لصمم أو موت . أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعوا إليه . أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه . أو اسمع كلاماً غير مسمع إياك لأن أذنك تنبوعنه فيكون مفعولاً به . أو اسمع غير مسمع مكروهًا من قولهم أسمعه فلان إذا سبه . وإنما قالوه نفاقاً ﴿وَرَاعِنَا﴾ انظرنا نكلمك أو نفهم كلامك﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾فتلابها وصرفا للكلام إلى ما يشبه السب ، حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروهاً ، أو فتلا بها وضمّاً لما يظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقاً ﴿ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ استهزاء به وسخرية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا﴾ ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ لكان قولهم ذلك خيراً لهم وأعدل . وإنما يجب حذف الفعل بعد "لو" في مثل

قوله: أو بيان لأعدائكم: يعني أو من الذين هادوا بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض

قوله:﴿ واسمع غير مسمع﴾. هذا قول ذو وجهين يحتمل ا الذم والمدح، هو المسمى في علم البديع بالتوجيه، وذكر في الذم أربعة أوجه. مبنى الأول على أن مسمع متروك المفعول الثاني من غير أن يجعل كناية عن مقيد: أي اسمع مدعوا عليك بلا سمعت بسبب صمم أو موت مجابا فيك هذه الدعوة بحيث يصح إنك غير مسمع .ومبنى الثاني على أنه متروك المفعول الثاني وجعل ذلك المطلق كناية عن المقيد بمفعول مخصوص أعني جوابا يوافقك كما في قوله شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصرو يسمع واع. ومبنى الثالث على أنه محذوف المفعول المخصوص بقرينة الحال والمقام . ومبنى الرابع على أن غير مسمع مفعول به بخلاف الوجوه السابقة فإنه فيها حال وذكر في المدح وجها واحدا وهو أنه متروك المفعول المخصوص هو مكروه وإنما قالوه نفاقا إذ ليس قصدهم المدح .

ذلك لدلالة "أن" عليه ووقوعه موقعه ﴿ وَلَكِنْ لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ ولكن خذلهم الله وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيْلًا[٤٦]﴾أي إلا إيماناً قليلاً لا يعبأ به وهو الإيمان ببعض الآيات والرسل . ويحتمل أن يراد بالقلة العدم كقوله :

قَلِيْلُ التَشكِّي لِلْمُهِم يَصِيبُهُ

أو إِلَّا قَلِيْلًا منهم آمنوا أو سيؤمنون

﴿يَآأَيُّهَا الَّذِيْنَ أُوتُوالْكِتَبَ اٰمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَّطْمِسَ وَجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَآ﴾ من قبل أن نمحو عنهم تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها. يعني الاقفاء ، أو ننكسها إلى ورائها في الدنيا . أو في الآخرة . وأصل الطمس إزالة الأعلام المماثلة، وقد يطلق بمعنى الطلس في إزالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ، ولذلك قيل: معناه من قبل أن نغير وجوها فنسلب وجاهتها وإقبالها ونكسوها الصغار والإدبار . أو نردها إلى حيث جاءت منه . وهي أذرعات الشام يعني إجلاء بني النضير . ويقرب منه قول من قال إن المراد بالوجوه الرؤساء ، أومن قبل أن نطمس وجوها بأن نعمي الأبصار عن الاعتبار ونصم الأسماع عن الإصغاء إلى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَبَ السَّبْتِ﴾ أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب السبت . أو نمسخهم مسخاً مثل مسخهم ، أو نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود

قوله:ويحتمل أن يراد بالقلة العدم : أي لا يؤمنون إلا إيمانا معدوما،إما على طريقه لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى أي إن كان الإيمان المعلوم إيمانا فهم يحدثون شيئًا من الإيمان فهو في المعنى تعليق بالمحال، وإما على أن ما يحدثون من الإيمان لها لم يشتمل على جميع ما يجب كان معدوما انعدام الكل بانعدام الجزء وإنما شاع استعمال القلة في العدم من جهة أن القليل من الشيء يكون في الأكثر في حكم مالا يعتد به لدخوله تحته قدرة في معرض الفناء والدروس .

قوله: قليل التشكي الخ. والمهم من الهم بمعنى الحزن أو بمعنى القصد، والمعنى أنه صبور على النوائب لا يكاد يتألم ويشتكي كثيرا لهم .

قوله: أو إلا قليلا منهم آمنوا،فيكون استثناء من ضمير الفاعل في لا يؤمنون في غير الموجب، وفيه اتفاق القراء على غير المختار فالأولى أنه استثناء من ضمير "لعنهم" المترتب عليه فلا يؤمنون أي القليل منهم فإنه لم يلعنهم فآمنوا .

قوله: أو ننكسها إلى ورائها: أي ننكس الوجوه إلى خلف، والاقفاء إلى قدام .

والضمير لأصحاب الوجوه أو للذين على طريقة الالتفات، أو للوجوه إن أريد به الوُجَهَاء . وعطفه على الطمس بالمعنى الأول يدل على أن المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا، ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا. قال إنه بعد مترقب أو كان وقوعه مشروطا بعدم إيمانهم وقد آمن منهم طائفة ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بإيقاع شيء أو وعيده . أو ما حكم به و قضاه ﴿مَفْعُولًا[٤٧]﴾ نا فذاً وكائناً فيقع لا محالة ماأوعدتم به إن لم تؤمنوا .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ لأنه بت الحكم على خلود عذابه وأن ذنبه لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذٰلِكَ﴾ أي ما دون الشرك صغيراً كان أو كبيراً﴿لِمَنْ يَشَآءُ﴾ تفضلاً عليه وإحساناً. والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى إن الله لا يغفر الشرك لمن يشاء ، وهو من لم يتب، ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب . وفيه تقييد بلا دليل إذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه، ونقض لمذهبهم فإن تعليق الأمر بالمشيئة ينا في وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها . فالآية كما

قوله: إنه بعد مترقب. أي تبديل صورة اليهود ومسخهم مترقب لابد أن يقع قبل يوم القيامة.

قوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾. ظاهر الآية التفرقة بين الشرك وما دونه بأن الله تعالىٰ لا يغفر الأول البتة، ويغفر الثاني لمن يشاء ونحن نقول بذلك عند عدم التوبة فحملنا الآية عليه بقرينة الأحاديث والآيات الدالة على قبول التوبة فيهما ومغفرتهما عندها بلا خلاف من أحد، وأما المعتزلة فلا يقولون بالتفرقة بين الشرك وما دونه من الكبائر في أنهما يغفران بالتوبة ولا يغفران بدونها فحملوا الآية على معنى إن الله لا يغفر الإ شراك لمن يشاء أن لا يغفر له وهو غير التائب ويغفر ما دونه لمن يشاء أن يغفر له وهو التائب وذلك أنه لما احتيج إلى التقييد وقد قيل المثبت لمن يشاء كان الظاهر من اللفظ المناسب للمعنى تقييد المنفي أيضًا على ما هو قاعدة التنازع لكن من يشاء في الأول هم المصرون بالاتفاق ففي الثاني التائبون قضاء لحق التقابل والافتراق. واعترض عليه المصنف بأن تقييد ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ لمن يشاء تقييد بلا دليل، إذ آيات الوعيد العامة لم يقيد بالاستثناء فكذا آيات الوعد لم يقيد الوعيد فيها بالاستثناء بخلاف أهل الحق فإنهم قيدوها بالآيات والأحاديث فلا يلزمهم ذلك .

قوله: فإن تعليق الأمر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب. فإنه يدل على أن مدار الأمر على المشيئة فلا يجب شيء .

هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب شرك وأن صاحبه خالد في النار﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا[٤٨]﴾ ارتكب ما يستحقر دونه من الآثام وهو إشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب ، والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني أهل الكتاب قالوا ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [٥. المائدة: ١٨] وقيل: ناس من اليهود جاؤوا بأطفالهم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: هل على هؤلاء ذنب قال: لا، قالوا: والله ما نحن إلا كهيئتهم، ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل . وما عملنا بالليل كفرعنا بالنهار . وفي معناهم من زكى نفسه وأثنى عليها . ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَآءُ﴾ تنبيه على أن تزكيته تعالى هي المعتد بها دون تزكية غيره . فإنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن وقبيح . وقد ذمهم وزكّى المرتضين من عباده المؤمنين . وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلاً أو قولاً ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ بالذم أو العقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق ﴿ فَتِيلًا[٤٩]﴾ أدنى ظلم وأصغره . وهو الخيط الذي في شق النواة، يضرب به المثل في الحقارة .

﴿أُنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في زعمهم أنهم أبناء الله وأزكياء عنده . ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ﴾ بزعمهم هذا أو بالافتراء ﴿ إِثْمًا مُّبِينًا[٥٠]﴾ لا يخفى كونه مأثماً من بين آثامهم .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ نزلت في يهود كانوا يقولون إن عبادة الأصنام أرضى عند الله مما يدعوهم إليه محمد . وقيل في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من اليهود خرجواإلىمكة يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله ﷺ فقالو: أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا. والجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله . وقيل أصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء . والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لأجلهم

قوله: والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل .قيل إنه مشترك لفظا بين القول والفعل، وهو مختارا لمصنف .وقيل إنه مشترك معنى بينهما وهو ارتكاب مالا يصح أن يكون قولا كان أو فعلا فيقع على اختلاف الكذب وارتكاب الإثم .قال العلامة التفتازاني: الأظهر أنه حقيقة في اختلاف الكذب أي تعمده مجاز فيما لا يصح .

ودينهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إليهم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوا سَبِيلًا[٥١]﴾ أقوم ديناً وأرشد طريقاً .﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِيْنَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُۥ نَصِيْرًا[٥٢]﴾ يمنع العذاب منه بشفاعة أو غيرها.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ أم منقطعة بمعنى بل و الهمزة إنكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من أن الملك سيصير إليهم ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيْرًا[٥٣]﴾ أى لو كان لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحداً ما يوازي نقيرا ، وهو النقرة في ظهر النواة . وهذا هو الإغراق في بيان شحّهم فإنهم إن بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم إذا كانوا فقراء أذلاء متفاقرين . ويجوز أن يكون المعنى إنكار أنهم أوتوا نصيباً من الملك على الكناية ، وأنهم لا يؤتون الناس شيئًا وإذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الإلغاء والإعمال . ولذلك قرئ فإذاً لا يؤتوا الناس على النصب .

قوله: أم منقطعه بمعنى بل والهمزة: ومعنى بل الإضراب عن ذمهم بتزكيتهم أنفسهم إلى ذمّهم بالبخل والحسد الذين هماشرّ خصلتين وفوق رز يلة التزكية من العجب والكذب، ومعنى الهمزة إنكار أن يكون لهم نصيب من الملك لعدم استحقاقهم له .

قوله: أي لو كان لهم نصيب من الملك. يعني أن قوله فإذن جواب شرط محذوف وأن هذا من قبيل لو لم يخف الله لم يعصه .

قوله: ويجوز أن يكون المعني: يعني يجوزأن يكون الفاء عاطفة ومعنى الهمزة إنكار مجموع المعطوف والمعطوف عليه بمعنى أنه لا ينبغي أن يكون هذاالذي وقع: وهو أنهم أُوتوا نصيبا من الملك ويعقبه منهم البخل بأقل - قليلامنه وأن إنكارأو توا نصيبا من الملك ثابت على سبيل الكناية .

قوله: وإذا وقع بعد الواو والفاء لالتشريك مفرد، إذن تنصب المضارع إذ اكانت مستقلة لم يتعلق ما بعدها بما قبلها من جهة الإعراب مثل إذن أكرمك في جواب أنا آتيك غداء، ويلغو إذاكان متعلقا بما قبلها من جهة، مثل أنا إذن أكرمك، وإن تاتني إذن أكرمك .وإذا وقعت بعد الواو والفاء العاطفة فمن جهة حصول الربط بدونها وكون الحرفين لعطف مستقل على مستقل لا لتشريك مفرد تكون إذن مستقلة فتعمل كما في قرأة ابن مسعود، ومن جهة أن لها دخلا في الارتباط حتى كان ما بعدها من تتمة ما قبلها تكون كالمتوسطة فتلغو كما في قرأة العامة .

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ بل أيحسدون رسول الله ﷺ وأصحابه ، أو العرب ، أو الناس جميعاً لأن من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كما لهم ورشدهم وبخعهم وأنكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما تلازماً وتجاذباً، ﴿ عَلَىٰ مَآ ءَاتَٰهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني النبوة والكتاب والنصرة والإعزاز وجعل النبي الموعود منهم .﴿فَقَدْ آتَيْنَاآلَ إِبْرٰهِيْمَ﴾ الذين هم أسلاف محمد ﷺ وأبناء عمه ﴿الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة ﴿ وَاٰتَيْنٰهُمْ مُّلْكًا عَظِيْمًا[٥٤]﴾ فلا يبعد أن يؤتيه الله مثل ما آتاهم .

﴿فَمِنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿مَّنْ اٰمَنَ بِهٖ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بما ذكر من حديث آل إبراهيم ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ أعرض عنه ولم يؤمن به وقيل: معناه فمن آل إبراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين أمره فكذلك لا يوهن كفر هؤلاء أمرك ﴿وَكَفٰى بِجَهَنَّمَ سَعِيْرًا[٥٥]﴾ ناراً مسعورة يعذبون بها: أي إن لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعدَّ لهم من سعير جهنم .

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِاٰيٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيْهِمْ نَارًا﴾ كالبيان والتقرير لذلك ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُوْدُهُمْ بَدَّلْنٰهُمْ جُلُوْدًا غَيْرَهَا﴾ بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك : بدلت الخاتم قرطاً، أو بأن يزال عنه أثر الإحراق ليعود إحساسه للعذاب كما قال:﴿لِيَذُوْقُواالْعَذَابَ﴾ أى ليدوم لهم ذوقه ، وقيل يخلق لهم مكانه جلد آخر، والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة إدراكها فلا محذور ﴿ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَزِيْزًا﴾ لا يمتنع عليه ما يريده ،﴿حَكِيْمًا[٥٥]﴾ يعاقب على وفق حكمته .

قوله: وهما شر الرذائل :لأنهما منشئان لعود المضار إلى عباد الله، وأما تلازمهما فلأن البخل أن لا يدفع إلى الفقراء النعمة التي آتاها الله والحسد أن يتمنى زوال النعمة التى آتاها الله غيره وحصولها لنفسه، ويشتركان في أن صاحبه يريد منع النعمة من الغير .

قوله: بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى. وقوله أوبأن يزال عنه، إشارة إلى دفع ما يقال كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص. وتقريره أنه يعاد ذلك الجلد بعينه لكن على صورة أخرى غير الصورة الأولى فيكون العذاب للجلود التي عصت، وهذا بناء على أن إعادة المعدوم محال كما هو مذهب الحكماء، أو يعاد بعينه على تلك الصورة وذلك بأن يزال أثر الإحراق فتكون كما هو مذهب أهل الحق فالمغائرة بالنضج وعدمه .

قوله: أي ليدوم لهم ذوقه، لأن الذوق كان حاصلا فيكون المرادالدوام.

﴿وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوا وَعَمِلُواالصّٰلِحٰتِ سَنُدْ خِلُهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لأن الكلام فيهم ، وذكر المؤمنين بالعرض ﴿ لَّهُمْ فِيْهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيْلًا[٥٧]﴾ فَيْنَانًا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس. وهو إشارة على النعمة التامة الدائمة . والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم : شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم .

﴿إِنَّ اللّٰهَ يَأْ مُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰنٰتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ خطاب يعم المكلفين والأمانات ، وإن نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة ، وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل فيها رسول الله ﷺ وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى علي كرم الله تعالىٰ وجهه يده وأخذه منه وفتح . فدخل رسول الله ﷺ وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضي الله عنه أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة ، فنزلت فأمره الله أن يرده إليه . فأمر علياً رضي الله عنه أن يرده ويعتذرإليه . وصار ذلك سبباً لإسلامه ونزل الوحي بأن لاسدانة في أولاده أبداً ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾ أي وأن تحكموا بالإنصاف والسوية إذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم ، أو يرضى بحكمكم ولأن الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ﴿إِنَّ اللّٰهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهٖ﴾ أي نعم شيئًا يعظكم به .

قوله: والعذاب في الحقيقة للنفس :جواب سوال وهو أن يقال: كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص فأجاب بأن العذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلات إدراكها هي الجلود .

قوله: فينا نا: أي متصلا منبسطا،فيعالامن الفنن كأنه كثيرالأفنان. وقيل فعلان من الفين وليس بواضح اشتقاقا وانصرافًا.'لا جُوب فيه': لافرج فيه. لا تنسخه': لا تزيله .

قوله: وليل أليل ويوم أيوم. أليل صفة مشبهة كاحمر لا أفعل التفضيل وكذا أيوم: أي ليل ذو ليل ويوم ذو يوم.

قوله: يعم المكلفين والأمانات:لما تقرر أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

قوله: السقاية:أي سقاية الحاج وخدمة البيت .

قوله: من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم.الأول في الولاة والملّاك، والثاني في الحكام .

أو نعم الشيء الذي يعظكم به فـ"ما" منصوبة موصوفة بيعظكم به ، أو مرفوعة موصولة به . والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكومات ﴿إِنَّ اللّٰهَ كَانَ سَمِيْعًا بَصِيْرًا[٥٨]﴾ بأقوالكم وأحكامكم وما تفعلون في الأمانات.

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوٓا أَطِيْعُوا اللّٰهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ يريد بهم أمر المسلمين في عهد الرسول ﷺ وبعده . ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية . أمر الناس بطاعتهم بعد ما أمرهم بالعدل تنبيهًا على أن وجوب طاعتهم ما داموا على الحق . وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾[٤. النساء: ٨٣] ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ أنتم وأولو الأمر منكم﴿ فِي شَيْءٍ﴾ من أمور الدين . وهو يؤيد الوجه الأول إذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس إلا أن يقال الخطاب لأولي الأمر على طريقة الالتفات. ﴿فَرُدُّوهُ﴾فراجعوا فيه ﴿إِلَى اللّٰهِ﴾ إلى كتابه﴿ وَالرَّسُولِ﴾ بالسؤال عنه في زمانه ، والمراجعة إلى سنته بعده . واستدل به منكروا القياس وقالوا: إنه تعالى أوجب رد المختلف إلى الكتاب والسنة دون القياس . وأجيب بأن رد المختلف إلى المنصوص عليه إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس . ويؤيد ذلك الأمر به بعد الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد إليهما على وجه القياس ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ﴾ فإن الإيمان يوجب ذلك ﴿ذٰلِكَ﴾أي الرد ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ،﴿وَّأَحْسَنُ تَأْوِيْلًا[٥٩]﴾ عاقبة أو أحسن تأويلًا من تأويلكم بلا ردٍّ .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ اٰمَنُوا بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيْدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوٓا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن منافقاً خاصم يهودياً

قوله: أو نعم الشيء الذي يعظكم به :إشارة إلى وجه وقوع 'ما' الموصولة فاعل 'نعم' وهو أنه في معنى المعرف باللام .

قوله: إلا أن يقال الخطاب لأ ولي الأمر. فحينئذ يكون النزاع بين المجتهدين أو الرؤس وهوجائز .

قوله: إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه: يعني أن رد المختلف إلى المنصوص عليه إنما يكون بجعل الفرع مثل الأصل الذي هو المنصوص عليه وبناء الفرع عليه وهذا معنى القياس الشرعي .

فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ . ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهمااحتكما إلى الرسول ﷺ . فحكم لليهودي فلم يرض المنافق بقضائه وقال: نتحاكم إلى عمر، فقال اليهودي لعمر: قضى لي رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه وخاصم إليك . فقال عمر رضي الله تعالى عنه للمنافق : أكذلك ؟ فقال نعم . فقال: مكانكما حتى أخرج إليكما . فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال: هكذا أقضي لمن لاير ضى بقضاء الله ورسوله فنزلت: وقال: جبريل إن عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق. والطاغوت على هذا كعب بن الأشرف، وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لأجله، سمي بذلك لفرط طغيانه أو لتشبهه بالشيطان ، أو لأن التحاكم إليه تحاكم إلى الشيطان من حيث إنه الحامل عليه كما قال:﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا أَنْ يَكْفُرُوا بِهٖ وَيُرِيْدُ الشَّيْطٰنُ أَنْ يُّضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيْدًا[٦٠]﴾ وقرئ "أن يكفروا بها" على أن الطاغوت جمع كقوله تعالى:﴿أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم﴾[٢. البقرة: ٢٥٧]

﴿وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ تَعَالَوا إِلٰى مَآ أَنْزَلَ اللّٰهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ وقرئ "تعالُوا" بضم اللام على أنه حذف لام الفعل اعتباطاً ثم ضم اللام لواو الضمير ﴿رَأَيْتَ الْمُنٰفِقِيْنَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا[٦١]﴾هو مصدر او أسم لمصدر الذي هو الصد . والفرق بينه وبين السد أنه غير محسوس ويصدون في موضع الحال .

﴿فَكَيْفَ﴾يكون حالهم ﴿إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُّصِيْبَةٌ﴾ كقتل المنافق أو النقمة من الله تعالى ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْهِمْ﴾ من التحاكم إلى غيرك وعدم الرضى بحكمك ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ حين يصابون للاعتذار ، عطف على أصابتهم . وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض. ﴿يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ﴾ حال ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَانًا وَّتَوْفِيْقًا[٦٢]﴾ ما أردنا بذلك إلا الفصل بالوجه الأحسن والتوفيق بين الخصمين ، ولم نرد مخالفتك . وقيل جاء أصحاب

قوله: اعتباطا .أي تخفيفا لا إعلا لا فلا يكون كالثابت وضمت اللام لما وقعت واو الجمع بعد لام الفعل فصار تعالوا نحو تقدموا .

قوله: هو مصدر أو اسم المصدر الذي هو الصد .لعل هذا بناء على اختلاف معنى صد، فإنه إذاكان مصدره صدودا يكون بمعنى أعرض وإذا كان مصدره صدا يكون بمعنى منع.قال الجوهري: صد عنه يصد صدودا أعرض. وصده عن الأمر صدا: منعه وصرفه عنه فعلى الأخير يكون مفعول يصد ون محذوفا: أي يصدون الناس عنك .

القتيل طالبين بدمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم أو عن قبول معذرتهم ﴿ وَعِظْهُمْ﴾ بلسانك وكفهم عما هم عليه ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي في معنى أنفسهم أو خالياً بهم فإن النصح في السر أنجع ﴿ قَوْلًا بَلِيْغًا[٦٣]﴾ يبلغ منهم ويؤثر فيهم . أمرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب . وذلك مقتضى شفقة الأنبياء عليهم السلام . وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في أنفسهم مؤثراً فيها ضعيف لأن معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف . والقول البليغ في الأصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بسبب إذنه في طاعته وأمره المبعوث إليهم بأن يطيعوه . وكأنه احتج بذلك على أن الذي لم يرض بحكمه وإن أظهر الاسلام كان كافراً مستوجب القتل . وتقريره أن إرسال الرسول لما لم يكن إلا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمته لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافراً مستوجب القتل .﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوٓاْ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالنفاق أو التحاكم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين من ذلك وهو خبر أن و"إذ" متعلق به ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ بالتوبة والإخلاص ﴿ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ واعتذروا إليك حتى انتصبت لهم شفيعاً . وإنما عدل الخطاب تفخيماً لشأنه وتنبيهاً على أن من حق الرسول أن يقبل اعتذار التائب وإن عظم جرمه ويشفع له . ومن منصبه أن يشفع في كبائر الذنوب ﴿ لَوَجَدُوااللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيْمًا[٦٤]﴾ لعلموه قابلاً لتوبتهم متفضلاً عليهم الرحمة . وإن فسر وجد بصادف كان تواباً حالاً ورحيماً بدلا منه أو حالاً من الضمير فيه .

قوله: أي في معنى أنفسهم: يعني أن' في أنفسهم' إما متعلق بُقل: أي قل لهم قولا واقعاً في باطن أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق بحيث يؤثر فيها ويزول به النفاق عنها، وإما حال عن ضمير قل أي قل حال كونك خاليا بأنفسهم ليس معهم غيرهم

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ أي فوربك ، ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنها تزاد أيضًا في الإثبات كقوله تعالى :﴿لا أقسم بهذا البلد﴾[٩٠. البلد: ١]﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوافِيٓ أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ ضيقاً مما حكمت به ، أو من حكمك أو شكاً من أجله . فإن الشاك في ضيق من أمره .﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيْمًا[٦٥]﴾ وينقادوا لك انقياداً بظاهرهم وباطنهم .

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾تعرضوا بها للقتل في الجهاد . أو اقتلوها كما قتل بنو إسرائيل وأن مصدرية ، أو مفسرة لأن كتبنا في معنى أمرنا ﴿ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل . وقرأأبو عمر و ويعقوب أن اقتلوا بكسر النون على أصل التحريك . أو اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو قوله تعالى ﴿ولاتنسَوُا الْفَضلَ﴾ [٢. البقرة: ٢٣٧] وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما على الأصل والباقون بضمهما إجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل .﴿وَمَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيْلٌ مِّنْهُمْ﴾ إلا أناس قليل وهم المخلصون لما بين أن إيمانهم لا يتم إلا بأن يسلموا حق التسليم ، نبه على قصور أكثرهم ووهن إسلامهم . والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا، أو لأحد مصدر الفعلين ــ وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء أو على إلا فعلا قليلاً ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾من متابعة الرسول ﷺ مطاوعته طوعا ورغبة ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ في

قوله: لالتظاهر لا :أي لتعاونه وتأكيده لأن 'لا'تزاد لتأكيد القسم أيضًا في الإثبات كما في النفي ولو كان تزاد لتأكيد النفي فقط يكون لتأكيد'لا' في لاتؤمنون .

قوله: فإن الشاك في ضيق من أمره: حتى يلوح له اليقين .

قوله: أو اقتلوها كما قتل بنوسرائيل .أي اقتلوا أنفسكم .

قوله: وأن مصدرية:أي لو أوجبنا قتلكم أنفسكم لكن في ضمير الغيبة 'عليهم' نبوة عنه.

قوله: بضم الواو : أي الواو من 'أو'لاتباع الراء ولأجل ا لتشبيه بواو الجمع لكون كل منهما واوا ساكنة قبلها فتحة .

قوله: بكسرهما: أي الواو والنون .

قوله: إجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة: أي إجراء للنون مجرى همزة اقتلوا وإجراء الواو مجرى همزة أخرجوا فكما ضم ذلك ضم هذا .

عـاجـلهم وآجلهمْ ﴿ وَأَشَدَّ تَثْبِيْتًا[٦٦]﴾ في دينهم لأنه أشد لتحصيل العلم ونفي الشك أو تثبيتاً لثواب أعمالهم ونصبه على التمييز . والآية أيضًا مما نزلت في شأن المنافق اليهودي . وقيـل : إنهـا والتـي قبلها نزلتا في حاطب بن أبي بلتعة خاصم زبيرا فـي شراج من الحر ة كـانـا يسـقيـان بهـا الـنـخل . فقال عليه الصلاة والسلام : " اسق يا زبيرثم أرسل الماء إلى جـارك . فـقـال حـاطـب: لأن كان ابن عمتك فقال عليه الصلاة والسلام: أسق يا زبير ثم احبس الماء إلى الجدر واستوف حقك . ثم أرسله الى جارك"

﴿وَإِذًا لَّآتَيْـنَـاهُـمْ مِّـنْ لَّـدُنَّا أَجْرًا عَظِيْمًا[٦٧]﴾ جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: وما يكون لهم بعد التثبيت فقال: وإذا لو تثبتوا لآتيناهم لأن إذا جواب وجزاء .

﴿ وَلَهَـدَيْنٰهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا[٦٨]﴾ يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم أبواب الغيب . قال النبي ﷺ " من عمل بما علم ورثه الله ما لم يعلم "

﴿وَمَـنْ يُّـطِـعِ اللّٰهَ وَالـرَّسُـولَ فَـأُولٰٓـئِكَ مَعَ الَّذِيْنَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ﴾ مزيد تغيب في الـطـاعة بـالـوعـد عـليهـا مـرافـقة أكـرم الخلائق وأعظمهم قدراً ﴿مِّنَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَـدَآءِ والـصَّـالِـحِيْـنَ﴾ بيـان "لـلذين" أو حال منه أو من ضمير"عليهم" قسمهم أربعة أقسـام بـحسـب مـنـازلهم في العلم والعمل . وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم . وهم الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل . ثم الـصـديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمواقي النظر في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات إلـى أوج العرفان . حتى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليها ثـم الشهـداء الـذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في إعـلاء كـلـمة الله تعالى . ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته . ولك أن تـقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء إما أن يكونوا بالغين درجة العيان أو واقفين فـي مـقام الاستدلال والبرهان . والأولون إما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشـيء قـريـبـاً وهـم الأنبيـاء عـليهـم الـصـلاـة والسـلام أ ولا فيـكـونـون كـمـن يـرى الشـيء

قـولـه: فـي شـراج مـن الجرة .الشراج جمع شرج وهو سيل الماء. والحرة: أرض ذات حجارة سود .والجدر: الجدار الصغيرة ما يحيط بالمزارعة ويسمى المزد .

قـولـه: لأن 'إذا' جـواب وجـزاء. فيـقـدر له سوال ليكون ﴿إذالآتيناهم﴾ جوابا بأن يتضمن الشرط لامحالة فيكون هذا جزاء عليه وهو الثبات على الإيمان .

بعيدا وهم الصديقون . والآخرون إما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون في العلم الذين هم شهداء الله في أرضه . وإما أن يكون بأمارات وإقناعات تطمئن إليها نفوسهم وهم الصالحون . ﴿وَحَسُنَ أُولَٓئِكَ رَفِيْقًا[٦٩]﴾ في معنى التعجب . ورفيقاً نصب على التمييز أو الحال ولم يجمع لأنه يقال للواحد والجمع كالصديق ، أو لأنه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقاً . روي: أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه . فسأله عن حاله فقال: ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك . ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك لأني عرفت أنك ترتفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك . وان لم أدخل فذلك حين لا أراك أبداً فنزلت.

﴿ذٰلِكَ﴾مبتدأ إشارة إلى ما للمطيعين من الأجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم ، أو إلى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم ﴿الْفَضلُ﴾ صفته ﴿مِنَ اللّٰه﴾ خبره أو الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الإشارة ﴿وَكَفٰى بِاللّٰهِ عَلِيْمًا[٧٠]﴾ بجزاء من أطاعه . أو بمقادير الفضل استحقاق أهله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ تيقظوا واستعدوا للأعداء . والحذر والحذر كالأثر والأثر . وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح ﴿ فَانْفِرُواْ﴾ فاخرجوا إلى الجهاد . ﴿ثُبَاتٍ﴾ جماعات متفرقة . جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية إذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع أيضًا على ثبين جبرا لما حذف عجزه. ﴿أَوِنْفِرُواْ جَمِيْعًا[٧١]﴾ مجتمعين كوكبة واحدة والآية وإن نزلت في الحرب لكن يقتضي إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى الخيرات كلها كيفما أمكن قبل الفوات .

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ الخطاب لعسكر رسول الله ﷺ المؤمنين منهم والمنافقين، والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد . من بطأ بمعنى أبطأ وهو لازم .

قوله: تيقظوا واستعدوا للاعداء: يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز عن المخوف . قال الجوهري: الحذر والحذر التحرز .

قوله: كوكبة واحدة :أي جماعة .قال صاحب القاموس: الكوكبة الجماعة .

قوله: بمعنى أبطأ: أي تأخر .

أو يبطؤن غيرهم كما يبطئ ابن أبي ناساً يوم أحد. من بطأ منقولاً من بطؤ كثقل من ثقل واللام الأولى للابتداء دخلت على اسم "إن" للفصل بالخبر . والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من ، والراجع إليه ما استكن في ليبطئن والتقدير: وإن منكم لمن أقسم الله ليبطئن. ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالَ﴾ أي المبطئ ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَّعَهُمْ شَهِيدًا[٧٢]﴾ حاضراً في تلك الغزاة فيصيبني ما أصابهم .

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ كفرح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أكده تنبيهًا على فرط تحسره . وقرئ بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من . ﴿كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو . ﴿يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا[٧٣]﴾ للتنبيه على ضعف عقيدتهم . وأن قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه . وإنما يريد أن يكون معكم لمجرد المال ، أوحال من الضمير في ليقولن أو داخل في المقول: أي يقول المبطئ لمن يبطئه من المنافقين ، وضعفة المسلمين تضريبًا وحسداً . كأن لم يكن بينكم وبين محمد ﷺ مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتنى كنت معهم .وقيل:إنه متصل بالجملة الأولى وهو ضعيف اذلا يفصل أبعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظاً ومعنى و كأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف . وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة . والمنادي في يا ليتني محذوف

قوله: من بطأ منقولا من بطوء كثقل من ثقل: أ عني للتعدية وعلى الأول أيضًا كان منقولا لكن لا للتعدية، بل لمجرد الكثرة والمبالغة . قوله: والقسم بجوابه صلة'من': إذ لاخفاء في أنها خبرية مؤكدة بالقسم وإنما الإنشاء مجرد القسم: أي أقسم بالله .

قوله: أكده تنبيها على فرط تحسرهم : وذلك لأن التاكيد يدل على القطع بالقول ونفي الشك به والقطع بالقول انما نشأ من فرط تحسرهم .

قوله: وأن قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه: وإن كانوا يوادُّوْنَ المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر .

قوله: يبطئه: أي عوقه عن الحرب وبطأبه عنه .

قوله: تضريبا وحسدا: فالأول بقوله تعالىٰ:﴿ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة﴾ والثاني بقوله تعالىٰ:﴿ يا ليتني كنت معهم ﴾والتضريب بين القوم :الإغراء

قوله: بالجملة الأولى .وهي قوله تعالىٰ:﴿ فإن أصابتكم مصيبة﴾ وذلك أنه حال من

أي : يا قوم، وقيل يا أطلق لـلتنبيه عـلى الاتساع فأفوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فأنا أفوز في ذلك الوقت. أو العطف على كنت.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيْلِ اللّٰه الَّذِيْنَ يَشْرُونَ الحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالاٰخِرَةِ﴾ أي الذين يبيعونها بها . والـمعنى إن بطأ هؤلاء عـن الـقتـال فـليـقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة ، أو الـذيـن يشتـرونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون . والمعنى حثهم على تـرك مـا حـكـي عـنهـم . ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يُغْلَبْ فَسَوفَ نُؤْتِيْهِ أَجْرًا عَظِيْمًا[٧٤]﴾ وعد له الأجر العظيم غَلَبَ أَوْ غُلِبَ. ترغيبًا في القتال وتكذيباً لقولهم ﴿قد أنـعـم اللّٰه عـلـيَّ إِذ لـم أكـن مـعهـم شهيـداً﴾وإنما قال ﴿فيقتل أو يغلب ﴾ تنبيهاً على أن الـمـجاهد ينبغي أن يثبت في المعركة حتى نفسه بالشهادة أو الدين . بالظفر والغلبة وأن لا يكون قصده بالذات إلى القتل بل إلى إعلاء الحق وإعزاز الدين .

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ مبتـدأ وخبـر ﴿لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ حال والعامل فيها ما في الـظـرف مـن مـعـنـى الـفـعل ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِيْنَ﴾ عطف على اسم الله تعالى أي وفي سبيل الـمستـضـعـفيـن . وهـو تـخـليـصهـم من الأسر وصونهم عن العدو . أو على سبيل بحذف الـمـضـاف أي وفـي خـلاص المستضعفين . ويجوز نصبه على الاختصاص فإن سبيل اللّٰه تـعـالـى يعم أبواب الخير . وتخليص ضعفة المسلمين من أيدي الكفار أعظمها وأخصها. ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ﴾بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد الـمشـر كيـن ، أو ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين . وإنـما ذكـر الولدان مبالغة في الـحـث وتـنبيهاً على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان وأن دعوتهم أجيبت

مـقـول قال وهو قوله تعالىٰ:﴿ قد أنعم اللّٰه عليه ﴾الخ. وحينئذ لا تعلق له بقوله تعالىٰ:﴿ياليتني كنت معهم﴾ لفظا ومعنى لأنه من تتمة قد ﴿أنعم اللّٰه عليه﴾ فلا يفصل به بينهما .

قوله: ياأطلق :أي أطلق بدون المنادى للتنبيه على الاتساع في الكلام بأن أريد به مجرد التنبيه اللازم بمنزلة 'ألا'و'أما'كما يراد بالمنادى الاختصاص اللازم للمنادى .

قوله: والمعنى إن بطأ هؤلاء .إشارة إلى أن الفاء جواب شرط محذوف .

قـولـه: وإنـمـا ذكـر الولدان : يعني لاحاجة إلى ذكره إذمن المعلوم أن الولدان من المستضعفين وأنهم هناك وإنما ذكر لأجل ذلك .

بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية. وقيل المراد به العبيد والإماء وهو جمع وليد .﴿الَّذِيْنَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِم أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِنْ لَّدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلَ لَّنَا مِنَ لَّدُنْكَ نَصِيْرًا[٧٥]﴾ فاستجاب الله دعاء هم بأن يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر بفتح مكة على نبيه ﷺ . فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها . والقرية مكة والظالم صفتها . وتذكيره لتذكير ما أسند إليه فإن اسم الفاعل أو المفعول إذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه .

﴿ الَّذِيْنَ اٰمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ فيما يصلون به إلى الله سبحانه وتعالى . ﴿ وَالَّذِيْنَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيْلِ الطَّاغُوتِ﴾فيما يبلغ بهم إلى الشيطان ﴿ فَقَاتِلُوْا أَوْلِيَآءَ الشَّيْطٰنِ﴾ لمّا ذكر مقصد الفريقين أمر أولياء ه أن يقاتلوا أولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطٰنِ كَانَ ضَعِيْفًا[٧٦]﴾أي إن كيده للمؤمنين بالإضافة إلى كيدالله سبحانه وتعالى للكافرين ضعيف لا يؤ به به فلا تخالفوا أولياء ه . فإن اعتمادهم على أضعف شيء وأوهنه .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ قِيْلَ لَهُمْ كُفُّوْا أَيْدِيْكُمْ﴾ أي عن القتال ﴿أَقِيْمُوا الصَّلوٰةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ﴾ واشتغلوا بما أمرتم به ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ يَخشَونَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّٰهِ﴾ يخشون الكفار أن يقتلوهم كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه . وإذا للمفاجأة جواب لما، "وفريق" مبتدأ "منهم" صفته "ويخشون" خبره "وكخشية الله" من إضافة

قوله: وهو جمع وليد: لأن الوليد بمعنى الأمة والصبي، لاالولد، كذا في الصحاح وعلى الأول يكون جمع ولد.

قوله :عتاب بن أسيد. بفتح الهمزةوكسرالسين وكان جعله أميراوهو ابن ثماني عشرة سنة. رأى رسول الله ﷺفي المنام أسيدافي الجنة وقد مات كافرا فاستيقظ وقال أولته بابنه عتابٍ فشهد له بالجنة .

قوله: ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم﴾ نزلت في جماعة استاذنوا للقتال من رسول الله ﷺ قبل فرضية القتال وكانوا بمكة متأذين من مشركيها فلما هاجروا إلى المدينة وفرض القتال شق ذلك على بعضهم .

المصدر إلى المفعول ، وقع موقع المصدر أو الحال من فاعل" يخشون" على معنى يخشون الناس مثل أهل خشية الله منه . ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾عطف عليه إن جعلته حالاً وإن جعلته مصدراً فلا . لأن أفعل التفضيل إذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى أي: وكخشية الله تعالى أو كخشية أشد خشية منه على الفرض اللهم إلا أن تجعل الخشية ذات خشية كقولهم : جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله تعالى ، أو خشية أشد خشية من خشية الله ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَولآ أَخَّرْتَنَآ إِلَى أَجَلٍ قَرِيْبٍ﴾ استزادة في مدة الكف عن القتال حزراً عن الموت . ويحتمل أنهم ما تفوهوا به ولكن قالوا في أنفسهم فحكى الله تعالى عنهم ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ سريع التقضي﴿وَالْاٰخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقٰى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيْلًا[٧٧] ﴾ أي ولا تنقصون أدنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه، أو من آجالكم المقدرة . وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُّمُ الْمَوتَ﴾ قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله :مَنْ يَّفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللّٰه يَشْكُرُهَا"أو على أنه كلام مبتدأ . وأينما متصل بلا تظلمون ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ في قصور أو حصون مرتفعة . والبروج في الأصل بيوت على أطراف القصور . من تبرجت المرأة إذا ظهرت . وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفاً لها بوصف فاعلها كقولهم . قصيدة

قوله: لأن أفعل التفضيل : يعني أن أفعل التفضيل إذا نصب ما بعده على التمييز عن النسبة لم يكن من جنس ما بعده فأشد لا يكون من جنس الخشية فأشدّ لا يكون نفس الخشية بل يكون أمرا مغائرا له وهو الشخص فلا يكون مصدرا بل هو حينئذ معطوف على اسم الله تعالى لاعلى "كخشية الله" أي أو كخشية شخص أشد من الله على سبيل الفرض إذ لا أشد من الله .ألـلهم إلا أن يجعل الخشية بمعنى ذات الخشية على المجاز كما في جد جده فهو وإن كان مغائرا للخشية الذي هو فاعله في المعنى إلا أنه لا يكون خشية كما في جد جده فيكون مصدرا.

قوله: استزادة في مدة الكف عن القتال : يعني طلب ازدياد في مدة الكف وتأخير كتب القتال وفرضه وإلا فلا يليق بالمؤمنين أن ينكروا فرضية القتال، ويحتمل أنهم لم يتفوّهوه ولم يتكلموه ولكن خطروه في أنفسهم فلا يكون انكارا.

قوله: وقرئ مشيدة .بصيغة اسم الفاعل .

شاعرة ، ومشيدة من شا د القصر إذا رفعه ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية . وهما المراد في الآية: أي وإن تصبهم نعمة كخصب نسبوها إلى اللّٰه سبحانه وتعالى. وإن تصبهم بلية كقحط ضافوها إليك وقالوا إن هي إلا بشؤمك كما قالت اليهود : منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ﴾ أي يبسط ويقبض حسب إرادته ﴿فَمَالِ هٰٓؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيْثًا[٧٨]﴾ يوعظون به ، وهو القرآن فإنهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل من عند اللّٰه سبحانه وتعالى . أو حديثاً ما كبهائم لا أفهام لها أو حادثًا من صروف الزمان فيتفكرون فيه فيعلمون أن القابض والباسط هو اللّٰه سبحانه وتعالى .

﴿مَآ أَصَابَكَ﴾ يا إنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من نعمة ﴿فَمِنَ اللّٰهِ﴾ أي تفضلاً منه . فإن كل ما يفعله الإنسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود . فكيف يقتضي غيره . ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : " ما يدخل أحد الجنة إلا برحمة اللّٰه تعالى . قيل و أنت قال: ولا أنا " ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ من بلية .﴿فَمِنْ نَّفْسِكَ﴾ لأنها السبب فيها لا ستجلابها بالمعاصي . وهو لا ينا في قوله سبحانه وتعالى :﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ﴾فإن الكل منه إيجاداً وإيصالاً غير أن الحسنة إحسان وامتنان، والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي اللّٰه تعالى عنها." ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو اللّٰه أكثر" والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حال قصد بها التأكيد إن علق الجار بالفعل والتعميم إن علق بها أي رسولاً للناس جميعاً كقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾[٣٤. سبأ:٢٨] ويجوز نصبه على المصدر كقوله : ولا خَارِجًا مِنْ فِيَّ زُورُ كَلَام ﴿وَكَفٰى بِاللّٰهِ شَهِيْدًا[٧٩]﴾ على رسالتك بنصب المعجزات .

قوله: والآيتان كما ترى لاحجة فيهما لنا وللمعتزلة: لأن الكلام في النعمة والبلية لا في أفعال العباد وهما من اللّٰه، وإنما نسب السيئة إلى العبد تسببيا ولا خلاف فيه بيننا وبين المعتزلة، وإنما الخلاف في أن كل الموجودات مستندة إلى اللّٰه تعالىٰ حتى أفعال العِباد، وعندهم أفعال العباد مخلوقة لهم، وعندنا أفعالهم مخلوقة للّٰه تعالىٰ أيضًا .

﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾لأنه عليه الصلاة والسلام في الحقيقة مبلغ . والامر هو الله سبحانه وتعالى . روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله " فقال : المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه . ما يريد إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسٰى رباً فنزلت .﴿ وَمَنْ تَوَلّٰى﴾ عن طاعته ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيْظًا[٨٠]﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها . إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف .

﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا أمرتهم بأمر ﴿طَاعَةٌ﴾ أي أمرنا طاعة، أو منا طاعة . وأصلها النصب على المصدر، ورفعها للدلالة على الثبات ﴿ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ خرجوا﴿ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِى تَقُولُ﴾ أي زورت خلا ف ما قلت لها، أو ماقالت لك من القبول وضمان الطاعة . والتبييت إما من البيوتة لأن الأمور تدبر بالليل أو من بيت الشعر . أو البيت المبني لأنه يسوى ويدبر . وقرأ أبو عمر وحمزة بيت طائفة بالإدغام لقربهما في المخرج .﴿ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ يثبته في صحائفهم للمجازاة . أو في جملة ما يوحى إليك لتطلع على أسرارهم .﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ قلل المبالاة بهم أو تجاف عنهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ﴾ في الأمور كلها سيما في شأنهم ﴿وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيْلًا[٨١]﴾يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم .

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْاٰنَ﴾يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه . وأصل التدبر النظر في أدبار الشيء .﴿وَلَوْكَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّٰهِ﴾ أي ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار ﴿لَوَجَدُوا فِيْهِ اخْتِلَافًا كَثِيْرًا[٨٢]﴾ من تناقص المعنى وتفاوت النظم . وكان بعضه

قوله: أي زورت خلاف ما قلت لها أو ما قالت لك: يحتمل أن يكون قوله:"تقول" للخطاب والعدول إلى المضارع لقصدالاستمرار والاستحضار، وأن يكون للغيبة مسندا إلى ضمير طائفة، وعلى التقديرين العائد إلى الموصول محذوف .وروزت بتقديم الراء المهملة يقال روزت كلاما أي دبرت وسويت .وعن عمر رضي الله تعالٰى عنه روزت في نفسي كلاما ورواية الأكثرين زورت في نفسي بتقديم الزاي المعجمة أي حسنت، وقيل هيأت وأصلحت وكلا اللفظين مما أثبته الثقات .

قوله: وأصل التدبرالنظر في إدبار الشيء: يعني أن أصل التدبر النظر في عواقب الشيء وما تؤول إليه في عاقبته، ثم استعمل في كل النظرتأمل .

فصيحاً أوبعضه ركيكاً ، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل، ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض، وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض ، على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية . ولعل ذكره ها هنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾ مما يوجب الأمن أو الخوف ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أفشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم عن سرايا رسول الله ﷺ وأخبرهم الرسول ﷺ مما أوحي إليه من وعد بالظفر . أو تخويف من الكفرة أذاعوا به لعدم حزمهم فكانت إذاعتهم مفسدة . والباء مزيدة او لتضمن الإذاعة معنى التحدث . ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي ولو ردوا ذلك الخبر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ إلى رأى ورأي كبار أصحابه البصراء بالأمور ، أو الأمراء ﴿لَعَلِمَهُ﴾ لَعلم ما أخبروا به على أي وجه يذكر .﴿الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ يستخرجون تدابيره بتجاربهم وأنظارهم . وقيل

قوله: على أن اختلاف ما سبق ،أراد به قوله تعالىٰ :﴿وإذا حضر القسمة .مع قوله: يوصيكم الله﴾ فإنه نسخ الأولى بالثانية .

قوله: كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين ، فسر الآية بوجهين .مبنى الأول على أن مجيء الأمر وصول خبر السرايا إليهم ورده إلى الرسول وأولي الأمر إلقائه إليهم وإلى رأيهم وإخبارهم به من غير إذاعة، ومبنى الثاني وهو ما أشار إليه بقوله أوأخبرهم الرسول على أن مجيء الأمر اطلاعهم على ما أوحي إليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة ، ورده إليهم ترك التعرض له وجعله بمنزلة غير المسموع والعلم معرفة كيفية التدبير .ومبنى الثالث على أن مجيء الأمر سماع خبر السرايا من أفواه المنافقين، وردَّهُ إلى الرسول وأولى الأمر تركه موقوفا إلى السماع منهم والذين يستنبطونه منهم هم المذيعون والعلم معرفتهم بما ينبغي في ذلك الأمر من الإذاعة وعدمها، واستنباطهم إياها من الرسول وأولي الأمر تلقيهم أمثال تلك الأمور والعلم بمصالحها من قبلهم فمن على هذا يكون ابتدائية والظرف لغو متعلق "يستنبطونه" وعلى الأول من تبعيضية والظرف في موقع الحال.

قوله: أوالأمراء. فالمراد أمر الناس وأمر المملكة .

قوله: ﴿لعلمه﴾ على أي وجه يذكره : أي يعلم ذلك الخبر المستنبطون على أي وجه يذكروه وينبغي عليه، بخلاف ضعفة المسلمين فإنهم لا يعلمون ذلك .

كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالاً على المسلمين . ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا أنه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي : يستخرجون علمه من جهتهم . وأصل الاستنباط إخراج النبط: وهو الماء . يخرج من البئر أول ما يحفر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهٗ﴾ بإرسال الرسول وإنزال الكتاب ﴿لَا تَّبَعْتُمْ الشَّيْطٰنَ﴾ والكفر والضلال ﴿إِلَّا قَلِيْلًا[٨٣]﴾ أي إلا قليلاً منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به إلى الحق والصواب . وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل . وورقة بن نوفل . أو إلا اتباعاً قليلاً على الندور .

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾أن تثبطوا وتركوك وحدك ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ إلا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم . فتقدم الى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإن الله نا صر ك لا الجنود . روي أنه عليه الصلاة والسلام دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت . فخرج عليه الصلاة والسلام وما معه إلا سبعون لم يلو على أحد . وقرئ لا تكلف بالجزم ، ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل: أي لا نكلفك إلا فعل نفسك ، لا أنا لا نكلف أحداً إلا نفسك لقوله ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾على القتال إذ ما عليك في شأنهم إلا التحريض ﴿عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَّكُفَّ بَأْسَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا﴾ يعني قريشاً . وقد فعل بأن ألقى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا﴿وَاللّٰهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ من قريش ﴿وَأَشَدُّ تَنْكِيْلًا[٨٤]﴾ تعذيباً منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه .

﴿مَّنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضراً أو جلب إليه نفعاً ابتغاء لوجه الله تعالى . ومنها الدعاء لمسلم قال عليه الصلاة والسلام : "من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك" ﴿يَّكُنْ لَّهٗ نَصِيْبٌ مِّنْهَا﴾ وهو ثواب الشفاعة والتسبب إلى الخير الواقع بها ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ يريد بها محرماً ﴿يَكُنْ لَّهٗ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ نصيب من وزرها مساوٍ لها في القدر ﴿وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيْتًا[٨٥]﴾ مقتدراً من أقات على الشيء إذا قدر قال:

قوله: وقد فعل. إشارة إلى أن عسى في موقع الوعيد الموجب علي ما هو متأتٍّ. وهذا ما قال الزجاج 'عسى' في اللغة الطمع، والطمع والاشفاق من الله واجب كأنه قال تعالى سيكف بأس الذين كفروا.

وَذِي ضُغْنٍ كَفَفْتُ الضُّغْنَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَ تِهِ مُقِيْتَا

أو شهيدًا حافظاً . واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه .

﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ الجمهور على أنه في السلام . ويدل على وجوب الجواب إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه "ورحمةالله" . فإن قاله المسلم زاد "وبركاته" وهي النهاية . وإما برد مثله لما روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : السلام عليك . فقال: وعليكم السلام ورحمة الله . وقال آخر : السلام عليك ورحمه الله فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته.فقال: وعليك، فقال الرجل .نقصتني فأين ماقال الله تعالى وتلا الأية.فقال ﷺ : إنك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله . وذلك لا ستجماعه أقسام المطالب السالمة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل . "أو" للترديد بين أن يحيّي المسلم ببعض التحية وبين أن يحيّي بتمامها. وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة . وقراء ة القرآن ، وفي الحمام ، وعن قضاء الحاجة ونحوها. والتحية في الأصل مصدر حيّاك الله على الإخبار من الحياة. ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك . ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام . وقيل المرا د بالتحية العطية وواجب الثواب أو الرد على المتهب . وهو قول قديم للشافعي رضي الله تعالى عنه .﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا[٨٦]﴾ يحاسبكم على التحية وغيرها ﴿اللَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مبتدأوخبر، أو الله مبتدأ والخبر﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي الله ، والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة . أو مفضين إليه أو في

قوله:فإن قاله المسلم : أيورحمة الله بأن قال السلام عليك ورحمةالله.

قوله: ثم استعمل للحكم: أي لا يقاع نسبةالحيوة إليه بمعنى الدعاء بأن الحيوة ثابت.

قوله:والخبر﴿ ليجمعنكم إلى يوم القيمة﴾ أيالله والله ليحشرنكم: يعني اللام جواب قسم محذوف والقسم مع جوابه خبرالمبتداء كما وقع صلة في قوله تعالى:﴿لمن ليبطئن﴾وليس القصد إلى تفسيرالجمع بالحشر ليكون تفسيرا بالأخفى بل إلى وجه استعمال الجمع معدى بإلى الداخلة في يوم القيمة بناء على أن المرادجمع فيه معنى السوق والاضطراركما تقول: حشرت القوم إلى موضع كذا فوصل الجمع ههنا بإلى لهذا المعنى كأنه قيل: ليسوقنكم و ليضطر نكم إلى يوم القيمة. وقيل المراد مطلق الجمع وإلى متعلق بمحذوف أي ليجمعنكم من القبورأي مفضين إلى يوم القيمة. وقيل: إلى بمعنى في: أي ليجمعنكم في يو م القيامة .

يوم القيامة ، ولا إله إلا هو اعتراض . والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور أو للحساب . ﴿لَا رَيْبَ فِيْهِ﴾ في اليوم أو في الجمع فهو حال من اليوم ، أو صفة للمصدر ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ حَدِيْثًا[٨٧]﴾ إنكار أن يكون أحد أكثر صدقًا منه . فإنه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لأنه نقص وهو على الله محال .

﴿فَمَا لَكُمْ فِى الْمُنَافِقِيْنَ﴾فما لكم تفرقتم في أمر المنافقين ﴿فِئَتَيْنِ﴾ أي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم . وذلك أن نأساً منهم استأذنوا رسول الله ﷺ في الخروج إلى البدو لا جتواء المدينة . فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في إسلامهم . وقيل نزلت في المتخلفين يوم أحد . أو في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق إلى الوطن . أو قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة ، وفئتين حال عاملها "لكم" كقولك : ما لك قائماً . وفي المنافقين حال من فئتين أي متفرقتين فيهم ، أو من الضمير أي فما لكم تفرقون فيهم . ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين . ﴿وَاللّٰهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوْا﴾ ردهم إلىٰ حكم الكفرة أو نكسهم بأن صيرهم للنار . وأصل الركس رد الشيء مقلوباً .﴿أَتُرِيْدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ﴾ أن تجعلوه من المهتدين .﴿ وَمَنْ يُّضْلِلِ اللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيْلًا[٨٨]﴾ إلى الهدى .

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾ تمنوا أن تكفروا ككفرهم ﴿ فَتَكُونُوْنَ

قوله: أو للحساب : أي قيامهم للحساب فهو عطف على من قبوركم .

قوله: تفرقتم فى أمر المنا فقين: إشارة إلى أن الظرف أعني "في المنا فقين" متعلق بما دل عليه "فئتين" من معنى التفرق والاختلاف وإلى أن اختلاف المسلمين وافتراقهم فرقتين متحقق فيما أورد من أسباب النزول .

قوله: باجتواء المدينة: اجتووا المدينة: أصابهم جوى وهو المرض وداء الجرف إذا أن طاوله وذلك إذا لم يوافق هواء ها يقال: اجتويت البلد إذا كرهت المقام فيه و إن كنت فى نعمته .

قوله: ردهم إلى حكم الكفرة: كذا في الكشاف ولما كان ظاهرالآيةأن ردَّهم إلى الكفر بخلق الله وبكسب العبد على ما هو المذهب اختارفي التفصي عن ذلك تقوية لمذهب الاعتزال، وهو أنه صاروا مشركين بفعلهم لا أن الله تعالى جعلهم مشركين .

سَوَآءً﴾فتكونون معهم سوآء في الضلال . وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتتحققوا إيمانهم بهجرة هي للّٰه ورسوله لا لأغراض الدنيا . وسبيل اللّٰه ما أمر بسلوكه ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان الظاهر بالهجرة أو عن إظهار الإيمان ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُّمُوهُمْ﴾ كسائر الكفرة ﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَّلَا نَصِيْرًا[٨٩]﴾ أى جانبوهم رأساً ولا تقبلوا منهم ولاية نصرة .

﴿إِلَّا الَّذِيْنَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ مِّيْثَاقٌ﴾ استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أي: إلا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ؛. ويفارقون محار بتكم . والقوم هم خزاعة: وقيل: هم الأسلميون فإنه عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه . ومن لجأ إليه فله من الجوار مثل ماله . وقيل بنو بكر بن زيد مناة . ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ عطف على الصلة . أي أو الذين جاؤوكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم . استثنى من المأمور بأخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين . أو أتى الرسول ﷺ وكف عن قتال الفريقتين . أو على صفة قوم وكأنه قيل : إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين . أو قوم كافين عن القتال لكم وعليكم . والأول أظهر لقوله فإن اعتزلوكم . وقرئ بغير العاطف على أنه صفة بعد صفة.

قوله: ولو نصب على جواب التمني: يعني لو نصب على جواب التمني وقيل "فتكونوا"لجاز من حيث المعنى لكنه ما قرأ أحد .

قوله: فلا توالوهم: أي لا توادوهم وهوتفسير لقوله﴿ فلا تتخذوا منهم وليا﴾. وقوله ﴿حتى يؤمنوا ﴾الخ تفسير لقوله تعالىٰ :﴿حتى يهاجروا فى سبيل اللّٰه ﴾.

قوله:﴿حيث وجدتموهم﴾: سواء كان فى الحل أوفي الحرم كسائر الكفرة .

قوله: أي جانبوهم راسا: تفسير لقوله ﴿ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا﴾واستفيدت الكلية من تكرير نهي الاتخاذو تنكير المفعول وزيادة "ولا نصيرا" .

قوله: استثناء من قوله فخذوهم . يعني أنه استثناء من قوله﴿ فخذوهم ﴾لا من قوله ﴿ولا تتخذ وا منهم وليًا﴾ وإن كان أقرب لأن اتخاذهم الولي منهم حرام بلااستثناء بخلاف قتلهم .

قوله: والأول أظهر لقوله تعالىٰ:﴿ فإن اعتزلوكم ﴾يعني أن الاستثناء يشعر بأن سبب ترك التعرض لهم أمران. أحدهما الاتصال بالمعاهدين والآخر الاتصال بالكافين عن

أو بيان ليصلون أو استئناف .﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ حال بإضمار قد ويدل عليه أنه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم أو بيان لجاء وكم وقيل: صفة محذوف أي جاؤوكم قوماً حصرت صدورهم . وهم بنو مدلج جاء وا رسول الله ﷺ غير مقاتلين، والحصر الضيق والانقباض . ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوْا قَوْمَهُمْ﴾ أى عن أن أو لأن أو كراهة أن يقاتلوكم . ﴿ وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن قوى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم .﴿ فَلَقٰتَلُوكُمْ﴾ ولم يكفوا عنكم .﴿ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقٰتِلُوكُمْ﴾ فإن لم يتعرضوا لكم . ﴿وَأَلْقَوا اِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ الاستسلام والانقياد.﴿فَمَا جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيْلًا[٩٠]﴾ فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم .

القتال إن كان العطف على الصفة، ونفس الكف عن القتال إن كان العطف على الصلة لكن قوله تعالىٰ:﴿ فإن اعتزلوكم ﴾الخ. يشعر أن الآخر نفس الكف لأن معناه أن كفوا عن قتالكم على ما هو الأظهر فإن المفهوم من قوله تعالىٰ:﴿ فلم يقاتلوكم﴾ الكف عن القتال لا الاتصال بمن كف .

قوله: أو بيان ليصلون: وذلك أن الانتهاء إلى المعاهدين والاتصال بهم حاصله الكف عن قتال المسلمين فصح أن يجعل مجيئهم إلى المسلمين بهذه الصفة بيانا لاتصالهم بالمعاهدين وأما الاستيناف فعلى أنه جواب كيف اتصلوا إلى المعاهدين ومن أين علم ذلك .

قوله: أو بيان لجاء وكم: من جهة أن المراد بالمجيء الاتصال وترك المعاندة والمقاتلة لا حقيقة المجيء أو من جهة أنه بيان لكيفية المجيء، بنو مُدلِج بضم الميم وكسر اللام قبيلة من كنانة فيهم القيافة .قوله: وقيل: صفة محذوف. فيكون حالا موطئة مثل ﴿قرآناً عربياً﴾ فلا حاجة إلى تقدير' قد' واعترض بأن المقصود في الحال الموطئة هو الوصف فلا بد من 'قد' سيما عند حذف الموصوف فيكون ما ذكره التزاما لزيادة الإضمارمن غير ضرورة .

قوله:﴿وألقو إليكم السلم﴾:الظاهر من نظم الكلام أن كلا من يلقو و يكفوا عطف على النفي لا على المنفي: أعني لم يعتزلوكم، لاعلى يعتزلوكم ولهذا حمل المصنف عليه لا على العطف على المنفي: وإن كان الظاهر من حيث المعنى ولهذا اختار ، صاحب المعالم وصاحب المدارك والمعنى فإن لم يجانبوكم عن القتال وكان قصدهم القتال ومع ذلك ينبذواإليكم العهد ويكفوا أيديهم عن قتالكم لأجل العذر فخذوهم واقتلوهم لأن ذلك مجرد كف وعذر لا حقيقة الكف .

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِيْنَ يُرِيْدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾هم أسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا.﴿كُلَّمَا رُدُّوٓاْ إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ دعوا إلى الكفر و إلى قتال المسلمين ﴿أُرْكِسُواْ فِيْهَا﴾ عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب .﴿فَإِنْ لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيَلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ وينبذوا إليكم العهد ﴿وَيَكُفُّوٓا أَيْدِيْهِمْ﴾ عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ حيث تمكنتم منهم فإن مجرد الكف لا يو جب نفي التعرض . ﴿وَأُوْلَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِيْنًا[٩١]﴾ حجة واضحة في التعريض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم أو تسلطا ظاهراً حيث أذنا لكم في قتلهم .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾وما صح له وليس من شأنه ﴿أَنْ يَّقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ بغير حق . ﴿إِلَّا خَطَئًا﴾ فإنه على عرضته . ونصبه على الحال أو المفعول له أي : لا يقتله في شيء من الأحوال إلا حال الخطأ . أو لا يقتله لعلة إلا للخطأ أو على أنه صفة مصدر محذوف أي قتلا خطأ. وقيل:" ما كان" نفي في معنى النهي . والاستثناء منقطع أي لكن إن قتله يقصد فجزاؤه ما يذكر . والخطأ مالا يضامه القصد إلى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالباً . أولا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه . أو يكون فعل غير المكلف . وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة . والآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخى أبي جهل من الأم . لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله . ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ﴾ أي فعليه أو فواجبه تحرير رقبة . والتحرير الإعتاق . والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لأكرم موضع منه . سمي به لأن الكرم في الأحرار واللؤم في العبيد . والرقبة عبر بها عن النسمة

قوله: وقيل "ما كان" نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع : لأن المتصل يدل على جواز القتل خطأ وأن للمؤمن ذلك فاختار صاحب الكشاف وتبعه المصنف على الأصل الاستثناء أعني المتصل وهو مفرغ مفعول له أو حال أومصدر ولا يلزم جواز القتل خطأ شرعا: لأن معناه من بشارة المؤمن أن لا يقتل إلا خطأ.

قوله:لأكرم موضع منه: وهو الخد كذا ذكره العلامة التفتازاني .

قوله: عن النسمة .قال صاحب النهاية: النسمة النفس والروح وكل دابة فيها روح فهي نسمة وربما يراد الإنسان .

كما عبر عنها بالرأس . ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة . ﴿وَدِيَةٌ مُّسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث . لقول ضحاك بن سفيان الكلابي : كتب إليَّ رسول الله ﷺ يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فإن لم تكن فعلى بيت المال . فإن لم يكن ففي ماله ، ﴿إِلَّآ أَنْ يَّصَّدَّقُوْا﴾ إلا أن يتصدقوا عليه بالدية . سمي العفو عنها صدقة حثًا عليه وتنبيهًا على فضله . وعن النبي ﷺ: "كل معروف صدقة" وهو متعلق بعليه . أو بمسلمة أي تجب الدية عليه أو يسلمها إلى أهله إلا حال تصدقهم عليه . أو زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل أو الأهل أو الظرف .﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ أي فإن كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين. أو في تضاعيفهم ولم يعلم إيمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لأهله إذ لا وراثة بينه وبينهم ولأنهم محاربون .﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيْثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ أي وإن كان من قوم كفرة معاهدين . أو أهل الذمة فحكمه حكم المسلمين في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما إذا كان المقتول معاهداً . أو كان له وارث مسلم .﴿ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ ﴾ رقبة بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها . ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنَ﴾ فعليه أو فالواجب عليه صيام شهرين متتابعين ﴿تَوْبَةً﴾ نصب على المفعول له أي شرع ذلك توبة . من تاب الله عليه إذا قبل توبته . أو على المصدر أي وتاب الله عليكم توبة أو الحال بحذف مضاف أي فعليه صيام شهرين ذا توبة. ﴿مِنَ اللّٰهِ﴾ صفتها . ﴿ وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيْمًا﴾ بحاله ﴿حَكِيْمًا[٩٢]﴾ فيما أمر في شأنه

قوله: إلا حال تصدقهم عليه: فإنه حينئذ تسقط الدية ولا يلزم تسليمها وليس في هذا الاستثناء دلالة على سقوط التحرير حتى يلزم تقديرعليه آخر قبل قوله تعالىٰ:﴿ ودية مسلمة﴾ ويكون الاستثناء متعلقا به لا بالمقدر. قيل تحرير رقبة وذلك أن تصدق الاعتاق غير متصور منهم وإنما هو من اللّٰه تعالىٰ .

قوله: فإن كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين: وذلك بأن أسلم في قومه ولم يهاجر إلينا فقتله مسلم خطأ أو كان في تضاعيفهم بأن أسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لأنهم يظنون كافرا مثلهم يجب الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة وهو بالإسلام ولا يجب الدية لأن الدية في حكم الارث ولا وراثة بينه وبينهم لأنهم محاربون .

﴿وَمَنْ يَّقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهٗ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيْهَا وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهٗ وَأَعَدَّ لَهٗ عَذَابًا عَظِيْمًا[٩٣]﴾لما فيه من التهديد العظيم . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمداً ولعله أراد به التشديد إذ روي عنه خلافه . والجمهور على أنه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى :﴿وإني لغفار لمن تاب ﴾[٢٠. طه : ٨٢]ونحوه وهو عندنا إما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره . ويؤيده أنه يدفعوا أنه نزل في مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشامًا قتيلاً في بني النجار ولم يظهر قاتله . فأمرهم رسول الله ﷺ أن يدفعوا إليه ديته فدفعوا إليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتداً . او المراد بالخلود المكث الطويل فإن الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم .

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ سافرتم وذهبتم للغزو ﴿ فَتَبَيَّنُواْ﴾فاطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه . وقرأ حمزة والكسائي فثبتوا في الموضعين هنا . وفي الحجرات من التثبت ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ السَّلٰمَ﴾لمن حياكم بتحية الإسلا م . وقرأ نا فع وابن عامر وحمزة السلم بغير الألف أي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام أيضًا ﴿ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما فعلت ذلك متعوذاً . وقرئ مؤمنًا بالفتح أي مبذولًا له الأمان ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ تطلبون ماله الذي هوحطام سريع النفاد . وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت.﴿ فَعِنْدَ اللّٰهِ مَغٰنِمُ﴾لكم ﴿ كَثِيْرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل أمثاله لماله ﴿ كَذٰلِكَ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلُ﴾ أي أول ما دخلتم في الإسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم وأموالكم من غير أن يعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم ﴿ فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين ﴿فَتَبَيَّنُوآ﴾ وافعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل الله بكم . ولا تبادروا إلى قتلهم ظنًا بأنهم دخلوا فيه اتقاء وخوفًا . فإن

قوله: ولا تعجلوا فيه. بأن تدخلوا فيه من غير رؤية .

قوله: وفسر به السلام : أي فسر بالاستسلام قراء ة السلام .

قوله: متعوذا .أي يتعوذ بالإسلام عن التعرض له .

قوله: مؤمنا بالفتح: .من آمنه أي نؤمنك .

قوله: هو حطام. حطام الدنيا: كل مافيها من مال يفني ولا يبقى .

إبقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم .وتكريره تأكيد لتعظيم الأمر ترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم . ﴿إِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيْرًا[٩٣]﴾ عالماً به وبالغرض منه لا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه . روي أن سرية لرسول الله ﷺ غزت أهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة بإسلامه . فلما رأي الخيل ألجأغنمه إلى عاقول من الجبل وصعد . فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ونزل وقال : لا إله إلاالله محمد رسول الله،السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه . وقيل: نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فأراد قتله فقال:لا إله إلا الله . فقتله وقال: ودّ لو فتر بأهله وماله . وفيه دليل على صحة إيمان المكره وأن المجتهد قد يخطئ وأن خطأه مغتفر .

﴿لَايَسْتَوِى الْقٰعِدُونَ﴾ عن الحرب ﴿مِنَ الْمُؤمِنِيْنَ﴾ في موضع الحال من القاعدين أو من الضمير الذي فيه ﴿غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ﴾بالرفع صفة للقاعدون لأنه لم يقصد به قوم بأعيانهم أو بدل منه . وقرأ نا فع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال أوالا ستثناء. وقرئ با لجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه .وعن زيد بن ثابت أنها نزلت ولم يكن فيها غير أولي الضرر فقال ابن أم مكتوم : وكيف وأنا أعمى فغشي رسول الله ﷺ في مجلسه الوحي . فوقعت فخذه على فخذيحتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب .﴿لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر﴾

﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهُمْ﴾ أي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة . وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته .﴿فَضَّلَ اللّٰهُ الْمُجَاهِدِيْنَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهُمْ عَلَى الْقٰعِدِيْنَ دَرَجَةً﴾ جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق . "ودرجةً" نصب بنزع الخافض أي بدرجةٍ أو على المصدر

قوله: إلى عاقول: من النهر والوادي والرمال: المعوجُ .

قوله: ود.أي ود ذلك الرجل الفرار بأهله وما له.

قوله: لأنه لم يقصد به قوم بأعيانهم. فهو في حكم النكرة كما في :

"ولقد أمرعلى اللئيم يسبني"

فيقع "غير" صفة له مع أنه لم يتعرف بالإضافة .

لأنه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه ، أو الحال بمعنى ذوي درجة ﴿وَكُلًّا﴾ من القاعدين والمجاهدون ﴿وَّعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنٰى﴾ المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وإنما التفاوت في زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب . ﴿وَفَضَّلَ اللّٰهُ الْمُجَاهِدِيْنَ عَلَى الْقٰعِدِيْنَ أَجْراً عَظِيْمًا[٩٥]﴾ نصب على المصدر لأن فضل بمعنى أجر ، أو المفعول الثاني له لتضمنه معنى الإعطاء كأنه قيل : وأعطائهم زيادة على القاعدين أجرًا عظيمًا.

﴿دَرَجٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَّرَحْمَةً﴾ كل واحد منها بدل من أجرًا . ويجوز أن ينتصب درجات على المصدر كقولك: ضربته أسواطاً . وأجرًا على الحال عنها تقدمت عليها لأنها نكرة . ومغفرة ورحمة على المصدر بإضمار فعليهما كرر تفضيل المجاهدين . وبالغ فيه إجمالاً وتفصيلاً تعظيماً للجهاد وترغيبًا فيه . وقيل: الأول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر . والثاني ما جعل لهم في الآخرة . وقيل المراد بالدرجة الأولى ارتفاع منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى ، وبالدرجات منازلهم في الجنة . وقيل: القاعدون الأول هم الاضراء، والقاعدون الثاني هم الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الأولون من جاهد الكفار، والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام " رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر" ﴿وَكَانَ اللّٰهُ غَفُوْراً﴾ لما عسى أن يفرط منهم ﴿رَّحِيْمًا[٩٦]﴾ بما وعد لهم .

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ تَوَفّٰهُمُ الْمَلٰئِكَةُ﴾ يحتمل الماضي والمضارع. وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يمكنهم من استفائها فيستوفونها ﴿ظَالِمِيٓ أَنْفُسِهِمْ﴾ في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فإنها نزلت في أناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة ﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة توبيخاً لهم ﴿فِيْمَ كُنْتُمْ﴾ في أي شيء كنتم من أمر دينكم ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِيْنَ فِى الْأَرْضِ﴾ اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة . أو عن إظهار الدين وإعلاء كلمة الله ﴿قَالُوآ﴾أي الملائكة تكذيباً لهم أو تبكيتًا﴿ أَلَمْ

قوله: لأنه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه: أي درجة واحدة من التفضيل ومرة واحدة منه .

قوله: بإضمار فعليهما: أي غفر لهم مغفرة ورحمهم مرحمة .

تَكُنْ أَرْضُ اللّٰهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيْهَا﴾ إلى قطر آخر كما فعل المهاجرون إلى المدينة والحبشة . ﴿فَأُولَٰئِكَ مَأْوٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار . وهو خبر إن والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط . وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة بإضمار قد، أو الخبر قالوا والعائد محذوف أي قالوا لهم . وهو جملة معطوفة على الجملة التي قبلها مستنتجة منها ﴿ وَسَآءَتْ مَصِيْرًا[٩٧]﴾ مصيرهم نار جهنم . وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه . وعن النبي ﷺ " من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجبت له الجنة . وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام "﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والإشارة إليه . وذكر الولدان إن أريد به المماليك فظاهر، وإن أريد به الصبيان فللمبالغة في الأمر والإشعار بأنهم على صدد وجوب الهجرة . فإنهم إذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وأن قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت . ﴿لَا يَسْتَطِيْعُونَ حِيْلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيْلًا[٩٨]﴾ صفة للمستضعفين إذ لا توقيت فيه ، أو حال منه أو من المستكن فيه . واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة وما تتوقف عليه . واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه أو بدليل .

﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ ذكر بكلمة الإطماع ولفظ العفو إيذاناً بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى إن المضطر من حقه أن لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه ﴿وَكَانَ اللّٰهُ عَفُوّاً غَفُوراً[٩٩]﴾

قوله: مستنتجة منها: يعني أن قوله تعالىٰ:﴿فأولئك مأواهم جهنم﴾ نتيجة قوله تعالىٰ: ﴿إن الذين توفٰهم الملائكة﴾ الخ.

قوله: وكا ن رفيق أبيه إبراهيم: قيل إن كان المراد من فر بدينه من القرشيين فظاهر: لأن إبراهيم أباه وإن أريد به العموم فمبني على أن نبينا صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وآله وسلم بمنزلة أبينا لأن أزواجه أمهاتنا، وإبراهيم عليه السلام أبوه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم .

قوله: لعدم دخولهم في الموصول: وهو 'الذين' وضميره هو'هم' في توفيهم أو المقدر أي قالوا لهم والإشارة هو أولئك، وذلك أن هؤلاء ليسوا ظالمي أنفسهم لأنهم لم يكونوا معتلين بالضعف، بل مستضعفين في نفس الأمر .

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيْرًا﴾ متحولاً من الرغام وهو التراب . وقيل: طريق يراغم قومه بسلوكه أي يفارقهم على رغم أنوفهم وهو أيضاً من الرغام . ﴿وَسَعَةً﴾ في الرزق وإظهار الدين ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ وقرئ يدركه بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ثم هو يدركه وبالنصب على إضمار أن كقوله :

سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي بِبَنِي تَمِيْمٍ وَأَلْحَقُ بِالحِجَازِ فَأَسْتَرِيحا

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيْمًا[١٠٠]﴾ الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى : ثبت أجره عند الله تعالى ثبوت الأمر الواجب . والآية الكريمة نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجهاً الى المدينة . فلما بلغ التنعيم أشرف على

قوله: متحولا:أي موضع تحول أي تنقل من موضع إلى موضع. كذا في الصحاح.

قوله:على أنه خبر مبتدأ محذوف: أي ثم هو يدرك، والجملة عطف على الشرط أي يخرج، لا على من يخرج ، ولا على مهاجرا لما لا يخفى.

قوله:وبالنصب على إضمارأن كقوله إلخ: التشبيه في البيت فيأن إضمارأن بعد العاطف لمضارع منصوب على مضارع غير منصوب، والعاطف صح في الآية ثم وفي البيت الواو أو الفاء. فيه اختلاف رواية وإذ قد انتصب المضارع فأريد من اعتبارالعطف على مصدر الفعل السابق: أيومن يكن منه خروج ثم إدراك للموت وسيكون مني ترك ولحوق. والجمهورعلى أن هذا في الفاء، والفاء في جواب الأشياء ضرورة فكيف بثم .

قوله: الوقوع والوجوب متقاربان .فاستعمل الوقوع مكان الوجوب وذلك أن معنى الوجوب اللزوم البتة والوقوع على الشيء يستلزم البتة .

قوله: والآية نزلت في جند ب بن ضمرة الخ. وقصته أنه لما سمع الآية السابقة وهو شيخ كبير مريض قال ما أنا ممن استثنى ا للّٰه لأني أجد حيلة ولي من المال ما يبلغني المدينة وأبعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجوني فخرجوا به يحملونه على السرير حتى أتوابه إلى التنعيم فأدركه الموت فصفق يمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع به رسولك ثم مات، فقال أصحاب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم لو توفي بالمدينة لكان أتم وأوفى أجرا. وقال المشركون: ما أدراك ما طلب فانزل اللّٰه تعالىٰ هذه الآية .

الموت فصفق بيمينه على شماله فقال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع عليه رسولك ﷺ . فمات.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ سافرتم ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلٰوةِ﴾ بتنصيف ركعاتها، ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه . ويؤيده أنه عليه الصلاة والسلام أتم في السفر. وأن عائشة رضي الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله ﷺ وقالت : يا رسول الله قصرت وأتممت . وصمت وأفطرت . فقال: أحسنت يا عائشة وأوجبه أبو حنيفة لقول عمر رضي الله تعالى عنه : صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ . ولقول عائشة رضي الله تعالى عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر. فظاهرهما يخالف الآية الكريمة فإن صحا فالأول مؤول بأنه كالتمام في الصحة والإجزاء . والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بأنهم ألفوا الأربع فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن ركعتي السفر قصر ونقصان . فسمي الإتيان بهما قصراً على ظنهم . ونفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم . وأقل سفر تقصر فيه أربعة برد عندنا وستة عند أبي حنيفة . قرئ تقصروا من أقصر بمعنى قصر "ومن الصلاة" صفة محذوف أي : شيئا من الصلاة عند سيبويه . ومفعول تقصروا بزيادة عند الأخفش. ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إِنَّ الْكٰفِرِيْنَ كَانُوْالَكُمْ عَدُوًّا مُّبِيْنًا[١٠١]﴾ شريطة باعتبار الغالب في ذلك الوقت . ولذلك لم يعتبر مفهوما كما لم يعتبر في قوله تعالى :﴿فإن خفتم أن لا يقيماحدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾

قوله: اللهم هذه لك:الظاهرأن هذه إشارة إلى اليمين وهذه إلى الشمال لا على قصد إسناد الجارحة للّٰه تعالىٰ بل على سبيل التصوير وتمثيل مبالغة اللّٰه تعالىٰ على الإيمان والطاعة بمبايعة رسول اللّٰه إياه وقوله: أبايعك على مابايعك عليه رسو ل اللّٰه ﷺ بيان للتمثيل .

قوله: فأقرت في السفر : يدل على عدم جواز الزيادة لكونها زيادة على المشروع كما لو صلى الفجر أربعا فقوله: والثاني لا ينفي جوازالزيادة منظورفيه .

قوله: أربعة برد: جمع بريد وهو اثنا عشر ميلا، كل ميل اثنا عشر الف قدم والفرسخ ثلثة أميال .

قوله: كما لم يعتبر في قوله تعالى:﴿ فإن خفتم﴾ فإن جواز الخلع لا يتقيد بعدم خوف الزوجين حدوداللّٰه .

وقد تظاهرت السنن على جوازه أيضًا في حال الأمن . وقرئ من الصلاة أن يفتنكم بغير إن خفتم كراهة أن يفتنكم : وهو القتال والتعريض بما يكره .

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول ﷺ لفضل الجماعة . وعامة الفقهاء على أنه تعالى علم الرسول ﷺ كيفتها ليأتم الأئمة بعده فإنهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الأخرى تجاه العدو. ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ أي المصلون حزماً وقيل الضمير للطائفة الأخرى وذكر الطائفة الأولى يدل عليهم ﴿ فَإِذَا سَجَدُوا﴾ يعني المصلين . ﴿ فَلْيَكُونُوا ﴾ أي غير المصلين ﴿مِن وَرَآئِكُمْ ﴾ يحرسونكم يعني النبي ﷺ ومن يصلي معه . فغلب المخاطب على الغائب ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟﴾ لا شتغالهم بالحراسة ﴿فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ﴾ ظاهره يدل على أن الإمام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله رسول الله ﷺ ببطن نخل . وإن أريد به أن يصلي بكل ركعة إن كا نت الصلاة ركعتين فكيفيته أن يصلي بالأولى ركعة وينتظر قائماً حتى يتموا صلاتهم منفردويذهبوا الى وجه العدد ،وتأتى الأخرى فيتم بهم الركعة الثا نية.ثم ينتظر قا عدا حتى يتمو صلا تهم ويسلموا بهم كما فعله رسول الله ﷺ بذات الرقاع . وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه : يصلي بالأولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بإزاء العدو وتأتي الأخرى فتصلُ معه ركعة . ويتم صلاته ثم تعود الى وجه العدو. وتأتي الأولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراء ة وتتم صلاتها ثم تعود وتأتي الأخرى فتؤدي الركعة بقراء ة وتتم صلاتها. ﴿وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾

قوله:وقدتظاهرت السنن: يعني أن جواز القصر في الأمر يثبت بالسنة .

قوله: لفضل الجماعة: أي جماعة الرسول عليه السلام .

قوله: أي المصلون حزما: مفعول له ليأخذوا، والحزم التيقظ والمراد بالسلاح مالايشغلهم عن الصلوٰة كا لسيف والخنجر ونحوهما .

قوله:﴿ من وراء كم﴾ .من قدامكم .

قوله: فتؤدى الركعة الثانية بغير قراء ة. لأن اللاحق في حكم المقتدي بخلاف المسبوق فإنه فيمافاته منفرد حكما فيقرأ.

جعل الحذر آلة يتحصن بها المغازي فجمع بينه وبين الأسلحة في وجوب الأخذ ونظيره قوله تعالى :﴿والذين تبوؤاالدار والإيمان﴾[٥٩.الحشر:٩] ﴿وَدَّالَّذِيْنَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيْلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَّاحِدَةً﴾ تمنوا أن ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة . وهو بيان ما لأجله أمروا بأخذ الحذر والسلاح . ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذىً مِّنْ مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضىٰٓ أَنْ تَضَعُواْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ رخصة لهم في وضعها إذا ثقل عليهم أخذها بسبب مطر او مرض . وهذا مما يؤيد أن الأمر بالأخذ للوجوب دون الاستحباب. ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ أمرهم مع ذلك بأخذ الحذر كي لا يهجم عليهم العدو. ﴿إِنَّ اللّٰهَ أَعَدَّ لِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابًا مُّهِيْنًا[١٠٢]﴾ وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الأمر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم . بل لأن الواجب أن يحافظوا في الأمور على مراسم التيقظ فيتوكلوا على الله سبحانه وتعالى .

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلٰوةَ﴾ أديتم وفرغتم منها ﴿فَاذْكُرُواْ اللّٰهَ قِيٰمًا وَّقُعُودًا وَعَلىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ فداوموا على الذكر في جميع الأحوال . أو إذا أردتم أداء الصلاة واشتد الخوف فأدّوها كيفما أمكن ، قياماً مسايفين ومقارعين ، وقعوداً مرامين وعلى جنوبكم مثخنين. ﴿ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ سكنت قلوبكم من الخوف ﴿فَأَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ﴾ فعدلوا واحفظوا أركانها شرائطها وائتوابها تامة ﴿إِنَّ الصَّلٰوةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ كِتَابًا مُّوْقُوتًا[١٠٣]﴾فرضاًمحدودالأقات لا يجوزإخراجها عن أوقاتهافي شيء من الأحوال وهذا دليل على أن المراد بالذكر الصلاة وأنها واجبة الأداء حال المسابقة والإضطراب في المعركة ، وتعليل للأمر بالإيتاء بها كيفما أمكن .وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا يصلي المحارب حتى يطمئن .

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ولا تضعفوا﴿ فِى ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ﴾في طلب الكفاربالقتال﴿إِنْ تَكُوْنُوا تَأْلَمُوْنَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُون كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّٰهِ مَالَا يَرْجُونَ ﴾إلزام لهم وتقريع على التواني فيه، بأن ضررالقتال دائر بين الفريقين غيرمختص بهم .وهم يرجون من اللهبسببه من إظهار الدين واستحقاق الثروات ما لا يرجو عدوهم،فينبغي أن يكونوا أرغب منهم في

قوله: جعل الحذر آلة يتحصن بها: جواب سوال، تقرير السوال أن أخذ الحذرمجاز وأخذ الأسلحة حقيقة فلا يجوز جمعهما فيلفظ واحد. وتقرير الجواب أنه لم يعلق بالحذرإلا بعد جعله بمنزلة الآلة استعارة بالكناية كما تقول أظفار المنية والسبع .

الحرب وأصبر عليها .وقرئ أن تكونوا بالفتح بمعنىٰ ولا تهنوا لأ ن تكونوا تألمون . ويكون قوله فإنهم يألمون علة للنهي عن الوهن لأجله. والآية نزلت في بدر الصغرى ﴿ وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيْمًا﴾بأعمالكم وضمائركم﴿حَكِيْمًا[١٠٤]﴾فيما يأمرو ينهى.

﴿إِنَّـا أَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾نزلت في طعمة بن أبيرق من بـنـي ظـفـر . سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق . فجعل الدقيق ينتثر من خـرق فيـه وخبـأهـا عـنـد زيد بن السمن اليهودي.فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد . وحـلـف مـا أخـذهـا ومـالـه بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتىٰ انتهى الى منزل اليهودي فـأخـذوهـا . فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر : انطلقوا بنا الى رسـول اللّٰهﷺ فسـألـوه أن يـجـادل عـن صاحبهم وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهـودي فهـم رسول اللّٰه أن يفعل ﴿ بِمَآ أَرٰكَ اللّٰهُ﴾ بما عرفك اللّٰه و أوحى به إليك وليس من الرؤية بمعنى العلم وإلا لا ستـدعى ثلاثة مفاعيل ﴿وَلَا تَكُنْ لِّلْخَآئِنِيْنَ﴾ أي لأجلهم والذب عنهم .﴿خَصِيْمًا[١٠٥]﴾ للبرآء .

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللّٰهَ﴾ مما همت به . ﴿إِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيْمًا[١٠٦]﴾ لمن يستغفر.

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِيْنَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُم﴾ يخونونهاخيانتهم يعود عليها .أو جعل الـمـعـصية خيـانة لهـا كـمـا جعلت ظلماً عليها. والضمير لطعمة وأمثاله او له ولقومه فإنهم شـاركـوه فـي الإثـم حيـث شهـدوا عـلـى براء اة وخاصموا عنه ﴿ إِنَّ اللّٰهَ لَايُحِبُّ مَنْ كَانَ خَـوَّانًـا﴾ مبالغاً في الخيانة مـصراً عليها ﴿ أَثِيْـمًـا[١٠٧]﴾ منهمكاً فيها . روي: أن طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطاً بها ليسرق أهله الحائط عليه فقتله .

قـولـه: ﴿والـذين تبوء وا الداروالإيمان﴾ جعل الإيمان مستقرا لهـم ومتبوأ لتمكنهـم فيه فذلك جمع بينه وبين الدار في التبوأ .

قوله: بالفتح: أي فتح همزة أن .

قوله: في طعمة: بفتح التاء وروي بكسرها .

قوله: وليس من الرؤية بمعنى العلم: وكذا من الرؤية بمعنى الإبصار وهو ظاهر .

قوله: أي لا جلهم: يعني أن اللام ليست صلة'خصيما'.

قوله: مصرًا عليها: بيان مبالغًا .

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ يستترون منهم حياء وخوفًا ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ ولا يستحيون منه وهو أحق بأن يستحيا ويخاف منه ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه إلا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبرون ويزورون ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا[١٠٨]﴾ لا يفوت عنه شيء .

﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ﴾ مبتدأ و خبر ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ جملة مبينة لوقوع أولاء خبراً أو صلة من يجعله موصولًا . ﴿فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا[١٠٩]﴾ محاميًا يحميهم من عذاب الله.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا﴾ قبيحًا يسوء به غيره . ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بما يختص به ولا يتعداه . وقيل المراد بالسوء من دون الشرك ، وبالظلم الشرك . وقيل: الصغيرة والكبيرة ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ بالتوبة ، ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾ لذنوبه ﴿رَّحِيمًا[١١٠]﴾ متفضلاً عليه . وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار .

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ فلا يتعداه وباله كقوله تعالى :﴿وإن أسأتم فلها﴾[١٧.الإسرائيل:٧]﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا[١١١]﴾ فهو عالم بفعله، حاكم في مجازاته .

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ صغيرة أو مالا عمد فيه ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ كبيرة أو ماكان عن عمد،﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ كما رمى طعمة زيدا. ووحد الضمير لمكان أو ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا[١١٢]﴾ بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة . ولذلك سوى بينهما وإن كان مقترف أحدهما دون مقترف الآخر .

قوله: جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا أو صلة: يعني أن أولاء إنما يقع خبرا لا باعتبار الاتصاف بهذه الصفة وقع بعدها اسم استفهام مثل أم من يكون،أم ماذا كنتم ،أم كيف تنفع، يكون بمعنى بل لا متصلة ولا منقطعة ويجوز الحمل على أحدهما بتأويل انتهى. ولعل التأويل كون أم يكون في تقديراً من يكون .

قوله: ووحد الضمير: أي ضمير به .

قوله: وتبرئة النفس الخاطئة: إشارة إلى دفع أشكال، وهو أن الجزاء ـ وهو الجمع بين الإثم والبهتان ـ لا يترتب على الشرط الذي هو كسب الخطيئة أوالإثم، ثم الرمي به أو

﴿وَلَولَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ بإعلام ما هم عليه بالوحي . والضمير لرسول الله ﷺ ﴿لَهَمَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي من بني ظفر ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال . والجملة جواب" لولا" وليس القصد فيه إلى نفي هممهم بلى إلى نفي تأثيره فيه ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأنه ما أزالك عن الحق وعاد وباله عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيءٍ﴾ فإن الله سبحانه وتعالى عصمك وما خطر ببالك كان اعتماداً منك على ظاهر الأمر لا ميلا في الحكم . ومن شيء في موضع النصب على المصدر أي شيء من الضرر. ﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُنْ تَعْلَمْ﴾ من خفيات الأمور. أو من أمور الدين والأحكام ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيْمًا[١١٣]﴾ إذ لا فضل أعظم من النبوة.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيْرٍ مِّنْ نَّجْواٰهُمْ﴾ من متناجيهم كقوله تعالى :﴿وإذهم نجوى﴾[١٧ .الإسرائيل: ٤٧] او من تناجيهم فقوله : ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾

بهما لأن الإثم لا يتناول الخطيئة لأنه يطلق في كبائر الإثم .ووجه الدفع أن الخطيئة إثم من حيث أنه برأ نفسه فيترتب على الشرط كرمي البرىء به لأن كلامنهما كذب عن عمل وهذا معنى لقوله ولذلك سوي بينهما أي بين كسب الخطيئة وكسب الأثم في ترتيب الجزاء عليهما. وأجاب العلامة التفتازاني عن الإشكال بأن المراد بالإثم في جانب الجزاء ما يعم الخطيئة أيضًا تغليبا أو نظرا إلى أن الرمي بالخطيئة إعظام لها وإدراج في حكم الآثام أو إلى أنه قد يطلق على مطلق الذنب كما في كبائر الإثم وأشار أيضًا إلى إشكال آخر، فقال وكذا في مغايرة احتمال الإثم والبهتان أعني الاتصاف بهما لكسب الإثم والرمي به إشكال. ثم أجاب عنه بأن تغاير المفهوم كاف أو أن التفخيم الحاصل من التنكير يعطي التغاير أو أنه على أسلوب من أدرك الصمّان فقد أدرك المرعى.

قوله: من بني ظفر. هذا بالنظر إلى المعنى والمآل وإلافلا ذكر في الكلام لبني ظفر،ولا دلالة عليهم ليرجع الضمير وإنما الضمير بحسب اللفظ أن يكون الذين يختارون على أن المراد بهم بنو ظفر لمشاركتهم طعمة في الإثم والخيانة حيث نصروه. ويجوز أن يكون نزول الآية فيهم دليلا على ذكرهم .

قوله: مع علمهم بالحال: أي بأن الجاني وصاحبهم وإنما قال ذلك ليتحقق أن قصد هم الإضلال .

علـى حـذف مـضاف أي إلا نجوى من أمر أو على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة فـفـي نـجـواه الـخير . والمعروف كل مايستحسنه الشرع ولا ينكره العقل . وفسـر ها هنا بـالـقـرض وإغاثة الملهوف و صدقة التطوع و سا ئر ما فسر به ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أو إصـلاح ذات البيـن ﴿وَمَـنْ يَـفْـعَـلْ ذٰلِكَ ابْتِـغَـاءَ مَـرْضَـاتِ اللّٰهِ فَسَوْفَ نُـؤتِيْـهِ أَجْـرًا عَـظِيْـمًـا[١١٤]﴾ بـنـي الـكلام على الأمر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على أنه لمادخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم . وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الأمر من حيـث إنـه وصـلة إليـه . وقيـد الـفعل بأن يقول لطلب مرضاة اللّٰه سبحانه وتعالى . لأن الأعمال بـالـنيات وأن كل من فعل خيراً ورياء وسمعة لم يستحق به من اللّٰه أجراً . ووصف الأجر بالعظم تنبيهًا على حقارة مافات في جنبه من أعراض الدنيا. وقرأ حمزة وأبو عمرو يؤتيه بالياء .

﴿وَمَـنْ يُّشَـاقِـقِ الـرَّسُولَ﴾ يخالفه من الشق فإن كلا من المتخالفين في شق غير شـق الآخـر ﴿مِـنْ بَـعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدىٰ﴾ ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْـرَ سَبِيْـلِ الْـمُـؤْمِـنِيْنَ﴾ غير ماهم عليه من اعتقاد او عمل ﴿نُوَلِّهٖ مَاتَوَلّىٰ﴾ نجعله والياً لما تـولـى مـن الضلال . ونخل بينه وبين ما اختاره ﴿وَنُصَلِّهٖ جَهَنَّمَ﴾ وندخله فيها . وقرئ بفتح الـنـون مـن صـلاـة . ﴿وَسَـآءَت مَـصِيْـرًا[١١٥]﴾ جهـنـم . والآية تدل على حرمة مخالفة الإجـمـا ع . لأنـه سبـحـانـه وتـعـالـى رتـب الـوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل الـمـؤمـنين . وذلك إما لـحرمة كل واحد منهما او أحدهما او الجمع بينهما والثاني باطل إذ يـقبـح أن يـقـال مـن شـرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد . وكذا الثالث لأن المشاقة مـحـرمة ضم إليها غيرها او لم يضم . وإذا كان اتباع غير سبيلهم محرماً كان اتباع سبيلهم واجباً . لأن تـرك اتبـاع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم . وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الأفهام الى مبادئ الأحكام .

قـولـه: وفسـر ههنا: أي فسر بعضهم المعروف بالقرض وبعضهم بإعانة الملهوف وبعضهم بصدقة التطوع والصدقة بالزكاة.

قوله: لأن ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم :لأن ترك الشيء مـغـائـر لـه، والتـرك هنا كف النفس لا عدم الفعل لأن الترك هنا مع الداعي إلى السبيل وهو العلم بأن جماعة كثيرين يتلبسون بهذا السبيل ويأخذون به .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ﴾ كرره للتأكيد ، أو لقصة طعمة . وقيل جاء شيخ الى رسول الله ﷺ وقال: إني شيخ منهك في الذنوب إلا أني لم أشرك با لله شيئًا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه ولياً . ولم أوقع المعاصي جرأة . وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربًا وإني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله سبحانه وتعالى ، فنزلت،﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا[١١٦]﴾ عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة . وإنما ذكر في الآية الاؤلى فقد افترى لأنها متصلة بقصة أهل الكتاب . ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله سبحانه وتعالى .

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنٰثًا﴾ يعني اللات والعزى ومناة ونحوها ، كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بني فلان وذلك إما لتأنيث أسمائها كما قال:

وَمَا ذَكَرٌ فَإِنْ يَسْمَنْ فَأُنْثٰى شَدِيْد الأزمِ لَيْسَ لَهُ ضُرُوسٌ

فإنه عنى القراد وهو ماكان صغيراً سمي قرادً فإذا كبر سمي حلمة،او لأنها كانت جمادات، والجمادات تؤنث من حيث إنها ضاهت الإناث لا نفعا لها . ولعله سبحانه وتعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيهاً على أنهم يعبدون ما يسمونه إناثًا لأنه ينفعل ولا يفعل . ومن حق المعبود أن يكون فاعلاً غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم . وقيل: المراد الملائكة لقولهم : الملائكة بنات الله. سبحانه وتعالى . وهو جمع أنثى كرباب وربى . وقرئ أنثى على التوحيد وأنثا على أنه جمع أنيث كخبث وخبيث . وثنا با لتخفيف ووثنا بالتثقيل وهو جمع وثن كأسد وأسد وأثنا وأثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة . ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ﴾ وإنْ يعبدون بعبادتها .﴿إِلَّا شَيْطٰنًا مَّرِيْدًا[١١٧]﴾ لأنه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها . فكأن طاعته في ذلك عبادته له . والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير. وأصل التركيب للملابسة . ومنه صرح ممرد وغلام أمرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها.

قوله: كرره للتأكيد: يعني قد ذكر هذا فيما سبق معقبا بقوله تعالىٰ: ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ فكرر ههنا إما لقصد التأكيد أو لبيان حال طعمة في اشتراكه أو حال الشيخ من العرب في عدم اشتراكه .

قوله: شديد الأزم:الأزم العض .

قوله: بالتخفيف والتثقيل:المراد بالتخفيف الإسكان، وبالتثقيل التحريك .

﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ صفة ثانية للشيطان ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا[١١٨]﴾ عطف عليه: أي شيطاناً مريداً وقد برهن سبحانه وتعالى أو لاً على الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل ، بأن ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلاً اختيارياً . وذلك ينافي الألوهية غاية المنافاة .فان الإله ينبغي أن يكون فاعلاً غير منفعل . ثم استدل عليه بأنه عبادة الشيطان وهي أفظع الضلال لثلاثة أو جه ، الأول : أنه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى . فتكون طاعته ضلالاً بعيداً عن الهدى ، والثاني: أنه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن . والثالث: أنه في غاية العداوة والسعي في إهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلاً عن عبادته . والمفروض المقطوع أي نصيبًا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء .

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحق ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ الأماني الباطلة كطول الحياة وأن لا بعث ولا عقاب ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ يشقونها لتحريم ما أحل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب ، وإشارة الى تحريم ما أحل كل ما خلق كاملاً بالفعل أو القوة . ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ عن وجهه وصورته أو صفته . ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي ، وخصاء العبيد ، والوشم ، والوشر ، واللواط ، والسحق ، ونحو ذلك وعبادة الشمس ، والقمر ، وتغيير فطرة الله تعالى التي هي الإسلام . واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالاً ولا يوجب لها من الله سبحانه وتعالى زلفى . وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقاً لكن الفقهاء خصوا في خصاء البهائم للحاجة . والجمل الأربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقًا أو أتاه فعلاً .

قوله: بالبحائر والسوائب :كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا إذنها: أي شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ومرعى، واسمها بحيرة . وكان يقول إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل ولا يمنع من ماء ولا مرعى. والوشم هو أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بكحل ونحوه. والوشر أن تحد المرأة اسنانها وترققها تشبيها بالشواب والسحق مسّ امرأة بامرأة آخري .

قوله:حكاية عما ذكره الشيطان نطقا أو أتاه فعلا، يعني يحتمل أن يكون الشيطان

﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطٰنَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللّٰهِ﴾ بإيثاره ما يدعو إليه على ما أمر اللّٰه به ومجاوزته عن طاعة اللّٰه سبحانه وتعالى الى طاعته ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِيْنًا[١١٩]﴾ إذا ضيع رأس ما له وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار .

﴿يَعِدُهُمْ﴾ ما لا ينجزه . ﴿وَيُمَنِّيْهِمْ﴾ ما لا ينالون . ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطٰنُ إِلَّا غُرُورًا[١٢٠]﴾ وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بالخواطر الفاسدة ، أو بلسان أوليائه .

﴿أُولٰٓئِكَ مَأْوٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيْصًا[١٢١]﴾ معدلاً ومهربًا، من حاص يحيص: إذا عدل، وعنها: حال منه . وليس صلة له لأنه اسم مكان وإن جعل مصدراً فلا يعمل أيضًا فيما قبله .

﴿وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَآ أَبَدًا وَعْدَ اللّٰهِ حَقًّا﴾ أي وعده وعداً وحق ذلك حقًا . فالأول مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الإسمية التي قبله وعد . والثاني مؤكد لغيره ويجوز أن ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده . ووعداللّٰه بقوله سندخلهم لأنه بمعنى نعدهم إد خا لهم وحقًا على أنه حال من المصدر. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ قِيْلًا[١٢٢]﴾ جملة موكدة بليغة . والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد اللّٰه الصادق لأوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبًا للعباد في تحصيله .

قال هذه الجمل في الزمان المتقدم ثم حكى اللّٰه عنه ذلك. ويحتمل أن يكون أتى بهذه الجمل فحكى اللّٰه تعالىٰ عنه فيكون قولا بلسان الحال. وإنما قال هذه الجمل الأربع لأن قوله: "لأ تخذن" مجمل تفصيله هذه الجمل الأربع .

قوله: فالأول مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الخ : يعني أن مضمون﴿سندخلهم جنات﴾ هو وقوع الوعد لااحتمال وقوعه وعدم وقوعه فلا يكون محتملا بغير الوقوع الذي هو الكذب لأنه وعدمن الصادق وهو اللّٰه وأما أن الثاني مؤكد لغيره فبا لنظر إلى أصل الخبر من غير نظر إلى صدق المخبر لأنه من حيث هو يحتمل الصدق والكذب .

قوله: جملة مؤكدة بليغة: لدلالته على صدق إخبار اللّٰه تعالىٰ وحقيقة مقاله مع إنكار أن يكون أحداً صدق من اللّٰه قصدا إلى أنه أصدق من كل قائل .

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتٰبِ﴾ أي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بأمانيكم أيها المسلمون ، ولا بأماني أهل الكتاب . وإنما ينال بالإيمان والعمل الصالح . وقيل: ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل . روى أن المسلمون واهل الكتاب افتخروا . فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم . وقال المسلمون : نحن أولى منكم، نبينا خاتم النبيين، وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت.

وقيل: الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم أي: ليس الأمر بأماني المشركين . وهو قولهم لا جنة ولا نار . وقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيراً منهم وأحسن حالاً . ولا أماني اهل الكتاب وهو قولهم ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أونصارى﴾ وقولهم : ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات﴾ ثم قرر ذلك قال:﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ عاجلا أو آجلاً لما روي(أنها لما نزلت قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: فمن ينجو مع هذا يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أما تحزن؟ أما تمرض؟ أما يصيبك الآراء ؟ قال: بلىٰ يا رسول الله قال: هو ذاك ﴿وَلَا يَجِدْ لَهٗ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَّلَا نَصِيْرًا[١٢٣]﴾ ولا يجد لنفسه إذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّٰلِحٰتِ﴾ بعضها أو شيئاً منها فإن كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفاً بها . ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثٰى﴾ في موضع الحال من المستكن في يعمل ، ومن للبيان أو من الصالحات أي كائنة من ذكر أو انثٰى ومن للابتداء . ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور وتنبيها على أنه لا اعتداد به دونه فيه .﴿فَأُولٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيْرًا[١٢٤]﴾بنقص شيء من الثواب وإذ لم ينقص ثواب المطيع فبالحري أن لا يزاد عقاب العاصي، لأن المجازي أرحم الراحمين ، ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر "يدخلون الجنة" هنا وفي غافر و مريم بضم الياء وفتح الخاء ، والباقون بفتح الياء وضم الخاء .

قوله: إما يصيبك الآفات: أي آفات الدنيا .

قوله: أي كافية من ذكر وأنثى: أي ناشئة منه .

قوله: لااعتداد به دونه فيه: أي لااعتداد بالعمل دون الأمان .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيْنًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ﴾ أخلص نفسه لله لا يعرف لها رباً سواه . وقيل: بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على أن ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية ،﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ آت بالحسنات تارك للسيئات ﴿وَّاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرٰهِيْمَ﴾ الموافقة لدين الإسلام المتفق على صفتها ﴿حَنِيْفًا﴾ مائلاً عن سائر الأديان وهو حال من المتبع او من الملة او إبراهيم ﴿وَاتَّخَذَاللّٰهُ إِبْرٰهِيْمَ خَلِيْلًا[١٢٥]﴾ اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله . وإنما أعاد ذكره ولم يضمر تفخيمًا لشأنه وتنصيصًا على أنه الممدوح . والخلة من الخلال فإنه ود تخلل النفس وخالطها . وقيل: من الخلل فإن كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر ، او من الخل وهو الطريق في الرمل فإنهما يترا فقان في الطريقة، او من الخلة بمعنى الخصلة فإنهما يتوافقان في الخصال . والجملة استئناف جئ بها للترغيب في اتباع ملته ﷺ والإيذان بأنه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر . روي أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله: لوكان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت . ولكن يريد للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس. فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساء ه الخبر . فغلبته عيناه فنام وقامت سارة إلى غرارة منها فأخرجت حوارى واختبزت . فاستيقظ ابراهيم عليه السلام فاشتمَّ رائحة الخبز فقال: من أين لكم هذا ؟ فقالت: من خليلك المصري فقال: بل هو من عند خليلي الله عزو جل فسماه الله خليلاً.

﴿وَلِلّٰهِ مَافِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على أهل السموات والأرض .

قوله: مائلا عن سائر الأديان: أي إلى دين الإسلام الذي هو دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قوله: اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله: أراد أن هذا مجاز على سبيل الاستعارة لأن الخلة مأخوذ مما سيجيء من المعاني التي لا يتصور في حقه تعالىٰ.

قوله: خلقا وملكا يختار منهمامن يشاء وما يشاء: فاختار إبراهيم واختار الخلة له وعلى هذا الوجه متصل بقوله تعالىٰ:﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾.

وكمال قدرته على مجازاتهم على الأعمال ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شيءٍ مُّحِيْطًا[١٢٦]﴾ إحاطة علم وقدرة فكان عالماً بأعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها .

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَآءِ﴾ في ميراثهن إذ سبب نزوله أن عيينة بن حصن أتى النبي ﷺ فقال: أخبرنا أنك تعطي الابنة النصف والأخت النصف . وإنما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام : كذلك أمرت ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيْكُمْ فِيْهِنَّ﴾ يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهمْ ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَٰبِ﴾ عطف على اسم الله تعالى ، او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الإفتاء مسنداً الى الله سبحانه وتعالى والى ما في القرآن من قوله تعا لى ﴿ يوصيكم الله ﴾ ونحوه . والفعل الواحد ينسب الى فاعلين مختلفين باعتبارين مختلفين ، ونظيره أغناني زيد وعطأوه. او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على أن ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره. والمراد به اللوح المحفوظ . ويجوز أن ينصب على معنى ويبين لكم ما يملى عليكم او يخفض على القسم كأنه قيل: وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب . ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظاً ومعنى ﴿ فِي يَتَٰمَى النِّسَآءِ﴾ صلة يتلى إن عطف الموصول على ما قبله أي يتلى عليكم في شأنهن وإلا فبدل من فيهن ، أو صلة أخرى ليفتيكم على

قوله: باعتبارين مختلفين :أي الحقيقه والمجاز فالإسناد إلى الله تعالىٰ حقيقة وإلى الكلام مجاز إسناد إلى السبب أو إلى الظرف .

قوله: والمراد به اللوح المحفوظ :لاالقرآن إذ لا فائدة له في قولنا المتلو من القرآن في القرآن .

قوله: لا ختلاله لفظا ومعنى: أما لفظا فلعدم إعادة الجار وأما معنى فلان المعنى حينئذ الله يفتيكم في حق ما يتلى عليكم في الكتاب .فإن قيل: ثم لا يجوز أن يكون فيهن بمعنى الصلة : أي في حقهن ومعناهن وفيما يتلى بمعنى الظرف: أي يفتيكم في الكتاب. قيل: كفى بهذا اختلا لامع أن المناسب حينئذ فيما يتلى عليكم من الكتاب لا في الكتاب .

قوله:وإلافبدل من فيهن: وهو بدل من بعض؛ لأن ضمير 'فيهن' يعود إلى النساء وهو إماإبدال المجرور من المجرور بتكرير العامل كما هو مذهب صاحب الكشاف، وإما من إبدال الجار والمجرور من الجار والمجرور كما هو مختار ابن الحاجب .وإنما جعل هذا الوجه مرجوحا لما فيه من الفصل بين البدل والمبدل منه بالعطف وإن لم يكن ذلك بالأجنبي.

معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول: كلمتك اليوم في زيد . وهذه الإضافة بمعنى من لأنها إضافة الشيء الى جنسه . وقرئ ييامي بياء ين على أنه أيامى فقلبت همزته ياء ، ﴿الّٰتِي لَا تُؤْمِنُونَ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ أي فرض لهن من الميراث ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ في أن تنكحوهن أو عن أن تنكحوهن . فإن أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن إن كن جميلات ويأكلون ما لهن ، وإلا كانوا يعضلوهن طمعاً في ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف . وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة إذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها . ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء . ﴿وَأَنْ تَقُومُواْ لِلْيَتٰمٰى بِالْقِسْطِ﴾ أيضًا عطف عليه أي ويفتيكم او ما يتلى في أن تقوموا . هذا إذا جعلت في يتامى صلة لأحدهما فإن جعلته بدلاً فالوجه نصبهما عطفاً على موضع فيهن . ويجوز أن ينصب وأن تقوموا بإضمار فعل أي: ويأمركم أن تقوموا . وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم . او للقوام بالنصفة في شأنهم . ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِهٖ عَلِيْمًا[١٢٧]﴾ وعد لمن آثر الخير في ذلك .

﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا﴾ توقعت منه لما ظهر لها من المخايل . وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر ﴿نَشُوزًا﴾ تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها كراهة لها ومنعًا لحقوقها .

قوله: يعضلوهن :أي عن التزوج حتى يموت .

قوله: وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة: استدل الحنفية بهذه الآية على أنه يجوز لغير الأب والجد تزويج الصغيرة ولا حاجة فيها إذ لا يلزم من الرغبة فيها جريان العقد في صغرها. ويمكن أن يقال: أن الآية مسوقة لمذمة هؤلاء بعدم إيتاء ما كتب لهن وبالرغبة في نكاحهن لأ جل أكل ما لهن ويعلم أن المذمة ليست لمجرد الرغبة بل لأجل أكل مالهن فيكون الرغبة أمرًا مرخّصًا فيه فلو لم يكن النكاح جائزا لما كان مرخصا فيه.

قوله: فالوجه نصبهما عطفا على موضع 'فيهن':لأن موضعه النصب على المفعولية على معنى أن الله تعالىٰ يفتيكم أي يبين لكم النساء والمستضعفين أي حكمهما ولا يجوز عطفهما على يتامى النساء لأنهما حينئذ يكونان بدلين كما كان يتامى بدلا من فيهن وهوبدل البعض ولا يصح أن يكون المستضعفين وأن تقوموا بعضا من الضمير المجرور في 'فيهن' المختص بالنساء .

﴿أو إِعْرَاضًا﴾ بأن يقل مجالستها ومحادثتها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ أن يتصالحا بأن تحط له بعض المهر ، أو القسم ، أو تهب له شيئاً تستميله به . وقرأ الكوفيون "أن يصلحا" من أصلح بين المتنازعين . وعلى هذا جاز أن ينتصب على المفعول به . وبينهما ظرف أو حال منه أو على المصدر كما في القراءة الأولى والمفعول بينهما او المفعول محذوف . وقرئ "يصلحا" من أصلح بمعنى اصطلح ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة أو سوء العشرة أو من الخصومة . ولا يجوز أن يراد به التفضيل بل بيان أنه من الخيور كما أن الخصومة من الشرر . وهو اعتراض وكذا قوله:﴿ وَأُحْضِرَتْ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ ولذلك اغتفر عدم مجانستهما . والأول للترغيب في المصالحة . والثاني لتمهيد العذر في المماكسة . ومعنى إحضار الأنفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه . فلا تكاد المرأة تمسح بالإعراض والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي إذا كرهها أو أحب غيرها ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ في العشرة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النشوز والإعراض ونقص الحق ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإحسان والخصومة . ﴿خَبِيْرًا[١٢٨]﴾ عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه . أقام كونه عالماً بأعمالهم مقام إثابته إياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط إقامة للسب مقام المسبب.

قوله: وعلى هذا جاز أن ينتصب صلحا على المفعول به: على أنهما ما يجعلان الصلح صلحا بأن يكون على أحسن الوجوه وذلك أن الإصلاح متعدى فلا بد له من المفعول به .

قوله: والمفعول بينهما: أي أن يصلحا تفرقهما .

قوله: أو المفعول محذوف : وهو ما به التجافي والإعراض .

قوله: من الخيور: أي الخيرات بمعنى المصدر أو الصفة لا على وجه التفضيل إذ لامعنى لكون الصلح خيرا من جميع الخيرات كما لا معنى لكون الخصومة شرّا من جميع الشرور. وأشار بقوله ولايجوز إلى كونه مرجوحا لأن الظاهر هو الوجه الأول والثاني لأنهما يناسبان لسوق الآية وإن كان في الوجه الثاني إشكال إذ لا مشترك بين الصلح والخصومة، إذ لا خير في الخصومة قطعابخلاف الفرقة فإن فيها خيرا من جهة النجاة والخلاص في الدنيا والآخرة وبخلاف سوء العشرة إذ به تتنبه وتنقاد للزوج، هذا والأولى "أوسوء العشرة" بكلمة أو، كما في الكشاف لأنه وجه مستقل كالوجوه الأُخر.

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيْعُوٓا أَنْ تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَآءِ﴾ لأن العدل أن لا يقع ميل البتة وهو متعذر فلذلك كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيماتملك ولا أملك . ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ أي على تحوي ذلك وبالغتم فيه. ﴿فَلَا تَمِيْلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ﴾ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها . فإن ما لا يدرك كله لا يترك جله ﴿فَتَذَرُوْهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي ليست ذات بعل ولا مطلقة . وعن النبي ﷺ" من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل "﴿وَإِنْ تُصْلِحُواْ﴾ ما كنتم تفسدون من أمورهن .﴿وَتَتَّقُواْ﴾ فيما يستقبل من الزمان ﴿ فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيْمًا[١٢٩]﴾ يغفرلكم ما مضى من ميلكم .

﴿وَإِنْ يَّتَفَرَّقَا﴾ وقرئ وإن يتفارقا أي يفارق كل منهما صاحبه ﴿يُغْنِ اللّٰهُ كُلًّا﴾ منهما عن الآخر ببدل أو سلوة ﴿مِّنْ سَعَتِهٖ﴾ غناه وقدرته ﴿وَكَانَ اللّٰهُ وَاسِعًا حَكِيْمًا[١٣٠]﴾ مقتدراً متقناً في أفعاله وأحكامه .

﴿وَ لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ﴾ تنبيه على كمال سعته وقدرته .﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِيْنَ أُوتُو الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني اليهود والنصارى ، ومن قبلهم . والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا أو بأوتوا ومساق الآية لتأكيد الأمر بالإخلاص . ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ عطف على الذين ﴿أَنِ اتَّقُواْ اللّٰهَ﴾بأن اتقوا الله . ويجوز أن تكون أن مفسرة لأن التوصية في معنى القول . ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوافَإِنَّ لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ على إرادة القول أي : وقلنا لهم ولكم أن تكفروا فإن الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم . كما لا ينتفع بشركم وتقواكم . وإنما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله ، ﴿ وَكَانَ اللّٰهُ غَنِيًّا﴾ عن الخلق وعبادتهم ﴿حَمِيْدًا[١٣١]﴾ في ذاته حمد وإن لم يحمد .

﴿ وَلِلّٰهِ مَافِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ذكره ثالثًا للدلالة على كونه غنيًا حميداً. فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما أفاض عليها من الوجود وأنواع

قوله: فيماتملك: وهو المحبة القلبي لأنه غير اختياري وذلك لأن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها كانت أحب إليه عليه الصلاةو السلام .

قوله: بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها: بأن يمنعوها عن قسمتها يعني أن اجتناب كل الميل مما هو في حد البشر والسعة فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط في العدل كله .

الخصائص والكمالات على كونه حميداً ﴿وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيلًا[١٣٢]﴾ را جع إلى قوله يغن الله كلا من سعته . فإنه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك .

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يفنكم . ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ﴿وَيَأْتِ بِأٰخَرِيْنَ﴾ ويوجد قوماً آخرين أو خلقاً آخرين مكان الإنس . ﴿وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى ذٰلِكَ﴾ من الإعدام والإيجاد﴿قَدِيْرًا[١٣٣]﴾ بليغ القدرة لا يُعجزه مراد . وهذا أيضًا تقرير لغناه وقدرته، وتهديد لمن كفر به وخالف أمره . وقيل: هو خطاب لمن عادى رسول الله ﷺ من العرب ومعناه معنى قوله تعالى ،﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم﴾[٩. التوبة:٣٩] لما روي : أنه لما نزلت ضرب رسول الله ﷺ يده على ظهر سليمان وقال : إنهم قوم هذا .

﴿مَّنْ كَانَ يُرِيْدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ كالمجاهد يجاهد للغنيمة﴿ فَعِنْدَ اللّٰهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ﴾فما له يطلب أخسهما فليطلبهما كمن يقول :ربنااتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة .أو ليطلب الأشرف منهما .فإن من جاهد خالصا لله سبحانه وتعالى لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة .ما هي في جنبه كلا شيء أو فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلاً ما يريده كقوله تعالى ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾[٤٢. الشورى: ٢٠] ﴿وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيْعًا بَصِيْرًا[١٣٤]﴾ عالماً بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده .

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا كُونُوا قَوَّامِيْنَ بِالْقِسْطِ﴾ مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته . ﴿ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ﴾ بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله سبحانه وتعالى . وهو خبر ثان او حال .﴿وَلَوْ عَلٰٓى أَنْفُسِكُمْ﴾ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقروا عليها . لأن الشهادة بيان للحق سواء كان عليه او على غيره .﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِيْنَ﴾ ولو على والديكم وأقاربكم . ﴿إِنْ يَّكُنْ﴾ أي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له . ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيْرًا﴾ فلا تمتنعوا عن إقامة الشهادة . او لا تجوروا فيها ميلا او ترحماً ﴿فَاللّٰهُ أَوْلٰى بِهِمَا﴾ بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحاً لما شرعها .

قوله: ومفعول 'يشأ' محذوف :أي إن يشأ إذ هابكم والإتيان بآخرين يذهبكم ويأت بآخرين .

قوله: بليغ القدرة :دل عليه صيغة الفعيل .

وهـو عـلة الجواب أقيمت مقامه والـضـمير في بهما راجع لما دل عليه المذكور . وهو جنسـا الغني والفقير لا إليه وإلا لوحدَّ. ويشهد عليه أنه قرئ فالله أولى بهم . ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوٰىٓ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ لأن تعدلـوا عن الحق او كراهة أن تعدلوا مـن العدل . ﴿وَإِنْ تَلْوٗ﴾ ألسنتكـم عـن شهـادـة الحق ، أو حكومة العدل . قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو وعـاصـم والـكسـأي بـإسكان اللام وبعدها واوان، الأولى مضمومة ، والثانية ساكنة . وقرأ حمزة وابن عامر وإن تلوا بمعنى وإن وليتم إقـامة الشهادة فأديتموها . ﴿ أَوْ تُعْرِضُوا﴾ عن أدائها ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيْرًا[١٣٥]﴾ فيجازيكم عليه .

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا﴾ خطاب للمسلمين ، أو للمنافقين . أو لمؤمني أهل الكتاب إذ روي أن ابـن سـلام وأصـحـابـه قـالـوا يا رسول الله ﷺ : إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراـة وعـزيـر ونـكـفـر بما سواه . فنزلت: ﴿اٰمِنُوا بِاللّٰه وَرَسُولِهٖ وَالْكِتٰبَ الَّذِى نَزَّلَ عَلٰى رَسُولِهٖ وَالْكِتٰبِ الَّذِى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ اثبتـوا على الإيمان بـذلك وداوموا عليه ، او آمنوا به بـقـلـوبـكـم كـمـا آمـنتم بألسنتكم ، أو آمنوا إيماناً عاماً يعم الكتب والرسل . فإن الإيمان بـالبعض كلا إيمان، والكتاب الأول القرآن والثاني الجنس . وقرأ نافع والكوفيون : الذي

قـولـه: والـضـمير في 'بهما' راجع إلى ما دل عليه المذكور: جواب سوال وهو أن يقال كان حقه أن يوجد لأن المعنى أن يكون أحد هذين. وتقرير الجواب أن الضمير راجع إلـى مـادل عـلى المذكور أعني مجموع الجنسين لأن في اشتراط أحد الأمرين دلالة على وجودهما في الجملة لا إلى المذكور وهو أحد الأمرين حتى يلزم توحيده كأنه قيل فالله أولىٰ بجنسي الغني والفقير أي الأغنياء والفقراء .

قوله: من العدل :أي على الوجه الأخير بخلاف الوجه الأول فإنه عليه مأخوذ من العدول:

قـولـه: بـمـعنى وإن وليتم :أتى بصيغة الماضي ليظهر أنه من الولاية بخلاف الأول فإنه من اللي.

قـولـه: اثبتـوا عـلـى الإيـمان: هذا على تقدير أن يكون الخطاب للمسلمين وإلا يلزم طـلب تحصيل الحاصل: والثاني على تقدير أن يكون الخطاب للمنافقين، والثالث على تقدير أن يكون الخطاب لمؤمني أهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض .

قـولـه: والثـانـي الـجنس :أي جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب يدل عليه قوله:" وكتبه".

نـزل والـذي أنـزل بـفتح النون والهمزة والزاي ، والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي .
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ﴾ أ ومن يكفر بشيء من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا[١٣٦]﴾ عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه.

﴿إِنَّ الَّـذِيْنَ آمَنُوا﴾ يعني اليهود آمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام .﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ حيـن عبـد واالـعـجـل ﴿ثُـمَّ آمَـنُـوا﴾ بـعد عوده إليهم ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعيسى عليه الصلاة والسـلام . ﴿ثُـمَّ ازْدَادُوا كُـفْـرًا﴾ بـمحمد ﷺ . أو قومًا تكرر منهم الارتداد ثم أصروا على الـكـفـر وازدادوا تـمـاديـاً في الغي. ﴿لَّمْ يَكُنِ اللّٰهُ لِيَغْفِرَلَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيْلًا[١٣٧]﴾ إذ يستبـعـد مـنهـم أن يتـوبـوا عـن الـكـفـر ويثبتـوا عـلى الإيمان . فإن قلوبهم ضربت بالكفر وبـصـائرهـم عميت عن الحق لا أنهـم لو أخلصوا الإيمان لـم يـقبل منهم ولم يغفر لهم .
وخبر كان في أمثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل : لم يكن اللّٰه مريداً ليغفرلهم .

﴿بَشِّرِ الْمُنٰفِقِيْنَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيْمًا[١٣٨]﴾ يدل على أن الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالإصرار على النفاق وإفساد الأمر على المؤمنين . ووضع بشرَّ مكان أنذرتهكم بهم .

﴿الَّذِيْنَ يَتَّخِذُونَ الْكٰفِرِيْنَ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ في محل النصب : أو الرفع على الذم بمعنى أريد الذين أو هم الذين ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ أتعززون بموالاتهم . ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِـلّٰـهِ جَـمِيْـعًـا[١٣٩]﴾ لا يتـعـزز إلا مـن أعزه اللّٰه وقد كتب العزة لأوليائه فقال:﴿وللّٰه العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [٦٣.المنافقون: ٨] ولا يُؤْبَهُ بعزة غيرهم بالإضافة إليهم .

﴿وَقَـدْ نَـزَّلَ عَـلَيْـكُـمْ فِى الْكِتٰبِ﴾ يعني القرآن. وقرأ عاصم نزل وقرأ الباقون نزل عـلـى البـنـاء لـلـمـفـعـول والـقائم مقام فاعله . ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللّٰهِ﴾ وهي المخففة والـمـعـنـى أنـه إذا سـمعتم . ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ حالان من الآيات جيء بهما لتقييد

قـوله: بشيء من ذلك :أي المذكور في قوله: ﴿باللّٰه وملائكته ﴾الخ. لأن الحكم المتعلق بالأمور المتعاطفةبالواو وقد يرجع إلى كل واحد وقد يرجع إلى المجموع والتعويل على القرائن والقرينة ههنا على الأول لأن الإيمان بالكل واجب والكل ينتفي بانتفاء البعض

قوله:لاأنهم لو أخلصوا الإيمان: يعني ليس المراد أنهم لو أخلصوا للإيمان لم يقبل ولـم يـغـفرلهم: لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع لكنه استبعاد له وأنه أمر لا يكاديكون.

النهي عن المجالس في قوله : ﴿فَلَا تَقعُدُواْ مَعَهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوافِى حَدِيْثٍ غَيْرِهٖ﴾ الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من يجالسه هازئًا معانداً غير مرجو ، ويؤيده الغاية . وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله . ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾[٦. الأنعام:٦٧] الآية. والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها . ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ في الاثم لأنكم قادرون على الاغراض عنهم والإنكار عليهم . او الكفران رضيتم بذلك ، او لأن الذى يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار كانوا منافقين . ويدل عليه ، ﴿ إِنَّ اللّٰهَ جَامِعُ الْمُنٰفِقِيْنَ وَالْكَافِرِيْنَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيْعًا[١٤٠]﴾ يعني القاعدون والمقعود معهم . وإذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر . ولذلك لم يذكر بعد ها الفعل، وإفراد مثلهم ، لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة الى الجمع . وقرئ بالفتح على البناء لإضافته الى مبني كقوله تعالى ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾[٥١.الذاريات: ٢٣]

﴿الَّذِيْنَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ ينتظرون وقوع أمربكم ، وهو بدل من الذين يتخذون .

قوله: الذي هو جزاء الشرط صفة قوله "وقوله": بما إذا كان: متعلقة بتقييد النهي ويؤيده أي تقييد النهي،'الغاية' فإنه يدل على القعود مر خص فيه وحين الخوض في حديث غيره فلا جرم لايكون الخوض فيهذا الحديث استهزاء .

قوله:﴿ إنكم إذا مثلهم﴾ في الإثم: يعني أن المخاطبين حين يقاعدون الخائضين في القرآن مثلهم في الإثم لأنهم وإن كانوا مؤمنين لم يرضوا بالخوض إلا أنهم مع قدرتهم على الإعراض والإنكار لم يعرضوا عنهم، أولأن المخاطبين المنافقون كما صرح به صاحب تفسير اللباب، وظاهر أنهم يوافقونهم ويرضون به فيكونون مثلهم في الإثم، والمقصود بالنهي والتهديد للمخاطبين سواء كانوا مؤمنين أو منافقين دفعُ الاستهزاء بالآيات والكفر بها عند سماعها .

قوله: لأنه كالمصدر:لأن المعنى عصيانكم كعصيانهم، كذا في تفسير اللباب، وقيل لأنه كالمصدر في أنه لا يثنى ولا يجمع وهذا يتوقف على ثبوت هذا الاستعمال في لفظة مثل فإن ثبت فلا كلام فيه .

قوله: لإضافته إلى مبنى: قد صرحوا بأن 'مثل' إنما يكون مبنيا إذا كان مع 'ما'و'أنْ' و'أنَّ' .

قوله: وقوع أمربكم:من ظفر أو عدم ظفر .

أو صفة للمنافقين والكافرين أو ذم مرفوع أو منصوب أ و مبتدأ خبره .﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوٓا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ﴾ مظاهرين لكم فاسهموا لنا مما غنمتم.﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِيْنَ نَصِيْبٌ﴾ من الحرب فإنها سجال ﴿قَالُوٓا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي قالوا للكفرة : أو نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم . والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاء ت على الأصل .﴿وَنَمْنَعْكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ بأن خذلنا هم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فأشركونا فيما أصبتم . وإنما سمي ظفر المسلمين فتحًا وظفر الكافرين نصيبًا لخسة حظهم . فإنه مقصور على أمر دنيوي سريع الزوال .

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَومَ الْقِيَامَة وَلَنْ يَّجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِيْنَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ سَبِيْلًا[١٤١]﴾ حينئذ أو في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة . واحتج به أصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم . والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لأنه لا ينفي أن يكون إذا عاد إلى الإيمان قبل مضي العدة .

﴿إِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ يُخٰدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُوهُمْ﴾ سبق الكلام فيه أول سورة البقرة . ﴿وَإِذَا قَامُوٓا إِلَى الصَّلٰوةِ قَامُوا كُسَالٰى﴾ متثاقلين كالمكره على الفعل . وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان ﴿يُرَآءُونَ النَّاسَ﴾ ليخالوهم مؤمنين . المراء ة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فإن المراي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إذ المرائي لا يفعل إلا بحضرة من يرائيه . وهو أقل أحواله أو لأن ذكرهم باللسان قليل بالإضافة الى الذكر بالقلب . وقيل: المراد بالذكر الصلاة . وقيل الذكر فيها فإنهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم .

قوله: فجاء ت على الإصل: أي جاء ت ألم نستحوذ على الأصل لأن أصل "استحاذ" استحوذ .

قوله:﴿ فاللّٰه يحكم بينكم يوم القيامة﴾: فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة .

قوله: بمعنى التفعيل : فلا يلزم المشاركة .

قوله: وقيل المراد بالذكر الصلاة: لأنهم لا يصلون قط غائبين عن أعين الناس وإنما يصلون مجاهرين به وهو قليل .

﴿مُّذَبْذَبِيْنَ بَيْنَ ذٰلِكَ﴾ حال من واو يراؤون كقوله : ولا يذكرون أي يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين، أو واو يذكرون، أو منصوب على الذم . والمعنى : مرددين بين الإيمان والكفر من الذبذبة وهي جعل الشيء مضطرباً . وأصله الذي بمعنى الطرد . وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو يتذبذبون كقولهم : صلصل بمعنى تصلصل . وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى أخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة . ﴿لَآ إِلَٰى هٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَٰى هٰٓؤُلَآءِ﴾ لا منسوبين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين ، أو لا صائرين إلى أحد الفريقين بالكلية . ﴿وَمَنْ يُّضْلِلِ اللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهٗ سَبِيْلًا[١٤٣]﴾ إلى الحق والصواب . ونظيره قوله تعالى :﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾[٢٤. النور: ٤٠]

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِيْنَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ فإنه صنيع المنافقين ودينهم فلا تشبهوا بهم ﴿أَتُرِيْدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا مُّبِيْنًا[١٤٤]﴾ حجة بينة فإن موالاتهم دليل على النفاق او سلطاناً يسلط عليكم عقابه .

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو الطبقة التي في قعر جهنم . وإنما كذلك لأنهم أخبث الكفرة إذ ضموا الى الكفر استهزاء بالإسلام وخداعاً للمسلمين. وأما

قوله: حال عن واو 'يراؤون' كقوله ﴿ولا يذكرون﴾ اقتصر في الكشاف على هذا الوجه وهو أن كلاًّ من ﴿لا يذكرون﴾ و﴿مذبذبين﴾ حال من فاعل يراؤون، وزاد المصنف الوجه الآخر وهو أنه حال من واو ﴿لا يذكرون﴾ واعترض عليه العلامة التفتازاني فقال: ولا يحسن جعل ﴿مذبذبين﴾ حالا من فاعل ﴿لا يذكرون﴾ لأنه ليس قيدا للنفي مع إيهام أنه قيد للمنفي فيفسد المعنى بالكلية، انتهى. وحاصله أن ﴿مذبذبين﴾ لا يصلح أن يكون قيدا للنفي ولا للمنفي. أما الأول فلأنهم﴿ يذكرون الله﴾ حال الذبذبة وإن قل. وأما الثاني فلأن ذكر المقيد بحال الذبذبة ليس بمنتف بل هو واقع. ويمكن أن يقال أن المراد أنه حال من واو ﴿لا يذكرون﴾، المستثنى منه قليل، والمعنى لا يذكرون الله كثيرا حال الذبذبة بل قليلا، أو المراد أنه حال من واو يذكرون المقدر بعد إلافيستقيم الكلام ولا يتوجه الاعتراض.

قوله: لا منسوبين إلى المؤمنين الخ: يعني يحتمل أن يكون إلى متعلقاإما بمنسوبين كما قاله صاحب الكشاف، أو بـ "صائرين" كما قاله صاحب اللباب والمعنى واحد لأن المعنى مترددين بين الإيمان والكفر لأنهم آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم .

قوله عليه الصلاة والسلام "ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب . وإذا وعد أخلف . وإذا ائتمن خان' ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ . وإنما سميت طبقاتها السبع دركات لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض . وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهي لغة كالسطر والسطر والتحريك أوجه لأنه يجمع على ادراك . ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيْرًا[١٤٥]﴾ يخرجهم منه .

﴿إِلَّا الَّذِيْنَ تَابُوا﴾ عن النفاق ﴿وَاَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللّٰهِ﴾ وثقوا به او تمسكوا بدينه ﴿وَأَخْلَصُوا دِيْنَهُمْ لِلّٰهِ﴾ لا يريدون بطاعتهم إلا وجهه سبحانه وتعالى . ﴿فَأُوْلٰٓئِكَ مَعَ الْمُوْمِنِيْنَ﴾ ومن عدادهم في الدارين . ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِيْنَ أَجْرًا عَظِيْمًا[١٤٦]﴾ فيساهمونهم فيه .

﴿مَّا يَفْعَلُ اللّٰهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَ امَنْتُمْ﴾ أي يتشفى به غيظًا أو يدفع به ضرراً او يستجلب به نفعاً وهو الغني المتعالي عن النفع و الضر. وإنما يعاقب المصر بكفره لأن إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فإذا أزاله بالإيمان والشكر . ونفى نفسه عنه، تخلص من تبعته . وإنما قدم الشكر لأن الناظر يدرك النعمة أوّلا فيشكر شكراً مبهماً . ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به ﴿ وَكَانَ اللّٰهُ شَاكِرًا ﴾ مثيبًا يقبل اليسير ويعطي الجزيل ﴿عَلِيْمًا[١٤٧]﴾ بحق شكركم وإيمانكم.

قوله: ما يفعل الله بعذابكم :أي أي شيء يفعل بعذابكم أيتشفى بالعذاب عن الغيظ أو يدفع به ضرا أو يستجلب نفعا والله تعالىٰ منزه عن جميع ذلك فلا يفعل العذاب وإنما يعذب المصر بكفره لأن اصراره عليه بمنزلة سوء مزاج يؤدي إلى المرض فإذا زال ذلك بالإيمان والشكر ارتفع العذاب .

قوله: لأن الناظر يدرك النعمة أولا : يعني أن الشكر المبهم مقدم في الوجود على الإيمان بالمنعم فروعي هذا الترتيب في الذكر وإن لم يكن الواو للترتيب. والشكر المتأخر عن الإيمان هو الشكر المفصل إلى عمل القلب واللسان والجوارح .والحاصل أن بأدنى النظر في النعم يعرف أنَّ له منعما فيشكروإن لم يعرف أنه قديم بما يجب الإيمان به من أوصاف الكمال ثم يفضي به زيادة النظر إلى معرفة المبهم والتصديق به قدرما يجب على العبد ويكلف هو به فكان الشكر المبهم أصل التكليف من الإيمان وغيره لا العكس ليتوجه سؤال ترك ترتيب الوجود .

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه . وروي أن رجلًا ضاف قوماً فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه . فنزلت. وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعاً أى ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لكلام المظلوم ، ﴿عَلِيمًا[١٤٨]﴾ بالظالم .

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ طاعة وبرا﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أو تفعلوه سراً ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ لكم المؤاخذة عليه ، وهو المقصود وذكر إبداء الخير وإخفائه تشبيب له . ولذلك رتب عليه قوله :﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا[١٤٩]﴾ أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم أولى بذلك . وهو حث للمظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتظار حملا على مكارم الأخلاق .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم . ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا[١٥٠]﴾ طريقاً وسطًا بين الإيمان والكفر . ولا واسطة :

قوله: إلا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم: وكذا يذكر ما فيه من السوء .قال العلامة التفتازاني: كأن المراد بكون الجهر محبوبا أنه غير مكروه بحيث يتناول المباح وإلافترك المحبوب المندوب لا يكون أحب وأفضل .

قوله: وهو المقصود: يعني أن العفو هو المقصود وذكر إبداء الخير وإخفاء ه تشبيب وتمهيد مقدمة للعفو لأنه ذريعة إليه كمن شبب قصيدته بالغزل والوصف بالحسن والجمال، ثم يتخلص إلى ما هو الغرض من المديح. وإنما عطفه عليهما سيما بكلمة أو مع دخوله فيهما للاعتداد به والتنبيه على قدره ومنزلته وكونه بمكان وسيط عال مرتفع .

قوله:﴿ ويريدون أن يفرقوا بين اللهورسله﴾:عطف تفسيري أي على قوله تعالى:﴿ إن الذين يكفرون﴾ لأن هذه الإرادة عين الكفر بالله لأن الكفر برسل الله كفر بالله، وكذا قوله تعالى: ﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك﴾ عطف تفسيري على قوله تعالى:﴿ ويقولون﴾ يعني أن كل واحد من الفارقين بين الله ورسله والفارقين بين الرسل كافرون حقًا: لأن الكفر بالرسل كفر بالله كما مرّ والكفر بواحد كفر بالكل .

قوله: ولا واسطة: يعني لا واسطة بين الإيمان بمعنى التصديق والكفر بمعنى عدمه على ما هو المراد في الآية، ولذلك قال تعالى:﴿ أولئك هم الكافرون حقا ﴾فيكون ما

إذ الحق لا يخلتف فإن الإيمان بالله سبحانه وتعالى لا يتم إلا بالإيمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلاً أو إجمالاً . فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تعالى . ﴿فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَا الضَّلٰلُ﴾[١٠.يونس:٣٢]

﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ﴾ هم الكاملون في الكفر لا عبرة بإيمانهم هذا . ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين بمعنى : هم الذين كفروا كفرًا حقا أي يقينًا محققًا ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابًا مُّهِيْنًا[١٥١]﴾

﴿وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾أضدادهم ومقابلوهم . وإنما دخل بين على أحد وهو يقتضي متعدداً لعمومه من حيث إنه وقع في سياق النفي . ﴿أُولَٰٓئِكَ سَوفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ الموعودة لهم ، وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب . ﴿وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا﴾ لما فرط منهم ،﴿رَّحِيْمًا[١٥٢]﴾ عليهم بتضعيف حسناتهم .

﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتٰبِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتٰبًا مِّنَ السَّمَآءِ﴾ نزلت في أحبار اليهود قالوا : إن كنت صادقًا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتي به موسى عليه الصلاة والسلام . وقيل: كتاباً محرراً بخط سماوي على ألواح كما كانت التوراة . أو كتاباً نعاينه حين ينزل . أو كتاباً إلينا بأعياننا بأنك رسول الله. ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسٰٓى أَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ﴾ جواب شرط مقدر أي: إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوه مو سى عليه السلام أكبر منه . وهذا السؤال وإن كان من اٰبائهم أسند إليهم لأنهم كانوا اٰخذي بمذهبهم تابعين

اتخذوه خطأ فلا يرد المنزلة التي هي مذهب الاعتزال لأنه إنما يعتبر واسطة بين الإيمان بمعنى التصديق والعمل وبين الكفر .

قوله: هم الكاملون في الكفر: اعتبر الكمال ليكون الخبر مفيدا وإلا فالخبر عين المبتدأ الذي هو ﴿إن الذين يكفرون﴾ وليصح الحصر المفيد إياه توسيط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر المعرف بلام الجنس وذلك لأن الكفر بواحد كفر بالكل .

قوله: و تصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة: لاالإخبار بأنه متأخرإلى حين لأن صيغة 'يفعل' للاستقبال كما للحال فدخول حرف الاستقبال لايكون إلا لتأكيدإثباته .

لهديهم . والمعنى إن عرقهم راسخ في ذلك وأن ما اقترحوا عليه ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ عياناً أي أرناه نره جهرة أو مجاهرين معاينين له . ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ نار جاء ت من قبل السماء فأهلكتهم ﴿بِظُلۡمِهِمۡ﴾ بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسوألهم ما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقًا. ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ هذه الجناية الثانية التي اقترفها أيضًا أو ائلهم . والبينات والمعجزات . ولا يجوز حملها على التوراه إذ لم تأتهم بعد . ﴿فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا[١٥٣]﴾ تسلطًا ظاهرًا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم .

﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾ بسبب ميثاقهم ليقبلوه ﴿وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ على لسان موسى والطور مظل عليهم . ﴿وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ على لسان داود عليه الصلاة والسلام . ويحتمل أن يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم . فإنه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عليه الصلاة والسلام . وقرأ ورش عن نافع" لا تعد وا" على أن أصله "لا تعتدوا" فأدغمت التاء في الدال . وقرأ قالون بإخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالإسكان . ﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا[١٥٤]﴾ على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا.

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ﴾ أي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم . وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف . ويجوز أن يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض . وما عطف عليه إلى قوله ﴿فَبِظُلۡمٖ﴾[النساء: ١٦٠]

قوله: لما يستحيل في تلك الحال التى كانوا عليها. وهو حال التعنت سيما وقد طلبوها في الدنيا ومع الكفر وهذالا يدل على أنها غير جائزة للمومنين في الآخرة.

قوله:والبيّنات المعجزات: مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها .

قوله:إذلم تأتهم بعد: أي التوراة في حين اتخاذ العجل .

قوله: فإنه شرع السبت: بأن لا يقتنصوا السمك فيه أو بالعمل فيه والنهي عن الكسب .

قوله: فأدغمت التاء في الدال: بنقل فتحة التاء .

قوله: والباء متعلقة بالفعل المحذوف: وهو فعلنابهم ما فعلنا .

لا بما دل عليه قوله :﴿بَل طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيهَا ﴾ مثل لا يؤمنون لأنه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره ﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيٰتِ اللّٰهِ﴾ بالقرآن أو بما جاء في كتابهم . ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ أو عية للعلوم ، او في أكنة مما تدعونا إليه ، ﴿بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فجعلها محجوبة عن العلم . أو خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر في المواعظ. ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيْلًا[١٥٥] ﴾ منهم كعبد الله بن سلام ،أو إيماناًقليلاً إذلا عبرة به لنقصانه.

﴿ وَبِكُفْرِهِم﴾بعيسى عليه الصلاة والسلام . وهو معطوف على بكفرهم لأنه من اسباب الطبع . أو على قوله ﴿فبمانقضهم﴾ويجوزأن يعطف مجموع هذا وما عطف عليه ماقبله ويكون تكرير ذكر الكفر إيذاناً بتكرر كفرهم . فإنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَم بُهْتَاناً عَظِيما[١٥٦] ﴾يعني نسبتها إلى الزنا ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ اللّٰهِ﴾ أي بزعمهم ويحتمل أنهم قالوه

قوله: لا بما دل عليه قوله تعالىٰ:﴿ بل طبع الله عليها﴾: فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله عليهما كما لا يكون متعلقا بقوله:﴿ فلا يؤمنون﴾ وذلك لأنه رد لقولهم 'قلوبنا غلف' فيكون من صلته ومتعلقا به لأن المعنى عليه كما يفصح عنه قوله تعالىٰ:﴿ وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم ﴾فلا يكون مادل متعلقا به لأن قوله تعالىٰ: ﴿بل طبع الله بكفرهم﴾ حينئذ يكون ردا وإنكارا له لا لقولهم قلوبنا غلف بمعنى بل طبع الله عليها بنفس كفرهم فكيف إذا انضم إليه النقض والقتل .

قوله: أو﴿ في أكنة مما تدعونا إليه﴾:لا يتوصل إليه شيء من الذكر والمواعيظ كما حكى الله عن المشركين ﴿وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم﴾فقيل لهم بل خذلها ومنعها التوفيق للتدبر للآيات والتذكر للمواعيظ بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا أنها تخلف غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله .

قوله: ويكون تكرير ذكر الكفر إيذاناً بتكرر كفرهم :أشار بذلك إلى دفع سوال عطف الشيء على قسمه على الوجهين .

قوله: أي بزعمهم: إشارة إلى جواب سوال وهو أنهم كافرين بعيسى عليه السلام أعداء له عامدين بقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا رسول الله فأجاب بأنهم قالوا إنه رسول الله كما زعمه لا في الواقع، أو على سبيل الاستهزاء، أو أنه

استهـزاءً، ونـظيره أن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون وأن يكون استئنافاًمن اللّهسبحانه وتـعـالـى بـمـدحه . او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح .﴿ وَ مَاقَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوْ هُ وَ لَـكِـنْ شُبِّـهَ لَهُـم﴾روي أن رهطاً من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم اللّهتعالى قردة وخنـازيـر . فـاجتـمـعـت اليهـود عـلـى قتله فأخبره اللّه تعالى بأنه يرفعه الى السماء . فقال لأصـحـابـه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهى فقتل ويصلب ويدخل الجنة . فقام رجل منهم فَـالـقى اللّه عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى اللّهعليه شبهـه فـأخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتاً كان هو فيه فلم يجده . وألقى اللّه عـلـيـه شبهـه فـلما خرج ظن أنه عيسى فأخذ وصلب وأمثال ذلك من الخوارق التي لا تستبـعـد فـي زمـان النبوة .وإنما ذمهم اللّه سبحانه وتعالى بما دل عليه الكلام من جرأ تهم عـلـى اللّه سبـحـانـه وتعالى وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات الباهرة ، وتبجحهم به لا بـقـولهـم هذاعلى حسب حسبانهم . وشبه مسند الى الجار والمجرور كأنه قيل ولكن وقع لهـم التشبيـه بيـن عيسى والمقتول ، أوفي الأمر عـلـى قـول مـن قال : لم يقتل أحد ولكن أرجف بـقتـلـه فشاع بين الناس .أ و إلى ضمير المقتول لدلالة إنا قتلنا على أن ثم قتيلاً﴿ وَ إِنَّ الَّـذِيْـنَ اُخْتَـلَـفُـوْا فِيْهِ﴾في شأن عيسى عليه الصلاة والسلام .فإنه لما وقعت تلك الواقعة اختـلـف الناس فقال بعض اليهود: إنه كان كاذباً فقتلناه حقاً .وتردد آخرون فقال بعضهم : إن كـان هـذا عيسـى فـأين صاحبنا. وقال بعضهم :الوجه وجه عيسى والبدن بدن صا حبنا وقال: مـن سـمـع مـنـه أن اللّه سبـحانه وتعالى يرفعني الى السماء : أنه رفع الى السماء . وقال قوم : صـلـب الـناسوت وصعد اللاهوت.﴿ لَفِى شَكٍّ مِّنْه﴾لفي تردد . والشك كما يطلق على مالا يترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد ، وعلى ما يقابل العلم ولذلك أكده بقوله:

استيـناف كلام من اللّه لمدحه عليه السلام لا كلامهم، أو لأنه ذكر من اللّه للحسن مكان ذكرهم القبيح مثل الفاعل ابن الفاعلة .

قوله: أو فى الأمر: أي أو قع الشبهة في أمرهم حيث اعتقد وا قتله ولم يكن كذلك

قوله: وقال قوم :أي نسطورية. قالوا صلب من جهة ناسوته أي بدنه، لا من جهة لا هوته أي روحه ونفسه الذي هو جسم لطيف مثاب في البدن أو جوهر مجرد مدبر البدن فصعد اللاهوت.

قـولـه: يـطـلـق عـلـى مطلق التردد:بحيث يشمل الظن أيضًا و على ما يقابل العلم بحيث يشمل الجزم أيضًا والعلم هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق والمراد بالشك ههنا

﴿ مَـالَهُـمْ بِـهٖ مِـنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّن﴾استشناء منقطع أي لكنهم يتبعون الظن . ويجوز أن يـفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذيتسكن إليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثنـاء.﴿وَ مَا قَتَلُوْ هُ يَقِينًا[١٥٧]﴾قتلاً يقينًا كـمـا زعـموه بقولهم إنا قتلنا المسيح . أو متيقين .وقيل معناه ما علموه يقينا كقول الشاعر.

كَذَاكَ تُخْبِرُ عَنْهَا العَالِمَاتُ بِهَا وَقَدْ قَتَلتُ بِعِلْمِي ذلِكُم يَقِيْناً

من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علماً إذا أردت أن تبالغ في علمك .

﴿ بَـلْ رَّفَـعَـهُ اللّٰهُ إِلَيهِ﴾ردوإنكار لقتله وإثبات لرفعه ﴿ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزاً﴾لا يغلب على ما يريده ﴿حَكِيْماً[١٥٨]﴾فيما دبره لعيسى عليه الصلاةوالسلام .

﴿ وَإِ نْ مِّـنْ أَهْـلِ الْـكِتٰـبِ إِلَّا لَيُـؤْمِـنَنَّ بِهٖ قَبْلَ مَوْتِهٖ﴾أى وما من أهل الكتاب أحد إلاليؤمنن به . فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لأحد ويعود إليه الضمير الثاني. والأ ول لـعيسـى عـليه الصلاة السلام . والمعنى ما من اليهود والنصارى أحد إلاليؤمنن بأن

الظن، ولذلك أكده بقوله تعالىٰ﴿ ما لهم به من علم إلاا تباع الظن ﴾.

قوله: ويجوز أن يفسر الشك بالجهل، والعلم بالاعتقاد الذي يسكن إليه النفس: حتـى لا ينـافـي إثبـات الـظن لهم فالعلم يشمل الظن أيضًا والجهل خلاف العلم بمعنى اليقين.

قـوله:قتلايقينا: يريد أنه بمعنى المتيقن فيكون نصبا على المصدر أوبمعنى متيقنين فيـكـون حـالا أو بـمـعنى المصدر فيكون تأكيدا للنفي لا للمنفي أي ل 'ما قتلوه' لا' لقتلوه' كـقوله: وما قتلوه حقا أي حق انتفاء قتله حقا، والمعنى انتفى انتفاء قتلهم تيقن به تيقنا، ولما كـان هـذا الوجه غير ظاهر مع أنه مذكور في الكشاف كالوجهين الأولين تركه المصنف. وذلك أن الـمـصدر الواقع مضمون جملة ظاهر في صريح الجملة لا المتخذة من النفي. وقيل إن قتـلـوه بـمـعـنـى عـلـمـوه وحينئذ لا بد من اعتبار التهكم إذ لا فائدة في نفي العلم المتبالغ المشعربثبوت نوع ما من العلم بعد نفي العلم بالكلية على سبيل التأكيد بمن الاستغراقية .

قـوله: فقوله تعالىٰ:﴿ ليؤمنن به﴾ جملة قسمية وقعت صفة لأحد: يعني أنه استثناء مفرغ في الصفة والتقدير "وإن من أهل الكتاب أحد متصف بصفة إلا بهذه الصفة" وهو أن يـقـال فـي حـقـه والله ليـؤمنن به قبل موته، لأن الجملة القسمية كالانشائية لا تقع صفة إلا بالتأويل .

عيسى عبدالله ورسوله قبل أن يموت ولو حين أن تزهق روحه ولا ينفعه إيمانه .ويؤيد ذلك أنه قرئ إلاليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لأن أحداً في معنى الجمع .وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الإيما ن به قبل أن يضطروا إليه ولم ينفعه إيمانهم . وقيل الضميران لعيسى عليه أفضل الصلاة والسلام.والمعنى: أنه إذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعا. روي:أنه عليه الصلاة والسلام ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به ،حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام . وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم . وتلعب الصبيان بالحيات .ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنون.﴿ وَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُوْنُ عَلِيهِمْ شَهِيداً[١٥٩]﴾فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله.

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا ﴾ أي فبأي ظلم منهم ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُم﴾يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا﴿ وَ بِصَدِّ هِمْ عِنْ سَبِيلِ اللّٰهُ كَثِيْراً[١٦٠]﴾ناساً كثيراًاو صدا كثيراً.

﴿ وَ أَخْذِ هِمُ الرِّبٰوا وَ قَدْ نُهُوْاعَنْهُ﴾كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا .وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم . ﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبٰطِلِ﴾بالرشوة وسائرالوجوه المحرمة﴿وَأَعْتَدْنَالِلْكٰفِرِين مِنْهُمْ عَذَاْباً اَلِيماً[١٦١]﴾ دون من تا ب وآمن.

﴿لٰكِنِ الرّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي منهم أو من المهاجرين والأنصار﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ خبر المبتدأ ﴿وَالْمُقِيْمِيْنَ الصَّلوٰةَ﴾ نصب على المدح إن جعل يؤمنون الخبر لأولئك، أو

قوله: قبل أن يموت ولوحين أن تزهق روحه،أي أوإن زهق الروح أو قيل أو أنه يعني إذا عاين وتيقن با لموت فالمراد بقوله "قبل أن يموت" وقت المعاينة لا مطلق الوقت السابق على الموت حتى ينافيه قوله:فلاينفعه.

قوله:أي فبأي ظلم :أي بظلم عظيم ارتكبوه، دل عليه التنكير.

قوله: بالرشوة :أي التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب وسائر الوجوه المحرمة كالغصب والنهب .

قوله: نصب على المدح :لبيان فضل الصلوٰة.

عطف على ما أنزل إليه والمراد بهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي: يؤمنون بالكتب والأنبياء . وقرئ بالرفع عطفاً على الراسخون أو على الضمير في يؤمنون أو على أنه مبتدأ والخبر أولئك سنؤتيهم . ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكوٰةَ﴾ رفعه لأحد الأوجه المذكورة ، ﴿وَالمُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَومِ الْاٰخِرِ﴾ قدم عليه الإيمان بالأنبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لأنه المقصود بالآية ﴿أُولٰٓئِكَ سَنُؤْتِيْهِمْ أَجْرًا عَظِيْمًا[١٦٢]﴾ على جمعهم بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء .

﴿إِنآ أَوحَيْنآ إِلَيْكَ كَمآ أَوْحَيْنآ إِلٰى نُوْحٍ وَالنَّبِيّيْنَ مِنْ بَعْدِهٖ﴾ جواب لأهل الكتاب عن إقتراحهم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء .واحتجاج عليهم بأن أمره في الوحي كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .﴿وَاَوْحَيْنآ إِلَى إِبْرٰهِيْمَ وَإِسْمآعِيْلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَالْاَسْبَاطِ وَعِيْسٰى وَ أَيُّوْبَ وَ يُوْنُسَ وَ هٰرُوْنَ وَ سُلَيْمٰنَ﴾خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيماًلهم فإن إبراهيم أول أولي العزم منهم وعيسى آخرهم .والباقين أشرف الأنبياء ومشاهير هم ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَا زَبُوْراً[١٦٣]﴾وقرأ حمزة زبور بالضم وهو جمع زبر . بمعنى مزبور.

﴿وَرُسُلاً﴾نصب بمضمر دل عليه أو حينا إليك كأرسلنا أو فسره ﴿قَدْ قَصَصنٰهُمْ عَلَيكَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل هذه السورة أو اليوم ، ﴿ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّٰهُ مُوْسٰى تَكْلِيْمًا[١٦٤]﴾ وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم . وقدفضل الله محمداً صلى الله عليه وسلم بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم .

﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِيْنَ وَ مُنْذِرِيْنَ﴾ نصب على المدح أو بإضمار أرسلنا ، أو على الحال ويكون رسلا موطئًا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلاً صالحاً ، ﴿لِئَلَّا يَكُوْنَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّٰهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فيقولوا لولا أرسلت إلينا رسولاً فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم . وفيه تنبيه على أن بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الى الناس ضرورة لقصور الكل عن إدراك جزئيات المصالح والأكثر عن إدراك كلياتها. واللام متعلقة بأرسلنا أو بقوله

قوله:أو فسره: عطف على دل عليه.

قوله: نصب على المدح :أعني رسلا.

قوله: لقصور الكل عن إدراك جزئيات المصالح :كالعبادات والشرائع أعني في حق مقاديرها وأو قاتها وكيفياتها وقصور الأكثر عن إدراك كلياتها وأصولها مما يعرف بالعقل بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيهاموصل إلى المعرفة.

"مبشرين ومنذرين" وحجة اسم كان وخبره للناس أو على الله والآخر حال . ولا يجوز تعلقه بحجة لأنه مصدر وبعد ظرف لها أو صفة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيْزاً﴾ لا يغلب فيما يريد ﴿حَكِيماً[١٦٥]﴾ فيمادبر من أمر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والإعجاز .

﴿لَّكِنَّ اللَّهَ يَشهَدُ﴾ استدراك عن مفهوم ما قبله فكأنه لما تعنتوا عليه بسوأل كتاب ينزل عليهم من السماء . واحتج عليهم بقوله إنا أوحينا إليك قال: إنهم لا يشهدون ولكن الله يشهد، أو أنهم أنكروه ولكن الله يثبته ويقرره ، ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن المعجز الدال على نبوتك . روي أنه لما نزل أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك فنزلت ﴿أَنْزَلَهٗ بِعِلمِهٖ﴾ أنزله متلبسًا بعلمه الخاص به . وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ .أو بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه . أو بعلمه الذي يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم . فالجار والمجرور على الأولين حال من الفاعل ، وعلى الثالث حال من المفعول . والجملة كالتفسير لما قبلها،﴿وَالْمَلٰئِكَةُ يَشْهَدُوْنَ﴾ أيضًا بنبوتك . وفيه تنبيه على أنهم يودون أن يعلموا صحة دواعى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتأمل . وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للإنسان الى العلم بأمثال ذلك سوى الفكر والنظر . فلو أتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا . ﴿وَكَفٰى بِاللّٰهِ شَهِيْداً[١٦٦]﴾ أي وكفى بما أقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره.

قوله:أوأنهم أنكروه:وذلك أنه لما نزل ﴿إنا أوحينا إليك﴾ قالواما نشهد لك ومعنى الشهادة على هذا إثباته تعالٰى لصحةما انزل الله بإظهارالمعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينة عندالإنكار بخلاف الوجه الأول فإن معنى الشهادة فيه إظهار الحق.

قوله:وعلى الثالث حال من المفعول: أي أنزل الكتاب حال كون ذلك الكتاب متلبسا بعلم الله تعالٰى مصالح العباد مشتملا على ما علم الله من المصالح.

قوله: وفيه تنبيه على أنهم يودون الخ: وذلك أن الملائكة لما شهدوابنبوّته ولم يشهدوا به فعلى شهادتهم لعدم موجب الشهادة الذي هو بداهة العقل من غير نظر كما للملائكة فرد وأن يحصل لهم هذا الموجب مع هذا النوع من العلم من خواص الملك ولا سبيل للإنسان إلى ذلك بدون النظر والفكر فلو أتي هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا بنبوتك وشهدوابها كما عرفت الملائكة فلا ينبغي لهم المؤدة وينبغي النظر .

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَ صَدُّوْا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ قَدْ ضَلُّوْا ضَلٰلاً بَعِيْداً[١٦٧]﴾ لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ولأن المضل يكون أغرق في الضلال وأبعد من الانقلاع عنه .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوْا وَ ظَلَمُوْا﴾ محمدًا عليه الصلاة والسلام بإنكار نبوته . أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم أو بأعم من ذلك . والآية تدل على أن الكفار مخاطبون بالفروع إذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم .

﴿لَمْ يَكُنِ اللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً[١٦٨]﴾﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا أَبَداً﴾ لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على أن من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة ﴿وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرًا [١٦٩]﴾ لا يصعب عليه ولا يستعظمه.

﴿يٰأَيُّهَا النَّاسُ قَدْجَآءَ كُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَّبِّكُمْ﴾ لما قرر أمر النبوة وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ووعيد من أنكرها خاطب الناس عامة بالدعوة وإلزام الحجة والوعد بالإجابة والوعيد على الرد . ﴿فَاٰمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ أي إيماناً خيرًا لكم أو ائتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم عليه . وقيل تقد يره يكن الإيمان خيراً لهم ومنعه البصريون لأن كان لا يحذف مع اسمه إلا فيما لا بد منه ولأنه يؤدي إلى حذف الشرط وجوابه . ﴿ وَإِنْ تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني وإن تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بإيمانكم . ونبه على غناه بقوله .﴿لله ما في السموت والأرض ﴾ وهو يعم ما اشتملتا عليه وما ركبتا منه . ﴿وَكَانَ اللّٰهُ عَلَيْمًا﴾ بأحوالهم ﴿حَكِيْمًا[١٧٠]﴾ فيما دبر لهم .

قوله: حال مقدرة. لأن الخلود إنما يكون يوم القيامة .

قوله: لما قررأمر النبوة :أي قرر أمر النبوة بقوله: إنا أوحينا وبين الطريق الموصل إلى العلم بها بقوله تعالٰى: ﴿أنزله بعلمه﴾ وبقوله تعالٰى:﴿ والملائكة يشهدون﴾ كما بينه .

قوله: أي إيمانا خيرا لكم ،أو ائتوا أمرا خيرا لكم: أرادأن خيرا مفعول مطلق بتقدير الموصوف أو مفعول به على إضمار ايتوا أي ايتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم عليه من الكفر والتثليث وهو الإيمان والتوحيد .

قوله: ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه. فما اشتملتا عليه الكواكب والتداوير والأفلاك الجزئية والمركبات كالحيوانات والنباتات والمعادن وما تركبتا منه: هي الهيولي والصورة .

﴿ يَـٰأَهْـلَ الْـكِتَـٰبِ لَا تَـغْـلُوا فِي دِيْنِكُمْ﴾ الخطاب للفريقين . غلت اليهود في حط عيسى عليه الصلاة والسلام حتى رموه بأنه ولد من غير رشدة، والنصارى في رفعه حتى اتخذوه إلهاً . وقيل: الخطاب للنصارى خاصة فإنه أوفق لقوله: ﴿وَلَا تقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلَّا الْـحَقِّ﴾ يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد. ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيْحُ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقٰهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أو صلها إليها وحصلها فيها ، ﴿ورُوحٌ مِّنْهُ﴾ وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له . وقيل سمي روحاً لأنه كان يحيي الأموات أو القلوب . ﴿فَاٰمِنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهٖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَاثَةٌ﴾ أي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم . ويشهد عليه قوله تعالى .﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾[٥. المائدة: ١١٦] أو الله ثلاثة إن صح أنهم يقولون الله ثلاثة أقانيم: الأب والابن وروح القدس. ويريدون بالأب الذات ، وبالابن العلم ، وبروح القدس الحياة ﴿إِنْتَهُوا﴾ عن التثليث ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ نصبه كما سبق﴿إِنَّمَا اللّهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ أي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما﴿سُبْحٰنَهٗ أَنْ يَكُونَ لَهٗ وَلَدٌ﴾ أي أسبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد فإنه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق إليه فناء ﴿لَهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقًا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا ﴿وَكَفٰى بِاللّهِ وَكِيْلًا[١٧١]﴾ تنبيه على غناه عن

قوله: من غير رشد: أي ولد بالزنا.

قوله: وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجرى مجري الأصل والمادة له: إشارة إلى أنه على حذف المضاف وأن معنى النسبة إلى الله تعالىٰ أنه مخترع بمحض قدرته من غير توسط ما يجري مجرى الأصل والمادة كالنطفة المنفصلة من الأب والأم .قيل إنما قال يجري مجرى الأصل لأنه أصل البدن فقط يجري مجرى الأصل بالنسبة إلى المركب من البدن والروح وهذا على قول بالروح مجرد كما ذهب الغزالي إليه، وأما على مذهب من يقول إنه دم أوريح فهي مادة لهما .

قوله: ويريدون بالأب الذات وبالابن العلم، لأنه أصل وبالابن العلم لأن العلم قائم بالذات، وبروح القدس الحياة لأن الروح يحي به الشخص وبحياة الله يحي كل شيء .

قوله: فإنه يكون لمن يعاد له مثل :لأن الأب يعاد له الابن مثلا له أو لمن يتطرق له فناء، لأن الابن يخلف الأب والله تعالى منزه عن المثل وعن الفناء .

قوله: لا يما ثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا :لأن الولد يكون مثل الأب لكونه جزأ من الأب .

الـولد فإن الحاجة إليه ليكون وكيلاً لأبيه والله سبحانه وتعالى قائم بحفظ الأشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلقه أو يعينه .

﴿لَنْ يَّسْتَنْكِفَ الْمَسِيْحُ﴾ لم يأنف ، من نكفت الدمع إذا نحيته بأصبعك كيلا يرى أثره عليك . ﴿أَن يَّكُونَ عَبْداً لِلّٰهِ﴾ من أن يكون عبداً له فإن عبوديته شرف يتباهى به . وإنما المذل والاستنكاف في عبودية غيره . روى أن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ : لم تعيب صاحبنا ؟ قال رسول الله ﷺ : ومن صاحبكم ؟ قالوا : عيسى عليه الصلاة والسلام . قال عليه السلام : وأي شيء أقول ؟ قالوا: تقول إنه عبد الله ورسوله . قال إنه ليس بعار أن يكون عبد الله . قالوا: بلى فنزلت ﴿ وَلَا الْمَلٰئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ عطف على المسيح أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيداً لله. واحتج به من زعم فضل الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقال مساقه لرد قول النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه . وجوابه أن الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وإن سلم اختصاصها بالنصارى فلعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك: أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرءوس . وإن أراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه . ﴿وَمَنْ يَّسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهٖ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ ومن يرتفع عنها . والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وإنما يستعمل من حيث الاستحقاق بخلاف التكبر فإنه قد يكون بالاستحقاق. ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيْعًا[١٧٢]﴾ فيجازيهم . ﴿فَأَمَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا وَعَمِلُواالصّٰلِحٰتِ فَيُوَفِّيْهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيْدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهٖ وَأَمَّا الَّذِيْنَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيْمًاوَّلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَّلَا نَصِيْرًا[١٧٣]﴾ تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها

قوله: فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكرو بيون الذين حول العرش: كجبرئيل وإسرافيل وميكائيل ومن في طبقتهم، على عيسىٰ، ونحن نسلم بأن جميع الملائكة المقربين أفضل من رسول واحد على ما ذهب إليه أهل السنة. والكروبيون من كرب إذا قرب قربا بالغاء،والياء للمبالغة كاحمري .

من فحوى الكلام . وكأنه قال فسيحشرهم إليه جميعًا يوم يحشر العباد للمجازاة . أو لمجازاتهم فإن إثابة مقابلهم والإحسان إليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً[١٧٤]﴾ أعني بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن . أي قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة . وقيل: البرهان الدين أو رسول الله ﷺ او القرآن.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ في ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه لاقضاء لحق واجب ﴿وَفَضْلٍ﴾ إحسان زائد عليه﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ﴾ إلى الله سبحانه وتعالى . وقيل إلى الموعود ﴿صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً[١٧٥]﴾ هوالاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه . روي أن جابر بن عبد الله كان مريضًا فعاده رسول الله ﷺ فقال: إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل من الأحكام .

﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ سبق تفسيرها في أول السورة ﴿إِنِ امْرُؤٌاهَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ ارتفع امرؤ بفعل . يفسره الظاهر . وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن في هلك . والواو في وله يحتمل الحال والعطف . والمراد بالأخت الأخت من الأبوين أو الأب لأنه جعل أخوها عصبة وابن الأم لا يكون عصبة . والولد على ظاهره فإن الأخت وإن ورثت مع البنت عند عامة العلماء- غير ابن عباس رضي الله تعالى عنهما- لكنها لا ترث النصف .

قوله: من فحوى الكلام: أي فحوى قوله تعالىٰ:﴿ فسيحشرهم ﴾لا مفهومه الوضعي وذلك أن المقصود من الحشر الجزاء فيجازيهم والجزاء مشترك بين المستكن وغيره من جميع الخلق .

قوله: لاقضاء لحق واجب: إذ لا وجوب عليه تعالىٰ خلافا للمعتزلة .

قوله: لأنه جعل أخوها عصبة: يعني جعل الله تعالىٰ أخاها عصبة، وقال للمذكر مثل حظ الأنثيين .وابن الأم لايكون عصبة بل له السدس مسوي بينه وبين أختها .

﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ أي والمرء يرث أخته إن كان الأمر بالعكس ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ ذكراً كان أو أنثى إن أريد بـ" يرثها" يرث جميع مالها. وإلا فالمراد به الذكر إذ البنت لا تحجب الأخ . والآية كما لم تدل على سقوط الإخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على أنهم لا يرثون مع الأب وكذا مفهوم قوله:﴿ قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ إن فسرت بالميت .

﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الضمير لمن يرث با لإخوة وتثنيته محمولة على المعنى . وفائدة الإخبار عنه باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ أصله إن كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر .

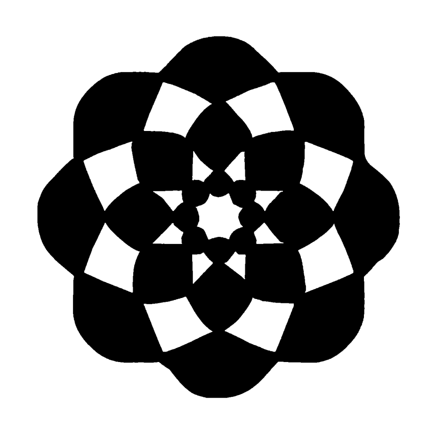
قوله: إن كان الأمر بالعكس: أي إن لم يكن له ولد أي إمرأة هلكت ولم يكن لها ولد وله أخ فهو يرثها، ولا يدل الآية على عدم سقوط الإخوة بالأب ولا على سقوطهم وقددلّت السنة على أنهم لا يرثون مع الأب فيثبت هذا الحكم بالسنة وهو قوله عليه الصلاةوالسلام: ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلولي عصبة ذكر والأب أولى من الأخ، وكذا بمفهوم قوله تعالىٰ:﴿ قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾إن فسرت الكلالة بميت ليس له والد ولا ولد لأن مفهومه إذا وجد الوالد لم ترث الأخت وذكر في الكشاف أن قوله :ليس له ولد. يدل على عدم أثرهامع الوالد لأن الولد أقرب إلى الميت من الوالد فإذا ورث عند انتفاء الأقرب فأولىٰ أن يرث عند انتفاء الأبعد. ورد عليه بأن طريقة الأولوية إنما يحسن في الإثبات هنا وأما في النفي فلا .لأن الحكم لما ثبت بانتفائه الصارف القويّ لا يلزم أن يثبت بانتفاءالصارف الضعيف .

قوله:الضمير لمن يرث بالإخوة : يعني أن الضمير لمن يرث بالإخوة الذي يفهم من سياق الكلام وتثنيته لأن المعنى على التثنية لأنه أخبر عنه باثنتين، والمعنى ﴿إن امرأ هلك ليس له ولد وله أخت ﴾من يرث بالإخوة فإن كانت واحدة فلها النصف وإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك فإن كان أكثر فللذكرمثل حظ الأنثيين. قيل: فيه شيء وينبغي أن يقال بالأختية. وقد يقال أن موجب الأرث هو القرابة وهذه القرابة كما يؤخذ من جانب الأخ أي كونه أخالهما يؤخذ من جانب الأخت أي كونهما أختين والمصنف اعتبر الأول.

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّواْ﴾ أي يبين الله لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه ، او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا . وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين .

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيْمٌ[١٧٦]﴾ فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات ، عن النبي ﷺ :من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق علىٰ كل مؤمن ومؤمنة ، وورث ميراثاً وأعطي من الأجر كمن اشترى محرراً،وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم".

قوله: فحذف لا وهو قول الكوفيين .وكذا حذف اللام إلا أنه لا يختص بالكوفيين فلهذا لم يذكره. قال الزجاج: حذف حرف النفي لا يجوز وحذف المضاف كثير ولذلك اختاره البصريون ولم يختاروا ذلك .



سورة المائدة مدنية

وآياتها عشرون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَـا الَّـذِيْـنَ ءَامَنُوٓا أَوفُوا بِالْعُقُودِ﴾ الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الإيفاء والعقد العهد الموثق قال الحُطيئة :

قَومٌ إِذَا عقدوا عَقَداً لِجَارِهِمْ شَدُّوا العِنَاجَ وَشَدُّوا فَوقه الْكَرَبَا

وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال . ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله سبحانه وتعالى على عباده وألزمها إياهم من التكاليف ، وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به . أو يحسن إن حملنا الأمر على المشترك بين الوجوب والندب . ﴿أُحِلَّتْ لَكُمُ بَهِيْمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ تفصيل للعقود . والبهيمة كل حي لا يميز . وقيل: كل ذات أربع . وإضافتها إلى الأنعام للبيان كقولك :

قوله : العناج :حبل يشد في أسفل الدلو ثم يشد إلى العراقي ليكون عونا لها وللوزم، فإذا انقطعت الأوزام أمسكها العناج، والعرقوقان الخشبتان المعترضتان على الدلو كالصليب، والأوزام السيور التي من آذان الدلو وأطراف العراقي، والكرب هو الحبل الذي يشد في وسط العراقي ثم يثنى ويثلث ليكون هو الذي يلي فلا يتعفن الحبل الكبير ويقال ملاء الدلو إلى عقد الكرب لمن يبالغ فيما يلي من الأمر .

قوله: ولعل المراد بالعقود: وقال بعضهم: المراد بالعقود العقودعقد هاالله .وقال بعضهم: المراد ما يعقدون بينهم، والمصنف أراد ما يعمهما معا لأن كلا منهما مأمور بايفائهما ولأن اللام في العقود ظاهر في الاستغراق .

قوله: والبهيمة كل حي لا يميز: أي لا يعقل. وقيل كل ذات قوائم أربع في البر والبحر، وإضافتها على الوجهين للبيان لأن المراد منها على الوجهين. الأنعام فقط وهي كما فسره، وفسر صاحب الكشاف الأزواج الثمانية، وألحق بها الظباء وبقر الوحش ،وقيل: المراد

ثوب خز. ومعناه البهيمة من الأنعام . وهي الأزواج الثمانية وألحق بها الظباء وبقر الوحش . وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الأنعام في الاجترار وعدم الأنياب . وإضافتها الى الأنعام لملابسة الشبه . ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ إلا محرم ما يتلى عليكم كقوله تعالى . ﴿حرمت عليكم الميتة﴾[٥. المائدة: ٣] أو إلا ما يتلى عليكم تحريمه ، ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ حال من الضمير في لكم . وقيل: من واو ﴿أوفوا﴾ وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول. ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ حال مما استكن في محلي ، والحرم جمع حرام وهو المحرم﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ[١]﴾ من تحليل أوتحريم

بالبهيمة البهيمة ونحوها فيكون الظبأ وبقر الوحش داخلين في البهيمة، والإضافة بالنسبة إلى المجموع لملابسة الشبه ويكون الإضافة بالنسبة إلى البعض لملابسة الشبه لا بالنسبة إلى الجميع. وينبغي أن يتأمل في أنه المراد بالبهيمة المقابل لنحوها لأنه على المعنيين المذكورين شامل لنحوها. وفي بعض النسخ هما المراد بالبهيمة ونحوهما وهو الموافق لما في الكشاف أي المراد بالبهيمة الظبأ وبقر الوحوش ونحوهما وعلى هذه النسخة وجه ملابسة الإضافة ظاهر. وقوله: وإضافتها إلى الأنعام للبيان فمبني على مذهب قومٍ، منهم ابن كيسان وهو أن الإضافة البيانية فيما حسن فيه تقدير'من' وإن لم يصح فيه الإخبار وإلافليس بين البهيمة والأنعام عموم من وجه على ماذهب إليه البعض.

قوله: في الاجترار: وهو إعاذة الماكول من البطن إلى الفم ليمضغ ثانياً.

قوله: إلا محرم ما يتلى: يعني أن ما يتلى عليكم استثناء متصل من بهيمة الأنعام وليس من جنسها لأن المتلو لفظ فحاول جعله من جنسها بتقدير مضاف .قيل: ما يتلى أو قيل: ضمير يتلى لتكون "ما" عبارة عن البهيمة لا عن اللفظ المتلو. أي ما يتلى عليكم تحريمه أي الممنخنقة والموقوذة منها إلى آخر ما ذكره في قوله حرمت عليكم الميتة .

قوله: حال من الضمير في لكم .أي أحلت لكم بهيمة الأنعام حال كونكم غير متناولين ولا مستحلين للصيد، أو أوفوا بالعقود من التكاليف وما تعقدون بينكم حال كونكم غير متناولين للصيد.

قوله: وقيل استثناء: والمعني أحلت لكم بهيمة الأنعام الا محلي البهيمة المصطادين لها ومتناولها فإنها لا يحل لهم تناول تلك البهيمة. وفيه تعسف؛ لأن غير للصفة في الأصل بمعنى مغائرإمابالذات أو الصفة فحمله على الاستثناء بمعنى المغايرة في الحكم مع الأصل تعسف .

﴿يَـٰٓأَيُّهَـا الَّـذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَـٰٓئِرَ اللَّهِ﴾ يعني مناسك الحج ، جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر: أي جعل شعاراً سمى به أعمال الحج ومو اقفه لأنها علامات الحج وأعلام الـنسك . وقيـل ديـن الله لقوله سبحانه وتعالى ﴿ ومن يعظم شعائر الله﴾[٢٢. الحج:٣٢] أي ديـنـه . وقيـل فـرائضه التي حدها لعباده . ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه أو بالنسيء. ﴿وَلَا الْهَـدْىَ﴾ مـا أهدي إلى الكعبة ، جمع هدية كجدي في جمع جدية السرح ، ﴿وَلَا الْـقَلَـٰٓئِـدَ﴾ أي ذوات الـقلائد من الهدي . وعطفها على الهدي للاختصاص فإنها أشرف الهدي ، او القلائد أنفسها والـنهـي عن إحلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي . ونـظيره قوله تعالى ﴿ولا يبدين زينتهن ﴾[٢٤.النور: ٣١] والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد بـه الهـدي مـن نـعـل أو لـحـاء شجر أو غيرها ليعلم به أنه هدي فلا يتعرض له . ﴿وَلَآ ءَامِّيْنَ الْبَيْـتَ الْـحَـرَامَ﴾ قـاصـدين لزيارته . ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ أن يثيبهم ويرضى عـنهـم . والـجـمـلة فـي مـوضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له . لأنه عامل والمختار أن اسم الفاعل الموصوف لا يعمل . وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له . وقيل معناه يبتغون من الله رزقاً بالتجارة ورضواناً بزعمهم إذ روي أن الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما همّ المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب أنه كان فيهم الحُطيم بن شريح بن ضبيعة . وكان قد استاق شرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة .

قـوله:لأنهاعلامات الحج :أي الأعمال والأفعال أعلام الحج يعرف بها الحج من الإحـرام والـطـواف والسعي والحلق والنحر، ومواقفه أعلام النسك جعلت أعلاما لعبادات الحج يعرف بها فالأول علة لتسميه الأعمال بالشعائر والثاني علة لتسمية النسك بالشعائر .

قوله: جدية السرج: بسكون الدال، شيء يحشى ثم يربط تحت دفتي السرج والرحل

قـولـه: والنهيعن إحلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي :كأنه قال لاتحلوا قـلا ئـدهـا أي الهدي فضلا أن تحلوها كما قال تعالى:﴿ ولا يبدين زينتهن﴾ أي لا يبدين زينتهن فضلا أن يبدين مواقعها .

قوله: بزعمهم :لأن المشركين كانوا يظنون في أنفسهم أنهم على سداد من دينهم وأن الحج يقربهم إلى الله فوصفهم الله بظنهم .

قـولـه: فالآية منسوخة. قال مجاهد قوله تعالى:﴿ لا تحلوا﴾نسخ بقوله تعالى: ﴿ فاقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ وقيل: إن حرمة القتال في الشهر الحرام نسخت بقوله: فاقتلوهم.

وقرئ "تبتغون" على خطاب المؤمنين ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ إذن في الاصطياد بعد زوال الإحرام ولا يلزم من إرادة الإباحة ههنا من الأمر دلالة الأمر الآتي بعد الحظر على الإباحة مطلقاً . وقرئ بكسر الفاء على إلقاء حركة الوصل عليها وهو ضعيف جداً . وقرئ أحللتم يقال حل المحرم وأحل . ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يحملنكم أو لا يكسبنكم . ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر أضيف إلى المفعول أو الفاعل . وقرأ ابن عامر وإسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو أيضًا مصدر كليان أو نعت بمعنى : بغيض قوم وفعلان في النعت أكثر كعطشان وسكران .﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ لأن صدوكم عنه عام الحديبية . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرمنكم . ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ بالانتقام . وهو ثاني مفعولي يجرمنكم فإنه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب . ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولًا من المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾

حيث ثقفتموهم. وحرمة منع المشركين عن المسجد الحرام بقوله تعالى:﴿ إنما المشركون نجس﴾ الآية .

قوله: ولا يلزم من إرادة الإباحة ههنا من الأمر دلالة الأمر الآتي بعد الحظر على الإباحة مطلقا :كما ذهب إليه البعض واستدل بهذه الآية؛ لأن ههنا قرينة على عدم الإيجاب وهو أن الصيد ليس مما يتقرب به فلا ينفي كون أصل ا لأمر للإيجاب مطلقا سواء كان بعد الحظر أولا.

قوله: لا يحملنكم :بيان لحاصل معنى المتعدي إلى مفعولين إذ لو كان ﴿يجرمنكم﴾ بمعنى يحملنكم لكان أن تعتدوا على الجار مع أنه ليس كذلك لأنه الواقع موقع المفعول الذي يكون بلا واسطة البتة .

قوله: على أنه شرط: أورد عليه أن لا قدرة لهم على الصد بعد فتح مكة. أجيب بأنه على سبيل الفرض والتقدير للتوبيخ. وبيانه أن قريشا وصدهم إياكم يوم الحديبية كان عنادا أو بغيا؛ لأن من شأن البيت الحرام وتعظيم شعائر الله أن لا يصد من يقصدها فصد هم بذلك في عدم الاعتداد كلا صدّ فحقه أن يفرض كما يفرض المحالات .

قوله: فإنه يعدى إلى واحد: نحو جرم ذنبا: كسبه، وإلى إثنين، نحو جرمته ذنبا : كسبت إياه. وتعاونوا: أي لِيُعِنْ بعضكم بعضا .

علـى العفـو والإغضـاء ومتـابعة الأمـر ومجـانبة الهوى . ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾للتشفي والانتقام . ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ[٢]﴾ فانتقامه أشد.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ بيان ما يتلى عليكم ، والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية ، ﴿وَالدَّمُ﴾ أي الدم المسفوح لقوله تعالى:﴿أو دماً مسفوحاً﴾[٦. الأنعام : ١٤٥] وكان أهل الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونها،﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيْرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّٰهِ بِهٖ﴾ أي رفع الصوت لغير الله به كقولهم: باسم اللات والعزى عند ذبحه،﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ أي التي ماتت بالخنق،﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ المضروبة بنحو خشب . أو حجر حتى تموت من وقذته إذا ضربته . ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ التي تردت من علو أو في بئر فماتت ، ﴿وَالنَّطِيْحَةُ﴾ التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح والتاء فيها للنقل ، ﴿وَمَآ أَكَلَ السَّبُعُ﴾ وما أكل منه السبع فمات . وهو يدل على أن جوارح الصيد إذا أكلت مما اصطادته لم تحل ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك . وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمحدد . ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ النصب واحد الأنصاب وهي أحجار كانت منصوبة حولى البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة، وقيل هي الأصنام وعلى بمعنى اللام أو على أصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الأصنام . وقيل هو جمع والواحد نصاب .﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوْا بِالْأَزْلَامِ﴾ أي وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام . وذلك أنهم إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح . مكتوب على أحدها . أمرني ربي . وعلى الآخر: نهاني ربي . والثالث غفل . فإن خرج الآمر مضوا على ذلك وإن خرج الناهي تجنبوا عنه وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً . فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون مالم يقسم لهم بالأزلام . وقيل: هو استقسام الجزور بالأقداح على الأنصباء المعلومة وواحد الأزلام زلم كجمل وزلم كصرد . ﴿ذٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ إشارة الى الاستقسام . وكونه فسقاً لأنه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد أن ذلك طريق إليه وافتراء على الله

قوله: وكان أهل الجاهلية يصبونه في الأمعاء :كانوا يحفظون أمعاء ا لإبل فإذا جاء الضيف يفصدون له بعيرا فيجعلون الدم في معامن تلك الأمعاء ويشوونها ويطعمون الضيف، ويقولون لم يحرم أي الضيافة .

قوله: والتاء فيها للنقل :أي للنقل من الوصفية إلى الإسمية فيكون النطيحة خاصة دون غيره، ويستوي فيه التذكير والتأنيث.

سبحانه وتعالى إن أريد بربي الله وجهالة وشرك إن أريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم. ﴿ اَلْيَومَ﴾ لم يرد به يوماً بعينه وإنما أراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الآتية . وقيل: أراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة في عرفة حجة الوداع . ﴿يَئِسَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ دِيْنِكُمْ﴾ أي من إبطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من أن يغلبوكم عليه . ﴿فَلَا تَخْشَوهُمْ﴾ أن يظهروا عليكم . ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ وأخلصوا الخشية لي . ﴿اَلْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ﴾ بالنصر والإظهار على الأديان كلها . او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد. ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِيْ ﴾ بالهداية والتوفيق أو بإكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية . ﴿وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا﴾ اخترته لكم ديناً من بين الأديان وهو الدين عند الله لا غير .﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض لما يوجب التجنب عنها . وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المرضي والمعنى: فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات . ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِلْإِثْمِ﴾ غير مائل له ومنحرف إليه بأن يأكلها تلذذاً أو مجاوزاً حد الرخصة كقوله .﴿غير باغ ولا عاد﴾ [٦. الأنعام : ١٤٥] ﴿ فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ[٣]﴾ لا يؤاخذه بأكله .

قوله: وإنما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الآتية: قال صاحب الكشاف: أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية ، والمصنف لم يتعرض للازمنة الماضية لأن الظاهر المتبادر من الأخبار باليأس في اليوم الزمان الحاضر وما يتصل به من المستقبل لامع بعض من الماضي أيضًا.

قوله: اخترته لكم:يقال رضيته صاحبا، والمنصوب الثاني يحتمل أن يكون حالا أو تميزا أوأن يكون مفعولا ثانياً على تضمين معنى التصيير.

قوله: اعتراض بما يوجب التجنب عنها: فيكون تأكيدا له وكذا حرمتها توجب التأكيد لأن حرمتها من جملة إكمال الدين لأنها خبائث.

قوله: كقوله تعالىٰ ﴿غير باغ ولا عاد﴾: أي كما فسر به قوله:﴿ غير باغ ولا عاد﴾ أي غير باغ للذة وشهوة ولا عاد متعد بمقدار الحاجة .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ لما تضمن السؤال معنى القو أوقع على الجملة . وقد سبق الكلام في ماذا وإنما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية . لأن يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في أمثاله . والمسؤول ما أحل لهم من المطاعم كأنهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما أحل لهم . ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَٰتُ﴾ ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب . او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته . ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ عطف على الطيبات إن جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم . وجملة شرطية إن جعلت شرطًا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على أهلها من سباع ذوات الأربع والطير. ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ معلمين إياه الصيد . والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد ، مشتق من الكلب . لأن التأديب يكون أكثر فيه وآثر . او لأن كل سبع يسمى كلبًا لقوله عليه الصلاة والسلام " اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك " وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم . ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال ثانية أو استئناف،﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من الحيل وطرق التأديب . فإن العلم بها إلهام من الله تعالى أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه سبحانه وتعالى . أو مما علمكم الله أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه . وأن ينزجر بزجره وينصرف

قوله: ومضرّيها: التضرية الإغراء .

قوله:مشتق من الكلب: يعني أنه اشتق من الكلب مع أن المراد مطلق الجوارح لكثرة التأديب فيه دون غيره من الجوارح .

قوله: وفائدتها المبالغة في التعليم: يعني إنما جيء بهذه الحال وإن كان استغني عنها بعلمتم للمبالغة في التعليم بأن يكون من المعلم الموصوف بالتكليب المؤدب فيه .

قوله: أو مما علمكم الله أن تعلموه: عطف على ما علمكم الله من الحيل والأول بيان لما يتعلق بأحوال المخاطبين من كيفية التعليم للكلاب ولطائف الحيل في ذلك الباب وذلك بالإلهام والفكر، والثاني لما يتعلق بأحوال الكلاب في باب الاصطياد من الجزئيات التي هي شرط في حل الصيد وذلك بالشرع وكلاهما من تعليم الله تعالى إيانا. فعلى الأول الحال الثاني أعني تعلموهن بمنزلة التفسير والتفصيل للحال الأول أعني مكلبين؛ لأن معناه تعليم الصيد وتأديبه. ومعنى هذا الحيل طرق التأديب فهذا تفصيل له. وعلى الثاني قيل زائد له فيفيد أن المعلم للكلاب مكلبا فقيها عالما بالشرائط المعتبرة في الشرع. وإنما زاد في

بدعائه ويمسك عليه السيد ولا يأكل منه . ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وهو مالم تأكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم "وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه" وإليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم : لا يشترط ذلك في سباع الطير الأن تأديبها الى هذا الحد متعذر . وقال آخرون لا يشتر مطلقًا . ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهِ﴾ الضمير لما علمتم والمعنى: سموا عليه عند إرساله أو لما أمسكن بمعنى سموا عليه إذا أدركتم ذكاته . ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ﴾ في محرماته . ﴿إِنَّ اللّٰهَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ[٤]﴾ فيؤاخذكم بما جل ودق .

﴿اَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبٰتُ وَطَعَامُ الَّذِيْنَ أُوتُوا الْكِتٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ يتناول الذبائح وغيرها . ويعم الذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى . استثنى علي رضي اللّٰه تعالى عنه نصارى بني تغلب وقال: ليسوا على النصرانية . ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر . ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وإن ألحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه الصلاة والسلام :" سنوا بهم سنة أهل الكتاب . غير ناكحي نسائهم ولا آكلى ذبائحهم ." ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فلا عليكم أن تطيعوهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك . ﴿وَالْمُحْصَنٰتُ مِنَ الْمُؤْمِنٰتِ﴾ أي الحرائر او العفائف . وتخصيصهن بعث على ماهو الأولى . ﴿وَالْمُحْصَنٰتُ مِنَ الَّذِيْنَ أُوتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وإن كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحر بيات . ﴿إِذَا اٰتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن وتقييد الحل بإيتائها لتأكيد وجوبها والحث على ماهو الأولى. وقيل المراد بإيتائها التزامها. ﴿مُحْصِنِينَ﴾ أعفاء بالنكاح .﴿غَيْرَ مُسٰفِحِيْنَ﴾ غير مجاهرين بالزنا . ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ مسرين به . والخدن الصديق يقع على الذكر والأنثى . ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ , وَهُوَ فِى

الوجه الثاني قوله: أن تعلموا أي تعلموا الكلام إياه لأن المقصود ههنا التعليم بخلاف الوجه الأول فإنه ربما المقصود نفس العلم لا التعليم فيما إذا اصطاد بنفسه لا بالجوارح. وقوله: "من اتباع الصيد" بيان لما علمكم .

قوله: وتخصيصهن بعث على ماهوالأولى: لأنه يصح نكاح الإماء من المؤمنات ونكاح غير العفائف .

قوله: ولا متخذي أخدان: قيل اتخاذ الأخدان هو الزنا في السر، والسفاح هو الزنا في الجهر فلهذا فسر المصنف بهما .

﴿الْآخِرَةِ مِنَ الْخَٰسِرِيْنَ[٥]﴾ يريد بالإيمان شرائع الإسلام وبالكفر إنكاره والامتناع عنه .

﴿يَآأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلوٰةِ﴾ أي إذا أردتم القيام كقوله تعالى . ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾[١٦. النحل : ٩٨] عبر عن إرادة الفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها . بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة . أو إذا قصدتم الصلاة لأن التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له . وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة وإن لم يكن محدثًا . والإجماع على خلافه لما روي" أنه عليه الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله تعالى عنه : صنعت شيئًا لم تكن تصنعه فقال عمداً فعلته ." فقيل مطلق أريد به التقييد . والمعنى إذا قمتم الى الصلاة محدثين . وقيل الأمر فيه للندب .

قوله: يريد بالإيمان شرائع الإسلام: أعم من أصول الدين أي الاعتقاديات وفروعه؛ لأن الكفر إنما يكون بالمؤمن به لابالإيمان نفسه.

قوله: أي إذا أردتم القيام: لاخفاء ولا خلاف في أنّه ليس وجوب الوضوء في حال القيام إلى الصلوٰة لأنه إن أريد به مباشرة الصلوٰة عقيب القيام يلزم أن يكون الوضوء في الصلوٰة أو بعدها وإن أريد القيام المنتهي إلى الصلوٰة أو متوجها إليها يلزم أن يكون الوضوء متصلا بالصلوٰة ومقارنا لها بأن يكونا في زمان واحد بعد القيام فلا يتمكن من الصلوٰة قط فجعل القيام مجازاً عن إرادته بعلاقة السببيه، أو عن قصد الصلوٰة وإرادتها إطلاقا للخاص على العام؛ لأن القيام إلى الصلاةوالتوجه إليها قصد خاص فأطلق القيام إلى الصلوٰة وأريد مطلق القصد فلا يلزم المحذور .

قوله: عمداً فعلته:يعني بيانا للجواز .

قوله: فقيل مطلق أريد به التقييد؛ لئلا يلزم خلاف الإجماع وأيضًايستحيل بدون هذا التقييد لأنه إذا أراد القيام إلى الصلوٰة وجب عليه أن يتوضأ فإذا توضأ وأراد القيام وجب عليه مرة أخرى وهلم جرا .

قوله: وقيل الأمر فيه للندب: ويعلم الوجوب للمحدث من السنة. قال العلامة التفتازاني: وهذا بعيد جدا لما فيه من مخالفة ظاهر كون الأمر المطلق للإيجاب، وإطباق العلماء على أن وجوب الوضوء مستفاد من الآية مع الافتقار إلى تخصيص الخطاب بغير المحدثين من غير دليل ضرورة أنه لاندب بالنسبة إلى المحدث.

وقيل كان ذلك أول الأمر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه الصلاةو السلام: " المائدة من آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها وحرموا حرامها" ﴿فَاغْسِلُوا وَجُوهَكُمْ﴾أمروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافًا لمالك،﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل : الى بمعنى مع كقوله تعالى ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾[١١. الهود: ٥٢] أو متعلقة بمحذوف تقديره : وأيديكم مضافة الى المرافق . ولو كان كذلك لم يبق لمعنى التحديد ولا لذكره مزيدة فائدة. لأن مطلق اليد يشتمل عليها ؛. وقيل "إلى" تفيد الغاية مطلقا ً وأما دخولهافي الحكم أوخروجها منه فلا دلا لة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية ، وكا نت الأيدي متنا ولة لها فحكم بدخولها احتياطًا . وقيل الى من حيث أنها تفيد الغاية تقتضي خروجها وإلا لم تكن غاية لقوله تعالى . ﴿ فنظره إلى ميسرة﴾[٢. البقرة : ٢٨٠] وقوله تعالى ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾[٢. البقرة : ١٨٧]

لكن لما لم تتميز الغاية ها هنا عن ذي الغاية وجب إد خالها احتياطًا. ﴿وَامْسَحُواْ بِرُءُ وسِكُمْ﴾ الباء مزيدة وقيل للتبعيض . فإنه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل . ووجهه أن يقال إنها تدل على تضمين الفعل معنى الإلصاق فكأنه قيل: وألصقوا المسح برؤوسكم . وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل: وامسحوا رؤوسكم فإنه كقوله:﴿ فاغسلوا وجوهكم ﴾ واختلف العلماء في قدر الواجب،فأوجب الشافعي رضي الله تعالى عنه : أقل ما يقع عليه الاسم أخذإ باليقين . وأبو حنيفة رضي

قوله: وقيل "إلى" تفيد الغاية مطلقا:يعني أن" إلى" تفيد أن المرافق جعل غاية لليد مع أن اليد في الأصل شامل لها؛ لأن اليد اسم للمبدأ من رؤس الأصابع إلى المنكب ولاتدل على دخولها في الحكم ولا عدم دخولها فيه فحكمنا بدخولها فيه احتياطا .

قوله: ولكن لمالم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية: وهو اليد لأن اليد ليس اسما لما تحت المرفق حتى يتميز المرفق منه .

قوله: إنها تدل على تضمين الفعل معنى الإلصاق: يريد أن المسح وإن كان متعد يا بنفسه فقد دخل الباء على تضمين معنى الإلصاق وكأنه قيل: الصقوا المسح برؤسكم وهو مطلق في مسح البعض والكل فلا يقتضي الاستيعاب فيكون البعض المتيقن .

قوله: آخذاً باليقين:أي المتيقن لأنه على تقدير وجوب الكل يكون هوواجباأيضًا.

الله تعالى عنه : مسح ربع الرأس . لأنه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ، ومالك رضي الله تعالى عنه: مسح كله أخذاً بالاحتياط.﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ نصبه نافع ابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفًا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة ، وعمل الصحابة . وقول أكثر الأئمة، والتحديد . إذ المسح لم يحد . وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى:﴿عذاب يوم أليم﴾ وَجور عين بالجر في قراءة حمزه والكسائي . وقولهم: جحر ضب خرب . وللنحاة باب في ذلك . وفائدة التنبيه على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلًا يقرب من المسح . وفي الفصل بينه وبين أخويه إيماء على وجوب الترتيب . وقرئ بالرفع على وأرجلكم مغسولة . ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾ فاغتسلوا.﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْغَآئِطِ أَوْلَمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوْا مَآءً فَتَيَمَّمُوْا صَعِيْداً طَيِّباً فَامْسَحُوْا بِوُجُوْهِكُمْ وَ أَيْدِيْكُمْ مِّنْهُ﴾ سبق تفسيره . ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة ﴿ مَا يُرِيْدُ اللّٰهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي ما يريد الأمر بالطهارة للصلاة أو الأمر بالتيمم تضييقًا عليكم .

قوله: إذا المسح لم يحد:أي لم يضرب له غاية في الشرع وههنا قد ذكر غاية بقوله إلى الكعبين فدل على أنه معطوف على المغسول لا الممسوح لئلا يفضي إلى ما ليس في الشرع .قال العلامة التفتازاني وهذا لا يتوقف على أن يكون كل غسل في الشرع له غاية كما فهمه البعض ليرد الاعتراض بغسل الوجه بل على أنه كل مسح فهو لم يضرب له غاية في الشرع .

قوله: وجره الباقون على الجوار:فإن قيل قد ذكر في المغني لا يجوز في النسق لأن العاطف يمنع التجاوز. قلنا وقع في شرح ابن مالك لكتابه المسمي بالعمده في النحو تنفرد الواوبجواز العطف كقوله تعالٰى:﴿ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم﴾ قراءة ابن كثير وأبي عمر وكذا في التحفة شرح المغني .واعلم أن الذي عليه المحققون أن خفض الجار يكون في النعت قليلا وفي التوكيد نادرا و لا يكون في النسق لأن العاطف يمنع التجاور وأنكر السيرا في وابن جني الخفض على الجوار.

قوله: وفي الفصل بينه وبين أخويه: إيماء إلى وجوب الترتيب لأن الفصل يشعر بالتراخي وهو يشعر بالترتيب.

﴿وَلٰكِنْ يُرِيْدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ لينظفكم . أو ليطهركم عن الذنوب فإن الوضوء تكفير للذنوب . أو ليطهرك بالتراب إذا أعوزكم التطهير بالماء . فمفعول يريد في موضعين محذوف واللام للعلة . وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم. ولكن يريد أن يطهركم وهو ضعيف ل أن أن لا تقدر بعد المزيدة ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهٗ عَلَيْكُمْ﴾ ليتم بشرعه ما هو مطهرة لأبدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين . أو ليتم برخصة إنعامه عليكم بعزائمه . ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ[٦]﴾ نعمته . والآية مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى: طهارتان أصل وبدل . والأصل اثنان مستوعب وغير مستوعب . وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود . وأن آلتهما مائع وجامد . وموجبهما حدث أصغر وأكبر . وان المبيح للعدول الى البدل مرض أو سفر . وأن الموعود عليهما تطهير الذنوب وإتمام النعمة.

﴿وَاذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره. ﴿وَمِيْثَاقَهُ الَّذِيْ وَاثَقَكُمْ بِهٖ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا﴾ يعني الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره .

قوله: إذا أعوزكم التطهير :أعوزه الشيء إذا احتاج إليه فلم يقدر.

قوله: فمفعول يريد في الموضعين محذوف: أي التنظيف أو التطهير .

قوله: لأن "أن" لا تقدر بعد المزيدة: قيل: فيه بحث لتقدير "أن" بعد لام الجحود وهو زائد للتأكيد. وقد يجاب بأن المراد غير لام الجحود إذ من المعلوم أن "أن" يقدر بعدها. وما قيل إنه ذكر في التسهيل: تظهر"أن" وتضمر بعد لام الجر غير الجحودية فلا يلزم الضعف. فقد قيل في التعليق و شرحه أن هذه اللام هي المعروفة عندهم بلام كي واللام في الآية على هذا الوجه غير لام كي فالضعف لازم غير مندفع.

قوله:نعمته عليكم في الدين: بأن يزيد في الدين مشروعا.

قوله: بعزائمه: أي فرائضه التي عزم الله عليكم بأن لا تكون فائتة عند عدم الماء .

قوله: والآية مشتملة على سبعة أمور: قيل بل على ثمانية، ثامنها الشكر الذي هو قولي وفعلي. وقد يقال إن المراد أن الآية مشتملة على سبعة أمور هي نعم الله تعالىٰ والشكر خارج عنها مترتب عليها .

قوله: على السمع والطاعة:أي على أن يسمعوا كلامه ويطيعوا أمره، والمنشط

أو ميثاق ليلة العقبة أو بيعه الرضوان . ﴿وَاتَّقُوْا اللّٰهَ﴾ في إنساء نعمته ونقض ميثاقه . ﴿إِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ[٧]﴾ أي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلاً عن جليات أعمالكم .

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُوْنُوْا قَوّٰمِيْنَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى أَلَّا تَعْدِلُوْا﴾ عداه ب على لتضمنه معنى الحمل . والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب مالا يحل . كمثله وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفياً مما في قلوبكم . ﴿إِعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى﴾ أي العدل أقرب للتقوى. صرح لهم بالأمر بالعدل وبين أنه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى. وإذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين . ﴿وَاتَّقُواْ اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ[٨]﴾ فيجازيكم به . وتكرير هذا الحكم إما لاختلاف السبب كما قيل إن الأولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود . أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء ثائرة الغيظ ﴿وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّأَجْرٌ عَظِيْمٌ[٩]﴾ إنما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فإنه استئناف يبينه . وقيل الجملة في موضع المفعول فإن الوعد ضرب من القول وكأنه قال : وعدهم هذا القول .

﴿وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِآيٰتِنَا أُولٰٓئِكَ أَصْحٰبُ الْجَحِيْمُ[١٠]﴾ هذا من عادته تعالى

والمكره مصدران بمعنى النشاط والكراهة .

قوله: أو ميثاق ليلة العقبة: قال ابن الجوزي كانت هذه المبايعة في العقبة الثانية من سنة ثلث عشرة من النبوة، وأما العقبة الأولىٰ ففي سنة إحدي عشرة .قال عبادة بن الصامت فبايعناه فيها على النساء على ما ورد في سورة الممتحنة وبيعة الرضوان ما أشير إليه بقوله تعالىٰ:﴿ لقد رضي اللّٰه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾.

قوله:﴿ كونوا قوامين ﴾:أي كونوا بالعدل شاهدين للّٰه. وقيل معناه كونوا محافظين لأوامره ونواهيه بالامتثال والانتهاء شهداء بالعدل .

قوله: عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل: يعني أن 'جرم' يجيئ متعديا إلى مفعول مثل جرم ذنبا وليس هذا منه لأن مفعوله يكون الأمر المكسوب كالذنب لا الشخص، وإلى مفعولين، وظاهرأن هذا ليس منه لوجود حرف الجر فيما هو في موقع المفعول الثاني فاعتبر تضمين معنى الحمل ليصح كون الأول هو الشخص والثاني مع حرف الاستعلاء.

أن يتبع حال أحد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة . وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ﴾ روي أن المشركين رؤا رسول الله ﷺ وأصحابه بعسفان قاموا لى الظهر معًا فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا الى العصر . فرد الله عليهم كيدهم بأن أنزل عليهم صلاة الخوف والآية إشارة إلى ذلك. وقيل إشارة إلى ما روي أنه عليه الصلاة والسلام أتىٰ قريظة ومعه الخلفاء الأربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمر و بن أميه الضمري يحسبهما مشركين ، فقالوا: نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه وهموا بقتله . فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه . فأمسك الله يده فنزل جبريل فأخبره فخرج . وقيل: نزل رسول الله ﷺ منزلًا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه . فجاء أعرابي فسلّ سيفه وقال: من يمنعك مني ؟ فقال : الله! فأسقطه جبريل من يده . فأخذه الرسول ﷺ وقال: من يمنعك مني؟ فقال لا أحد، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) فنزلت﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والإهلاك، يقال بسط إليه يده إذا بطش به وبسط إليه لسانه إذا شتمه . ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ منعها أن تمد إليكم ورد مضرتها عنكم . ﴿وَاتَّقُواْ اللّٰهَ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ[١١]﴾ فإنه الكافي لإيصال الخير ودفع الشر .

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيْثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَائِيْلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَتَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ شاهداً من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها . أو كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به . روي أن بني إسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر . أمرهم الله سبحانه وتعالى بالميسر إلى أريحاء من أرض الشام . وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال: إني كتبتها لكم داراً

قوله: وفاء بحق الدعوة :لأن الدعوة لدخول الجنة والبعد عن النار فيقتضي بيان حال أهلهما أو يقال الدعوة يكون إلى الإيمان وما يتبعه من الشرائع وذا إنما يحصل بدون الترغيب والترهيب فلا بد من بيان حال الكفار ليحصل الترهيب .

قوله: يقال بسط إليه يده إذ بطش به الخ.يعني أن معنى بسط إليه: مدها وكذلك معنى بسط اللسان، وإنما البطش ـ وهو الأخذ بالعنف والسطوة ـ والشتم حاصل المعنى، كذا ذكره العلامة التفتازاني وذلك أن معنى مد اليد بالقتل والإهلاك حاصله الأخذ بالعنف.

وقراراً فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم . وأمر موسى عليه الصلاة والسلام أن يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم لوفاء بما أمروا به . فأخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون الأخبار . ونهاهم أن يحدثوا قومهم . فرأوا أجراماً عظيمة وبأسًا شديداً فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم ونكث الميثاق إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا . ويوشع بن نون من سبط افراييم بن يوسف ﴿وَقَالَ اللّٰهُ إِنِّى مَعَكُمْ﴾ بالنصرة .﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلٰوةَ وَاٰتَيْتُمُ الزَّكٰوةَ وَاٰمَنْتُمْ بِرُسُلِىْ وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أي نصرتموهم وقويتموهم وأصله الذب ومنه التعزير .﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيل الخير و قرضاً يحتمل المصدر والمفعول .﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّاٰتِكُمْ﴾جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ﴾بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم .﴿ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوآءَ السَّبِيْلِ[١٢]﴾ضلالاً لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك .إِ ذقد يمكن أن يكون له شبهه ويتوهم له معذرة﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيْثَاقَهُمْ لَعَنّٰهُمْ ﴾ طرد ناهم من رحمتنا . او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ لا تنفعل عن الآيات والنذر . وقرأ حمزة والكسائي قسية و هي إِما مبا لغة قا سية، أو بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي إِذا كان مغشوشاً . و هو أيضاً من

قوله: إلا كالب بن يوقنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط أفرائيم بن يوسف. وكانا من النقباء .

قوله: ومنه التعزير: وهو التنكيل عن معاودة الفساد .

قوله: بالانفاق في سبيل الخير: فيكون المراد بالقرض الحسن كل خير وقيل المراد القرض بلا منٍّ.

قوله: المعلق به الوعد العظيم .أي المرتبط به على أن يكون المراد بالتعليق معناه اللغوي وإلَّا فالمعلق به الشرط لاالجزاء على ما هو مصطلح أهل العربية والأصول.

قوله: ضلالا لا شبهة فيه: يهتدي به إلى سواء السبيل ولا يؤجد له عذر يعتذر به بخلاف من كفر ذلك فإنه يمكن له شبهة كذلك وربما يوجد له عذر .

قوله:﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية﴾: أي صلبة يابسة لا تنفعل عن الآيات والنذر. قال في القاموس: قسا قلبه قسواً وقسوة وقساوة: صلب وغلظ. انتهى .والقسوة أيضًااليبس كذا في الكشاف.

القسوة فإن المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية بإتباع القاف للسين .﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَـنْ مَّـوَاضِـعِهِ﴾إستئناف لبيان قسوة قلو بهم . فإنه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله سبحانه وتعالى والإفتراء عليه . يجوز أن يكون حالاً من مفعول لعناهم لا من القلوب إذلا ضمير له فيه .﴿وَنَسُـوا حَـظًـا﴾ وتـر كـوا نـصيبـاً وافياً.﴿ مِّمَّا ذُكِّرُوْا بِهِ﴾من التوراة. أو مـن إ تباع مـحـمـد صلى الله عليه وسلم . والـمـعـنى أنهم حرفواالتوراة وتركوا حـظهم مما أنزل عليهم فـلـم ينـالـوه . وقيل معناه أنهم حرفوها فنزلت بشؤمه أشياء منها عن حفظهم . لما روي أن ابـن مسـعود قال: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية . ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلٰى خَآئِنَةٍ مِّنْهُـمْ﴾ خيانة منهم . أو فرقة خائنة أو خائن والتاء للمبالغة . والمعنى أن الـخيـانة والغدر من عادتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم . ﴿إِلَّا قَلِيْلًا مِّنْهُمْ﴾ لم يـخـونـوا وهم الذين آمنوا منهم . وقيل استثناء من قوله .﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ إن تابوا وآمنوا . أو عاهدوا والتزموا الجزية . وقيل: مطلق نسخ بآية السيف ﴿إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ[١٣]﴾ تعليل للأمر بالصفح وحث عليه وتنبيه على أن العفو عن الكافر الخائن إحسان فضلا عن العفو عن غيره .

﴿وَمِـنَ الَّـذِيْنَ قَالُوٓا إِنَّا نَصٰرٰىٓ أَخَذْنَا مِيْثَاقَهُمْ﴾ أي وأخـذنا من النصارى ميثاقهم

قـولـه: إذ لا ضميرله فيه: أي لا ضمير فيه يرجع إلى القلوب حتى يصح جعله حالا منه لأن المضارع المثبت الذي وقع حالا لا بد فيه من الضمير العائد إلى ذي الحال .

قوله: أو من تباع محمد. والإيمان به لأنه الذي ذكر به في التوراة .

قـولـه: حـظهـم مـمـا انزل عليهم: أي حظا كائنا من التوراة فلم ينالوه فكلمة 'من' للابتداء

قـولـه: عـلـى خائنة: أراد أن خائنة إما أن يكون بمعنى المصدر كالعاقبة، أو صفة لمؤنث كالفرقة،أو صفة لمذكر والتاء للمبالغة كراوية .

قـولـه: أي أخـذنـا مـن النصارى .فعلى هذا يكون الجملة فعلية وكلمة "من" متعلقة بـ"أخذنا"وعلى الثاني يكون الجملة اسمية وضمير ميثاقهم يرجع إلى بني اسرائيل مر ذكره في قـولـه تـعـالٰى:﴿ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ كماهو الظاهر من سوق الكلام يعني أخذنا الـميثاق من بني إسرائيل وأخذنا ذلك الميثاق من الذين قالوا: إنا نصارى، فيكون المعنى على التشبيه فلذلك قال صاحب الكشاف وتبعه المصنف ميثاقهم كميثاقهم. وقيل: الضمير

كما أخذنا ممن قبلهم . وقيل تقديره ومن الذين قالوا إنا نصارى قوم أخذنا . وإنما قال قالوا إنا نصارى ليدل على أنهم سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله سبحانه وتعالى .﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا﴾ فألزمنا من غري بالشيء إذا لصق به . ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ بين فرق النصارى . وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية . او بينهم وبين اليهود . ﴿وَسَوفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ[١٤]﴾ بالجزاء والعقاب .

﴿يٰأَهْلَ الْكِتٰبِ﴾ يعني اليهود والنصارىٰ .ووحد الكتاب لأنه للجنس .﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتٰبِ﴾ كنعت محمد ﷺوآية الرجم في التوراة وبشارة عيسىٰ عليه الصلاة والسلام بأحمد ﷺ في الإنجيل ﴿ وَيَعْفُواعَنْ كَثِيرٍ﴾مما تخفونه لا يخبر به إذا لم يضطر إليه أمر ديني .أو عن كثير منكم فلا يؤاخذ ه بجرمه .﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَّكِتٰبٌ مُّبِيْنٌ[١٥]﴾يعني القرآن فإنه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الإعجاز .وقيل يريد بالنور محمد ﷺ .

﴿ يَهْدِىْ بِهِ اللّٰهُ ﴾وحد الضمير لأن المراد بهما واحد .اولأنهما كواحد في

يرجع إلى الموصول فعلى هذا يكون كل من الميثاقين على حياله. وإنما قال: قالوا: إنانصارى،ولم يقل من النصارى لأنهم سموا أنفسهم أنصار الله ادعاء وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله. ثم اختلفوا نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصارا للشيطان فالأول هم القائلون بالأقانيم الثلثة. والثانية هم الذين قالوا بالتثليث صريحا. والثالثة هم الذين قالوا بأنه قتل وصلب .

قوله: يعني اليهود والنصارى: يعني أن المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فينبغي أن يثنى الكتاب لأن لهما كتابين لا كتابا واحدا لأنه وحد للجنس الذي يطلق على الواحد والكثير. وردّ عليه بأن الخطاب ليس إلا لاهل الكتاب إذ ليس واحد منهما أهل كتابين فيصح إطلاق أهل الكتاب سواء كان الكتاب اسم جنس أولا .او يمكن أن يجاب بأن الخطاب لجميع أهل الكتاب لا لأحد من أهل الكتاب وإلااختص الخطاب بأحدهما بعينه لأنه يتعرف بالنداء فتأمل.

قوله: فإنه الكاشف: علة لإطلاق النور عليه وقوله: والكتاب الواضح الإعجاز علة لإطلاق الكتاب المبين عليه: من أبان الشي: ظهر .

قوله: لأن المراد بهما واحد.وهو القرآن أو في حكم الواحد لأن المقصود من

الحكم .﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾من اتبع رضاه بالإيمان منهم .﴿سُبُلَ السَّلٰمِ ﴾طرق السلامة من العذاب .أو سُبُل اللّٰه ﴿ وَيُخرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى النُّورِ﴾من انواع الكفر من الإسلام ﴿بِإِذْنِهِ﴾بإرادته أو توفيقه ﴿ وَيَهْدِيْهِمْ إِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ[١٦]﴾طريق هو أقرب الطرق إلى الله سبحانه وتعالى مؤد إليه لامحالة .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْٓا إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هم الذين قالوا بالاتحاد منهم . وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكن لما زعموا أن فيه لا هوتًا لاإله واحد لزمهم أن يكون هو المسيح اليهم لازم قولهم توضيحاً لجهلهم وتفضيحًا لمعتقدهم . ﴿قُلْ فَمَنْ يَّمْلِكُ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا﴾ فمن يمنع من قدرته وإرادته شيئًا . ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُّهْلِكَ الْمَسِيْحَ﴾ عيسى﴿ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيْعًا﴾احتج بذلك على فساد عقولهم وتقريره : أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الوهية . ﴿وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ[١٧]﴾ إزاحة لما عرض لهم من الشبهة في أمره . والمعنى أنه سبحانه وتعالى قادر على الإطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات والأرض . ومن أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات . ومن أصل يجانسه إما من ذكر وحده كما خلق حواء او من أنثى وحدها كعيسى . او منهما كسائر الناس .

إنزال الكتاب وإرسال الرسول الهداية.

قوله: أو سبل الله: فيكون السلام من أسماء الله تعالىٰ، وضع الظاهر موضع المضمر ردّا على اليهود والنصارى القائلين باتصافه بنقيضة الشبه للمخلوقين .

قوله: هم الذين قالوا بالاتحاد:قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك. وقيل لم يصرح به أحد الخ.وإنما كان مدلول قوله تعالىٰ:﴿ إن الله هو المسيح﴾ الا تحاد لأنه حمل الشخص على الشخص مع ضمير الفصل والتأكيد بإن والفصل هنا لمجرد التأكيد لحصول القصر بدونه، ولأن القصر ههنا للمسند إليه على المسند أي لا غير المسيح كما في قولهم: الكرم هو التقوى. ويمكن أن يقال دعو الاتحاد بناء على أن ضمير الفصل قد يجيء للاتحاد على ماقرره الشيخ عبد القاهر في قولهم هو البطل المحامي .

قوله: فمن يمنع: يعني أن يملك إما مجاز عن يمنع أو ضمن معناه، ومن الله متعلقة به على حذف المضاف أو بيان بالحاصل تفسيرا باللازم .

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصٰرٰى نَحْنُ أَبْنٰٓؤُاللّٰهِ وَأَحِبّٰٓؤُهٗ﴾ أشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لأشياع ابن الزبير الخُبيبون أو المقربون عنده قرب الأولاد والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران. ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي فإن صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فإن من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه . وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ واعترفتم بأنه سيعذبكم بالنار أياماً معدودات . ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ ممن خلق الله تعالى . ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ﴾ وهم من آمن به وبرسوله . ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ﴾ وهم من كفر . والمعنى أنه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عنده ﴿وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كلها سواء في كونها خلقًا وملكاً له . ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيْرُ[١٨]﴾ فيجازي المحسن بإحسانه بإساء ته .

﴿يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُوْلُنَا يُبَيِّنُ لَكُم﴾أى الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز أن لا يقدر مفعول على يبذل لكم البيان والجملة

قوله: أشياع إبنيه .بيان أبناء اللّٰه وتأويله بأنه على حذف المضاف .فإن قيل: هذا التأويل لا يلتئم مع قوله: من كان بهذا المنصب، قيل لما ادعوا أنهم أشياع إبني اللّٰه ثم حذفوا المضاف وأقاموا المضاف إليه مقامه كأنهم قالوا نحن متصلون بهما ولسنا من جنس عامة البشر المخلوقين .

قوله: الخبيبون:الخبيب عبد اللّٰه بن الزبير كذا في الكشاف .وقال الجوهري الخبيب اسم رجل وهو خبيب بن عبد اللّٰه بن الزبير وكان عبد اللّٰه يكنى بأبي خبيب والخبيبان عبد اللّٰه بن الزبير وابنه ويقال: هو وأخوه. قال حميد الارقط:

ع قد ني من نصر الخُبيبين قدي

فمن روي الخبيبين على الجمع يريد ثلاثتهم فعلى ماذكره صاحب الكشاف التمثيل به ظاهر لأنه أطلق الخبيب على ابن عبد اللّٰه الذي هو من أشياعه أي أتباعه وأما على ما قاله الجوهري فالتمثيل غير ظاهر؛لأن كون الأب والأخ من أشياع الرجل محل نظر وتردد.

قوله: من كان بهذا المنصب: أي كونه ابن اللّٰه وكونه من جنس الأب وحبيبا له .

قوله: لظهوره: لأن الرسول عليه السلام أرسل لتبيين الدين والشرائع .

قوله: لتقدم ذكره: وهو قوله تعالیٰ:﴿ قد جاء كم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾.

قوله: ويجوز أن لا يقدر مفعول:فيكون من قبيل تنزيل المتعدي منزلة اللازم نحو فلان يعطي

فـي مـوضـع الـحال أي جاء كم رسولنا مبيناً لكم .﴿ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ متعلق بجاء كم أي جاء كم على حين فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي . او يبين حال من الضمير فيه .﴿ أَنْ تَـقُوْلُوْا مَا جَاءَ نَا مِنْ بَشِيْرٍ وَلَا نَذِيْرٍ ﴾كراهة أن تقولوا ذلك و تعتذروا به ﴿فَقَدْ جَآءَ كُـمْ بَشِيْـرٌ وَ نَـذِيْـرٌ﴾متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا ﴿مَاجَاء نَا﴾فقد جاء كم.﴿ وَاللّٰهُ عَلَىٰ كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيْـرٌ [١٩]﴾ فيـقـدر على الإ رسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام . إذ كـان بيـنـهـمـا ألف وسبعمائة سنة وألف نبي . وعلى الإرسال على فترة كـمـا فعل بين عيسى و محمد عليهماالصلاة والسلام كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستـون وأربـعة أنبيـاء، ثـلاثة مـن بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العيسى .وفي الآية امتنان عليهم بأن بعث إليهم حين انطمست آثارالوحي وكانوا أحوج ما يكونون إليه .

﴿وَإِذْ قَـالَ مُـوْسَـىٰ لِـقَـوْمِـهٖ يٰـقَـوْمِ اذْكُـرُوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْجَعَلَ فِيْكُمْ أَ نْبِيَآءَ﴾ فـأرشدكم وشر فكم بهم ولم يبعث في أمة ما بعث في بني اسرائيل من الأنبياء﴿ وَجَعَلَكُمْ مُّـلُـوْكـاً ﴾ أي وجـعل منكم أوفيكم . وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثرالأنبياء بعد فرعون حتى قتـلـوا يـحـي وهمّوا بقتل عيسى . وقيل : لما كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم اللّٰه وجـعـلـهـم مـا لـكين لأنفسهم وأمورهم سـمـاهـم ملوكاً .﴿وَاٰتٰـكُـمْ مَّـالَـمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن الـعٰـلَـمِيْن[٢٠]﴾من فلق البحر و تظليل الغمام . وإ نزال المن والسلوى ونحوها مما آتا هم اللّٰه . وقيل المراد بالعا لمين عالمي زمانهم .

قوله: أو يبين حال من الضمير فيه: عطف على 'جاء كم' أي يتعلق بيبين على وجه الـحـالية من ضمير يبين كذا ذكره أبو البقاء. قال العلامة التفتازاني: ولا يخفى ما فيه. لعل وجهه أن البيان ليس على فترة الرسل وفي حينه بل المجيء عليه .

قوله: سما هم ملوكا:لأنهم صاروا متصرفين على أنفسهم بعد الإنقاذ فعلى هذا لا حاجة إلى التأويل بفيكم أو منكم لأنه لم يجعل كلهم ملوكا.

قـوله: وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم. فعلى هذا يكون التخصيص في عموم الـعـالمين فلا يلزم التفضيل على جميع العالمين ولا على هذه الأمة، وعلى الأول في عموم ما لم يؤت فيفيد تخصيصهم بتلك المعجزات لا تفضيلهم على كل أحد .

﴿ يٰقَومِ ادْخُلُوْا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾أرض بيت المقدسميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومسكن المؤمنين . وقيل: الطور وماحوله .وقيل: دمشق وفلسطين و بعض الأردن .وقيل الشام .﴿ الَّتِي كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ ﴾ قسمها لكم اوكتب في اللوح أنها تكون مسكناً لكم . ولكن إن آمنتم وأطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا﴿فإنها محرمة عليهم﴾(٥. المائدة :٢٦) .﴿ وَلَا تَرْتَدُّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ ﴾ ولا ترجعوا مدبرين خوفاً من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا: ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأساً ينصرف بنا الى مصر. او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على اللّٰه سبحانه وتعالى .﴿ فَتَنْقَلِبُوْا خٰسِرِيْنَ[٢١]﴾ ثواب الدارين . ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب ﴿ قَالُوْا يٰمُوْسٰى إِنَّ فِيْهَا قَوْمًا جَبَّارِيْنَ ﴾متغلبين لا يتأتى مقاومتهم . والجبار فعال من جبره على الأمر بمعنى أجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده .﴿وَإِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا حَتّٰى يَخْرُجُوْا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوْا مِنْهَا فَإِنَّا دٰخِلُوْنَ[٢٢]﴾ إذْلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ.

﴿ قَالَ رَجُلٰنِ﴾ كالب ويوشع: ﴿مِنَ الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ﴾ أي يخافون اللّٰه سبحانه وتعالى ويتقونه . وقيل كان رجلان من الجبابرة أسلما وسار الى موسى عليه الصلاة والسلام . فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف أي من الذين يخافهم بنو اسرائيل . ويشهد له أنه قرئ الذين يخافون بالضم أي المخوفين . وعلى

قوله: لأنها كانت قرار الأنبياء عليهم السلام: ومسكن المؤمنين فتكون مطهرة من الشرك، وفلسطين من الشام، والأردن إسم نهروكورة بالشام .

قوله: قسمها لكم:بأن جعلها وسماها لكم .

قوله: أو كتب في اللوح: المحفوظ فيكون كتب على حقيقته بخلافه في الأول .

قوله: رأسا: أي ملكا .

قوله: ثواب الدارين:أي ثواب الدنيا والآخرة كما في الكشاف على الثاني .

قوله: ويجوز في ﴿فتنقلبوا﴾ الجزم على العطف والنصب على الجواب:أي يجوزالجزم في "فتنقلبوا" على أنه معطوف على ترتد وا، أي لا ترتدواو لا تنقلبوا خاسرين فيكون الجزم بسقوط النون أوعلى أنه جواب النهي أي لا ترتدوا فتكون منقلبين خاسرين فيكون النصب بسقوط النون .

قوله: ويشهد له إن قرئ الذين يخافون بالضم. للقطع بأن المخوفين هم الجبابرة والخائفون بنو إسرائيل.

المعنى الأول يكون هذا من الإخافة أي من الذين يخوفون من الله عز وجل بالتذكير او يخوفهم الوعيد . ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالإيمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض . ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ باب قريتهم أي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الأصحار . ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم أجسامهم . ولأنهم أجسام لا قلوب فيها . ويجوز أن يكون علمهما بذلك من إخبار موسى عليه الصلاة والسلام وقوله . ﴿ كتب الله لكم ﴾ [٥. المائدة : ٢١] أو مما علما من عادة الله سبحانه وتعالى في نصرة رسله . وما عهدا من صنعه لموسى عليه الصلاة والسلام في فهر أعدائه . ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ[٢٣]﴾ أي مؤمنين به ومصدقين بوعده .

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا﴾ نفوا دخولهم على التأكيد والتابيد ﴿مَّا دَامُوا فِيهَا﴾ بدل البعض . ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ[٢٤]﴾ قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما . وقيل تقديره اذهب أنت وربك يعينك .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ قاله شكوى بثه وحزنه الى الله سبحانه وتعالى لما خالفه قومه وأيس منهم، ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون عليه السلام والرجلان المذكوران وإن كانا يوافقانه لم يتق عليهما لما كابد من تلون قومه . ويجوز أن يراد بأخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه . ويحتمل نصبه عطفًا على نفسي . او على اسم إن ورفعه عطفًا على الضمير في لا أملك . او على محل إن واسمها . وجره عند

قوله: باغتوهم: أي إيتوهم بغتة. والإصحار الخروج إلى الصحراء .

قوله: عليهم:متعلق بتعسر لا بالكر .

قوله: لا قلوب فيها: أي لا قلوب في الأجسام قوية ذات شجاعة .

قوله: وقيل تقديره اذهب أنت وربك يعينك:أي اذهب أنت وربك يعينك على القتال: ولاإعانة لك من جهتنا إذلاطاقة لنا عليه. فقاتلا لا نقاتل معك ولا نعينك. وقال صاحب الكشاف: إنما قالوا ذلك لجهلهم وجفائهم وقساوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله جهرة .

قوله: شكوى بثه: يعني ليس القصد إلى الإخبار بل إظهار بثه وحزنه. والبث في الأصل بمعنى الإظهار ثم يستعمل بمعنى الحزن.

الكوفيين عطفًا على الضمير في نفسي. ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَسِقِيْنَ[٢٥]﴾ بأن تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه .أو بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ فإن الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم . ﴿أَرْبَعِيْنَ سَنَةً يَتِيْهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ عامل الظرف إما محرمة فيكون التحريم موقتًا غير مؤكد فلا يخالف ظاهر قوله﴿التي كتب الله لكم﴾ [٥. المائدة: ٢١] ويؤيد ذلك ما روي: أن موسى عليه الصلاة والسلام سار بعده بمن بقي من بني اسرائيل بفتح أريحاء، وأقام بها ما شاء الله ثم قبض وقيل: إنه قبض في التيه ولما احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده نبي وأن الله سبحانه وتعالى أمره بقتال الجبابرة، فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل . وإما يتيهون أي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقاً فيكون التحريم مطلقًا . وقد قيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها، بل هلكوا في التيه . وإنما قاتل الجبابرة أولادهم . روي: أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء . فإاهم بحيث ارتحلوا عنه . وكان الغمام يظلهم من الشمس عمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم . وكان طعامهم المن والسلوى وماؤ هم من الحجر الذي يحملونه . والأكثر على أن موسى وهارون كانا معهم في التيه إلا أنه كان ذلك روحًا لهما وزيادة في درجتهما، وعقوبة لهم، وأنهما ماتا فيه مات هارون، وموسى بعده بسنة . ثم دخل يوشع أريحاء بعد ثلاثة أشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع . ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَسِقِيْنَ[٢٦]﴾ خاطب به موسى عليه الصلاة والسلام لما ندم على الدعاء عليهم وبين أنهم أحقاء بذلك لفسقهم .

قوله: بأن تحكم الخ. فعلى هذا قوله: فافرق في معنى الدعاء عليهم .

قوله: عامل الظرف:أي أربعين سنة .

قوله: فلا يخالف ظاهر قوله تعالى:﴿ كتب الله لكم﴾ وهو أنه غير مقيد بالجهاد وأما على خلاف ظاهره وهو أنه مقيد به فلا مخالفة أصلا .

قوله: وكان الغمام يظلهم من الشمس الخ .فإن قيل فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون .قيل كما ينزل بعض النوازل عركالهم وعليهم ومع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الأب المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه .

قوله: فلا تأس: أي لا تحزن .

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ﴾قابيل وهابيل . أوحى الله سبحانه وتعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر . فسخط منه قابيل لأن تو أمته كانت أجمل . فقال لهما آدم : قربا قرباناً فمن أيكما قُبِلَ تزوجها . فَقُبِلَ قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته . فازداد قابيل سخطاً وفعل ما فعل . وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وأنهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَائِيلَ ﴾[المائدة:٣٢] ﴿بِالْحَقِّ﴾ صفة مصدر محذوف أي تلاوة ملتبسة بالحق . أو حال من الضمير في اتل . او من نبأ أي ملتبسًا بالصدق موافقًا لما في كتب الأولين . ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ ظرف لنبأ . او حال منه او بدل على حذف مضاف أي واتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت. والقربان اسم ما يتقرب به الى الله سبحانه وتعالى من ذبيحة او غيرها. كما أن الحلوان اسم ما يحلى به : أي أعطى . وهو في الأصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره إذ قرب كل واحد منهما قربانا . قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب أردأ قمح عنده . وهابيل صاحب ضرع وقرب جملاً سميناً ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾لأنه سخط حكم الله سبحانه وتعالى ولم يخلص النية في قربانة وقصد الى أخس ما عنده . ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ تو عده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك .﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ[٢٧] ﴾ في جوابه أي إنما أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني . وفيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظًا . لا في إزالة حظه فإن ذلك مما يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن متقٍ.

قوله: أي تلاوة متلبسة بالحق: فيكون صفة مصدر محذوف .

قوله: ظرف لنبأ. أي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت فالنبأ هنا مصدر في الأصل ومثل هذا يكفي في تعلق الظرف .

قوله: كما أن الحلوان اسم لما يحلى: أي يعطى، يقال حلوت فلانا على كذا مالا إذا وهبت له شيئًا على ما فعل غير الأجرة .

قوله: وقيل تقديره إذ قرب كل واحد منهما قربانا: أي يؤول بكل واحد فلا حاجة إلى تثنية قربان .

قوله:إنما أتيت:أي عدم تقبل قربانك .

﴿لَئِنْ بَسَطتَّ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَّدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ اللّٰهَ رَبَّ الْعٰلَمِيْنَ[٢٨]﴾ قيل : كان هابيل أقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفًا من اللّٰه سبحانه وتعالى لأن الدفع لم يبح بعد . او تحرياً لا هو الأفضل قال عليه الصلاة والسلام :" كن عبد اللّٰه المقتول ولا تكن عبد اللّٰه القاتل " وإنما قال ﴿ ماأنا بباسط ﴾ في جواب ﴿ لئن بسطت﴾ لـلتبري عن هذا الفعل الشنيع رأساً . والتحرز من أن يوصف به ويطلق عليه ولذلك أكد النفي بالباء .

﴿إِنِّىٓ أُرِيْدُ أَنْ تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحٰبِ النَّارِوَذٰلِكَ جَزٰٓؤُا الظّٰلِمِيْنَ[٢٩]﴾ تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة . والمعنى إنما أستسلم لك إرادة أن تحمل إثمي لو بسطت إليك يدي، وإثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعل البادئ ما لم يعتد المظلوم . وقيل معنى بإثمي بإثم قتلي . وبإثمك الذي لم يتقبل من أجله قربانك . وكلاهما في موضع الحال أي ترجع ملتبسًا بالإثمين لهما . ولعله لم يرد معصية أخيه وشقاوته بل وقصده بهذا الكلام الى أن ذالك إن كان لا محالة واقعًا فأريد أن يكون لك لا لي . فالمراد بالذات أن لا يكون له لا أن يكون لأخيه ويجوز أن يكون المراد بالإثم عقابته وإرادة عاب العاصي جائزة .

قوله: وإنما قال ما أنا بباسط: أي إنما قال بصيغة اسم الفاعل المفيد للاتصاف بمثل هذا الفعل وإطلاق الاسم عليه ليفيد التبريء عن هذا الفعل الشنيع وأنه لا يفعل قطعا ولهذاأكد النفي بالباء وبالجملة الاسمية يعني لست متصفا بهذا الفعل وممن أطلق عليه مثل هذا الاسم فكيف يكون هذا الفعل منهيا .

قوله: والمعنى إنما استسلم لك إرادة أن تحمل. يعني إنما استسلم لاجل إرادة أن تحمل إثمي المقدر وإثمك لأنك باد ،وعلى البادي إثم كليهما مالم يتجاوزحد المساواة كما يشعر به قوله عليه السلام :المُستبّان ماقالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم. المستبّان مبتدأ،خبره الجملة الشرطية .أعني: ماقالا فعلى البادي. وقوله: مالم يعتد المظلوم.أي مادام لم يظلم ولم يتجاوز حد المساواة والمكافاة .

قوله: ولعله لم يرد معصية أخيه:أشار بذلك إلى دفع مايقال إن هابيل كان من المتقين كما يشعر به قوله تعالىٰ:﴿ إنما يتقبل اللّٰه من المتقين﴾ فكيف يريد معصية أخيه وشقاوته؟ ووجه الدفع ظاهر، وهو أن المقصود الأصلي وبالذات أن لايكون له قتل لا أن يكون لأخيه قتل.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيْهِ﴾ فسهلته له ووسعته من طاع المرتع إذا اتسع. وقرئ فطاوعت على أنه فاعل بمعنى فعل .او على أن قتل أخيه كأنه دعاها الى الإقدام عليه فطاوعته . وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله.﴿فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ[٣٠]﴾ ديناً ودنيا ، إذبقي مدة عمره مطروداً محزونا ، قيل قتل ها بيل وهو ابن عشرين سنه عند عقبة حراء،وقيل:با لبصرة فى مو ضع المسجد الأعظم (فَبَعَثَ اللّٰهُ غُرَابًا يَّبْحَثُ فِى الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِىْ سَوْءَةَ أَخِيْهِ﴾ روي أنه لما قتله تحير في أمره ولم يدر ما يصنع به إذ كان أول ميت من بني آدم . فبعث اللّٰه غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر . فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة . والضمير في ليري . للّٰه سبحانه وتعالى . او للغراب . وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى.! والمراد بسوأة أخيه جسده الميت فإنه مما يستقبح أن يرى . ﴿قَالَ يٰوَيْلَتٰىٓ﴾ كلمة جزع وتحسر والألف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أوانُك . والويل والويلة: الهلكة. ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِىَ سَوءَةَ أَخِىْ﴾ لا أهتدي إلى مثل ما اهتدى إليه . وقوله: فأواري عطف

قوله: على أنه فَاعَلَ بمعنى فَعّلَ. يعني أن المفاعلة للشركة فيقتضي أن يكون المطاوعة من الجانبين وهنا ليس كذلك. فإما أن يقال إن فاعل جاء هنا بمعنى فَعَّلَ، أو يؤول بأن نفسه دعا إلى قتل أخيه فطاوعها وكذلك دعا القتل نفسه إليه فطاوعته ولم يمتنع عنه ولما كان الأول ظاهرا لم يتعرض له.

قوله: وله لزيادة الربط :أي على هذا الوجه لأن "طاوعت" لا يستعمل باللام يقال طاوعته بخلاف الوجه الأول وهو أنه بمعنى طوعت لأن اللام من صلة طوعت وهو مثل قوله تعالىٰ:﴿ ألم نشرح لك صدرك﴾ .

قوله: والجملة ثاني مفعول يري: فيُرِيَه بمعنى يُعْلِمه.

قوله: والمراد بسوأة أخيه جسده .قال صاحب الكشاف سوأة أخيه: عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده، والمصنف عدل عنه؛ لأن المقصود مواراة الجسد كله لا مواراه العورة وحدها .

قوله: أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب: أي ما عجزت من أن أكون مثل هذا الغراب فأهتدي كما اهتدى هو فالاستفهام للإنكار لعدم الاهتداء .

علـى أكـو ن وليـس جـواب الاستـفهـا م إذ ليـس الـمعنى ههنا لو عجزت لو اريت ، وقرئ بـالسـكو ن عـلـى فـأنا أواري أوعـلـى تسـكيـن الـمـنـصوب تخفيفًـا . ﴿فَـأَصْبَـحَ مِنَ الـنّٰـدِمِيْـنَ[٣١]﴾ عـلـى قتله لما كابد فيه من التحير في أمره وحمله على رقبة سنة او أكثر عـلـى مـا قيـل . وتـلـمـذه للغراب واسوداد لونه وتبري أبويه منه . إذ روي أنه لما قتله اسود جسـده فسـألـه آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلًا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من أ جله .

﴿مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلٰى بَنِيٓ إِسْرَآئِيلَ﴾ بسببه قضينا عليهم . وأجل في الأصل مـصـدر أجـل شراً إذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم . من جراك فعلته . أي من أن جـررتـه أي جـنيتـه ثـم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل . ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا أي ابتـدا الـكتـب ونشـؤه مـن أجل ذلك . ﴿أَنَّهٗ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي بغير قتل نفس يـوجـب الاقتـصـاص . ﴿أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ﴾ أو بغير فساد فيها كالشرك او قطع الطريق . ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيْعًا﴾ من حيث أنه هتك حرمة الدماء وسن القتل . وجرأ الناس عـليـه . أو مـن حيـث أن قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استجلاب غضب اللّٰه سبحانه وتـعـالـى والعذاب العظيم . ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيْعًا﴾ أي و من تسبب لبقاء

قـولـه: على فأنا أواري: ووجهه أن الاستفهام للإنكار بمعنى النفي والفاء في موقع الجزاء ولا بد من تقدير المبتدأ لأن جواب النفي بالفاء منصوب .

قوله: أو على تسكين المنصوب تخفيفاً: يعني أنه منصوب معطوف على أكون إلا أنه سكن للتخفيف .

قـولـه: كتبـنا على بني إسرائيل:قيل إنما ذكر بني إسرائيل دون الناس لأن الكتاب نـزل عـليهـم وكـانـت التوراة أول كتاب نزل فيه تعظيم القتل، وقيل: في تخصيص ذكرهم دون الناس إيذان بأنهم أشد تماديا في الطغيان .

قـولـه: من حيث إنه هتك حرمة الدماء الخ . إنما كان قتل واحد مثل قتل الجميع؛ لأن قتـل واحـد وقتـل جـميع الناس هتك حرمة اللّٰه التي هي أكرم وأعظم على اللّٰه سواء لا يـفـضـل أحدهما على الآخر ولأنه سن القتل وجرّأ ه عليه فكأنه قتل الآخر وليس المقصود أن عـليـه إثـم قتـل جـميـع الـنـاس وثواب إحياء جميع الناس، بل المقصود جعل أمرا لقتل والإحياء عظيما في القلوب ليكفوا عن الأول ويرغبوا في الثاني .

حيـاتها بعفو أو منع عن القتل. أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جـميـعًـا . والـمـقـصـود مـنه تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ترهيبًا عن التعرض لها وتـرغيبًـا في المحاماة عليها . ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِى الْأَرْضِ لَـمُسْـرِفُونَ[٣٢]﴾ أي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل أمثال تلك الـجناية . وأرسلنا إليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدًا للأمر وتجديداً للعهد كي يتحاموا عـنها وكثير منهم يسرفون في الأرض بالقتل ولا يبالون به . وبهذا اتـصلت القصة بما قبلها والإسراف التباعد عن حد الاعتدال في الأمر . ﴿إِنَّـمَآ جَزٰٓؤُا الَّذِيْنَ يُحَارِبُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهٗ﴾ أي يـحاربون أولياء هما وهم المسلمون . جعل محاربتهم محاربتهما تعظيمًا . وأصل الحرب السلـب والـمـراد بـه ههـنـا قـطـع الـطـريـق . وقيل المكابرة باللصوصية وإن كانت في مصر ﴿وَيَسْـعَـونَ فِـىْ الْأَرْضِ فَسَـادًا﴾أي مـفسـديـن . ويجوز نصبه على العلة أو المصدر؛لأن سـعيهـم كـان فسـاداً فكأنه قيل: ويفسدون في الأرض فساداً ﴿أَنْ يُقَتَّلُوٓا﴾ أي قصاصًا من غيـر صـلـب إن أفـردوا الـقتـل ﴿أَوْ يُـصَلَّبُوٓا ﴾ أي يصلبوا مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال . ولـلـفـقـهـاء خـلاف فـي أنـه يقتل ويصلب أو يصلب حيًا ويترك او يطعن حتى يموت .﴿أَوْ تُـقَـطَّـعَ أَيْـدِيْهِـمْ وَ أَرْجُـلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ﴾ تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى إن أخذوا المال ولم يقتلوا. ﴿أَوْ يُنْفَوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ينفوا من بلد إلى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار فـي مـوضع إن اقتصروا على الإخافة . وفسر أبو حنيفة النفي بالحسن . وأو في الآية على هذا لـلتـفـصيـل . وقيل: إنه للتخيير والإمام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق . ﴿ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدُّنْيَا﴾ ذل وفضيحة . ﴿وَلَهُمْ فِى الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْم[٣٣]﴾ لعظم ذنوبهم .

﴿ إِلَّا الَّـذِيْنَ تَابُوْا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوْا عَلَيْهِمْ﴾ استثـناء مخصوص بما هو حق اللّٰه سبـحـانه وتعالى ويـدل عـليـه قـولـه تعالىٰ ﴿ فَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَّحِيْمٌ[٣٤]﴾ أما القتل قـصـاصًـا فإلى الأولياء يسقط باتوبة وجوبه لا جوازه ، وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل عـلى أنها بعد القدرة لا تسقط الحد وإن أسقطت العذاب ، وأن الآية في قطاع المسلمين؛ لأن توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها.

قوله:وبهذا :أي بما ذكرنا من التفسير وهو قوله: أي ما بعد ما كتبنا الخ.

قـولـه:استثـنـاء مـخـصوص بما هو حق اللّٰه تعالىٰ: وهو الحدود في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰه وَابْتَغُوٓا إِلَيهِ الْوَسِيْلَةَ﴾ أي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي ، من وسل الى كذا إذا تقرب إليه وفي الحديث: " الوسيلة منزلة في الجنة " ﴿وَجَٰهِدُوا فِى سَبِيْلِهِۦ﴾ بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[٣٥]﴾ بالوصول إلى اللّٰه سبحانه وتعالى والفوز بكرامته .

﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِى الْأَرْضِ﴾ من صنوف الأموال ﴿جَمِيْعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِۦ﴾ ليجعلوه فدية لأنفسهم . ﴿مِنْ عَذَابِ يَومِ الْقِيٰمَةِ﴾ واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو. إذ التقدير لو ثبت أن لهم ما في الأرض . وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لإجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى ﴿عوان بين ذلك﴾[البقرة:٦٨]أو لأن الواو في ومثله بمعنى مع ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ جواب ، ولو بما في حيزه خبر إن.

قوله: إما لإجرائه مجرى اسم الإشارة في نحو قوله تعالىٰ :﴿عوان بين ذلك ﴾في تأويله بالمذكور وذلك أن هذا التأويل ثبت عندهم في اسم الإشارة فأجري الضمير مجراه في ذلك .

قوله: أو لأن الوا وفي ﴿ومثله﴾ بمعنى "مع": ويكون .قوله تعالىٰ: ﴿معه﴾ للتأكيد أوللتنبيه على أن الواو بمعنى مع. وحينئذ يكون مرجع ضمير ليفتدوا به شيئًا واحدا هو ما في الأرض الموصوف بمقارنة مثله أو المجموع ويكون العامل فيالمفعول معه هو فعل المحذوف بعد "لو" أي ثبت أن لهم بمعنى لو ثبت حصول ما في الأرض جميعا لكن لا يخفى أن المصاحبة أعني ما في الأرض ليس معمولا لذلك الفعل المحذوف ولا متعلقا به من جهة المعنى بل بمعنى الحصول المستفاد من الظرف الواقع خبر أنّ أعني حصل لهم. ولا يجوز أن يجعل هو العامل في المفعول معه لأنه إذا كان العامل معنى وجاز العطف تعين العطف مثل ما لزيد وعمرو بالجر ولا يجوز عمرا بالنصب، كذا حققه العلامة التفتازاني: وأيضًا كيف يكون الخبر عاملا في إسم أن. لا يقال: إن قوله تعالىٰ:﴿ ومثله﴾ من قبيل "كل رجل وضيعته" ولهذا لم يقل إنه مفعول معه كما قاله صاحب الكشاف؛ لأنا نقول قد ذكروا أن ضابط "كل رجل وضيعته" مبتدأ عطف عليه بالواو التي بمعنى مع فقد اعتبر في مثله العطف ولهذا يقدر الخبر "مقرونان" فلا يظهر لإفراد الضمير وجه وأيضًا لوكان من قبيل" كل رجل وضيعته" يكون الخبر "مقرونان" لا لهم مع أن الظاهر المتبادر أن الخبر لهم .

والـجـملة تمثيل للزوم العذاب لهم وأنـه لا سبيـل لهم الى الخلاص منه .﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ[٣٦]﴾ تصريح بالمقصود منه ؛. وكذلك قوله:

﴿ يُرِيْدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخٰرِجِيْنَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيْمٌ[٣٧]﴾ وقرئ يخرجوا من أخرج وإنما قال ﴿وما هم بخٰرجين ﴾ بدل وما يخرجون للمبالغة .

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا﴾ جملتان عند سيبويه إذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أي حكمهما . وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط إذ المعنى: والذي سرق والتي سرقت . وقرئ بالنصب وهو المختار في أمثاله لأن الإنشاء لا يقع خبراً إلا بإضمار وتأويل . والسرقة : أخذ مال الغير في خفية . وإنما توجب القطع إذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار او ما يسا ويه لقوله عليه الصلاة

قوله: والجملة تمثيل للزوم العقاب لهم .يريد أن هذا إيراد مثال وحكم يفهم منه لزوم العذاب لهم ،لا استعارة تمثيلية: أي لم يقصد بهذاالكلام إثبات الشرطية بل انتقال الذهن منه إلى هذا المعنى. وبهذا الاعتبار يقال إنه كناية، ويحتمل الاستعارة التمثيلية بأن يقال حالهم في عدم التفصي عن العذاب بمنزلة حال من يكون له أمثال ما في الأرض تحاول بها التخلص من العذاب فلا يتقبل منه ولا يخلص .

قوله: للمبالغة: في لزوم العذاب لهم وإقامة العذاب بهم إلا على تقدير عدم إخراجهم يجوز أن يكونوا خارجين بأنفسهم .

قوله: جملتان عند سيبويه .الخ. لما كان ظاهر التركيب من قبيل الإضمار على شريطة التفسير بناء على جواز تسليط الفعل المذكور كما في قوله تعالى:﴿ وربَك فكَبِّر﴾ وكان من مواضع اختيار النصب لكون الفعل أمرا لا يقع خبرا للمبتدأ بزعم الجمهور إلا بتأويل وقد اتفق عامة القراء على قراء ة الرفع احتيج إلى إخراج الكلام عن باب الإضمار على شريطة التفسير لئلا يكون عامة القراء على غير المختار فذهب سيبويه إلى أن الكلام جملتان فلا مجال للتسليط لكون كل من الإسم والفعل في كلام مستقل. وذهب المبرد إلى أن الفاء ليست هي الفاء التي يعمل ما بعدها فيما قبلها كما ﴿وربك فكبر﴾ ليصح التسليط على ما بين ذلك في موضعه. وإنما هي فاء الجزائية ومثل هذه الفاء تمنع عمل ما بعدها فيما قبلها والأمر في مثل هذا الموقع يقع خبرا للمبتداء بلا تأويل ولا يكون من قبيل "زيد فأضربه" وذلك لكونه في الحقيقة جزاء الشرط: أيإن سرق واحد فاقطعه .

والسلام " القطع في ربع دينار فصاعداً " وللعلماء خلاف في ذلك لأحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح . والمراد بالأيدي الأيمان ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أيمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى ﴿فقد صغت قلوبكم﴾[٦٦. التحريم:٤] اكتفاء بتثنية المضاف اليه . واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى أن المقطع هو المنكب . والجمهور على أنه الرسغ لأنه عليه الصلاة والسلام أتي بسارق فأمر بقطع يمينه منه .﴿جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللّٰهِ﴾ منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا ﴿وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ[٣٨]﴾

﴿فَمَنْ تَابَ﴾ من السراق ﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ أي بعد سرقته ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أمره بالتقضي عن التبعات والعزم على أن لا يعود إليها. ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَّحِيْمٌ[٣٩]﴾ يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة . وأما القطع فلا يسقط بها عند الأكثرين لأن فيه حق المسروق منه .

قوله: وللعلماء خلاف في ذلك: فعند أبي حنيفة رحمة الله تعالىٰ عليه الذي يجب به القطع عشرة دراهم، وعند الشافعي ومالك رحمة الله تعالىٰ عليهما ربع دينار، وعن الحسن درهم .

قوله: اكتفاء بتثنية المضاف إليه: عن تثنية المضاف احترازا عن تكرار التثنية إذ من المعلوم أن لايكون للسارقين أيمانا بل يمينان .

قوله: منصوبا ن على المفعول له: قال العلامة التفتازاني: ترك العطف إشعارا بأن القطع للجزاء والقطع على قصد الجزاء للنكال انتهى. وحاصله أن الجزاء علة للقطع. والنكال علة للقطع المقيد بقصد الجزاء فلا يكون هذا من مواضع العطف وإنما يكون منها لوكان كل علة لنفس القطع، وقيل: الجزاء إشارة إلى أن فيه حق العبد والنكال إشارة إلى أن فيه حق الله انتهى. فعلى هذا يكون من قبيل تعدد العلة فينبغي أن يذكر بالواو كما في تعدد العلة.

قوله: ودل على فعلهما فاقطعوا:أي على تقدير المصدردل على فعلي الجزاء والنكال فاقطعوا لأن القطع جزاء السرقة من حيث حق العبد، ونكال من الله من حيث إنه حد فيدل على فعل الجزاء والنكال فالتقدير جوزي جزاء بما كسبا ونكل نكالا من الله .

قوله: بالتقضي عن التبعات: بأن يرد المسروق وهو جمع تبعة وكل حق بصاحبه المطالبة بها وإنما سمي بالتبعة لأن صاحب الحق يتبع الجاني ويطالبه .

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ او لكل أحد . ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ[٤٠]﴾ قدم التعذيب على المغفرة آتياً على ترتيب ما سبق أو لأن استحقاق التعذيب مقدم او لأن المراد به القطع وهو في الدنيا.

﴿ يٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِيْنَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْرِ﴾ أي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعًا أي في إظهاره إذا وجدوا منه فرصة ﴿مِنَ الَّذِيْنَ قَالُوٓا اٰمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل الحال والعطف. ﴿وَمِنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا﴾ عطف على من الذين قالوا.﴿سَمّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ خبر محذوف أي هم سماعون . والضمير للفريقين . او للذين يسارعون ويجوز أن يكون مبتدأ ومن الذين خبره أي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب . إما مزيده للتأكيد او لتضمين السماع معنى القبول أي : قابلون لما تفتريه الاحبار . او للعلة والمفعول محذوف أي: سماعون كلامك ليكذبوا عليك به .﴿سَمّٰعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِيْنَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبراً وإفراطًا في البغضاء . والمعنى على الوجهين أي مصغون لهم قابلون كلامهم . او سماعون منك لأجلهم والإنهاء إليهم . ويجوز أن تتعلق اللام بالكذب لأن سماعون الثاني مكرر للتأكيد أي: سماعون ليكذبوا لقوم آخرين . ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه اللّٰه

قوله: آتيا على ترتيب ما سبق. فإنه قدم فيما سبق ذكر السرقة على التوبة .

قوله: أي في إظهاره .لأن كفرا لمنافق ثابت وإنما المسارعة إلى إظهاره، ثم أن ذلك إنما يكون لظهور الآثار لا بالأخبار وإلا لم يكن منافقا.

قوله: لا بآمنا:لفساده لفظا ومعنى.أمالفظا فلان المناسب حينئذ بأفواهنا. وأما معنى فلأنّ المنافق لا يقول آمنا بأفواهنا وإنما يقول آمنا فقط.

قوله: ليكذبوا عليك به:بأن يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل .

قوله: والمعنى على الوجهين: أي المعنى على تضمين معنى القبول مصغون لهم وقابلون كلامهم فعلي هذا يكون اللام للصلة، وعلى التعليل سماعون منك لأجلهم وللإيصال إليهم.

فيها.إما لفظًا: بإهماله او تغيير وضعه . وإما معنى : بحمله على غير المراد وإجرائه في غير مورده . والجملة صفة أخرى لقوم او صفة لسماعون أو حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له . او في موضع الرفع خبرًا لمحذوف أي هم يحرفون وكذلك. ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ أي إن أوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به . ﴿وَإِنْ لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم محمد بخلافه . ﴿فَاحْذَرُوا﴾ أي احذروا قبول ما أفتاكم به . روي أن شريفاً من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما . فأرسلوهما مع رهط منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ عنه وقالوا: إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا . فأمرهم بالرجم فأبوا عنه . فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم . وقال له: أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ، ورفع فوقكم الطور، وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن؟ قال: نعم . فوثبوا عليه فقال: خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب . فأمر رسول الله ﷺ بالزانيين فرجما عند باب المسجد ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ ضلالته أو فضيحته . ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ فلن تستطيع له من الله شيئًا في دفعها . ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة.﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هوان بالجزية والخوف من المؤمنين .﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ[٤١]﴾ وهو الخلود في النار . والضمير للذين هادوا إن استأنفت بقوله ومن الذين وإلا فللفريقين .

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرره للتأكيد.﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ أي الحرام كالرشى من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة . وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب في المواضع الثلاثة بضمتين وهما لغتان كالعُنْق والعُنُق. وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر .

قوله: بإهماله: وذلك أنه كانت له مواضع يكون فيها فحرفوه و تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد أن كان له مواضع .

قوله: فجعل ابن صور يا حَكَمًا:أي جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن صوريا حكما وذلك أنه قال له جبرئيل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا أمردأبيض أعور يسكن فِدَك يقال له ابن صوريا ؟قالوا :نعم. وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حكما وقال أنشدك .الخ.

قوله: وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر: بمعنى المسحوت كالأكل بمعنى المأكول

﴿فَإِنْ جَآءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ تخيير لرسول الله ﷺ . إذاتحاكموا إليه بين الحكم والإعراض ولهذا قيل : لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم . وهو قول للشافعي والأصح وجوبه إذا كان المترافعان أو أحدهما ذمياً لأنا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم . والآية ليست في أهل الذمة . وعند أبي حنيفة يجب مطلقا . ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ بأن يعادوك لإعراضك عنهم فإن الله سبحانه وتعالى يعصمك من الناس. ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل الذي أمر الله به .﴿ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ[٤٢]﴾ فيحفظهم ويعظم شأنهم .

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُوْنَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوراةُ فِيْهَا حُكْمُ اللّٰهِ﴾ تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به . والحال أن الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم . وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع . وإنما طلبوا به ما يكون أهون عليهم وإن لم يكن حكم الله تعالى في زعمهم . ﴿فيها حكم الله﴾ حال من التوراة إن رفعتها بالظرف. وإن جعلتها مبتداً فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظًا كموماة ودوداة . ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾ ثم يرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم . وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب . ﴿وَمَآ

قوله: والآية ليست في أهل الذمة: فلا يكون الحكم بالوجوب مخالفا للكتاب .

قوله: وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى يجب مطلقا:سواء كان الكتابي ذميا أو غير ذمي إن تحاكموا والتخيير منسوخ بقوله تعالىٰ:﴿وأن احكم بينهم بما أنزل﴾ كما قيل فالحكم واجب .

قوله: وإن تعرض عنهم: بأن لا تحكم بينهم .

قوله: إن رفعتها بالظرف. لاعتماده على ذي الحال فلا يرد ما قيل:رفعها بالظرف ضعيف لأن الجمهور يشترطون الاعتماد .

قوله: فمن ضميرها:أي من ضمير التوراة المستكن في الظرف ليكون الحال من الفاعل .

قوله: وتأنيثهالكونها نظيرة المؤنث: يعني إنما أنث التوراة لقوله تعالىٰ:﴿ فيها حكم الله﴾ مع أنه إسم أعجمي وتاء التأنيث إنما يكون في العربي لكون نظائرها في العربي مؤنثة فأجريت مجراها كسرا ويل أجريت مجرى دنانير ومصابيح في عدم الانصراف ، والموماة المفازة والدوداة الأرجوحة يلعب بها الصبيان .

أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ[٤٣]﴾ بكتابهم لإعراضهم عنه أولًا وعمايوافقه ثانيًا . او بك وبه .

﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَا التَّوْرٰةَ فِيْهَا هُدًى﴾ يهدي الى الحق . ﴿وَّنُورٌ﴾ يكشف عما استبهم من الأحكام . ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾يعني أنبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده إن قلنا شرع لنا ما لم ينسخ . وبهذه الآية تمسك القائل به . ﴿الَّذِيْنَ أَسْلَمُوْا﴾ صفة أجريت على النبيين مدحاً لهم وتنبيهًا بشأن المسلمين . وتعريضًا باليهود وأنهم بمعزل عن دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واقتفاء هديهم . ﴿لِلَّذِيْنَ هَادُوْا﴾ متعلق بأنزل . او بيحكم أي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على أن النبيين أنبياؤهم ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة أنبيائهم ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوْامِنْ كِتٰبِ اللّٰهِ﴾ بسبب أمر الله إيابهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف . والراجع إلى ما محذوف ومن لـلتبيين ﴿وَكَانُوْا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ رقباء لا يتركون أن يغير . او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير.﴿وَلَا تَشْتَرُوْا بِآيٰتِى﴾ ولا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ هو الرشوة والجاه ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اللّٰهُ﴾ مستهيناً به منكراً له .﴿فَأُولٰٓئِكَ هُمُ

قوله: صفةأجريت على النبيين مدحالهم :يعني أنه صفة أجريت على الأنبياء لمجرد المدح لا للتوضيح بأن يكون بعض منهم أسلموا لله وانقادوا وبعضهم لم يسلموا ولم ينقادوا كما في بسم الله الرحمن الرحيم، ولتنويه شأن المسلمين المنقادين لله بأنهم على صفة الأنبياء أو للتعريض باليهود بأنهم يعزل عن دين الإسلام .

قوله:وهو يدل على أن النبيين أنبياء هم:أي أنبياء بني إسرائيل لاموسىٰ ومن بعده فلا ينتهض التمسك به للقائل بأن شرع من قبلنا شرعنا وذلك إن الذين حكموا بها للذين هادوا وإنما هم أنبياء هم لا من بعد موسىٰ على الإطلاق .

قوله: مستهينا به: يعني أن المراد أهل الكتاب كماروي عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما وإنهم مستهينين بما أنزل الله والاستهانة به يستلزم الإنكار بأنه من الله وعدم الحكم به والحكم بخلافه فهم كافرون لإنكارهم وظالمون لظلمهم على الناس.أو على التوراة بالحكم بخلافه فهم كافرون لإنكارهم وظالمون لظلمهم على الناس أو على التوراة بالحكم على خلافه وفاسقون بخروجهم عن طاعته وعدم الحكم به .

الْكَـٰفِرُونَ[٤٤]﴾ لا ستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره . ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون . فكفرهم لإنكاره . وظلمهم بالحكم على خلافه . وفسقهم بالخروج عنه .

ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت لى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها . او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لا تصالها بخطابهم، والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصارى .

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ وفرضنا على اليهود . ﴿فِيْهَآ﴾ في التوراة .﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أي أن النفس تقتل بالنفس . ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ رفعها الكسائي على أنها جمل معطوفة على أن وما في حيزها . باعتبار المعنى وكأنه قيل: وكتبنا عليهم النفس بالنفس. والعين بالعين . فان الكتابة والقراء ة تقعان على الجمل كالقول. أ وجمل مستأنفة ومعناها: وكذلك العين مفقوء ة بالعين . والأنف مجدوعة بالأنف . والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن .

قوله: ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال أنضمت الخ. فالتقدير ﴿ومن لم يحكم بما أنزل اللّٰه﴾ منكرا له﴿ فأولٰئك هم الكافرون. ومن لم يحكم بما أنزل اللّٰه﴾ غير مقتض﴿ فأولئك هم الظالمون .ومن لم يحكم بما أنزل اللّٰه﴾ مجتنبا عما شرع وأتى به النبي ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ خارجون عن طاعته، أو لطائفة كما قيل، والقائل الشعبي فهذه الصفة: أي الكافرون في المسلمين لاتصالها بخطابهم فالمخاطبون في قوله تعالىٰ: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ المسلمون والمراد بالكافرين الذين لم يحكموا بما أنزل اللّٰه المسلمون، والكفر محمول على التشديد والتغليظ .

قوله: على أنها جمل معطوفة على أن وما في حيزها باعتبار المعنى. وإنما احتيج إلى التأويل لأن العطف على المحل إنما يجوز في إن المكسورة دون المفتوحة .

قوله: فإن الكتابة: الكتابة والقراء ة يقعان على الجملة كالقول. يعني أن الجملة يحكي بعد الكتابة كما يحكي بعد القول .

قوله: أو جمل مستانفة: أي غير معطوفة وغير داخلة في حيز "كتبنا" فيكون الواو للاستيناف ولا يحتاج إلى التأويل وإنماقدره مفقوء ة ونحوه لخصوص المادةوإلا فالباء لا تدل إلاعلى مجرد المقابلة والمبادلة .

أو على أن المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس . وإنما ساغ لأنه في الأصل مفصول عنه بالطرف . والجار والمجرور حال مبينة للمعنى . وقرأ نافع والأذن بالأذن وفي أذنيه بإسكام الذال حيث وقع .﴿وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أي ذات قصاص. وقرأة الكسائي أيضًا بالرفع ووافقه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر على أنه إجمال للحكم بعد التفصيل .

﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ﴾ من المستحقين . ﴿بِهِ﴾ بالقصاص أي فمن عفا عنه . ﴿فَهُوَ﴾ فالتصدق.﴿كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ للمتصدق يكفر الله به ذنوبه . وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه . وقرئ فهو كفارته له أي فالمتصدق كفارة التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اللّٰهُ﴾ من القصاص وغيره .﴿فَأُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُونَ[٤٥]﴾

﴿وَقَفَّيْنَا عَلٰٓى اٰثَارِهِمْ﴾ أي وأتبعناهم على آثارهم . فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه . والضمير للنبيون . ﴿بِعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء . ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوراٰةِ وَآتَيْنٰهُ الْاِنْجِيْلَ﴾ وقرئ بفتح الهمزة . ﴿فِيْهِ هُدًى وَّ نُوْرٌ﴾ في موضع النصب بالحال . ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوراٰةِ﴾ عطف عليه وكذا قوله : ﴿وَهُدًى وَّمُوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِيْنَ[٤٦]﴾

قوله: أو على أن المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله تعالىٰ: ﴿بالنفس﴾ والمعنى أن النفس مقتصّة بالنفس وأن العين منها مقتصة بالعين وعلى هذا وإنما ساغ العطف على المرفوع المتصل بدون التأكيد بالمنفصل لوقوع الفصل بالظرف لأن الضمير كان مستقرا في المتعلق ثم انتقل إلى الظرف والأصل والعين مقفوء ة هي بالعين .

قوله: والجار والمجرور في "فيها" حال مبينة للمعنى:وذلك أن معنى العين مقفوء ة بالعين يقفوء قصاصا وهو مبين بقوله: بالعين بناء على أن الباء للمقابلة .

قوله: على أنه إجمال للحكم بعد التفصيل:يعني على قراء ةالكسائي أنه إجمال وفذلكة للحكم بعد التفصيل بخلاف قراء ة غيره فإنه داخل فيه تحت كتبنا:أي وكذلك كتبنا عليهم أن الجروح قصاص .

قوله: أي فالمتصدق كفارته التي يستحقها: لا ينقص منها شيء وإلا لم تكن حاصلة له لأن بعض الشيء لا يكون ذلك الشيء وهو تعظيم لما فعل من حيث جعله مقتضيا للاستحقاق اللائق من غير نقصان .

ويجوز نصبهما على المفعول له عطفاً على محذوف أو تعلقا به وعطف.
﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ عليه في قراءة حمزة . وعلى الأول اللام متعلقة بمحذوف أي وآتيناه ليحكم بما أنزل الله. وقرئ وأن ليحكم على أَنَّ أن موصولة بالأمر كقولك: أمرتك بأن قم أي وأمرنا بأن ليحكم . ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ[٤٧]﴾ عن حكمه . او عن الإيمان إن كان مستهينًا به . والآية تدل على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه الصلاة والسلام . وأنه كان مستقلاً بالشرع وحملها على وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراه خلاف الظاهر.
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ﴾ أي القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَٰبِ﴾ من جنس الكتب المنزلة . فاللام الأولى للعهد والثانية للجنس ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ ورقيباً

قوله: ويجوز نصبهما على المفعول له: أي يجوز نصب "هدى وموعظة" على أنهما مفعول لهما معطوفان على محذوف أي لمصالح كثيرة وللهدى والموعظة أو متعلقان بالمحذوف والتقدير وآتيناه الإنجيل للهدى والموعظة وكذا يجوز عطف ﴿وليحكم﴾ عليه في قراءة حمزة وهو فتح الميم بلام كي لأنه مفعول له وعلى الأول وهو أن يكونا حالين معطوفين على ﴿مصدقا﴾متعلق بمحذوف لئلا يلزم عطف المفعول له على الحال والتقدير وآتيناه الإنجيل ليحكم .
قوله: وقرئ "وأن ليحكم" بصيغة الأمر مع أن على أنّ"أن" موصولة صلته الأمر وهذا بناء على أنهم يسمون الحروف المصدرية موصولا حرفيا وقد جرت عادة صاحب الكشاف بتجويز صلة أن بالأمر والنهي ومعناه مصدر طلبي ولا بد له من موقع من الإعراب وهو ههنا النصب عطفا على الإنجيل كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمر بأن يحكم أهل الإنجيل . وحاصله أمرنا بأن ليحكم ولهذا قال المصنف به وهذا بخلاف المشهور من النحويين وهو أن "أن" المصدرية تدخل على الماضي والمضارع ولم يذكروا دخولها على الأمر .
قوله: والآية تدل الخ: إشارة إلى الرد على من قال: إن عيسىٰ صلوات الله تعالىٰ عليه كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام قليلة .
قوله: ﴿ومهيمنا﴾: قال أبو البقاء: أصل مهيمن مؤيمن لأنه مشتق من الأمانة؛ لأن المهيمن الشاهد وليس في الكلام همن حتى يكون الهاء أصلية .

علـى سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد له بالصحة والثبات . وقرئ على بينة المفعول أي هـو مـن عـليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله سبحانه وتعالى . او الحفاظ في كـل عـصـر .﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي بما أنزل الله إليك . ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهوَآءَ هُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ بالانحراف عنه إلـى ما يشتهونه فعن صلة للاتتبع لتـضمنه معنى لاتنحرف . أو حـال من فاعله أي لا تتبع أهواء هم مائلاً عما جاء ك .﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيهـا الـنـاس.﴿شِرْعَةً﴾ شـريعة وهي الطريق الى الماء شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية ، وقرئ بفتح الشين . ﴿وَمِنْهَاجاً﴾ وطريقاً واضحاً في الدين من نهج الأمر إذا وضح . واستـدل بـه عـلـى أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة . ﴿وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَّاحِدَةً﴾ جـمـاعة متـفـقة عـلـى دين واحد في جميع الأعصار من غير نسخ وتـحـويل . ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب . وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم عـلـى الإسـلام لأجبر كـم عـليـه . ﴿وَلَـٰكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ اٰتٰكُمْ ﴾ من الشرائع المختلفة الـمـنـاسبة لـكـل عـصر وقرن . هل تعلمون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى الـحـكـمة الإلهية. أم تـزيـغـون عـن الـحـق وتـفـرِّطـون فـي العمل .﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرٰتِ﴾ فـابتـدروهـا انتهـازاً لـلـفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم . ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيْعًا﴾ استئناف فيه تعليل الأمر بالاستباق ووعدووعيد للمبادرين والمقصرين .

قـولـه: لتـضـمـنـه مـعنى لا تنحرف:وذلك بأن أوقع الفعل المضمن فيه حالاوأقيم المضمن مقامه أي لاتنحرف عما جاء ك متبعا أهواء هم أو بالعكس أو بغير ذلك مثل أحمد إليك فلانا أي أنهِي حمده لأن المقصود اعتبار معنى الفعلين كيف ماناسب المقام .

قـولـه: وقـرئ بـفتـح الشيـن: أي شـرعة فيكون مصد را للمرة بمعنى المفعول أي طريقا ودينا مشروعا.

قـولـه: واستـدل بـه عـلـى أنـا غيـر متـعبـديـن بالشرائع المتقدمة :وجه الدلالة أن الخطاب يعم الأمم ومعنى لكل أمة لا لكل أحد من أفراد الأمة فيكون لكل أمة دين تخصه ولو كان متعبدابشريعة أخرى لم يكن ذلك الاختصاص وأجيب بعد تسليم دلالة اللام على الاختـصـاص الـحـصري بمنع الملازمة لجواز أن يكون متعبدين بشريعة من قبلنا مع زيادة خصوصيات في ديننا بها يكون الاختصاص .

قوله: استيناف فيه تعليل الأمر بالاستباق .وطلبه ووجوبه لا لنفس الاستيناف إذ

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُونَ[٤٨]﴾ بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر .

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اللّٰهُ﴾ عطف على الكتاب:أي أنزلنا إليك الكتاب والحكم . او على الحق أي أنزلناه بالحق وبأن احكم . ويجوز أن يكون جملة بتقدير وأمرنا أن احكم . ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ هُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَآ أَنْزَلَ اللّٰهُ إِلَيْكَ﴾ أي أن يضلوك ويصرفوك عنه . وأن بصلته بدل من هم بدل الاشتمال أي احذر فتنتهم . او مفعول له أي احذرهم مخافة أن يفتنوك . روي (أن أحبار اليهود قالوا: اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه . فقالوا: يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم . إن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك . فأبي ذلك رسول الله ﷺ) فنزلت: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوا﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيْدُ اللّٰهُ أَنْ يُّصِيْبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ يعني ذنب التولي عن حكم الله سبحانه وتعالى فعبر عنه بذلك تنبيهًا على أن لهم ذنوبًا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جمتلها . وفيه دلالة على التعظيم كما في التكبير ونظيره قول لبيد.

أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضُ النُّفُوسِ حِمَامُهَا

﴿وَإِنَّ كَثِيْراً مِّنَ النَّاسِ لَفٰسِقُونَ[٤٩]﴾ لمتمرد ون في الكفر معتدون فيه .

لايترتب عليه الجزاء الذي أشير إليه بقولهم فيسئلكم بما كنتم تعملون .

قوله: والحكم .أي الحكم الأمري ومعناه الأمر بالحكم كأ مر .

قوله: قالوا اذهبوا بنا. أي قال بعضهم لبعض والباء للتعدية .

قوله:فنزلت. تصديقا لفعل الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

قوله:يعني ذنب التولي. يعني أن المراد ﴿إنما يريد الله أن يصيبهم بذنب ﴾التولي إلا أنه عبر عنه ببعض ذنوبهم لتنبيه أن لهم ذنوبا كثيرة منها مثل هذا الذنب العظيم والتعظيم كما يستفاد من التنكير يستفاد من لفظ البعض .

قوله:أو يرتبط: عطف على المجزوم ، قبله:تراك أمكنة إذا لم أرضها، فالنفي يعم الأمرين والمعنى أترك الأمكنة على تقدير انتفاء الرضا والموت جميعا، أما إذا حصل أحدهما فلا تترك .

قوله: لمتمردون في الكفر. المعتدون فيه .

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونْ﴾الذي هو الميل والمداهنة في الحكم . والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى . وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا الى رسول الله ﷺ أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهية من التفاضل بين القتلى . وقرئ برفع الحكم على أنه مبتدأ . ويبغون خبره . والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله تعالى ﴿ أهذا الذي بعث الله رسولاً ﴾[٢٥. الفرقان: ٤١] واستضعف ذلك في غير الشعر. وقرئ أفحكم الجاهلية أي يبغون حاكمًا كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون .﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَومٍ يُوقِنُونَ[٥٠]﴾أي عندهم . واللام للبيان كما في قوله تعالى ﴿ هيت لك ﴾ [١٢. يوسف:٢٣] أي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتدبرون الأمور ويتحققون

قوله: والمراد بالجاهلية الملة الجا هلية التي هي متابعة الهوى:أرادأن الجاهلية يحتمل أن يراد بها الملة الباطلة والطريق الجاهلية والحكم عام والغرض تعيير اليهود بأنهم أهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحي من الله، وأن يراد بهما قوم الجاهلية والحكم التفاضل بين القتلى في دمائهم ودياتهم والغرض التوبيخ بأنهم يريدون أن يحكم كما حكم أولئك القوم ولم يكن مفهوم الجاهلية منظورا بخلاف الوجه الأول فإنه منظورإليه فيه ولهذا أفاد التعيير دون الأول، وبه يظهر الفرق بين الوجهين.

واعترض على الوجه الأخير بأنه كانت بين قريظة والنضير دماء قبل بعثة الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فلما بعث تحاكموا إليه فقال بنو قريظة: بنو النضير إخواننا و أبونا واحد، فإن قتل بنو النضير منا قتيلا أعطونا سبعين وسقامن تمر وإن قتلنا منهم واحد أخذ وامنا مائة وأربعين وسقا. وأروش جناياتنا على النصف من أروش جراحاتهم فاقض بيننا فحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتسوية بينهم فلم يرض بنو النضير. فقوله:"إن قريظة والنضير طلبوا الحكم بالتفاضل" غيرمستقيم لأن قريظة لم يطلبوا التفاضل بل التسوية. وأجيب بأنهم إذا طلبوا ذلك فبنو النضير أولى، ألاترى إلى قوله فلم يرض بنو النضير بالتسوية، بل الطلب بالحقيقة فيهم وإنما قريظة مذعنون منقادون لذلك.

قوله: واللام للبيان. يعني أن اللام ليس صلة للحكم لأن ذلك الحكم لقريظة على النضير لا لأهل الإيمان ولأن جنس حكم الله لا يخص قوما دون قوم بل اللام للبيان يعني هذا الكلام وهو ﴿من أحسن من الله حكما ﴾أي القاء ه لقوم يوقنون لأنهم الذين يتدبرون

الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكمًا من الله سبحانه وتعالى .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصٰرىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الأحباب ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ إيماء على علة النهي . أي فإنهم منفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضًا لاتحادهم في الدين وإجماعهم على مضادتكم . ﴿وَمَنْ يَّتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي ومن والاهم منكم فإنه من جملتهم ، وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة والسلام : لا تتراء ى ناراهما ، او لأن الموالى لهم كانوا منافقين ، ﴿إِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ[٥١]﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة أعدائهم .

﴿فَتَرَى الَّذِيْنَ فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ يعني ابن أبي وأضرابه . ﴿يُّسَارِعُونَ فِيْهِمْ﴾ أي في موالاتهم ومعاونتهم . ﴿يَقُوْلُونَ نَخْشٰى أَنْ تُصِيْبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ يعتذرون بأنهم يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار . روي أن عبادة بن

الأمور ويتحققون الأشياء بأنظارهم فيعرفون أن لا أحد أعدل وأحسن من الله حكما كاللام في ﴿هيت لك﴾ إذ لا معنى لصلته بهيت لأن هيت بمعنى هلم وفيه ضمير الخطاب وإنما هو للبيان يعني أن هذا الكلام والخطاب لك فلا تأنّ.

قوله: لاتحادهم في الدين :لأن الكفر ملة واحدة.

قوله: ومن والاهم منكم: يعني يحتمل أن يكون المراد من قوله تعالىٰ:﴿ومن يتولهم من المؤمنين﴾ والكلام محمول على التشديد، ويحتمل أن يكون المنافقين أي﴿ومن يتولهم منكم﴾ وهم المنافقون فإنهم من جملة الكافرين وهذا معنى قوله: وأن الموالي لهم كانوا منافقين

قوله: لاتتراء ي ناراهما: ذكر في الفائق أن قوما من أهل مكة أسلموا وكانوا مقيمين بها قبل الفتح فقال عليه السلام :أنا بريء من كل مسلم مع مشرك .فقيل :لم يا رسول الله؟ قال لا تتراء ي نارا هما .أي يجب أن يتباعدا بحيث إذاأو قدت نارا هما لم تلمح إحدا هما الأخري، وإسناد التراء ي إلى النار مجاز كما يقال دور فلا ن تتناظروا ذلك أن المسلم من حزب الله والمشرك من حزب الشيطان .

قوله: ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار: حيث يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم لقتالهم .

قوله: دائرة من دوائر الزمان. أي صرف من صروفه والدولة العقبة، والنوبة يستعمل في الخير والشر وإن غلب عرفا في الخير .

الصامت رضي الله تعالى عنه قال لرسول الله ﷺ : إن لي موالي من اليهود كثيرًا عددهم . وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله . فقال ابن أبي : إني رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية موالي فنزلت: ﴿ فَعَسَى اللّٰهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ لرسول الله ﷺ على أعدائه و إظهار المسلمين.﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ يقطع شأفة اليهود من القتل والإجلاء . أ و الأمر بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم .﴿فَيُصْبِحُوا﴾ أي هؤلاء المنافقين .﴿عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نٰدِمِيْن[٥٢]﴾ على ما استبطنوه من الكفر والشك في أمر الرسول ﷺ . فضلًا عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم .

﴿ وَيَقُولُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا﴾ بالرفع قراء ة عاصم وحمزة والكسائي على أنه كلام مبتدأ ويؤيده قراء ة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعًا بغير او على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ . وبالنصب قراء ة أبي عمرو ويعقوب عطفًا على أن يأتي باعتبار المعنى . وكأنه قال: عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا.أو بجعله بدلًا من اسم الله تعالى داخلًا في اسم عسى مغنيًا عن الخبر بما تضمنه من الحدث . او على الفتح بمعنى عسى الله أن يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به . ﴿أَهٰٓؤُلَآءِ

قوله: عطفا على أن يأتي باعتبار المعنى:وذلك أن معنى 'عسى اللهأن يأتي بالفتح ومعنى "عسى أن يأتى الله" واحد فكأنه قال عسى أن يأتي الله بالفتح وأن يقول الذين آمنوا، وإنما احتيج إلى اعتبار المعنى لئلا يشكل بأنه كيف يجوز العطف على أن يأتى الذي هو خبر عسى، والمعطوف في حكم المعطوف عليه فيفتقر إلى ضمير ير جع إلى اسم عسى ولا ضمير في ﴿ويقول الذين آمنوا﴾.

قوله: أوبجعله:أي بجعل "أن يأتي" بدلا من إسم الله داخلا في إسم عسى ولا حاجة إلى الخبر كما في 'عسى أن يخرج زيد' وحينئذ لا يشكل عطف "يقول" أيضًا لأنه داخل أيضا فياسم عسى وليس هو خبر عسى حتى يجب فيه الضمير فقوله" بجعله" عطف على قوله باعتبار المعنى.

قوله: فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به: يعني أن الله تعالى إنما يأتي بالفتح لا بقول المومنين، والمومنون يقولون عند ذلك والفتح يوجب ذلك القول فكأنه تعالى يأتي بالقول أيضا.

الَّذِيْنَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ يقول المؤمنين بعضهم لبعض لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم . ﴿وإن قتلتم لننصرنكم﴾[٥٩. الحشر: ١١] وجهد الأيمان أغلظها . وهو في الأصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجهدون جهد أيمانهم . فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لأنه بمعنى اقسموا . ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خٰسِرِيْنَ[٥٣]﴾ إما من جملة المقول أو من قول الله سبحانه وتعالى شهادة لهم بحبوط أعمالهم . وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم .

﴿يٰأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهِ﴾ قراء ة على الأصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الإمام. والباقون بالإدغام وهذا من الكائنات التي أخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها . وقد ارتد من العرب في أواخر عهد رسول الله ﷺ ثلاث فرق : بنو مدلج وكان رئيسهم ذا الحمار الأسود العنسي . تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله ﷺ من غدها وأخبر الرسول ﷺ في تلك الليلة فسرّ المسلمون وأتى الخبر في أواخر ربيع الأول . وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله ﷺ : من مسيلمة رسول الله إلى محمد صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أما بعد: فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك . فأجاب من محمد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . فحاربه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بجند من المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة . وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ

قوله: على تقدير"وأ قسموا بالله يجهدون جهدإيمانهم":فالحال في الحقيقة هو يجهدون ولذلك ساغ كون جهد معرفة .

قوله:أو على المصدر:أي المفعول المطلق لأنه بمعنى أقسموا لأن معناه أغلظ القسم .

قوله: ذوالحمار: بالحاء المهملة كان له حمار يقول له قِفْ فَيَقِفُ وسِرْ فَيَسِير وكان يبني بعض الأمور على الحمار وكان بعض الناس يتعطرون بروث حمار وقيل يعقدون روثه بخمر هن فسمي ذو الخمار بالخاء المعجمة والعنسي بفتح العين وسكون النون منسوب إلى عنس وهو يزيد بن مدجح بن ادد بن زيد .

قوله: وقتله الوحشي قاتل حمزة: وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام، أراد في جاهليتي وإسلامي .

فبعث اليه رسول الله ﷺ خالداً فهرب بعد القتال الى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه . وفي عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصن . وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد يا ليل . وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة . وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة . وكندة قوم الأشعث بن قيس . وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يده . وفي إمارة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر و سار الى الشام . ﴿فَسَوفَ يَأتِي اللَّهُ بِقَومٍ وَيُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قيل هم أهل اليمن لما روي" أنه عليه الصلاة والسلام أشار الى أبي موسى الأشعري وقال: هم قوم هذا) وقيل الفرس لأنه عليه الصلاة والسلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال: هذا وذووه . وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة . وثلاثة آلاف من أفناء الناس.

والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد

قوله: ياليل على وزن هابيل إسم رجل .

قوله: سجاح : كقطام بجيم ثم حاء مهملة اسم إمرأة كانت كاهنة تدعي زمانا أن الجن الذي يخبرها هو الجن الذي كان مع السطيح ثم ادعت أنه كان ملكا وادعت النبوة في بني يربوع فتبعها قوم ثم زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب.

قوله: بالبحرين: موضع من بحر المالح والعذب .

قوله: تنصر:وإنما تنصر لأنه لطم رجلا في الطواف فأراد عمر أن يقتص منه فقال أنا شريف القوم وهو وضيع فقال عمرلم يفرق الله بين الشريف والوضيع واقتص منه فسخط وتنصرو لحق بالشام.

قوله: هم أهل اليمن: أي أهل اليمن والقادسية بينه وبين كوفة خمسة عشر ميلاً، وبجيلة حي من اليمن، يقال هو من أفناء الناس إذا لم يعلم أنه ممن هو .

قوله: والراجع إلى "من" محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم:هذا مبني على أن خبر المبتدأ هو الجزاء، وأما إذا جعل خبر المبتدأ جملة الشرط فضمير"يرتد" و"دينه" راجع إلى "من" واعتبر الراجع ضمير الجمع نظرا إلى المعنى .

قوله: ومحبة الله الخ : يريد أنه لا يتصور ههنا الحالة الميلانية التي تكون في الحيوان تسمى المحبة بل لوازمها.

إرادة الهدى، والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة. محبة العباد له إرادة طاعته والتحرز عن معاصيه .﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ عاطفين عليهم متذللين لهم . جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل . واستعماله مع على إما لتضمنه معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة . ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكٰفِرِيْنَ﴾ شداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه . وقرئ بالنصب على الحال . ﴿يُجَاهِدُونَ فِى سِبِيْلِ اللّٰهِ﴾ صفة اخرى لقوم . او حال من الضمير في أعزة . ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ عطف على يجاهدون بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه . أو حال بمعنى أنهم مجاهدون حالهم خلاف حال المنافقين . فإنهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملا مة أوليائهم من اليهود فلا يعلمون شيئًا يلحقهم فيه لوم من جهتهم . واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان . ﴿ ذٰلِكَ ﴾ إشارة الى ما تقدم من الأوصاف . ﴿فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَآءُ﴾ يمنحه ويوفق له . ﴿وَاللّٰهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل .﴿عَلِيْمٌ[٥٤]﴾ بمن هو أهله .

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهٗ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا﴾ لما نهي عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها . وإنما قال وليكم الله ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله سبحانه وتعالى على الأصالة ولرسول الله ﷺ وللمؤمنين على التبع . ﴿الَّذِيْنَ يُقِيْمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ﴾ صفة للذين آمنوا فإنه جرى مجرى الاسم . أو بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح . ﴿وَهُمْ رٰكِعُونَ[٥٥]﴾ متخشعون في صلاتهم وزكاتهم . وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون . أو يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصاً على الإحسان

قوله: واستعماله مع على إما لتضمن معنى العطف :يعني أن الظاهر أن يستعمل مع اللام. قال الجوهري الذل خلاف العز، و تذلل له أي خضع، إلاأنه استعمل مع على إما لتضمن معنى العطف أو لمقابلته أعزة على الكافرين .

قوله:وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان: أي في بناء المرة وتنكير لائم مبالغتان فكأنه قيل لا يخافون شيئًا من اللؤم من أحد من اللائم وذلك أن بناء المرة يدل على الوحدة والفرد دون الجنس والفرد المبهم ينتفي بانتفاء جميع الأفراد .

قوله: صفة للذين آمنوا لأنه أجري مجري الإسم :يعني أن الموصول وصلة إلى وصف المعارف بالجمل، والوصف لا يوصف إلا إذا أجري مجرى الاسم كالمؤمن مثلا .

ومسارعة إليه .وهي نزلت في علي رضي الله تعالىٰ عنه حين سأ له سائل وهو راكع في صلاته . فطرح له خاتمه . واستدل بها الشيعة على إمامته زاعمين أن المراد بالولي المتولي للأمور والمستحق للتصرف فيها . والظاهر ما ذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضًا خلاف الظاهر وإن صح أنه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه . وعلى هذا يكون دليل على أن الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وأن صدقة التطوع تسمى زكاة .

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهٗ وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا﴾و من يتخذهم أولياء .﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْغٰلِبُونَ[٥٦]﴾ أي فإنهم هم الغالبون . ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيهًا على البرهان عليه فكأنه قيل: ومن يتول هؤلاء فهم حزب اللّٰه وحزب اللّٰه هم الغالبون وتنويهًا بذكرهم وتعظيمًا لشأنهم وتشريفًا لهم بهذا الاسم . وتعريضًا لمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان . وأصل الحزب القوم يجتمعون الأمر حَزبهم .

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا دِيْنَكُمْ هُزُوًا وَّلَعِبًا مِّنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهر الإسلام ثم نافقا. وكان رجال من المسلمين يوادونهما . وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوًا ولعبًا إيماء الى العلة وتنبيهًا على أن من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة والبغضاء . وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار على قراء ة من جره وهم أبو عمر و والكسائي ويعقوب . والكفار وإن عم أهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم . ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على أن النهي عن موالاة من ليس على الحق رأسًا سواء من كان ذادين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كأهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين . ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ﴾ بترك المناهي . ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ[٥٧]﴾ لأن الإيمان حقًا يقتضي ذلك . وقيل إن كنتم مؤمنين بوعده ووعيده .

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلٰوةِاتَّخَذُوْهَا هُزُواً وَّلَعِبًا﴾ أي اتخذوا الصلاة ،أو المناداة، وفيه دليل على أن الأذان مشروع للصلاة .روي: أن نصرانيًا بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول اللّٰه ، قال: أحرق اللّٰه الكاذب . فدخل خادمه ذات ليلة

قوله: والظاهر ما ذكرناه:وهو بمعنى الموالاة والمحبة كما يدل عليه ما قبله وهو لا يتخذ واليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ؛ لأن المراد منه الموالاة والمحبة .

بـنـار وأهله نيام فتطاير شررها في البيت فأحرقه وأهله . ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ[٥٨]﴾ فإن السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزؤ به . والعقل يمنع منه .

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ هل تنكرون منا وتعييون . يقال نقم منه كذا إذا أنكره وانتقم إذا كافأه . وقرئ تنقمون بفتح القاف وهي لغة . ﴿إِلَّآ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ الإيمان بالكتب المنزّلة كلها . ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ[٥٩]﴾ عطف على أن آمنا وكأن المستثنى لازم الأمرين وهو المخالفة أي : ماتنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون منه . أو كان الأصل واعتقاد أن أكثرهم فاسقون فحذف المضاف . أو على ما أي: وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثرهم فاسقون . أو على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا إلا أن آمنا لقلة إنصافكم وفسقكم . أو نصب بإضمار فعل يدل عليه هل تنقمون أي : ولا تنقمون إن أكثرهم فاسقون .أ ورفع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عند كم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الإنصاف . والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله ﷺ عمن يؤمن به فقال . ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾[البقرة :١٣٦] إلى قوله ﴿ ونحن له مسلمون﴾[٢. البقرة: ١٣٦] فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى : لا نعلم دينًا شراً من دينكم .

قوله: عطف على أن آمنا وكان المستثنى لازم الأمرين وهو المخالفة :لما كان الجمع بين إيماننا وكفركم غير ظاهرالانتظام مع قول آمنا إذ لا معنى لإنكار المخاطبين كفرهم من المتكلمين المسلمين جعله راجعا إلى اللازم الذيهو المخالفة أو حمله على حذف المضاف الذي هو الاعتقاد. وقيل دليل على أن الأذان مشروع للصلوٰة أي ثابت بنص الكتاب لا بحديث المنام وحده وهو أن عبد الله بن زيدا لأنصاري رأى الأذان في منامه لما اهتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وتفكر في أمر يجمع الناس إلى الصلوٰة ، وقال يا رسول الله إني لبين نائم ويقظان إذأ تاني آتٍ فأراني الأذان وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه رأه قبل ذلك فكتمه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قم يا بلال فانظر ما يأ مرك به عبد الله بن زيد فافعل فأذن بلا ل، الحديث .

قوله: سألوا رسول الله تعالى صلى الله عليه وآله وسلم عمن يؤمن به:أي عن الرسل الذين يؤمن الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بهم. روي أنه أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نفر من اليهود فقال: أو من بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذٰلِكَ﴾ أي من ذلك المنقوم . ﴿مَثُوبَةً عِنْدَ اللّٰهِ﴾ جزاء ثابتًا عند الله سبحانه وتعالى . والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ها هنا موضعها على طريقه قوله : تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيْعٌ

ونصبها على التمييز عن بشر . ﴿مَنْ لَّعَنَهُ اللّٰهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيْرَ﴾ بدل من بشر على حذف مضاف أي بشر من أهل ذلك من لعنه الله . أو بشر من ذلك دين من لعنه الله أو خبر محذوف أي هو من لعنه الله وهم اليهود أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات . ومسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت، وبعضهم خنا زير وهم كفار أهل ما ئدة عيسى عليه الصلاة والسلا م. وقيل كلا المسخين في أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة و مشايخهم خنازير . ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبوداً . فيكون الراجع محذوفًا أي فيهم أو بينهم . ومن قرأ وعابد الطاغوت او عبد على أنه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على أنه جمع كخدم أو أن أصله عبدة فحذف التاء للاضافة عطفه على القردة .

إبراهيم إلى قوله: ونحن له مخلصون. فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى نعلم أهل دين أقل خطاب في الدنيا والآخرة منكم، ولادينا شرا من دينكم . فنزلت ولعل ذلك لمخالفتهم عيسى ودينه لاعتقاد تأبيد دين اليهود .

قوله: على طريقة قوله: تحيةُ بَيْنِهِمُ ضَرب وَجِيُع :أي في التهكم وإن كان ما في الآية استعارة في ذكر المشبه وما في البيت تشبيها انتزع وجهه من التضاد على طريق التهكم لذكرا لطرفين بطريق حمل أحدهما على الآخر لكن على عكس قولك زيد أسد إذالتحية مشبه به والضرب مشبه .

قوله: بدل من بشر: وإنما قدم البدل على عكس ما في الكشاف لأن البدل هو المقصود بالنسبة

قوله: أو عبد: بضم الباء على أنه صفة مشبهة كفطن ويقظ، ومعناه الغلوفي العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة .

قوله: على أنه جمع: أي على أنه عبد جمع عابد كخدم جمع خادم أو على أنه مع التاء جمع عابد ككفرة جمع كافر فحذف التاء لكراهة اجتماع الزيادتين في آخر الكلمة التاء والمضاف إليه .

ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من. والمراد من الطاغوت العجل ، وقيل: الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله تعالى .﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي الملعونون ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ جعل مكانهم شراً ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم . وقيل مكاناً منصرفًا . ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَآءِ السَّبِيْلِ[٦٠]﴾ قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود. والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقاً لا بالإضافة إلى المؤمنين في الشرارة والضلالة .

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا آمَنَّا﴾ نزلت في يهود نافقوا رسول الله ﷺ أو في عامة المنافقين . ﴿وَقَدْ دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ أي يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك . والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا . وقد وإن دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح أن يقع حالاً أفادت أيضًا لما فيها من التوقع لأن أمارة النفاق كانت لائحة عليهم . وكان الرسول ﷺ يظنه ولذلك قال : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ[٦١]﴾ أي من الكفر . وفيه وعيد لهم .

﴿وَتَرَىٰ كَثِيْراً مِّنْهُمْ﴾ أي من اليهود او من المنافقين . ﴿يُسَارِعُونَ فِيْ الْإِثْمِ﴾أي الحرام وقيل الكذب لقوله ﴿عن قولهم الإثم﴾[٥. المائدة :٦٣] ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم . او مجاوزة الحد في المعاصي . وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم . ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ أي الحرام خصه بالذكر للمبالغة . ﴿ ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[٦٢]﴾ لبئس شيئًا عملوه .

قوله: والمراد بالطاغوت العجل: استعير العجل للطاغوت لكونه معبودا باطلا كالشيطان.

قوله:ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم: لكون إثبات الشرارةلمكان الشيء كناية عن إثباته له كما في قولهم :سلام على المجلس العالي. والكناية أبلغ من الصريح .

قوله: والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا .يعني أن المقصود أنهم أشد شرارة وضلالة على الإطلاق بالنسبة إلى المؤمنين وغيرهم وإن كان المؤمنون أشرارًا وضالّين في اعتقادهم لا في نفس الأمر وذلك أنهم الملعونون الممسوخون وعابدون الشيطان أي هم أشد شرارة وضلالة من الشريرين والضالين لا من غيرهم من المؤمنين .

قوله: نافقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أي يدخلون رسول الله يظهرون له الإيمان نفاقا .

قوله: لأن أمارة النفاق كانت لا ئحة عليهم :لأن التوقع لايكون إلّا عن أمارة .

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ تخصيص لعلمائهم على النهي عن ذلك فإن لولا إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ وإذا دخل المستقبل أفاد التحضيض . ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ[٦٣]﴾ أبلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث إن الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحري إجادة . ولذلك ذم به خواصهم ولأن ترك الحسنة أقبح من مواقعة المعصية ،لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديرًا بأبلغ الذم .

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجا ز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى إثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله:

جَادَ الحِمىَ بُسْطُ اليدينِ بِوَابلٍ ... شَكَرَتْ نَدَاهُ تِلَاعُهُ وَوِهَادُهُ

ونظيره من المجازات المركبة : شابت لمة الليل . وقيل معناه إنه فقير لقوله تعالى ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾[آل عمران : ١٨١]﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ دعاء عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة . أو بغل الأيدي حقيقة يغلون أسارى في الدنيا ومسحوبين الى النار في الآخرة فتكون المطابقة من

قوله: لأن النفس تلتذبها وتميل إليها: فكان له فيها نوع اضطرار بخلاف ترك النهي عن ترك الإنكار فإنه تقصير محض .

قوله: وغل اليدو بسطها مجاز عن البخل والجود: شبه حال البخيل بحال من يده مغلولة ويحتمل أن يكون كناية وهو الظاهر .

قوله: جادَ الحِمى بُسط اليدين بوابل ..بسط اليدين فاعل جاد ،والحمى مفعوله، والندى العطاء، والتلاع جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض،والوهاد جمع وهدة وهي ما اطمأن من الأرض .

قوله: دعا عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة .فيكون قوله :﴿ يد الله مغلولة﴾ مطابق له من حيث اللفظ والمعنى معا بخلاف الوجه الأخير فإنه مطابق له من حيث اللفظ وأصل المعنى لا المعنى المراد لأن المعنى المراد من قوله :﴿يد الله مغلولة﴾ الإمساك وتقتير الرزق لا حقيقة الغل كما في قوله: سبّني سب الله دابره. لأن سبني هنا بمعنى شتمني وفي الأصل بمعنى القطع وسب الله دابره: أي قطع الله أصله .

حيث اللفظ وملا حظة الأصل كقولك : سبّني سب الله دابره . ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه تعالى وإثباتًا لغاية الجود . فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيديه . وتنبيهًا على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للإكرام . ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ تأكيد لذلك أي هو مختار في إنفاقه يوسع تارة ويضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمة . لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد . ولا يجوز جعله حالاً من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولأنها مضاف إليها . ولا من اليدين إذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك . والآية نزلت في فنحاص بن عازرواء فإنه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمداً ﷺ وأشرك فيه الآخرون لأنهم رضوا بقوله .﴿ وَلَيَزِيْدَنَّ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ مَّآ أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَّكُفْرًا﴾ أي هم طاغون كافرون ويزدادون طغياناً وكفراً بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضًا من تناول الغذاء الصالح للأصحاء . ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم .﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّٰهُ﴾ كلما أرادوا حرب الرسول ﷺ وإثارة شر عليه ردهم الله سبحانه وتعالى بأن أوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم . او كلما اردوا حرب أحد غلبوا فإنهم

قوله: ثني اليد:يعني ثناه مع أنه مفرد في ﴿يد الله مغلولة ﴾.

قوله: وتنبيهاً على منح الدنيا والآخرة: يعني إحدٰهما كناية عن جود منح الدنيا والآخرى كناية عن جود منح الآخرة .

قوله: أي هو مختار في إنفاقه: يعني أن الله تعالىٰ جواد مختار في إنفاقه توسع الرزق في زمان وتضيق فيزمان آخر على مقتضى حكمته التي تقتضي ذلك لا على ما قالوا: إن الله تعالىٰ ذو مال وإن السعة والضيق يتعاقبان فكان يجود ويبسط علينا أ ولاويبخل ويقتر المال علينا ثانياً .

قوله: ولأنها مضاف إليها: ولا يجوز الحال من المضاف إليه إلا إذا كان الحال معمولا للمضاف أو جزأه أوكجزئه.

قوله: إذ لا ضمير لهما فيه: والمضارع المثبت الواقع حالا لا بد فيه من ضمير ذي الحال.

قوله:كما يزداد المريض مرضًا من تناول الغذاء الصالح للأصحاء: لعدم ملا مسته طبيعته الفاسدة .

لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي . ثم أفسدوا فسلط عليم المجوس . ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين . وللحرب صلة أوقدوا او صفة ناراً . ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد وإثارة الحروب والفتن وهتك المحارم . ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِيْنَ[٦٤]﴾ فلا يجازيهم إلا شرًا.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتٰبِ اٰمَنُوْا﴾ بمحمد ﷺ وبما جاء فيه . ﴿وَاتَّقَوْا﴾ ما عددنا من معاصيهم ونحوه . ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّاٰتِهِمْ﴾ التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها . ﴿وَلَأَدْخَلْنٰهُمْ جَنّٰتِ النَّعِيْمِ[٦٥]﴾ ولجعلنا هم داخلين فيها . وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم . وأن الإسلام يجب ما قبله . وإن جل وإن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوْا التَّوْرٰةَ وَالْإِنْجِيْلَ﴾ بإذاعة ما فيهما من نعت محمد عليه الصلاة والسلام والقيام بأحكامها . ﴿وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّنْ رَّبِّهِمْ﴾ يعني سائر الكتب المنزلة فإنما من حيث إنهم مكلفون بالإثم بها كالمنزل إليهم . او القرآن.﴿لَأَكَلُوْا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ لو سع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والأرض . أو يكثر ثمرة الأشجار وغلة الزروع . او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار . فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض بين بذلك أن ماكف عنهم بشؤم كفرهم

قوله: وفيه تنبيه على عظم معاصيهم: حيث لم يكتف في تكفير سيئاتهم بمجرد الإيمان بل ضم إليه التقوى التي هي اجتناب المعاصي أو مع الإتيان بالطاعات، كذا ذكره العلامة التفتازاني. وحاصله أنه لم يكتف في تكفير سيئاتهم بمجرد الإيمان مع أن مجرد الإيمان كاف فيه لأن الإيمان يجب جميع ماكان قبله وإن جل وكثر تنبيها على عظم معاصيهم وكثرتهم وأن من شأنها لا تكفر بدون التقوى، وقيل: لأنه ذكرهم ولم يذكر مساويهم كأنه جعلهم علما في المساوي .

قوله: بإذاعة ما فيهما: من نعت الرسول ﷺ.وحكم الرجم .

قوله: لوسع عليهم أرزاقهم :يعني أن قوله:﴿لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ عبارة عن توسعة الرزق وبركات السماء المطر وبركات الأرض الزروع والنبات لأن المطر من فوقهم والنبات والزروع من تحت أرجلهم وكذلك أثمارالأشجار والجنان البالغة الثمار أي ناضجتها فوقهم وغلة الزروع وما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم .

ومعاصيهم لا لقصور الفيض . ولو أنهم آمنوا وأقاموا ما أمروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ عادلة غير غالية ولا مقصرة . وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ .وقيل :مقتصدة متوسطة في عداوته .

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَايَعْمَلُونَ[٦٦]﴾ أي بئس ما يعملونه . وفيه معنى التعجب أي ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط في العداوة .

﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ﴾ جميع ما أنزل إليك غير مراقب أحداً ولا خائف مكروهًا . ﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ﴾ وإن لم تبلغ جميعه كما أمر تك .﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسٰلَتَهٗ﴾ فما أديت شيئًا منها . لأن كتمان بعضها يضيع ما أدي منها كترك بعض أركان الصلاة . فإن غرض الدعوة ينتقض به . أو فكأنك ما بلغت شيئًا منها كقوله ﴿فكأنما قتل الناس جميعاً﴾[المائدة:٣٢] من حيث إن كتمان البعض والكل سواء في الشفاعة واستجلاب العقاب . وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء ﴿وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ عدة وضمان من الله سبحانه وتعالى بعصمة روحه ﷺ من تعرض الأعادي وإزاحة لمعاذيره ﴿إِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكٰفِرِيْنَ[٦٧]﴾ لا يمكنهم مما يريدون بك . وعن النبي ﷺ :" بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعًا فأوحى الله تعالى إليَّ إن لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت" وعن أنس رضي الله تعالى عنه . كان رسول الله ﷺ يحرس حتى نزلت . فأخرج رأسه من قبة أدم فقال: انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس. وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما أنزل ولعل المراد به تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد . وقصد بإنزاله إطلاعهم عليه فإن من الأسرارالإلهية ما يحرم افشاؤه .

﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ لَسْتُمْ عَلٰى شَىْءٍ﴾ أي دين يعتد به ويصح أن يسمى شيئًا لأنه باطل ﴿حَتّٰى تُقِيْمُوْا التَّوْرٰاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ ومن إقامتها الإيمان

قوله: فإن غرض الدعوة ينتقض به. لأن غرض الدعوة تزكية أنفسهم والتحلي بما هو مقدر في حقهم من الماموارت حتى ينجوا من النار ويدخلوا في الجنة وذاإنما يحصل بأداء جميع المامورات والانتهاء عن جميع المنهيات .

قوله: بعصمة روحه: يعني أن المراد بالعصمة العصمة من القتل وفيه إشارة إلى دفع ما يقال: أين ضمان العصمة وقد شج وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته؟.

بمحمد ﷺ والإذعان لحكمه. فإن الكتب الالهية بأسرها آمرة بالإيمان من صدقه والمعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له، والمراد إقامة أصولها وما لم ينسخ من فروعها. ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَّكُفْراً فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ[٦٨]﴾ فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه إليهم . فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم .

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا وَالصّٰبِئُوْنَ وَالنَّصٰرىٰ﴾سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير في حيز إن والتقدير" إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك" كقوله:

فَإِنِّي وَقَيّارٌ بها لَغرِيْبُ

وَإِلاّ فَاعْلَمُواْ أَنَّا وَأَنْتُمْ بُغَاةٌ مَا بَقِيْنا فِي شِقَاق

أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك وهو كاعتراض دل به على أنه لما كا ن الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الأديان كلها يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح كان غيرهم أولى بذلك . ويجوز أن يكون والنصارى معطوفًا عليه ومن آمن خبرهما وخبر إن مقدر دل عليه ما بعده كقوله:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

ولا يجوز عطفه على محل "إن" واسمها فإنه مشروط بالفراغ من الخبر. إذ لو

قوله: ولا يجوز عطفه على محل "إن" وإسمها الخ: اعترض عليه بأنه إنما يلزم ذلك لو كان المذكور خبرا عنهما ليصير مثل إن زيدا وعمرو قائمان وأما على نية التأخير واعتبار مضي الخبر تقديرا لأن الشرط مضي الخبر لفظا أو تقديرا فيكون المذكور معمولا لأنّ فقط وخبر المعطوف محذوف كما في "إن زيدا قائم وعمر و"عطفا على محل إن وإسمها، وبالجملة ما ذكر لو تم لجرى في جميع صور مضي الخبر تقديرًا، والقول بأنه بني ذلك على ما ذكره من فائدة التقديم لا يكون دفعا لهذا الاعتراض لأن التقديم لنكتة لا يدفع ما هو الأصل من التأخير. وقد أجيب عنه بأن من آمن منهم صالح لخبرية المجموع بخلاف قائم في إن زيدا وعمروقائم. والأصل عدم التقدير فلو ارتفع الصائبون بالعطف على المحل لزم المحذور فتعين الرفع على الابتداء ولزم تقدير الخبر ونية التأخير وهو معارض بأن الصائبون للعطف على المحل بتقدير الخبرونية التأخير كما لزمكم فيحمل

عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر إن معاً فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في "هادوا" لعدم التأكيد والفصل . ولأنه يوجب كون الصابئين هوداً . وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء . وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو. ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ في محل الرفع بالابتداء وخبره﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ[٦٩]﴾ والجملة خبر إن أو خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف . أي: من آمن منهم . أو النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه . وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبأ بإبدال الهمزة ألفاً . أو من صبوت لأنهم صبوا إلى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعًا ولا عقلاً .

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ ليذكروهم وليبينوا لهم أمر دينهم . ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ[٧٠]﴾ جواب الشرط والجملة صفة رسلاً والراجع محذوف أي رسول منهم . وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف .

عليه من غير لزوم محذور. وقال العلامة التفتازاني: والحق أنه محتمل للوجهين والشان في الترجيح ، وكذا إذا أخر مثل إن زيدا قائم وعمرو ويحتمل العطف على المحل فيكون من عطف المفردات وأن من يقع با لابتداء فيكون من عطف الجمل .واعلم أن قوله محل إن واسمها مبني على مذهب صاحب الكشاف والجزولي، وردعليه بأن' إن' لو كانت مع اسمها مبتدأ والمبتدأ هو الاسم المجرد وهي مع اسمها ليست باسم بل اسما وحرفا اللهم إلا أن يقال إنهما بسبب التركيب بمنزلة اسم واحد ورأي ابن الحاجب وغيره أن المرفوع معطوف على محل اسم إن فقط لأن الاسم كان مرفوعا قبل دخول إن .

قوله:ولم يتبعوا شرعا: إذ لا كتاب لهم بخلاف أهل الكتاب وبخلاف المنافقين حيث دخلوا في دين الإسلام بحسب الظاهر.

قوله: جواب الشرط والجملة صفة رسلا .والمعنى أرسلنا إليهم رسلا كلما جاء رسول من تلك الرسل بما يخالف أهواء هم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا من تلك الرسل كذبوا وفريقا منهم يقتلون ولم يكتفوا بقتل ذلك الرسول انتقاما من جنسهم، وقيل: جوابه محذوف أي ناصبوه والجملة مستأنفة جواب سوال وهو أنهم أي شيء فعلوا برسلهم.

وإنـمـا جـيء بيـقتـلـون موضع فقتلوا على حكاية الحال الماضية استحضاراً لها واستفظاعًا للقتل وتنبيهًا على أن ذلك من دينهم ماضياً ومستقبلا ومحافظة على رؤس الأي .

﴿وَحَسِبُـوٓاْ أَلَّا تَـكُـونَ فِتْـنَةٌ﴾ أي وحسـب بنو اسرائيل أن لا يصيبهم بلاء وعذاب بـقتل الأنبياء وتكذيبهم . وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على أن أن هـي الـمـخـفـفة مـن الثـقيلة . وأصله أن لاتكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن فصار: أن لا تكون وإدخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه فـي قـلـوبهـم . وأن أو أن بما في حيزها ساد مسد مفعوليه . ﴿فَعَمُوْا﴾ عن الدين او الدلائل والهـدى .﴿وَصَـمُّـوْا﴾ عـن استـمـاع الـحـق كـما فعلوا حين عبدوا العجل.﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَـلَيْهِـمْ﴾ أي ثم تابوا فتاب الله عليهم . ﴿ثُـمَّ عَـمُوْا وَصَمُّوْا﴾ مرة أخرى .وقـرىء بالضم فيهـمـا عـلـى أن الـلـه عـماهم وصمهم أي رماهم بالعمي والصم وهو قليل .واللغة الفاشية أعـمـى وأصـم . ﴿كَثِيْـر مِّنْهُمْ﴾ بدل من الضمير . أو فاعل والواو علامة الجمع كقولهم : أكـلـونـي البـراغيـث . او خبـر مبتـدأ مـحـذوف أي الـعمى والصم كثير منهم . وقيل مبتدأ والـجـمـلة قبـلـه خبـره وهـو ضـعيف لأن تـقـديـم الـخبـر في مثله ممتنع.﴿وَاللَّهُ بَصِيْرٌ بِمَا يَعْمَلُوْنَ[٧١]﴾ فيجازيهم على وفق أعمالهم .

﴿لَـقَـدْ كَـفَـرَ الَّذِيْنَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّه هُوَ الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيْحُ يَبَنِىٓ إِسْرَآئِيْلَ اعْبُـدُوا اللَّهَ رَبِّـي وَرَبُّـكُـمْ﴾ أي إني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم ﴿إِنَّهٗ مَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ﴾ أي في عبادته او فيما يختص به من الصفات والأفعال .

قـولـه:وتـنبيهـا عـلـى أن ذلك دينهم ماضيا ومستقبلا:بمعنى أنهم إن وجدوا زمانا مستقبلا يحصل منهم هذا الفعل مستمرا .

قـولـه:وإدخـال فـعـل الحسبان :يعني إنما أدخل فعل الحسبان التي للظن على أن الـمـخـفـفة من المثقلة التي للتحقيق مع أنه يجب أن يشاكل أن في التحقيق لأن الحسبان نزل منزلة العلم لقوة الحسبان وتمكنه في قلوبهم .

قوله:ثم عموا وصموا مرة أخرى:بأن طلبوا المحال وهو رويته تعالٰى في الدنيا.

قـولـه:وقرىء بالضم فيهما: أي بالبناء للمجهول على أن يكونا متعد يين وهذه اللغة قليلة واللغة الفاشية أعمى وأصم من باب الإفعال .

﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فإنها دار الموحدين ﴿وَمَأْوٰهُ النَّارُ﴾ فإنها المعدة للمشركين ﴿وَمَا لِلظّٰلِمِيْنَ مِنْ أَنْصَارٍ[٧٢]﴾ أي وما لهم أحد ينصرهم من النار. فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً على أنهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل أن يكون من تمام كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وأن يكون من كلام اللّٰه تعالى نبه به على أنهم قالوا ذلك تعظيمًا لعيسى ﷺ . وتقربًا إليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره .

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا إِنَّ اللّٰهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أي أحد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالأقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد

قوله: كمايمنع المحرم: يعني أن هذه استعارة تبعية عن المنع.

قوله: وهو:أي﴿ وما للظالمين من أنصار﴾ وعلى تقديرأن يكون من كلام اللّٰه يكون المعنى أنهم قالوا ذلك تعظيمًا لعيسىٰ وهو معاديهم لا ينصرهم فغيره أولى بأن يعاديهم ولا ينصرهم فلا ينصرهم أحد.

قوله: وهو حكاية عما قاله النسطورية الخ.أما على قول الملكانية والنسطورية فلأن اللّٰه تعالىٰ إذا كان جوهرًا واحد ثلثةأقانيم واحد الأقانيم اله البتة .فماحل فيه الباقي يكون الها أيضًا وأما على الاتحاد فظاهر .ذكر بعض الأفاضل في تقرير الأقوال من النصارى نقلاعن الفاضل الحكيم يحيىٰ بن عيسى صاحب المنهاج في الطب كان نصرانيا وبعد ما أسلم وحسن إسلامه صنف رسالة ردا على النصارى، قال فيها: زعمت النصارى أن اللّٰه جوهر واحد ثلثة أقانيم: أقنوم الأب وأقتوم الابن وأقنوم روح القدس فإنه واحد في الجوهر مختلف الأقانيم . وقال بعضهم إنها أشخاص وذوات. وقال بعضهم إنها جواهر فإن أقنوم الأب الذات وأقنوم الابن الكلمة وهي العلم وأنها لم تزل متولدة من الأب لا على سبيل التناسل بل كتوليد ضياء الشمس من الشمس وأقنوم روح القدس هو الحياة وإنها لم تزل فائضة من الأب والابن، واختلفوا في الاتحاد فقالت اليعقوبية ـهم طائفة من النصارى ـ إنها بمعنى الممازجة كممازجة النار بالفحم .فالفحم ليست نارا خالصة ولا فحما وهذا موافق لقولهم إن اللّٰه تعالىٰ نزل من السماء واتحد مع روح القدس وصار إنسانا ومن ذلك المسيح جوهر من جوهرين وأقنوم من أقنومين. وقال بعض الأفاضل هوما قال بعضهم إن في المسيح اللاهوتية والناسوتية. والجواب عن الكل أن القول بالاتحاد والقول بالحلول

﴿وَمَامِنْ إِلٰهٍ إِلَّا إِلٰهٌ وَّاحِدٌ﴾ وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث إنه مبدئ جميع الموجودات إلا إلـه واحد ، موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة و"من" مزيدة للاستغراق ﴿وَإِنْ لَّمْ يَنْتَهُوْا عَمَّا يَقُوْلُوْنَ﴾ وإن لم يوحدوا﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ[٧٣]﴾ أي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر ،أو ليمسن الذين كفروا من النصارى ، وضعه موضع ليمسنهم تكريراً للشهادة على كفرهم وتنبيهًا على أن العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه فلذلك عقبه بقوله :

﴿أَفَلَا يَتُوْبُوْنَ إِلَى اللّٰهِ وَ يَسْتَغْفِرُوْنَهٗ﴾ أي أفلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والأقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد. ﴿وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّ حِيْمٌ[٧٤]﴾ يغفر لهم ويمنحهم من فضله إن تابوا . وفي هذا الاستفهام تعجيب من إصرارهم .

﴿مَا الْمَسِيْحُ ابنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أي ما هو إلا رسول كالرسل قبله خصه الله سبحانه وتعالى بالآيات كما خصهم بها . فإن أحيى الموتى على يده فقد أحيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه الصلاة والسلام وهو أعجب . وإن خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب .﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيْقَةٌ﴾ كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق . أو يصدقن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ﴿كَا نَا يَأْ كُلَانِ الطَّعَامَ﴾ ويفتقران إليه افتقار الحيوانات . بين أولًا أقصى ما لهما من الكمال على أنه لا

كلاهما باطل. أما الأول فلاستحالة أن يكون الشيء الواحد واجب الوجود وممكن الوجود وانقلاب أحدهما إلى الآخر. وأما الثاني فلأن الحال إما أن يحتاج إلى ما يحل فيه فيلزم أن يكون ممكنا وإلااستحال حلوله، كذا في الاعتقاد شرح العقيدة الحافظية .اعلم أن بعض هذه الأقاويل ينافي مذهبهم وهو أن الآلهة ثلثة.

قوله: أي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر:لأن كثيرا منهم تابوا عن النصرانية فعلى هذا يكون 'من' تبعيضية ولا يكون من إقامة المظهر موضع المضمر ويحتمل أن يكون المراد من النصارى وكلمة من للبيان لأنهم كلهم كفرة ويكون من إقامة المظهر موضع المضمر تكريرا للشهادة بالكفر وتنبيها على أن العذاب على من دام على الكفر .

قوله: وفي هذا الاستفهام تعجيب من إصرارهم: على هذه العقائد الزائغة البينة الزيغ لا يعتقد مثلها فكيف الإصرار عليها .

يوجب لهما الوهية لأن كثيرًا من الناس يشاركهما في مثله . ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينا في الربوبية ويقتضي أن يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة . ثم عجب لمن يدعي الربوبية لهما مع أمثال هذه الأدلة الظاهرة فقال: ﴿اُنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الاٰ يٰتِ ثُمَّ انْظُرْ اَنّٰى يُؤْفَكُوْنَ[٧٥]﴾ كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين أي إن بياننا للآيات عجب وإعراضهم عنها أعجب .

﴿ قُلْ أَ تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلَكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً﴾ يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ، وهو وإن ملك ذلك بتمليك اللّٰه سبحانه وتعالى إياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر اللّٰه تعالى به من البلايا والمصائب . وما ينفع به من الصحة والسعة وإنما قال ما نظراً الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأسًا . وتنبيهًا على أنه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الألوهية . وإنما قدم الضر لأن التحرز عنه أهم من تحري النفع ﴿وَاللّٰهُ هُوَالسَّمِيْعُ العَلِيْمُ[٧٦]﴾بالأقوال والعقائد فيجازي عليها إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر .

﴿ قُلْ يٰأَهْلَ الكِتٰبِ لَا تَغْلُوْا فِي دِيْنِكُمْ غَيْرَالحَقِّ﴾ أي غلوا باطلاً فترفعوا عيسى

قوله: من الصحة والسعة :أي صحة الأبدان وسعة الرزق فعلى هذا يكون المضار والمنافع مخصوصة وعلى الأول على عمومها .

قوله: وإنما قال ما: يعني إنما قال كلمة "ما" مع أنه لغير ذوي العلم وعيسىٰ عليه السلام من ذوي العلم نظرا إلى أنه في حد ذاته من غير ذوي العلم لأن العلم إنما يكون بإيتاء اللّٰه تعالىٰ إياه لا من ذاته كما للّٰه جل وعلا. وذلك للتوطيئة لنفي القدرة الذي أشار بقوله تعالىٰ:﴿ لا يملك لكم ضرا ولا نفعا﴾ وللتنبيه على أنه كان من ذي جنس غير ذوي العلم فيكون له حقيقة تقبل المجانسة ومن له حقيقة كذلك لا يكون إلٰها لأنه حينئذ يكون آلهة لا إلٰها واحدا .

قوله: أي غلوا باطل: احتراز عن الغلو الحق وهو كما فسره صاحب الكشاف أن يفحص عن حقائق الدين يفتش عن أباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعله المتكلمون. قال العلامة التفتازاني :قد يناقش فيه بأن الغلو المجاوزة عن الحد ولا يجاوز عنه ما لم يخرج عن الدين وما ذكر ليس خروجا عن الدين، ثم قال والأوجه أن يجعل غير الحق حالا من دينكم والمعنى إن كنتم تصرون على الباطل فلا تغلوا فيه مثل ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾.

عـليه الصلاة والسلام إلـى أن تـدعـو لـه الألـوهية . أو تضعوه فتزعموا أنه لغير رشدة وقيل الـخـطـاب لـلـنـصـارى خـاصة . ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓا أَهْوَآءَ قَومٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أسلافهم وأئـمتهـم الـذيـن قـد ضـلـوا قبـل مبـعث محمد ﷺ في شريعتهم . ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيْرًا﴾ ممن شايعهم عـلـى بـدعهـم وضلالهم . ﴿ وَضَلُّوا عَنْ سَوَآءِ السَّبِيْلِ[٧٧]﴾عن قصدالسبيل هو الاسـلام بـعـد مبعثه ﷺ لما كذبوه وبغوا عليه . وقيل الأول إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني إشارة إلى ضلالهم عما جاء به الشرع.

﴿لُعِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْ بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ عَلٰى لِسَانِ دَاوٗدَ وَعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي لعنهم الله فـي الـزبور والإنجيل على لسانهما . وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت لعنهم الله تعالى على لسان داود فمسخهم الله تعالى قردة . . وأصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فـأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ﴿ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوْا يَعْتَدُونَ[٧٨]﴾ أي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم .

﴿كَـانُـوْا لَا يَتَـنَاهَونَ عَنْ مُّنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أي لا يـنـهـي بـعـضـهم بعضًا عن معاودة منكر فعلوه . أو عن مثل منكر فعلوه . أو عن منكر أرادوا فعله وتهيؤا له . أو لا ينتهون عنه مـن قـولهـم تـناهي عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع . ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَفْعَلُونَ[٧٩]﴾ تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم .

﴿تَـرىٰ كَثِيْـراً مِّـنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿يَتَوَلَّونَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا﴾يوالون المشركون

قوله: شايعهم:أي تبعهم على التثليث صفة كثيرا .

قوله: لعنهم: قال اللهم ألعنهم واجعلهم آية .

قـولـه: أي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه الخ : هذه الوجوه لدفع ما يتـوجـه أنـه مامعنى وصف المنكر بفعلوه مع أن النهي لا يكون بعد الفعل فلا معنى للإخبار عـنهـم بأنهم كانوا لا يفعلون ذلك وذمتهم عليه. قال العلامة التفتازاني :إنما يتوجه السؤال لو كان في الكلام دلالة على وقوع الفعل حال اعتبار تعلق النهي إذ لا خفاء في صحة قولنا: كانوا لا ينهون يوم الخميس عن منكر فعلوه يوم الجمعة .

قـولـه: أو لا يـنتهـون عـنه: يعني أن التناهي إما بمعنى النهي على التأويل أ وبمعنى الانتهاء والامتناع به: أي لا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يداومون عليه .

بعضاً لرسول الله ﷺ والمؤمنين .﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي لبئس شيئًا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة ﴿أَنْ سَخِطَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَفِى الْعَذَابِ هُمْ خٰلِدُونَ[٨٠]﴾ هو المخصوص بالذم ، والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب . أو علة الذم والمخصوص محذوف أي لبئس شيئًا ذلك لأنه كسبهم السخط والخلود.

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالنَّبِيِّ﴾ يعني نبيهم وإن كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا عليه الصلاة والسلام . ﴿وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ إذ الإيمان يمنع ذلك . ﴿وَلٰكِنَّ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ فٰسِقُونَ[٨١]﴾خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم .

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّالنَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِيْنَ أَشْرَكُوا﴾ لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى . وركونهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق . وتمرنهم على تكذيب الأنبياء ومعاداتهم . ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِيْنَ آمَنُواْ الَّذِيْنَ قَالُوَا إِنَّا نَصٰرىٰ﴾ للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل وإليه أشار بقوله :﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيْسِيْنَ وَرُهْبَانًا وَّأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ[٨٢]﴾ عن قبول الحق إ ذَا فهموه . أو يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود . وفيه دليل على أن التواضع والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات محمود وإن كانت من كافر .

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرٰى أَعْيُنَهُمْ تَفِيْضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه .والفيض انصباب عن امتلاء . فوضع موضع الامتلاء للمبالغة . أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها. ﴿ مِمَّا عَرَفُوْا مِنَ الْحَقِّ﴾ من الأولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا أو للتبعيض بأنه بعض الحق . والمعنى أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا عرفوا كله .

قوله: قسيسين ورهبانا: القسيس العالم، والراهب العابد .

قوله:﴿ وإذاسمعوا﴾: أي جنس النصارى لا جميع أفراده .

قوله: والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء: يعني أن المراد تمتلأ العيون من الدمع لأن العيون لا تفيض بأنفسها وإنما تفيض بدمعها إلا أنه أقيم تفيض مقام تمتلأ مبالغة في الامتلاء أو جعلت الأعين أنفسها كأنها تفيض لفرط البكاء .

قوله: أو للتبعيض: فعلى هذا يكون ما مصدرية لا موصولة لأن ﴿من الحق﴾ في موقع المفعول فلا عائد .

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ آمَنَّا﴾بذلك أو بمحمد ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشّٰهِدِيْنَ[٨٣]﴾ من الذين شهدوا بأنه حق ، أو بنبوته ، أو من أمته الذين هم شهداء على الأمم يوم القيامة .

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَمَا جَآءَ نَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُّدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصّٰلِحِيْنَ[٨٤]﴾ استفهام إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين ، والدخول في مداخلهم ، أو جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل . أي أي شيء حصل لناغير مؤمنين بالله . أي بوحدانيته فإنهم كانوا مثلثين ، أو بكتابه ورسوله فإن الإيمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيمًا . ونطمع عطف على نؤمن أو خبر محذوف . والواو للحال أي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الأولى مقيداً بها أو نؤمن .

﴿فَأَثَابَهُمُ اللّٰهُ بِمَا قَالُوْا﴾ أي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان أي معتقده .
﴿جَنّٰتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيهَاوَذٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِيْنَ[٨٥]﴾ الذين أحسنوا النظر والعمل . أو الذين اعتادوا الإحسان في الأمور والآيات الأربع . روي أنها نزلت في النجاشي وأصحابه بعث إليه الرسول ﷺ بكتابه فقرأه . ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر الرهبان والقسيسين . فأمر جعفراً أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن. وقيل نزلت في ثلاثين أو سبعين رجلاً من قومه وفدوا على رسول الله ﷺ فقراعليهم سورة يٓس فبكوا وآمنوا.

﴿وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَآ أُوْلٰٓئِكَ أَصْحٰبُ الْجَحِيْمِ[٨٦] ﴾ عطف التكذيب بآيات الله على الكفر . وهو ضرب منه لأن القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعًا بين الترغيب والترهيب.

قوله:مع قيام الداعي: هذا ظاهر على تقدير أن يكون "ونطمع" حالاوكذا على تقدير أن يكون معطوفا على 'لا نؤمن' أي على النفي: أي أي شيء لنا يجمع بين عدم الإيمان والطمع الذي هو داعٍ إلى الإيمان، وأما على تقدير أن يكون عطفا على" نؤمن" فبناء على أن المعنى أي شيء لنا لا يجمع بين الإيمان والطمع ويكتفي بالطمع الذي هوداعٍ إلى الإيمان،

قوله: والعامل فيها عامل الأولى مقيدا بها: أي العامل في هذا الحال عامل الحال الأولى وهو لانؤمن على أنها مقيدة بالحال الأولى لأنك لوأزلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما يناسب ما نحن فيه لأنهم لا ينكرون الطمع بل الطمع في حال عدم الإيمان .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي ما طاب ولذّ منه كأنه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الإفراط في ذلك والاعتداء عما حد الله سبحانه وتعالى بجعل الحلال حراماً فقال :﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْإِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ[٨٧] ﴾ ويجوز أن يراد به ولا تعتدوا حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم . فتكون الآية ناهية عن تحريم ما أحل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما . روي أن رسول الله ﷺ وصف القيامة لأصحابه يومًا وبالغ في إنذارهم . فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين . وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك . ولا يقربوا النساء والطيب . ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح . ويسيحوا في الأرض، ويجبوا مذاكيرهم . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم علكيم حقا فصوموا وأفطروا . وقوموا وناموا. فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر . وآكل اللحم والدسم .وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت.

﴿وَكُلُوامِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ أي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله . فيكون حلالاً مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لأنه نكرة . ويجوز أن تكون من

قوله: عقبه النهي عن الإفراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما: فعلى هذا ينبغي أن يقال لا تحرموا ما احل الله لكم إلا أنه زاد طيبات موافقة للقصة وشأن النزول لأنهم حرموا على أنفسهم طيبات ما أحل الله لامطلق ما أحل الله .

قوله: والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما:فيكون بالاعتداء هو جعل الحلال حراما فيكون تأكيدا لقوله تعالىٰ:﴿ لا تحرموا﴾و يجوز أن يكون المراد تحليل الحرام ويكون المعنى لا تعتد واحد ودما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم بجعله حلالا فعلى هذا يكون ناهية عن تحريم ما أحل الله ﴿ولا تعتد وا﴾ ناهية عن تحليل ما حرم عليكم .

قوله: ويلبسوا المسوح:المسح اللباس والجمع أمساح ومسوح والمذاكير جمع الذكر على خلاف القياس وهو العضو المخصوص .

قوله: و"ممارزقكم الله": حالا منه تقدمت عليه لأنه نكرة. يرد عليه أنه تقرر في علم النحو أن الحال إنما يجب تقديمه إذا كان نكرة محضة وههنا نكرة مخصصة .

ابتدائية متعلقة بكلوا. ويجوز أن تكون مفعولًا وحلالًا حال من الموصول . أو العائد المحذوف . او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة .﴿ وَّاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِيٓ أَنْتُمْ بِهٖ مُؤْمِنُوْنَ[٨٨]﴾

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَانِكُمْ﴾هو ما يدر من المرء بلا قصد كقول الرجل: لا والله وبلىٰ والله . وإليه ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وقيل الحلف على ما يظن أنه كذلك ولم يكن . وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وفي أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لأنه مصدر او حال منه . ﴿وَلٰكِنْ يُّؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُّمُ الْاَيْمَانَ﴾ بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد والنية . والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم أو بنكث ما عقد تم فحذف للعلم به . وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقد تم بالتخفيف. وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل . ﴿فَكَفَّارَتُهٗ﴾ فكفارة نكثه أي الفعلة التي تذهب إثمه وتستره . واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافًا للحنفية لقوله عليه الصلاة والسلام " من حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير" ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسٰكِيْنَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُوْنَ أَهْلِيْكُمْ﴾ من أقصده في النوع أو القدر . وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية . ومحله النصب لأنه صفة مفعول محذوف تقديره . أن تطعموا

قوله: هو ما يد ر من المرء بلا قصد: أي بلا قصد يمين و توثيق محلوف عليه به. روي عن عائشة رضى الله تعالىٰ عنها أنها سئلت عن اللغو فقالت: هو قول الرجل لا والله وبلى والله .

قوله: إذا حنثتم أو بنكث ما عقدتم: يعنى أنه على حذف القيد أو المضاف للعلم بأن الكفارة إنما تجب با لحنث لا بنفس الحلف فالمؤا خذة هو وجوب الكفارة وهو في وقت الحنث فلا يرد ما قيل أن المؤاخذة في العقبى، لا في وقت الحنث إلاأن يراد بالمؤاخذة سخطه تعالىٰ لا عقوبته .

قوله: واستدل بظاهره. يعنى أن ظاهر قوله تعالىٰ:﴿ فكفارته ﴾يدل على عدم التقييد بالحنث وإن كان مقيدابه في الواقع فيستدل به على جواز التكفير قبل الحنث .

قوله: من أقصده: من قصد في معيشة إذا لم يتجاوز فيه الحدود وذلك لأن منهم من يصرف في إطعام أهله ومنهم من يقتر.

عشرة مسٰكين طعاماً من أوسط ما تطعمون، أو الرفع على البدل من إطعام وأهلون كأرضون . وقرئ أهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الأحوال الثلاث كالألف . وهو جمع أهل كالليالي في جمع ليل والأراضي في جمع أرض . وقيل: هو جمع أهلاة ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ عطف على إطعام أو من أوسط إن جعل بدلًا وهو ثوب يغطي العورة . وقيل ثوب جامع قميص او رداء او إزار . وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قد وة وكأسوتهم بمعني أو كمثل ما تطعمون أهليكم إسرافاً كان أو تقتيراً تواسون بينهم وبينهم إن لم تطعموهم الأوسط . والكاف في محل الرفع وتقديره : أو إطعامهم كأسوتهم . ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أو إعتاق إنسان . وشرط الشا فعي رضي الله تعالى عنه الإيمان قياساً على كفارة القتل ومعنى أو إيجاب إحدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكفر في التعيين . ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾أي واحداً منها ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾فكفارته صيام ثلاثة أيام . وشرط

قوله: على البدل من إطعام: أي بدل البعض لأن الإطعام يشمل جميع أنواع الإطعام من الإسراف والتقتير والقصد .

قولة: أومن أوسط إن جعل بدلا :بخلاف ما لو جعل صفة مفعول محذوف فإنه لا يصح العطف عليه لأن حينئذ يكون المعنى أو إطعام عشرة مساكين كسوتهم ولا يخفى فساده .ووجه العطف عليه على تقدير البدل على ما ذكره صاحب الكشاف أن البدل هو المقصود والمبدل منه في حكم المنجي فكأنه قيل فكفارته من أوسط. واعترض بأن المعطوف على البدل في موقع البدل ضرورةوإبدال كسوتهم من إطعام غلط لا يقع في التنزيل .وأجيب بالمنع إذقد يعطف على البدل ويكون المقصود الانتساب إلى ما انتسب إليه المبدل منه بجعله في حكم المنجي عنه. وقد يقال قد تقرر عندهم أن معنى التنجية أن لايكون مقصود ا أصليا لاأن يكون متروكا بالكلية وحينئذيكون المعنى إطعام عشرة مساكين كسوتهم ولا يخفى بطلانه.

قوله: ومعنى "أو" إيجاب إحدى الخصال الثلث مطلقا: و تخيير المكلف في التعيين . على ما هو المختار في الواجب المخير من أن الواجب واحد لا على التعيين والمكلف مخير في التعيين. وقال بعض المعتزلة: الواجب الجميع ويسقط بواحد، وقال بعضهم: الواجب واحد معين عندالله وهو ما يفعله المكلف فيختلف بالنسبة إلى المكلفين، وقال بعضهم: الواجب واحد معين لا يختلف لكن يسقط به و بالآخر.

فيه أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه التتابع لأنه قرئ ثلاثة أيام متتابعات . والشواذ ليست بحجة عندنا إذ لم تثبت كتاباً ولم ترو سنة ﴿ذٰلِكَ﴾ أي المذكور. ﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم . ﴿وَاحْفَظُوٓا أَيْمَانَكُمْ﴾ بأن تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر . او بأن تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير . أو بأن تكفروها إذا حنثتم.﴿كَذٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك البيان . ﴿يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيٰتِهٖ﴾أعلام شرائعه . ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ[٨٩]﴾ نعمة التعليم أو نعمه الواجب شكرها فإن مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه .

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ﴾ أي الأصنام التي نصبت للعبادة ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾سبق تفسيرها في أول السورة ﴿رِجْسٌ﴾ قذر تعاف عنه العقول . وأفرده لأنه خبر للخمر . وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كأنه قال: إنما تعاطي الخمرو الميسر ﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطٰنِ﴾ لأنه مسبب عن تسويله وتزيينه . ﴿فَاجْتَنِبُوْهُ﴾الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطى﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[٩٠]﴾ لكي تفلحوا بالاجتناب عنه. واعلم أنه سبحانه وتعالى أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية . بأن صدر الجملة بإنما وقرنهما بالأنصاب والأزلام . وسماهما رجسًا . وجعلهما من عمل الشيطان تنبيهًا على أن الاشتغال بهما شرّ بحت أو غالب . وأمر بالاجتناب عن عينهما وجعله سبباً يرجى منه الفلاح . ثم قرر ذلك بأن بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال تعالى :

﴿إِنَّمَا يُرِيْدُ الشَّيْطٰنُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسَرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَعَنِ الصَّلٰوةِ﴾ وإنما خصهما بإعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيهًا

قوله: إذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة: يعني أن الشواذ له لم تثبت من حيث أنه كتاب لعدم التواتر ولا من حيث إنه حديث إذ لم يرو الراوي من تلك الحيثية بل من حيث أنه كتاب وقرآن فلا يكون حديثا وعلى تقدير أن يكون حديثا يكون الراوي غير ثقة بجعله الحديث قرآنا فلا تكون الشواذ حجة .

قوله: تنبيهًا على أن الاشتغال بهما شرٌّ بحت: أي خالص بناء على أن منافعها الدنيوية في جنب المضار الدينية والأخروية التي أشار إليه بقوله تعالىٰ﴿ إنما يريد الشيطان﴾الخ، كانت في حكم العدم وأما أنه شر غالب فنظر إلى ظاهر قوله تعالىٰ: ﴿ومنافع للناس﴾ .

على أنهما المقصود بالبيان . وذكر الأنصاب والأزلام للدلالة على أنهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلاة والسلام " شارب الخمر كعابد الوثن " وخص الصلاة من الذكر بالإفراد للتعظيم . والإشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان من حيث إنها عماده والفارق بينه وبين الكفر. ثم أعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبًا على ما تقدم من أنواع الصوارف فقال :﴿فَهَلْ أَنْتُم مُّنْتَهُونَ[٩١]﴾ إيذانًا بأن الأمر في المنع والتحذ ير بلغ الغاية وأن الأعذار قد انقطعت .

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أمرا به ﴿وَاحْذَرُوا﴾ ما نهيا عنه أو مخالفتهما ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُم فَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلٰغُ الْمُبِينُ[٩٢]﴾ أي فاعلموا أنكم لم تضروا الرسول ﷺ بتوليكم . فإنما عليه البلاغ وقد أدى . وإنما ضررتم به أنفسكم .

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا﴾ مما لم يحرم

قوله: إيذانًا بأن الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية وأن الأعذار قد انقطعت: فلا بُدّ لكم أن تنتهوا عنه فالاستفهام للتقرير .

قوله:﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾:يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا من المحرم السابق وثبتوا الإيمان والأعمال الصالحات ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك المحرم كالخمر وآمنوا بتحريم ذلك ثم اتقوا واستمروا على اتقاء المعاصي وأحسنوا في الأعمال بأن تحروا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها. قال صاحب الكشاف على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحملا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان. ومثاله أن يقال لك: هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت أن ذلك أمر مباح؟ فتقول: ليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى المحارم وكان محسنا تريد أن زيدا تقي محسن وإنه غير مؤاخذ بما فعل .قال العلامة التفتازاني على ما أشار إليه صاحب الكشاف أن تعليق نفي الجناح بهذه الأحوال ليس على سبيل اشتراطها، فإن عدم الجناح في تناول المباح لا يشترط بشرط بل على سبيل المدح والثناء والدلالة على أنهم بهذه الصفة، انتهى ـ وتوجيهه أن إذا لمجرد الظرف لا للشرط، والمعنى ليس عليهم جناح فيما طعموا فيوقت اتصافهم بهذه الصفات في الواقع ونفس الأمر، فهم في هذا الوقت متصفون بهذه الصفات أيضًا ومنهم غير مواخذون في أكل المباحات .

عليهم لقوله : ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَّآمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ﴾ أي اتقوا المحرم وثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحة ، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ ما حرم عليهم بعد كالخمر ﴿وَّآمَنُوْا﴾ بتحريمه ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي ﴿وَّأَحْسَنُوْا﴾ وتحروا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها . روي أنه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رضي اللّٰه تعالى عنهم : يا رسول اللّٰه فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت: ويحتمل أن يكون هذا التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة . أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والإيمان بينه وبين نفسه وبينه الناس وبينه وبين اللّٰه تعالى . ولذلك بدل الإيمان بالإحسان في كثرة الثالثة إشارة إلى ماقاله عليه الصلاة والسلام في تفسيره . أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقى فإنه ينبغي أن يترك المحرمات توقيًا من العقاب والشبهات تحرزاً عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظًا للنفس عن الخمسة وتهذيبًا لها عن دنس الطبيعة . ﴿وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ[٩٣]﴾ فلا يؤاخذهم بشيء . وفيه أن من فعل ذلك صار محسنًا ومن صار محسنًا صارللّٰه محبوباً .

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللّٰهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهٗٓ أَيْدِيْكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ نزلت في عام الحديبية ابتلاهم اللّٰه سبحانه وتعالى بالصيد . وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها أخذاً بأيديهم وطعنًا برماحهم وهم محرمون .

قوله: باعتبار الأوقات الثلثة: يعني أن المراد بالأول التقوى والإيمان في الزمان الماضي، وبالثاني في الزمان الحال، وبالثالث في الزمان المستقبل. وأما باعتبار الاستعمال فالأول أن يستعمل التقوى والإيمان بينه وبين نفسه بأن يظهر هما لنفسه. والثاني أن يستعملهما بينه وبين الناس بأن يظهرهما للناس. والثالث أن يستعملهما بينه وبين اللّٰه تعالٰى بأن يظهرهما اللّٰه تعالٰى. وذلك بأن تعبد اللّٰه كأنّك تراه. وأما باعتبار المراتب فالأول ابتداء التقوى بأن يحترز عن بعض المنهيات. والثاني أن يحترز عن جميع المنهيات .والثالث أن يحترز عمابينهما وأما باعتبار ما يتقى ويحترز عنه فالأول أن يحترزعن المحرمات البينة، والثاني أن يحترز عن المشتبهات التي تشبه بالحرام، والثالث أن يحترز عن المباحات التي توجب الخسة كالأكل على الطريق والقيام مع ذي الرحم المحرم على الطريق .

والتقليل والتحقير في "بشيء" للتنبيه على أنه ليس من العظائم التي تدحض الأقدام كالابتلاء ببذل الأنفس والأموال . فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو أشد منه . ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَّخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ ليتميز الخائف من عقابه.

وهو غائب منتظر لقوة إيمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة إيمانه . فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره أو تعلق العلم .﴿فَمَنِ اعْتَدٰى بَعْدَ ذٰلِكَ﴾ بعد ذلك الابتلاء بالصيد . ﴿فَلَهٗ عَذَابٌ أَلِيْمٌ [٩٤]﴾ فالوعيد لا حق به .فإن من لا يملك جأشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس أميل اليه وأحرص عليه .

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ أي محرمون جمع حرام كرداح ورُدُح . ولعله ذكر القتل دون الذبح والزكاة للتعميم . وأراد بالصيد ما يؤكل لحمه لأنه الغالب فيه عرفًا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام " خمس يقتلن في الحل والحرم . الحدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور". وفي رواية أخرى الحية بدل العقرب . مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ . واختلف في أن هذا النهي هل يلغي حكم الذبح . فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني أو لا فيكون كالشاة المغصوبة إذا ذبحها الغاصب . ﴿وَمَنْ قَتَلَهٗ مِنْكُمْ مُّتَعَمِّدًا﴾ ذاكراً لإحرامه عالماً بأنه حرام عليه قتل ما يقتله . والأكثر على أن ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فإن إتلاف العامد والمخطئ واحد في إيجاب الضمان . بل لقوله .﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾ ولأن الآية نزلت فيمن تعمد إذ

قوله: والتقليل والتحقير في "بشيء": استفيد من التنوين لأنه يجيء للتقليل والتحقير .

قوله: ليس من العظائم: أي من الفتن والابتلاء ات العظيمة .

قوله: وهو غائب منتظر :لقاء ه في الآخرة .

قوله: فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره أوتعلق العلم: يعني ابتلاهم الله بشيء من الصيد ليقع المعلوم الذي هو الخوف من عقابه أو ليتعلق العلم به وإلاّ فعلم اللهتعالٰى قديم لا يترتب على الابتلاء .

قوله: جأشه:أي قلبه .

قوله:كرداح :بالحاء المهملة المرأة الكبيرة العجز.

قوله: بل لقوله تعالٰى:﴿ ومن عاد فينتقم الله منه﴾: يعني أن قوله تعالٰى: ﴿ومن عاد فينتقم الله منه ﴾يدل على أن الخطاء ملحق به ضرورة أنه لا يترتب عليه الانتقام فحين

روي : أنه عنّ لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله فنزلت﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ برفع الجزاء . والمثل قراء ة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه أي فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم . وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فإن متعلق المصدر كا لصلة له فلا يوصف مالم يتم بها. وإنما يكون صفته وقرأ الباقون على إضافة المصدر على المفعول وإقحام مثل كما في قولهم مثلي لايقول كذا . والمعنى فعليه أن يجزى مثل ما قتل . وقري فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء . او فعليه أن يجزي يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل . وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي رضي الله تعالى عنهما . والقيمة عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وقال: يقوم الصيد حيث صيد فإن بلغت القيمة ثمن هدي تخير بين أن يهدي ما قيمته قيمته وبين أن يشتري بها طعاماً فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صا عا من غيره وبين أن يصوم عن طعا م كل مسكين يو ما وان لم تبلغ تخيَّر بين الاطعام والصوم . واللفظ للأول أوفق ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَاعَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ صفة جزاء ويحتمل أن يكون حالاً من ضميره في خبره او منه إذا أضفته أو وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما أن التقويم يحتاج الى نظر

رتب عليه الانتقام علم أنه ملحق بالعمد للتغليظ والتشديد والإشعار بأنه من العظم بحيث يستوي فيه العمد والخطاء فدل على أن الانتقام إنما هو على العمد فلا بد من قيد التعمد .

قوله: وعليه: أي على قراء ة رفع الجزاء والمثل لا يتعلق الجاربه. وأما على قراء ة رفع الجزاء وإضافته إلى المثل فيجوز تعلق الجاربه لأن المثل حينئذ لا يكون صفة حتى يلزم الفصل بينهما بالصفة ويكون الجزاء على حقيقة المصدرية مضافا إلى المفعول أو يكون الجزاء بمعنى المجزي على إقحام المثل وسلوك طريق الكناية .

قوله: وفجزاء ه مثل ما قتل: أي قرئ جزاء ه بالإضافة إلى الضمير فهو معطوف على قوله: فجزاء مثل ما قتل .

قوله: واللفظ للأول أوفق: لأن الآية تصريح بكون الجزاء من النعم ولم يتعرض لقيمته

قوله: إذا أضفته أو وصفته ورفعته بخبر مقدر: وهو عليه على أنه فاعله وهذا بناء على مذهب الأخفش في عدم اشتراط الاعتماد لعمل الظروف، بخلاف مالم تضفه ولم تصفه فإنه لم يجز كونه حالا منه لكونه نكرة محضة ولم يتقدم الحال عليه بخلاف ما إذا رفعته بكونه مبتدأ فإنه لا يجوز الحال منه أيضًا. واعترض بأنه يجوز أن يعتبر بالظرف

واجتهاد يحتاج الى المماثلة في الحقيقة والهيئة إليهما . فإن الأنواع تتشابه كثيرًا . وقرئ ذو عدل على إرادة الجنس او الإمام . ﴿هَدْيًا﴾ حال من الهاء في به أو من جزاء وإن نون لتخصصه بالصفة . او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه . ﴿بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ وصف به هديًا لأن إضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم . وقال أبو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ﴾ عطف على جزاء ان رفعته وإن نصبته فخبر محذوف . ﴿طَعَامُ مَسَٰكِيْنَ﴾ عطف بيان أو بدل منه . او خبر محذوف أي هي طعام . وقرأنافع وابن عامر كفارة طعام بالإضافة للتبيين كقولك: خاتم فضة . والمعنى عند الشافعي أو أن يكفر بإطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مداً ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ أو ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوماً . وهو في الأصل مصدر أطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك إشارة الى الطعام . وصياماً تمييز للعدل . ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾

معتمدا على المبتدأ أعني من قتل .قال العلامة التفتازاني: كأنهم بنوا ذلك على أن الواقع موقع الجزاء لو كان ظرفا والمرفوع فاعلا لم يجز الفاء كما في المضارع المثبت أو الماضي بدون قد إلا بتقدير المبتدأ كما في قوله تعالى:﴿ فينتقم الله منه﴾ فيكون التقدير ههنا فهو عليه جزاء فيكون الظرف معتمدا على المبتدأ المحذوف .

قوله: وكما أن التقويم يحتاج إلى نظر واجتهاد:إشارة إلى جواب عما قالت الحنيفة أجاب به الإمام الرازي وهو أن في الآية دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المشاهدة. وذلك أن وجوه المشابهة بين النعم والصيد مختلفة فلا بد في تمييز الأقوى من الأضعف ولهذا احتيج إلى الحكمين وحكم الصحابة في النوع الواحد من الصيد بالنوع الواحد من النعم مع اختلاف البلاد وتفاوت الأزمان وإختلاف القيم بسببها .

قوله: باعتبار محله: فيمن جره لأن النصب على المفعولية كما مر .

قوله: لأن إضافته لفظية: ليصح وقوعه صفة لنكرة.

قوله:فخبر محذوف:أي فالواجب عليه كفارة .

متعلق بمحذوف أي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام . أو الثقل الشديد على مخالفة أمر الله تعالى وأصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ من قتل الصيد محرمًا في الجاهلية أو قبل التحريم أو في هذه المرة ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى مثل هذا ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على عائد كما حكي عن ابن عباس وشريح ﴿وَاللَّهُ عَزِيْزٌ ذُوانْتِقَامٍ [٩٥]﴾ ممن أصر على عصيانه .

﴿أُحِلَّ لَكُمُ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أي ما صيد منه مما لا يعيش إلا في الماء . وهو حلال كله لقوله عليه الصلاة والسلام في البحر " هو الطهور ماؤه الحل ميتته" وقال أبو حنيفة لا يحل منه إلا السمك . وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر . ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما قذفه أو نصب عنه . وقيل الضمير للصيد وطعامه أكله . ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ﴾ تمتيعاً لكم نصب على الغرض ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: أي ولسيارتكم يتزودونه قديداً . ﴿وَحُرِّمَ عَلَيكُمُ صَيْدُ الْبَرِّ﴾ أي ما صيد فيه. او الصيد فيه فعلى الأول يحرم على المحرم أيضًا ما صاده الحلال وإن لم يكن له فيه مدخل . والجمهور على حله لقوله عليه الصلاة والسلام " لحم الصيد حلال لكم . ما لم تصطادوه أو يصد لكم" ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ أي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام . ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ [٩٦]﴾

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ﴾ صيرها . وإنما سمي البيت كعبة لتكعبه ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ عطف بيان على جهة المدح . أو المفعول الثاني . ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ انتعاشاً لهم أي سبب

قوله: ليذوق ثقل فعله الخ :الأول مبني على أن ضمير أمره راجع إلى من قتل، والثاني على أنه راجع إلى الله تعالى.

قوله: فهو ينتقم: يعني أن ينتقم خبر مبتدأ محذوف ليصح دخول الفاء لأنه حينئذ يكون جملة اسمية وذلك أن الجزاء إذا كان مضارعا لم يصح الفاء ما لم يقدر المبتدأ .

قوله: أو نضب عنه :أي غار البحر والماء عنه .

قوله: نصب على الغرض:أي على المفعول له .

قوله: لتكعبه:أي لتربعه لأن أهل العرف يقول للشكل المكعب مربعا وإن كان عند أهل الفن ما أحاط به ستة سطوح .

قوله: انتعاشًا لهم :أي نهوضاً لهم .

انتعاشهم في أمر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف . ويربح فيه التجار ويتوجه إليه الحجاج والعمار أو ما يقوم به أمر دينهم ودنياهم . وقرأ ابن عامر قيماً على أنه مصدر على فعل كالشبع أعل عينه كما أعل في فعله ونصبه على المصدر أو الحال . ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَ الْهَدْىَ وَالْقَلَآئِدَ﴾ سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج . وهو ذو الحجة لأنه المناسب لقرنائه وقيل الجنس . ﴿ذٰلِكَ﴾ إشارة الى الجعل . او الى ما ذكر من الأمر بحفظ حرمة الإحرام وغيره ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَافِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ﴾ فإن شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها . دليل حكمة الشارع وكمال علمه .﴿وَأَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيْمٌ[٩٧]﴾ تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد إطلاق . ﴿إِعْلَمُواْ أَنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَّحِيْمٌ [٩٨]﴾ ووعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها. او لمن أصر عليه ولمن أقلع عنه .

﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلٰغُ﴾ تشديد في إيجاب القيام بما أمربه أي الرسول أتى بما أمر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط . ﴿ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُوْنَ[٩٩]﴾ من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة .

﴿قُلْ لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيْثُ وَالطَّيِّبُ﴾ حكم عام في نفي المساواة عند اللّٰه سبحانه وتعالى بين الردي من الأشخاص والأعمال والأموال وجيدها . رغب به في مصالح العمل وحلال المال . ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَة الْخَبِيْثِ﴾ فإن العبرة بالجودة والرداء ة دون القلة والكثرة . فإن المحمود القليل خير من المذموم الكثير . والخطاب لكل معتبر ولذلك قال: ﴿فَاتَّقُواْ اللّٰهَ يٰٓأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي فاتقوه في تحري الخبيث وإن كثر . وآثروا الطيب وإن قل ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[١٠٠]﴾ را جين أن تبلغوا الفلا ح .روى:أنها نزلت فى حجا ج اليما مة لما همَّ

قوله: على المصدر:أي المفعول المطلق لفعل مقدر تقديره قام قياما أو على الحال: أي قائما للناس، هذا على تقدير أن يكون البيت الحرام المفعول الثاني وإلا فعلى تقدير أن يكون عطف بيان يكون قياما المفعول الثاني لأن المصنف جعله بمعنى صير لا بمعنى خلق.

قوله: وقيل الجنس: أي جنس الشهر الحرام على أنه اللام لتعريف الجنس وينصرف إلى الكل لإنتفاء قرينة البعضية وعلى الأول للعهد بدلالة العرف .

المسلمو ن أن يو قعوا بهم فنهوا عنه وإن كا نوا مشر كين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْئَلُواْ عَنْهَا حِيْنَ يُـنَـزَّلُ الْـقُـرْاٰن تُبْدَ لَكُمْ﴾الشرطية وما عطف عليها صفتان لأشياء والمعنى: لا تسألوا رسول اللّٰه صـلـى الـلـه تعالىٰ عليه وسلم عن أشياء إن تظهر لكم تغمكم وإن تسألوا عنها في زمان الوحي تظهرلكم . وهـما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو أنه مما يغمكم والعاقل لا يـفعل ما يغمه . وأشياء اسم جمع كطرفاء غير أنه قلبت لامه فجعلت لفعاء . وقيل أفعلاء حذفت لامه جمع لشيء على أن أصله شيِء كهين . أو شييُءٌ كصديق فخفف . وقيل أفعال جـمـع له من غير تغيير كبيت وأبيات، ويـردّه منع صرفه . ﴿عَـفَا اللّٰهُ عَنْهَا﴾ صفة أخرى أي عـن أشيـاء عـفا اللّٰه عنها ولم يكلف بها . إذ روي أنه لما نزلت ﴿ ولله على الناس حج البيـت﴾[٣. آل عمران: ٩٧] قال سراقة بن مالك : أكل عام فأعرض عنه رسول اللّٰه ﷺ حتى أعـاد ثـلاثًـا فـقـال: لا ولـو قـلت نعم لوجبت . ولو وجبت لما استطعتم فاتر كوني ما

قـوله: فنهوا عن ذلك: أي عن الإيقاع بهم، إما لأن مالهم حيث لا خير فيه مع كثرته لأنه حرام حيث لم يح لهم أخذه وإما لأن الإيقاع بهم خبيث وإن كانوا مشركين لأن ذلك في الشهر الحرام .

قوله: وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال:لأنهما على هيئة الشكل الرابع من الشـرطيات يرتد إلى الشكل الأول بعكس الترتيب كأنه قال :لا تسألوا عن أشياء إن تسألوا عـنـهـا تبـد لـكـم وإن تبـد لـكم تسؤكم وتغمكم والعاقل لا يسأل عما يغمه وهذه المقدمة مطوية فلا تسألوا عنها .

قـولـه: وأشيـاء اسـم جـمع :يعني لفظه مفرد ومعناه جمع كطرفاء أصله شيئاء على وزن فـعـلاء كـحمراء فاستثقلت الهمزتان المجتمعتان فقلبت أي قدمت الهمزة الأولي التي هي لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار لفعاء.

قـولـه: وقيل افعلاء :كانبياء أصله أشيئاء فحذفت لامه وهو الهمزة الأولى للتخفيف كراهة لإجتماع الهمزتين بينهما حاجز ضعيف وهو الألف فوزنه أفعاء .

قوله: أو شييء كصديق .وأصدقاء فخفف بحذف الياء .

قوله: ويرده منع الصرف: إذلم يوجد منع صرف بلا سببين بخلاف اعتبار الأصل والإعـلال وإن كـان بـعيـدا لأنـه كثيـر فـي كلامهم فلا يرد ما قيل القول بشذوذ منع صرفه بلاعلة كماقال من جعله أفعالا أهون من إثبات الأصل وإعلال فيه .

تركتكم فنزلت أو استئناف أي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا لمثلها. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ[١٠١]﴾ لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم . ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال: لا أسأل عن شيء إلا أجبت . فقال رجل : أين أبي فقال في النار . وقال آخر من أبي فقال: حذاقة وكان يدعى لغيره فنزلت.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ في الضمير للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بـ"عن" أو لأشياء بحذف الجار . ﴿مِّنْ قَبْلِكُمْ﴾ متعلق بسألها . وليس صفة لقوم . فإن ظرف الزمان لا يكون صفه للجثة ولا حالاً منها ولا خبراً عنها . ﴿ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كُفِرِيْنَ[١٠٢]﴾ أي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحوداً .

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيْرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيْلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ ردو إنكار لما ابتدعه أهل الجاهلية وهو أنهم إذا نتجت الناقه خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وخلوا سبيلها . فلا تركب ولا تحلب . وكان الرجل منهم يقول: إن شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها . وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم وإن ولدتهما قالوا وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح لها الذكر . وإذا نتجت

قوله: أي عفا الله عما سلف من مسألتكم :يعني أن ضمير عنها إما راجع إلى المسئلة المفهوم من لا تسألوا أو إلى أشياء والأول هو المذكور في الكشاف والثاني وهو أن الضمير راجع إلى الأشياء مختار المصنف وهو الظاهر والمعنى الأشياء التي بد وُّها يوجب الغم ولم يكلف بها لا تسألوا عنها .

قوله: الضمير للمسئلة: يعني أن الضمير إما راجع إلى المسئلة فيكون في موقع المصدر لا المفعول به بالواسطة كا في لا تسألوا عن أشياء حتى يلزم تعديته بـ" عن أو إلى" أشياء فيكون مفعولا به بالواسطة بحذف عن.

قوله: حيث لم يأ تمروا بما سألوا جحودا: روي أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا .

قوله: إذا نتجت الناقة:على لفظ المبني للمفعول مسند إلى المفعول الأول أي وضعت وفي قوله: إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن أسند إلى المفعول الثاني وترك الأول .

من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا: قد حمي ظهره . ومعنى ما جعل ما شرع ووضع . ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ﴿وَلَٰكِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بتحريم ذلك ونسبته الى الله سبحانه وتعالى .﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ [١٠٣]﴾ أي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم أو الامر من النهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه أن منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء أن يعترفوا به .

﴿وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْحَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَ نَا﴾ بيان لقصور عقولهم وانهماكهم في التقليد وأن لا سند لهم سواه﴿أَوَ لَوْ كَانَ آبَاءُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ[١٠٤]﴾ الواو للحال والهمزة دخلت عليها لإنكار الفعل على هذه الحال .أي أحسبهم ماوجدوا عليه آباء هم ولو كانوا جهلة ضالين . والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بمن علم أنه عالم مهتد وذلك لا يعرف إلا بالجحة فلا يكفي التقليد .

﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي احفظوها والزموا إصلاحها . والجارمع المجرور جعل اسماً لإلزموا ولذلك نصب أنفسكم . وقرئ بالرفع على الابتداء . ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ لا يضركم الضلال إذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلاة والسلام "من رأئ منكم منكراً واستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده . فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبقلبه ." والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون إيمانهم . وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت . ولا يضركم يحتمل الرفع على أنه مستأنف ويؤيده أن قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء إتباعاً لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة وتنصره قراء ة من قرأ لا يضركم بالفتح . ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره . ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيْعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[١٠٥]﴾

قوله:أ والأمر:أي لا يعقلون شيئا.

قوله:والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة :لما توهم من ظاهر الآية الرخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإذن بذلك بل الأمر به أشار إلى الجواب عنه بأن المراد المنع عن الهلاك حسرة وأسفاً على ما فيه الكفرة والفسقة من الكفر والضلال لا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على أن أحداً لا يؤاخذ بذنب غيره .

﴿يَآأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ أي فيما أمرتم شهادة بينكم . والمراد بالشهادة الإشهاد في الوصية وإضافتها إلى الظرف على الإتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم . ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ إذا شارفه وظهرت أمارته وهو ظرف للشهادة . ﴿حِيْنَ الْوَصِيَّةِ﴾ بدل منه وفي إبداله تنبيه على أن الوصية مما ينبغي أن لا يتهاون فيه او ظرف حضر . ﴿اثْنَانِ﴾ فاعل شهادة ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف . ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ أي من أ قاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان . ﴿أَوْ اٰخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ عطف على اثنان . ومن فسر الغير بأهل الذمة جعله منسوخًا فإن شهادته على المسلم لا تسمع إجماعاً . ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي سافرتم فيها . ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُّصِيْبَةُ الْمَوْتِ﴾ أي قاربتم الأجل . ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا﴾ تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض

قوله:فيما أمرتم به شهادة بينكم:يعنى شهادة بينكم مبتدأ محذوف الخبر .

قوله: والمراد بالشهادة الإشهاد: لأنه المأموربه للحاضر على الموت لا شهادة الشاهدين .

قوله: وفي إبداله تنبيه على أن الوصيةمما ينبغي أن لا يتهاون فيها: قال صاحب الكشاف: وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية وإنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن يتهاون فيها المسلم ويذهل عنها ووجهه على ماقال الإمام الرازي إنه تعالىٰ جعل زمان حضور الموت حين زمان حضور الوصية وهذا إنما يكون إذا كانا متلا زمين، وهذا إنما يحصل هذه الملازمة حين وجوب الوصية والظاهر أن المصنف عدل عنه وجعل الوصية مندوبة كما ذهب إليه صاحب الطيبي أيضاً بناء على أن وجوب الوصية قبل آية المواريث فنسخت بها، ووجه التنبيه في إبداله منه أن البدل يدل على أن حين الوصية مقصود بالأمر بالإشهاد فينبغي أن يتحقق الوصية ويندب إليه حتى يتحقق حينها.

قوله: إثنان فاعل شهادة:أراد مفعول مالم يسم فاعله إما مجازا أو بناء على مذهب صاحب الكشاف أنه فاعل أيضًا وذلك أن المراد بالشهادة الإشهاد كما مر، ولا يكون فاعله إثنان ذوا عدل وإنما يكون فاعله الحاضر عليه الموت فالمراد ما ذكرنا والإشهاد مصدر مجهول .

فـائدته الدلالة على أنه ينبغي أن يشهد اثنان منكم فإن تعذر كما في السفر فمن غيركم . او استئـنـاف كأنه قيل كيف نعمل إن ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلٰوةِ﴾ صـلاـة الـعـصـر . لأنه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار. وقيل أي صلاة كـانت . ﴿ فَيُقْسِمٰنِ بِاللّٰهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ إن ارتاب الوارث منكم ﴿ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ مـقسـم عـليـه . وإن ارتبتـم اعتـراض يـفيـد اختـصـاص القسم بحال الارتياب . والمعنى لا نستبـدل بـالـقسـم او بـالله عـرضًا من الدنيا أي لا نحلف بالله كاذباً لطمع ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبٰى﴾ ولـو كـان الـمـقسم له قريباً منا . وجوابه أيضًا محذوف أي لا نشتري ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّٰهِ﴾ أي الشهادة التي أمرنا الله بإقامتها. وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بـالـمـد عـلـى حـذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه . وروي عـنه بغيره كقولهم الله لأفعلن . ﴿ إِنَّـا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِيْنَ[١٠٦]﴾ أي إن كتمنا . وقرئ للاْثِمِيْن بحذف الهـمـزـة وإلـقاء حركتها على اللام وإدغام النون فيها . ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ فـان اطـلع ﴿ عَلٰى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ أي فعلا ما أوجب إثما كتحريف . ﴿فَاٰخَرٰنِ﴾ فشاهدان آخران . ﴿يَقُوْمٰنِ مَـقَامَهُمَا مِنَ الَّذِيْنَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ من الذين جني عليهم وهم الورثة .وقرأ حفص إستحق

قوله: لطمع: أي في عروض الدنيا كالمال .

قـوله: بغيره :أي بغير المد على ماذكره سيبويه أن منهم من يحذف حرف القسم ولا يحذف منه همزة الاستفهام .

قوله: فإن عثر: أي الشاهدان والوصيان.

قـولـه: أي فـعـلا مـا أوجـب إثـما :أي عقوبة وإلافنفس التحريف إثم لا ما يوجبه والـضـمـيـر فـي فـعـلا إما راجع إلى الشاهدين وهو الظاهر لأن الكلام سيق للإشهاد أو إلى الـوصيين والمراد بالتحريف تحريف الشهادة أو تحريف الكلام في بيان عما هو الواقع على تقدير أن يكون الضمير للوصيين .

قـولـه: مـن الـذين جني عليهم: يشير إلى أن استحقاق الإثم عليهم كناية عن هذا الـمـعني وذلك أن معنى استحق الشيء لاق به أن ينسب إليه، والجاني ذلك للإثم المرتكب لـه يـليـق أن يـنسـب اليه الإثم فالذين استحق عليهم الإثم أي جني عليهم وارتكب الذنب بـالـقيـاس إليهم هم الورثة ففيه تضمين معنى الجناية: أي الذين استحق الإثم مجنيا عليهم وضمير استحق عائد إلى الإثم .

على البناء للفاعل وهو الأوليان ﴿الْأَوْلَيَٰنِ﴾الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف أي :هما الأوليان أو خبر آخران أو مبتدأ خبره آخران.أو بدل منهما أو من الضمير في يقومان .وقرأ حمزة ويعقوب وأبو بكر عن عاصم الأولين على أنه صفة للذين .أو بدل منه أي من الأولين الذين إستحق عليهم .وقرئ الأولين على التثنية وإنتصابه على المدح والأولان وإعرابه إعراب الأوليان .﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾أصدق منها وأولى بأن تقبل .﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾وما تجاوزنا فيها الحق . ﴿ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِيْن [١٠٧]﴾الواضعين الباطل موضع الحق .أوالظالمين انفسهم إن اعتدينا .ومعني الآيتين أن المحتضنر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصية .أو يوصي إليهما إحتياطا فإن لم يجدهما بأن كان في سفر اخران من غيرهم . ثم إن وقع نزاع وإرتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت .فإن اطلع على أنهما كذبا بأمارة أو مظنة حلف آخران من أولياء الميت . والحكم منسوخ إن كان الإثنان شاهدين فإنه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت إن كان وصيين ورد اليمين إلى الورثة إما لظهور خيانة الوصيين فإن تصديق الوصي باليمين لأمانته أو لتغير الدعوىٰ .إذ روي أن تميما الداري وعدي بن يزيد خرجا إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمروبن العاص وكان مسلماً . فلما قدموا الشام مرض بديل فدوّن ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به . وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه الى أهله ومات . ففتشاه وأخذا منه إناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشاً بالذهب فغيباه . فأصاب أهله الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدوا فترافعا الى رسول الله ﷺ

قوله: أو خبر آخران:ولعل هذا بناء على مذهب سيبويه في نحو اقصد رجلا خير منه أبوه لأ خير مبتدأ وأبوه خبره وإلا فلا وجه له. قال في التسهيل والمعرفة خبر عن النكرة عند سيبويه في نحو كم مالك واقصد رجلا خير منه أبوه .

قوله: من الأولين الذين استحق عليهم :أي من السابقين ذكرهم في شهادة بينكم الذين جني.

قوله: والحكم منسوخ: إن كان الاثنان شاهدين قبل الناسخ .

قوله: لايحلف الشا هدلقوله ﷺ:البينة على المدعي واليمين على من أنكر.

فنزلت: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنوُا﴾ الآية ، فحلفهما رسول الله ﷺ بعد صلاة العصر عند المنبر وخلي سبيلهما . ثم وجد الإناء في أيديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا: قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا أن نقربه فرفعوهما الى رسول الله فنزلت. ﴿فإن عثر﴾ فقام عمر وبن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان فحلفا واستحقاه . ولعل تخصيص العدد فيهما لخصوص الواقعة .

﴿ذٰلِكَ﴾أي الحكم الذي تقدم أو تحليف الشاهد ﴿أَدْنٰى أَنْ يَأْتُوا بِالْشَهَادَةِ عَلٰى وَجْهِهَآ﴾ على نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها ﴿أَوْ يَخَافُوُا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أنْ ترد اليمين على المدعين . بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وإنما جمع الضمير لأنه حكم يعم الشهود كلهم .﴿وَاتّقُواْ اللّٰه وَاسْمَعُواْ﴾ ما توصون به سمع إجابة .﴿وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَسِقِيْنَ[١٠٨]﴾ أي فإن لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قومًا فاسقين .وَاللّٰهُ لا يهدي القوم الفاسقين أي لا يهديهم إلى حجة أو إلى طريق الجنة . فقوله تعالى: ﴿يَومَ يَجْمَعُ اللّٰه الرُّسُلَ﴾ ظرف له . وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال . او مفعول واسمعوا على حذف المضاف أي واسمعوا خبر يوم جمعهم . او منصوب بإضمار اذكر . ﴿فَيَقُولُ﴾ أي للرسل . ﴿ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أي إجابة أجبتم . على أن ماذا موضع المصدر أو بأي شيء اجبتم فحذف الجار .

قوله: أي الحكم الذي تقدم: أي شرعية الحكم على هذا الوجه أقرب إلى أن يأتي الشهداء أو يخافوا أي إلى أحد الأمرين الذين أيهما وقع كان فيه الصلاح وهما أداء بشهادة على الصدق لله تعالىٰ وأداء ها عليه لخوف الافتضاح برد اليمين على الورثة .

قوله: إلى حجة: أي بشهادة حقة أوأداء وصية حقة.

قوله: فقوله تعالىٰ:﴿ يوم يجمع اللّٰه﴾ ظرف له: أي على تقدير أن يكون المراد إلى طريق الجنة يكون يوم ظرفا لقوله لا يهديهم .

قوله: أي إجابة أجبتم: أي إجابة تصديق أو تكذيب إجابة رد أ وقبول ،إجابة طاعة أو عصيان. فيكون ماذا بمعنى أي شيء. إما مصدرا أو مفعولا به بتقدير الباء لأن أجبتم يتعدى بالباء، واختار هذا الوجه من الوجهين في ماذا لاحتياج الوجه الآخر إلى تقدير الضمير وتقدير الباء معا.

وهذا السؤا ل لتوبيخ قومهم كـمـا أن سؤال الموء ودة لتوبيخ الوائد ولذلك .﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَـا﴾ أي لا علم لنا بما كنت تعلمه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ[١٠٩]﴾ فتعلم ما نعلمه مما أجـابـونـا وأظهـر لـنا وما لا نعلم مما أضمروا في قلوبهم . وفيه التشكي منهم ورد الأمر الى عـلـمـه بـمـا كـابـدوامنهـم . وقيـل الـمعنى لا علم لنا الى جنب علمك . او لا علم لنا بما أحـدثـوابعدنا وإنما الحكم للخاتمة . وقرئ علام بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله إنك أنـت . أي إنك أنـت الـمـوصـوف بـصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء . وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع.

﴿إِذْ قَـالَ اللّٰهُ يٰعِيْسَـى ابْـنَ مَـرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلٰى وَالِدَتِكَ﴾ بدل من يوم يـجمع وهـو عـلـى طـريقة . ﴿وَنَادى أصحاب الجنة﴾[الأعراف: ٤٤] والـمـعنى أنه سبـحـانه وتعالى يوبخ الكفرة بسؤال الرسل عن إجابتهم وتعديد ما أظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة . وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة . أو نصب بإضمار اذكر . ﴿إِذْ أَيَّـدْتُّكَ﴾ قـويتك وهـو ظـرف لـنـعمتي او حال منه وقـرئ آيدتك ﴿بِـرُوحِ الْقُدُسِ﴾ بجبريل عليه الصلاة والسلام . او بالكلام الذي يحيا به الدين . أو النفس حياة أبدية ويطهر من الآثام ويؤيده قـولـه . ﴿تُـكَـلِّـمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أي كائنا في المهد وكهلاً .

قوله: وهذا السؤال لتوبيخ قومهم: جواب سؤال وهو أن اللّٰه تعالىٰ علام الغيوب فما مـعـنـى سـؤالهـم فأجاب بأنه لتوبيخ القوم لا لطلب العلم كما يقع صريح الاستفهام لذلك. ولـمـا تـوجـه عليه إشكال وهو أن الأنبياء قد نفوا العلم عن أنفسهم مع علمهم بما أجيبوا به فيلزم الكذب أجاب عنه صاحب الكشاف وتبعه المصنف أنه ليس لنفي العلم بل كناية عن التشكـي والالتجاء إلى اللّٰهتعالىٰ بتفويض الأمر إليه وإلى علمه بما كا بدوا منهم. وقيل إنه على طريق التنبيه والإشارة إلى أن علمهم في جنب علم اللّٰه بمنزلة العزم وفيه تفويض الأمر إلـى اللّٰه تـعـالـىٰ لا نـفـي الـعلم عنه .وقيل لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا وإنما الحكم والعبرة للخاتمةوحاصله أنهم لم يجيبوا إجابة صدق بل إجابة كذب .

قـولـه: وهو على طريقة ﴿ونادى أصحاب الجنة﴾[الأعراف: ٤٤]: يعني أن كلمة إذ وقال بناء على تحقق الوقوع كما في ﴿ونادى أصحاب الجنة﴾ .

قوله: وقرىء آيدتك: على أفعلتك أي من باب الإفعال، والأولى من باب التفعيل.

قوله: ويؤيده: أي تفسيره بالكلام.

والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء . والمعنى إلحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم . وبه استدل على أنه سينزل فإنه رفع قبل أن يكتهل . ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّورٰةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتىٰ بِإِذْنِي﴾ سبق تفسيره في سورة آل عمران . وقرأ نافع ويعقوب طائر أ ويحتمل الإفراد والجمع كالباقر . ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَائِيْلَ عَنْكَ﴾ يعني حين هموا بقتله . ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ﴾ ظرف لكففت . ﴿فَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْامِنْهُمْ إِنْ هَذآإِلَّا سِحْرٌ مُبِيْنٌ [١١٠]﴾أي ما هذا الذي جئت به إلا سحر مبين . وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر فالإشارة إلى عيسى عليه الصلاة والسلام .

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّنَ﴾ أي أمرتهم على ألسنة رسلي ﴿أَنْ اٰمِنُوْا بِي وَبِرَسُولِي﴾ يجوز أن تكون "أن" مصدرية وأن تكون مفسرة ﴿قَالُوْا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ [١١١]﴾ مخلصون .

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يٰعِيْسٰى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ منصوب باذكر . أو ظرف لقالوا فيكون

قوله: والمعنى إلحاق حاله في الطفولية الخ:إشارة إلى جواب إشكال وهو أنَّ التكلم في الكهولة معهود من كل أحد فمامعنى إضافته وضمه إلى التكلم في الطفولية الذي هو من الآيات فأجاب بأن القصد إلى استواء حال الطفولية بحال الكهولية وعدم التفاوت بينهما لاإلى أن كلا منهما آية.

قوله: وإذ تخلق من الطين:أي تقدر من الطين هيئة مثل هيئة الطيربتسهيلي .

قوله: ويحتمل الإفراد والجمع:يعني أن طائرا يحتمل أن يكون واحدالطير كما ذكر في القاموس، وأن يكون جمعا أي إسم جمع كباقر على ما ذكر في القاموس أن باقرا اسم جمع .

قوله:أي أمرتهم على ألسنة رسلي: إذ لم يكن الحواريون أنبياء يو حى إليهم ولم يكن أيضًا أمرهم بالإيمان لمجرد الإلهام والإلقاء في القلب ليكون 'أو حيت' من قبيل ﴿وأوحينا إلى أم موسىٰ﴾ على ما هو سائرالخواطر الحقة وفسر الإسلام بالإخلاص ليحسن الإشهاد عليه بخلاف إذا أريد به الانقياد في الظاهر إذلا يحسن أن يقال آمنا وأشهد بأنا منقادون في الظاهر بحسب الاستعمال .

تـنبيهًـا على أن ادعاء هم الإخلاص مع قولهم . ﴿هَلْ يَسْتَطِيْعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَامَائِدَةً مِنَ السَّمَآءِ﴾ لـم يـكـن بعد عن تحقيق واستحكام ومعرفة . وقيـل هـذه الاستطاعة على ما تـقـتـضيـه الـحكمة والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة . وقيل المعنى هل يطيع ربك أي هل يـجيبك . واستـطـاع بـمـعنى أطاع كاستجاب وأجاب . وقرأ الكسائي تستطيع ربك أي سؤال ربك . والـمـعـنـى هـل تسـأله ذلك من غير صارف . والمائدة الخوان إذا كان عليه الـطـعـام . مـن ماد الماء يميد إذا تحرك . او من ماده اذا أعطاه كـأنهـا تميد من تقدم إليه ونـظيـرهـا قـولهـم شـجـرة مـطـعـمة . ﴿قَـالَ اتَّـقُوااللّٰهَ﴾ من أمْثال هذا السؤال ﴿إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِيْنَ[١١٢]﴾ بكمال قدرته وصحة نبوتي . او صدقهم في ادعائكم الإيمان .

﴿قَـالُـوْا نُـرِيْـدُ أَنْ نَّـأْكُـلَ مِـنْهَا﴾ تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو أن يتمتعوا بالأكل منها ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قـدرتـه سبـحـانـه وتـعـالىٰ﴿وَنَعْلَمُ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادعاء النبوة. او أن اللّٰه يجيب دعوتنا ﴿وَنَـكُـونَ عَـلَيْهَـا مِنَ الشّٰهِدِيْنَ [١١٣]﴾ إذا استشـهـدبـنا او مـن الشـاهـديـن للعين دون السامعين للخبر .

﴿قَـالَ عِيْسَـى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لـمـا رأي لهـم غرضًا صحيحًا في ذلك . او أنهم لا يـقـلعون عنه فأراد إلزامهم الحجة بكمالها . ﴿اللّٰهُمَّ رَبَّنَآ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ تَكُونُ

قـولـه: لـم يـكـن بـعد عن تحقيق واستحكام معرفة: كسؤال إبراهيم عليه السلام ﴿رب أرني كيف تحي الموتٰى﴾ بل دعوٰهم كانت باطلة وأنهم شاكون في قدرةاللّٰه تعالٰى وفـي صدق عيسى، كاذبون فيدعوى الإيمان والإخلاص وكون طلبهم المائدة للاطمينان وسائر الأغراض الصحيحة التي ذكروها، وقيل إنهم كانوا مؤمنين وإنهم لم يشكوا في قدرة اللّٰه تـعـالٰى وإنما سألوا عن الاستطاعة والقدرة على وقف الحكمة والإرادة بمعنى أن إنزال المائدة هل هو من المقدورات التي تقتضيه الحكمة وتدخل تحت الإرادة .

قوله: كأنها تميد من تقدم إليه: أيتعطيه أو تميل إليه.

قوله:وتطمئن قلوبنا: أي بأنك رسول من اللّٰه .

قوله: إذا استشهد بنا. أي نشهد لمن بعدنا إذا استشهد بنا.

قـولـه: لـمـا رأي أن لهم غرضا صحيحًا في ذلك .أي في السؤال وهو زيادة العلم لاالتعنت .

لَنَا عِيْداً﴾ أي يكون يوم نزولها عيداً نعظمه . وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيداً . وقرئ تكن على جواب الأمر . ﴿لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ بدل من لنا من بإعادة العامل أي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي: أنها نزلت يوم الأحد فلذلك اتخذه النصارى عيداً . وقيل يأكل منها أولنا وآخرنا . وقرئ لأولانا وأخرانا بمعنى الأمة أو الطائفة . ﴿وَآيَةً﴾ عطف على عيدا. ﴿مِّنْكَ﴾ صفة لها أي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي . ﴿وَارْزُقْنَا﴾ المائدة والشكر عليها .﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ [١١٤]﴾ أي خير من يرزق لأنه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض . ﴿قَالَ اللّٰهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ إجابة الى سؤالكم . وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد. ﴿فَمَنْ يَكْفُر بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ أي تعذيبًا ويجوز أن يجعل مفعولا به على السعة .﴿لَّآ أُعَذِّبُهُ﴾ الضمير للمصدر او للعذاب إن أريد ما يعذب به على حذف الجر. ﴿أَحَدًا مِّنَ الْعٰلَمِيْنَ [١١٥]﴾ أي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقًا فإنهم مسخوا قردة وخنازير . ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم . روى: أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم . فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى . ثم كشف المنديل وقال: بسم اللّٰه خير الرازقين . فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسمًا وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث. وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى

قوله:وقيل العيد السرور العائد: فعلى هذايعود الضمير إلى المائدة ولا يحتاج إلى تقدير مضاف .

قوله: عيداًلمتقدميناومتأخرينا:المتقدم من كان في زمانهم وهم متقدمون على من تأخر منهم وهم المتأخرون .

قوله: أي تعذيباً: فيكون مفعولاً مطلقاً بناء على أن العذاب اسم التعذيب كالسلام للتسليم.

قوله:ويجوز أن يجعل مفعولا به:بتقدير الباء على أن يراد بالعذاب ما يعذب به وذلك أن يعذب لا يتعدى إلى مفعولين.

قوله: مثلة:المثلة العقوبة الغريبة من مثلت بالحيوان أو بالقتيل إذا قطعت شيئًا من أطرافه وشوهت به، والفلوس ما على السمك، والشوك في لحمها، والجبن بضم الباء وتشديد النون وقد يسكن الباء وتخفف النون .

الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون : يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال : ليس منهما ولكن اخترعه الله سبحانه وتعالى بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله . فقالوا: يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال : يا سمكة احيي بإذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة . ثم عصوا بعدها فمسخوا . وقيل كانت تاتيهم أربعين يومًا غبًا يجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها . ولم يأكل منها فقير إلا غني مدة عمره . ولا مريض إلا برئ ولم يمرض أبدًا . ثم أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضىٰ دون الأغنياء والأصحاء . فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلاً . وقيل لما وعد الله إنزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا: لا نريد فلم تنزل . وعن مجاهد أن هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات . وعن الصوفية : المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف . فإنها غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال أنهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها . فقال لهم عيسى عليه الصلاة والسلام : إن حصلتم الإيمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها . فلم يقلعوا عن السؤال وألحوا فيه فسأل لأجل اقتراحهم فبين الله سبحانه وتعالى أن إنزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة . فإن السالك إذا انكشف له ما هو أعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالاً بعيداً .

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّه يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم . ومن دون الله صفة لإلهين أو صلة اتخذوني . ومعنى دون إما المغايرة فيكون فيه تنبيه على أن عبادة الله سبحانه وتعالى مع عبادة غيره كلا عبادة . فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبد هما ولم يعبده او للقصور . فإنهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة وإنما زعموا أن عبادتهما توصل الى عبادة الله سبحانه

قوله: بهذه الشريطة: وهو قوله تعالىٰ: ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾

قوله: يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم : لأنه تعالىٰ علم أن عيسى عليه السلام لم يقل ذلك وبخهم وأسكتهم بأن عيسى لم يقل ذلك وإنما اخترعوا من عندهم فلم يكن ذلك القول عن حجة.

وتعالى وكأنه قيل : اتخذوني وأمي إلٰهين متوصلين بنا الى الله سبحانه وتعالى . ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ أنزهك تنزيهًا من أن يكون لك شريك . ﴿مَايَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ ما ينبغي لي أن أقول قولًا لا يحق لي أن أقوله ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُۥ فقد عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَافِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه . ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك . وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات . ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ [١١٦]﴾ تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه .

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦ﴾ تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ عطف بيان للضمير في به . او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقًا ليلزم بقاء الموصول بلا راجع . او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او أعني . ولا يجوز إبداله من ما أمرتني به فإن المصدر لا يكون مفعول القول ولا أن تكون أن مفسرة لأن الأمر مسند الى الله سبحانه وتعالى . وهو لا يقول اعبدوا

قوله: من أن يكون لك شريك: إشارة إلى أن اتخاذهما إلهين تشريك لهما معك في الألوهية لا لإفراد لهما بذلك إذ لا شبهة في ألوهيتك وأنت منزه عن الشركة .

قوله: وقوله تعالىٰ ﴿في نفسك﴾ للمشاكلة: يعني أنه عبر عن لا أعلم معلومك بـ"لا" أعلم ما في نفسك" لوقوع التعبير عن تعلم معلومي بتعلم ما في نفسي. وقيل المراد بالنفس الذات وهذا هو الظاهر من العبارة. وذلك أن النفس إما بمعنى الروح أو الدم أوالجسد أو العين كذا في الصحاح، والله تعالىٰ منزه عن جميع ذلك وهذا بخلاف الذات وقال بعضهم: إذا أريد به الذات فهو أيضًا من المشاكلة لأن المعنى ولا أعلم ما في ذاتك فعبر عن الذات بالنفس لقوله تعالى﴿ ما في نفسي﴾ قال العلامة التفتازاني: وأنت خبيربأن لا أعلم ما في ذاتك وحقيقتك ليس بكلام مرضي بل المراد أنه عبر عن لاأعلمه بمعلومك الخ.

قوله: تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه: وذلك أن منطوق علام الغيوب تعلم الخفيات فيقرر تعلم ما في نفسي ومفهومه لا أعلم الخفيات وهو يقرر ولا أعلم ما في نفسك .

قوله:بعد تقديم ما يدل عليه:وهو قوله سبحانك الخ.

قوله: فإن المصدر لا يكون مفعول القول:لأن مفعول القول لا يكون إلا جملة والمصدر هو أن مع الفعل .

الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكي بعده إلا أن يؤول القول بأمر فكأن قيل: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به أن اعبدوا الله . ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيْدًا مَّا دُمْتُ فِيْهِمْ﴾ أي رقيباً عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه . او مشاهداً لأحوالهم من كفر وإيمان . ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ بالرفع الى السماء لقوله . ﴿ إِني متوفيك ورافعك ﴾ [٣. آل عمران :٥٥] والتوفي أخد الشيء وافياً . والموت نوع منه قال الله تعالى .﴿الله يتوفى الأنفس حين موتهاوالتى لم تمت في منامها ﴾[٣٩. الزمر: ٤٢]﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيْبَ عَلَيْهِمْ﴾ المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بإرسال الرسل وإنزال الآيات . ﴿وَأَنْتَ عَلٰى كُلِّ شَيءٍ شَهِيْدٌ [١١٧]﴾ مطلع عليه مراقب له .

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ أي إن تعذبهم فإنك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيها يفعل بملكه . وفيه تنبيه على أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وقد عبدوا غيرك . ﴿وَإِنْ تَغْفِرْلَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ [١١٨]﴾ فلا عجز ولا استقباح فإن القادر القوي على الثواب والعقاب . والذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم . فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل . وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق . بأن .

﴿قَالَ اللّٰهُ هٰذَا يَوْمُ يُنْفَعُ الصّٰدِقِيْنَ صِدْقُهُمْ﴾ وقرأ نافع يوم بالنصب على أنه ظرف لـ"قال" وخبر هذا محذوف . أو ظرف مستقر وقع خبرًا والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى

قوله: والقول لا يفسر: أي بأن بل المفسر به ما هو في معنى القول كالأمر .

قوله: وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد:إشارة إلى دفع إشكال وهو أن المغفرة لا يكون للكفار فكيف قال تعالىٰ:﴿ وإن تغفرلهم ﴾فأجاب بأن عدم غفران الشرك لا جل الوعيد لا لأجل أنه ممتنع لذاته فالترديد والتعليق لأجل ذاته. فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم في المعقول ولعل معنى الآية أنهم كفروا وأنهم مستحقون للعذاب فالعذاب منك عدل ومستحسن وكذا المغفرةمنك مستحسن وإن كان ممتنعا لأجل الوعيد.

قوله: بالنصب على أنه ظرف لـ" قال": أي قال الله تعالى هذا القول وهو أأنت قلت الخ: في يوم القيامة .

قوله: على أنه ظرف لـ"قال" وخبر هذا محذوف: على أنه ظرف لغو متعلق بقال والمعنى قال الله تعالىٰ في يوم القيامة هذا الكلام الذي من كلام عيسى وهو سبحانك الخ

واقـع يـوم ينفع . وقيل إنه خبر ولكن بني على الفتح بإضافته الى الفعل وليس بصحيح . لأن المضاف إليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فإن النافع ماكان حال التكليف .

﴿لَهُـمْ جَنّٰتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَآ أَبَدًا رَّضِى اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ ذٰلِكَ الْـفَـوْزُ الْـعَـظِيْمُ[١١٩]﴾ بيان للنفع.﴿لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيْهِنَّ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ [١٢٠]﴾ تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وأمه . وإنما لـم يـقل ومن فيهن تغليبًا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعاً لهم غير أولى العقل إعلاماً بأنهم في غـاية الـقـصـور عـن مـعـنـى الـربـوبية والـنـزول عن رتبة العبودية . واهانة لهم وتنبيهًا على الـمجانسة المنافية للألوهية . ولأن ما يطلق متناولًا للأجناس كلها فهو أولى بإرادة العموم . عـن الـنبـي ﷺ ” مـن قـرأ سـورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا“

واقع صادق أو على أنه ظرف مستقر وقع خبرا عن هذا والمعنى هذا الذي الخ

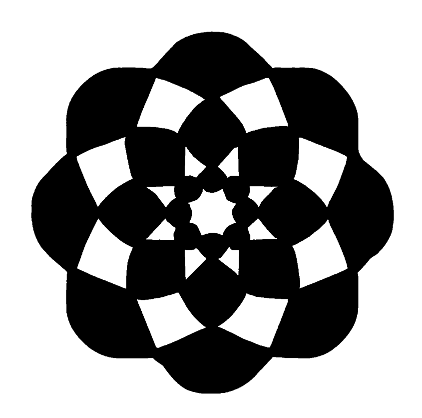
قـولـه: لأن المضاف إليه معرب:والبناء إنما يجوز إذا أضيف إلى الماضي بالاتفاق مثـل قـولـه: ”عـلـى حيـن عـا تبت الشيب“ أو إلى المضارع المنفي مثل ’يوم لا يملك‘ فإنه مـضـاف إلـى لا مع الفعل ولا غير معرب ولكونها غير معرب لا يصير المجموع معربا وإن كـان الـواقـع بعد لا معربا مرفوعا. أماالاعراب فلعدم لزومها للإضافة إلى الجملة فعلّة البناء فيها إذن عارضه. وأما البناء فلتقوي العلة العارضة بوقوع المبني الذي لا إعراب له لفظا ولا مـحـلا مـوقع المضاف إليه يكتسي منه المضاف أحكامه من التعريف والتنكير وغير ذلك. وأمـا إذا أضيف إلـى جـملة صدرها مضارع أوإلى الإسمية سواء كان صدرها معربا أو مبنياً فـي الـلـفظ نحو جئتك يوم أنت أمير؛ إذ لا بدله من الاعراب محلا فعند بعض البصريين لا يـجوز فيمثله إلا الإعراب لضعف علة البناء وعند الكوفيين وبعض البصريين يجوز فيه البناء إعتبارا بالعلة الضعيفة. كذافي الرضي .

قوله: والمراد بالصدق الصدق في الدنيا: يعني أن الصدق في الدنياينفع في الآخرة فان دار الآخرة دار عـمل مجازي، وهذا أي قول عيسى عليه السلام لهم بما أمر الله به من جـملة صدقهم في الدنيا أيضا كما هو من صدقهم في الآخرة لأنه ما من نبي إلا قال ما قلت لـلأمة إلا ما أمرني الله إما صريحا أو دلالة فلا يتوجه ما أورده صاحب الكشاف من أنه إن أريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدارالعمل. وإن أريدصدقهم في الدنيا فليس

....

بمطابق لما ورد فيه لأنه في معني الشهادة لعيسى بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة. وأجاب عنه صاحب الكشاف بأن المراد الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم فالنفع والمجازاة باعتبار تحققه في الدنيا والمطابقة لما نحن فيه والملائمة باعتبار تقرر وقوع بعض جزئياته في الآخرة والمستمر هو الأمر الكلى الذى هو الاتصاف بالصدق ولايلزم من هذا أن يكون للصدق الأخروي مدخل في الجزاء ليعود المحذور كذا قرره العلامة التفتازاني .

قوله: وإنما لم يقل ومن فيهن: يعني أورد كلمة ما التي لغير العقلاء ولم يورد كلمة "مَنْ" مع أن فيه تغليبا للعقلاء على غير هم إتباعا لهم غير العقلاء وتنزيلا لهم منزلتهم في غاية القصور والنزول عن رتبة المعبودية. ولان كلمة ما لا يختص بغير العقلاء كما توهم بل يتناول الأجناس كلها العقلاء وغير هم فهي أولىٰ من كلمة من بإرادة العموم المناسب لمقام إظهار العظمة والكبرياء وكون الكل في ملكوته وتحت قدرته لا يصلح شيء منها للألوهية سواء فيه عيسى وأمه وغيرهما فلاحاجة في اعتبار العموم إلى اعتبار التغليب.



سورة الأنعام مكية

وآياتُها خمس وستون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالأرْضَ﴾ أخبر بأنه سبحانه وتعالى حقيق بالحمد . ونبه على أنه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد أو لم يحمد . ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون . وجمع السموات دون الأرض وهي مثلهن لأن طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات . وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها . ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمٰتِ وَالنُّورَ﴾ أنشأهما . والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول.

قوله:ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون:لأنه يعدلون به من لا يستحق الحمد على النعم الجسام التى لم يعطها غيره.

قوله:وجمع السمٰوٰت دون الأرض وهي مثلهن: يعني جمع سبحانه السمٰوٰت دون الأرض مع أنها أيضاًسبع لقوله تعالٰى :﴿الله الذي خلق سبع سمٰوٰت ومن الأرض مثلهن﴾ لأن كلا من السمٰوٰت مختلفة بالذات وآثارها متفاوتة لها فيها من الكواكب السبعة المختلفة التاثير وحركاتها متفاوتة في القدر بها يختلف الأوضاع الفلكية التى يترتب عليها الآثاربخلاف الأرض فإنه واحد بالذات مختلف بالاعتبار،هذا إن فسر بالأقاليم السبعة وإن فسر بطبقات العناصروهي النار والهواء الحار والهواء الصرف والطبقة الزمهريرية والهواء المجاور للأرض والطينية المركبة منهما والطبقة الترابية قريبة إلى المركز، أو فسر بحقيقة السبعة كما ورد في الأثرأن الأرض أيضًا سبع طبقات وفي كل طبقة منها مخلوقات ﴿وما يعلم جنود ربك إلاهو﴾ فلاختلاف الطبقة والآثار فيها أيضًا .

قوله: لشرفهاوعلو مكانها: لأنها مؤثرات والأرض متأثر منها وأما علو مكانها فبالنظر إلى الظاهر وأما تقدم وجودها فلقوله تعالىٰ:﴿ والأرض بعد ذلك دحٰها﴾ .

واحد أن الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين . وذلك عبر عن إحداث النور والظلمة بالجعل تنبيهًا على أنهما لا يقومان بأنفسهما كما زعمت الثنوية . وجمع الظلمات لكثرة أسبابها والأجرام الحاملة لها . أو لأن المراد بالظلمة الضلال . وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد . وتقديمها لتقدم الأعدام على الملكات . ومن زعم أن الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم أن عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل . ﴿ثُمَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُوْنَ[١]﴾ عطف على قوله الحمد لله على معنى أن الله سبحانه وتعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد .

قوله: معنى التضمين: أي جعل شيء في ضمن شيء بأن يحصل منه أو يصير إياه أو ينتقل منه أو إليه. وبالجملة فيه اعتبار شيئين وارتباط بينهما وفي الخلق معنى الإيجاد بقدر وتسوية، ولهذا عبر عن إحداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على أنهما لا يقومان بأنفسهما بل الظلمة من الأجرام المتكاثفة وفي ضمنها والنور من النار وفي ضمنها لا كما زعمت الثنوية أنهما يقومان بأنفسهما، وذلك على ما هو المشهورأنهم طائفة من المشركين قائلون بصانعين: أحدها النور، ثانيها الظلمة كذا في الاعتقاد شرح العقيدة الحافظية .

قوله: لكثرة أسبابها والأجرام الحاملة لها: وهي الأجرام المتكاثفة في النور فإن الحامل له النار كذا في الكشاف .فإن قيل: الأجرام النيرة كثيرة كالكواكب. قيل مرجع كل نير إلى النار على ما قال: إن الكواكب أجرام نورية وإن الشهب منفصلة من نارالكواكب فيصح أن النور من جنس النار وأنه ضوء النار وضوء الكواكب وغيره .

قوله: احتج بهذه الآية: لأنها تدل على أنهما مخلوقان أنشأهما الله تعالىٰ ولم يعلم أن العدم الصرف لا يتعلق به الجعل وأما العدم المضاف وهو عدم الوجود فيجوز أن يتعلق به الجعل على معنى أنه خلق الخ. فيه إشارة إلى دفع ما أورد من أن العطف على الصلة يوجب الدخول في حكمها ولو قلت: الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون لم يستقم. وذلك أنه من باب العطف من حيث المعنى وعطف حصول مضمون الجملتين لأن المعنى أنه خلق مالا يقدر عليه أحد من السموات والأرض والظلمات والنور ليعرفوه ويوحدوه. فحصل منهم عكس ذلك حيث سووا معه غيره .

ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته . ويكون بربهم تنبيهًا على أنه خلق هذه الأشياء أسباباً لتكونهم وتعيشهم . فمن حقه أن يحمد عليها ولا يكفر . أو على قوله خلق على معنى أنه سبحانه وتعالى خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه. ثم هم يعدلون به مالا يقدر على شيء منه . ومعنى ثم : استبعاد عدولهم بعد هذا البيان . والباء على الأول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة : أي يعدلون عنه ليقع الإنكار على نفس الفعل . وعلى الثاني متعلة بيعدلون والمعنى أن الكفار يعدلون بربهم الأوثان أي يسوونها به سبحانه وتعالى.

﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّنْ طِيْنٍ﴾ أي ابتدأ خلقكم منه . فإنه المادة الأولى وأن آدم الذي هو أصل البشر خلق منه . او خلق أباكم فحذف المضاف . ﴿ثُمَّ قَضٰى أَجَلًا﴾ أجل الموت . ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهٗ﴾ أجل القيامة . وقيل الأول ما بين الخلق والموت . والثاني مابين الموت والبعث . فإن الأجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها . وقيل الأول النوم والثاني الموت . وقيل الأول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن يأتي . وأجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكرو وصف بأنه

قوله: والباء على الأول متعلقة بكفرواالخ: يشعر بأنه على الوجه الأول من العدول وعلى الثاني من العدل وهي التسوية .قال العلامة التفتازاني: هذا تخصيص من غير مخصص لتأتى التقديرين على كل من الوجهين. ولعل وجه التخصيص أن أحدا لمعنيين أوفق بأحد الوجهين دون الآخر، وذلك لأن العدول عنه أوفق بالإنعام على العباد وأن العدل بمعنى التسوية أوفق بخلقه مالا يقدرعليه أحد وقد يبين مثله أيضًا فيما سيجيء في حمل كلمة "ثم" على الاستبعا د دون التراخي مع استقامته .

قوله: وصلة يعدلون محذوفة: ليقع الإنكار على نفس الفعل لأن نفس العدول مستقبح سواء كان عن ربهم الذي رباهم وجعل هذه الأشياء أسبابا لتكونهم وتعيشهم أو عن غيره.

قوله: أجل القيامة: فعلى هذا يكون الأجل بمعنى آخر المدة أي آخر مدة حياة الدنياء وعلى الثاني بمعنى جميع مدة حياة الدنيا وعلى الثالث ما يقع في الوقت مجاز الانفس الوقت على ما هو اللغة .

قوله: لتعظيمه: لأن ماكان معظما مفخما يكون مهتما بشأنه والاهتمام يوجب الاستيناف والتقديم .

مسمى أي مثبت معين لا يقبل التغيير. وأخبر عنه بأنه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولإنه المقصود بيانه ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُوْنَ[٢]﴾ استبعاد لا مترائهم بعد ما ثبت أنه خالقهم وخالق أصولهم ومحييهم إلى آجالهم . فإن من قدر على خلق المواد جمعها وإبداع الحياة فيها و إبقائها ما يشاء كان أقدر على جمع تلك المواد وإحيا ئها ثانياً . فالآية الأولى دليل التوحيد والثانية دليل بعث . والامتراء الشك وأصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع .

﴿وَهُوَاللَّهُ﴾ الضمير لله سبحانه وتعالى والله خبره ﴿فِى السَّمٰوٰتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ متعلق باسم الله تعالى والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير ، كقوله سبحانه تعالى ﴿وهو الذى في السماء إله وفي الأرض إله ﴾[٤٣.الزخرف:٨٤] أوبقوله ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ﴾ والجملة خبر ثان . او هي الخبر والله بدل . ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم إذا كنت خارجه والصيد فيه أوظرف مستقر وقع خبراً. بمعنى أنه سبحانه و تعالى لكمال عليه بما فيهما كأنه فيهما . ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلقاً بالمصدر لأن صفته لا تتقدم علمه .﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُوْنَ[٣]﴾ من خير أو شر فيثب عليه ويعاقب . ولعله أريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من أحوال الأنفس وبا لمكتسب أعمال الجوارح .

﴿وَمَا تَأْتِيْهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيٰتِ رَبِّهِمْ﴾من الأولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض أي ما يظهر لهم دليل قط من الأدلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن .﴿إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِيْن[٤]﴾ تا ركين للنظر فيه غير ملتفتين إليه .

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَ هُم﴾ يعني القرآن وهو كاللازم مما قبله كأنه قيل:

قوله: استبعاد لامترائهم: أي في الأجل المسمى. قال العلامة التفتازاني: إنما لم يحمل على التراخي مع استقامته لكون الاستبعاد أو فق بالمقام.

قوله: متعلق بإسم الله :أي بمعناه الوصفي وإلا فلفظ الله اسم لاصفة حتى يتعلق به وكذا لفظ الٰهاً اسم جنس وان كان بمعنى المعبود كالكتاب بمعنى المكتوب، والمعنى الوصفي ما خوذ من أصل اشتقاق الاسم أعني المعبودية .

قوله: والثانية للتبعيض:لأن الآية الواحدة وإن استغرقت في حكم النفي فهو بعض من جميع الآيات: وما قال ابن الحاجب: لوكانت تبعيضية لماكانت الأولى استغراقية، ممنوع لصحة قولنا ماياتيهم بعض من الآيات أي بعض كان .

إنهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاء هم . او كالدليل عليه على معنى أنهم لما أعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو أعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره . ولذلك رتب عليه بالفاء ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ[٥]﴾ أي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزئون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة . أو عند ظهور الإسلام ارتفاع أمره .

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ﴾أي من أهل زمان . والقرن مدة أغلب أعمار الناس وهي سبعون سنة . وقيل ثمانون . وقيل القرن أهل عصر فيه نبي او فائق في العلم . قلت المدة او كثرت واشتقاقة من قرنت . ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى الْأَرْضِ﴾ جعلنا لهم فيها مكاناً وقررناهم فيها وأعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من أنواع التصرف فيها ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَّكُمْ﴾ ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا أهل مكة مالم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار في العدد والأسباب . ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَآءَ عَلَيْهِمْ﴾ أي المطر او السحاب . او المظلة فإن مبدأ المطر منها ﴿مِّدْرَارًا﴾ أي مغزاراً . ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ فعاشوا في الخصب والريف بين الأنهار والثمار .﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي لم يغن ذلك عنهم شيئًا .﴿وَأَنْشَأْنَا﴾ وأحدثنا.﴿مِنْ بَعْدِ هِمْ قَرْنًا آخَرِينَ[٦]﴾ بدلاً منهم . والمعنى أنه سبحانه وتعالى كما قدر على أن يهلك من قبلكم كعادوثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده يقدر أن يفعل ذلك بكم .

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيكَ كِتبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ مكتوبًا في ورق ﴿فَلَمَسُوه بِأَيْدِيهِمْ﴾

قوله: أي سيظهر لهم ماكانوا به يستهزئون. أي سيظهر لهم حقيقته بأحواله المبنية عليه وأنه ما هو وأنه ليس بموضع الاستهزاء. وذلك عند نزول العذاب بهم في الدنيا أو في الآخرة أو عند ظهور الإسلام وقوته:

قوله: جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها .أرادأن مكانهم بمعنى جعلنا لهم فيها مكانا ليلائم قوله تعالىٰ :﴿ما لم نمكن لكم﴾ إلاأن المقصود قررناهم .يقال مكن له في الأرض جعل له مكانا ومكنتهم في الأرض أثبتته كذا في الكشاف.قال العلامة التفتازاني: كان ينبغي أن يبن ما موقع ما لم نمكن ويمكن أن يقال موقعه المفعول به "لمكناهم" بناء على التجريد لأن المعنى على المفعول به لا على المفعول المطلق كما قيل وذلك أن المقصود جعلنالهم فيها مكانا لم نجعل لكم فيها، لا جعلنا لهم فيها تمكينا لم نجعله لكم فيها .

فلمسوه . وتخصيص اللمس لأن التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا . ولأنه يتقدمه الإبصار حيث لا ما نع . وتقييده بالأيدي لدفع التجوز فإنه قد يتجوز به للفحص كقوله ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ [٧٢. الجن : ٨] ﴿لَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ[٧]﴾ تعنتاً وعناداً .

﴿وَقَالُواْ لَولَآ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ هلا أنزل معه ملك يكلمنا أنه نبي كقوله ﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ الْأَمْرُ﴾ جواب لقولهم وبيان هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه . والمعنى أن الملك لو أنزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق إهلاكهم فإن سنة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم .﴿ثُمَّ لَايُنْظَرُونَ[٨]﴾ بعد نزوله طرفة عين .

﴿وَلَوْ جَعَلْنٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنٰهُ رَجُلًا وَّلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْبِسُونَ[٩]﴾ جواب ثان إن جعل الهاء للمطلوب . وإن جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان . فإنهم تارة يقولون لولا أنزل عليه ملك . وتارة يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة . والمعنى ولو جعلنا قريناً ملكاً يعاينونه أو الرسول ملكاً لمثلناه رجلًا كما مثل جبريل في صورة دحية الكلبي . فإن القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته . وإنما رآهم كذلك الأفراد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف أي ولو جعلناه رجلًا للبسنا أي : لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فيقولون ما هذا إلا بشر مثلكم . وقرئ لبسنا بلام واحدة ولبسنا بالتشديد للمبالغة .

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ عما يرى من قومه . ﴿فَحَاقَ بِالَّذِيْنَ سَخِرُوْا مِنْهُمْ مَّا كَانُوْا بِهٖ يَسْتَهْزِءُونَ[١٠]﴾ فأحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به

قوله: فإن مبدأ المطر منها علة لجوازأن يراد بالسماء المظلة مع وصفهابالمدراربمعنى المغزار.

قوله: وتخصيص اللمس:يعني لم يقل فرأوه لأن التزوير يقع فيه بخلاف اللمس ولأن الإبصار يكون واقعا قبل اللمس فلا حاجة إلى ذكره .

قوله: وأنا لمسنا السماء. أي تلفحصناه.

قوله: لحق إهلاكهم .فيفوت الابتلاء الذي خلقوا لأجله .

قوله: للمطلوب:أي الذي طلبوا منه أن يكلمهم أنه نبي.

حيث أهلكوا لأجله . أو فنزل بهم وبال استهزائهم .

﴿قُلْ سِيْرُوْا فِى الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِيْنَ[١١]﴾ كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا . والفرق بينه وبين قوله : ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا﴾[٢٧. النمل:٦٩]-[٢٩.العنكبوت:٢٠]-[٣٠.الروم:٤٢] أن السير ثمة لأجل النظر ولا كذلك ها هنا . ولذلك قيل معناه إباحة السير للتجارة وغيرها وإيجاب النظر في آثار الهالكين .

﴿قُلْ لِّمَنْ مَّا فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكاً . وهو سؤال تبكيت . ﴿قُلْ لِّلّٰهِ﴾ تقريراً لهم وتنبيهًا على أنه المتعين للجواب بالإنفاق : بحيث لا يمنكهم أن يذكروا غيره : ﴿ كَتَبَ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ التزمها تفضلاً وإحساناً والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك لاهداية الى معرفته . والعلم بتوحيده بنصب الأدلة . وإنزال الكتب والإمهال على الكفر . ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلىٰ يَوِمِ الْقِيٰمَةِ﴾ استئناف وقسم للوعيد على إشراكهم وإغفالهم النظر أي : ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيامة . فيجازيكم على شرككم . أو في يوم القيامة وإلى بمعنى في : وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فإن من رحمته بعثه إياكم وإنعامه عليكم . ﴿لَا رَيْبَ فِيْهِ﴾ في اليوم أو الجمع ﴿أَلَّذِيْنَ خَسِرُوْا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتضييع رأس مالهم . وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم . وموضع الذين نصب على الذم أو رفع على الخبر أي: وانتم الذين أو على الابتداء والخبر ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ[١٢]﴾ والفاء للدلالة على أن عدم إيمانهم مسبب عن خسرانهم . فإن إبطال العقل باتباع الحواس

قوله: حيث أهلكوا: من أجل الاستهزاء به: يعني أن حاق بهم كناية عن إهلاكهم كما في أحاط بهم العدو، ثم فيه الإسناد إلى السبب والمعنى أهلكهم الله تعالىٰ للحق أي لأجل استهزائهم به، أو هو على المضاف أي فنزل بهم وبال استهزائهم .

قوله: أن السير ثمه لأجل النظر: فيكون النظر مسببا ومقصودا منه فينبغي أن لا يتراخي منه بخلاف ثم انظروا فإنه يجوز أن يكون السير لأجل أمر آخر كالتجارة ونحوها ثم يحصل النظر في آثار الهالكين .

قوله: وهو تقريراً لهم: أي حملهم على الإفراد والإلجاء إليه لأن هذا من الظهور بحيث لا يقدر أحد ينكره .

قوله: ليجمعنكم في القبور: أي ليجمع عظامكم والأجزاء الممزقة كل الممزق .

والـوهـم والانهماك في التقليد وإغفال النظر أدى بهم الى الاصرار على الكفر والإمتناع من الإيمان ﴿وَلَهُ﴾ عطف على اللّٰه ﴿مَا سَكَنَ فِى الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ من السكنى، وتعديته بفي كـمـا فـي قـولـه تعالى: ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾[١٤. إبراهيم :٤٥] والـمـعنى ما اشتملا عليه، او من السكون أي ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى بأحد الضدين عـن الآخـر ، ﴿وَهُـوَ السَّـمِيْـعُ﴾ لكل مسموع ﴿الْعَلِيْمُ[١٣]﴾ بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء . ويجوز أن يكون وعيداً للمشركين على أقوالهم وأفعالهم .

﴿قُـلْ أَغَيْـرَ اللّٰهِ أَتَّـخِذُ وَلِيًّا﴾ إنكار لا تخاذ غير اللّٰه ولياً لا لا تخاذ الولي . فلذلك قـدم وأولى الهمزة والمراد بالولي المعبود ل أنه رد لمن دعاه الى الشرك ﴿فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبـدعـهـمـا . وعـن ابـن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما : ما عرفت معنى الفاطر حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما . أنا فطرتهما أي ابتدأتها . وجره على الـصـفة للّٰه فـإنـه بـمـعـنى الماضي ولذلك قرئ فطر . وقرئ بالرفع والنصب على المدح . ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ يرزق ولا يرزق . وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه . وقرئ ولا يـطـعـم بـفـتـح الياء وبعكـس الأول عـلـى أن الـضـمير لغير اللّٰه . والـمـعـنى كيف أشرك

قـولـه: عطف على للّٰه: يجوز أن يكون من عطف المفرد على المفرد وأن يكون من عطف الجملة، والمقصود أن يدخل هذا أيضًا تحت قل ليكون احتجاجا ثانيا على المشركين أي للّٰه ما استقر في الأمكنة وله ما استقر في الأزمنة بناء على أن سكن من السكنى وهو يشمل الـمـتـحـرك والساكن: أي ما اشتملا عليه كاشتما ل الدار التي هو المسكن على الساكنين، أو مـن السكون ضد الحركة ويكون المعنى ما سكن فيهما وما تحرك فاكتفي بأحد الضدين عن الآخر، كما في قوله تعالىٰ:﴿ تقيكم الحر ﴾أي الحر والبرد .

قـولـه: لأنـه رد لـمن دعاه إلى الشرك:هذا وجه إرادة المعبود بالولي، وقوله: "لأنه رد". إشارة إلى القرينة .

قـوله: يُرْزُقُ ولا يُرْزَقُ:يعني ليس المعنى على خصوص الطعم بل على مطلق النفع إلا أنه خص الطعم لشدة الحاجة إليه.

قـوله:على أن الضمير لغير اللّٰه:يعني أن غير اللّٰهـ وهي الحيوانات ـ يرزق ولا يرزق فـلا يـصـح أن يكون وليا فكيف من هو نازل عن مرتبة الحيوانات وهي الأصنام لأن الكلام مع عبدة الأصنام لا مع اليهود والنصارى .

بمن هو فاطر السموات والأرض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية . وببنائهما لفاعل على أن الثاني من أنعم بمعنى استطعم . او على معنى أنه يطعم تارة ولا يطعم أخرى كقوله ﴿ يقبض ولا يبسط﴾[٢. البقرة:٢٤٥] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لأن النبي ﷺ سابق أمته في الدين .﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ[١٤] ﴾ وقيل لي ولا تكونن . ويجوز عطفه على قل .

﴿قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابُ يَومٍ عَظِيْمٍ[١٥]﴾ مبالغة أخرى في قطع أطمائهم . وتعريض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب . والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة .

﴿مَّنْ يُّصْرَفْ عَنْهُ يَوْمِئِذٍ﴾ أي يصرف العذاب عنه . وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم يصرف على أن الضمير فيه لله سبحانه وتعالى . وقد قرئ بإظهار والمفعول به محذوف . أو يومئذ بحذف المضاف ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ نجاه وأنعم عليه ﴿وَذٰلِكَ الْفَوزُ الْمُبِيْنُ[١٦]﴾ أي الصرف أو الرحمة .

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ﴾ ببلية كمرض وفقر . ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ ﴾ فلا قادر على كشفه . ﴿إِلَّا هُووَإِنْ يَّمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ بنعمة كصحة وغنى . ﴿فَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ[١٧]﴾ فكان قادراً على حفظه وإدامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله تعالى ﴿فلا راد لفضله﴾[١٠. يونس:١٠٧]

﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهٖ﴾ تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة ﴿ وَهُوَ الحَكِيْمُ﴾ في أمره وتدبيره ﴿الْخَبِيْرُ[١٨]﴾ بالعباد وخفايا أحوالهم .

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ نزلت حين قالت قريش : يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى . فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك

قوله: وقيل لي: يعني أنه عطف على ﴿إني أمرت﴾ إذ لا يصح عطف "لا تكونن" على "أكون" إذ لا وجه للالتفات ولا معنى لقولك أمرت أن لا تكونن .

قوله: وجوابه محذوف دل عليه الجملة: وهو أخاف .

قوله: أو يومئذ بحذف المضاف :أي عذاب يومئذ .

قوله: فكان قادرا على حفظه وإدامته: بيان لوجه ارتباط الجزاء بالشرط .

قوله: تصوير لقهره : يعني أنه استعارة تمثيلية فلا يلزم الجهة .

رسول الله . والشيء يقع على كل موجود . وقد سبق القول فيه في سورة البقرة ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي الله أكبر شهادة ثم ابتدأ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي هو شهيد بيني وبينكم . ويجوز أن يكون الله شهيد هو الجواب لأنه سبحانه وتعالى إذا كان الشهيد كان أكبر شيء شهادة .﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ﴾ أي بالقرآن . واكتفى بذكر الإنذار عن ذكر البشارة . ﴿وَمَن بَلَغَ﴾ عطف على ضمير المخاطبين . أي لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر . أو من الثقلين . أو لأنذركم به أيها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة . وفيه دليل على أن الأحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وأنه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه .﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ﴾ تقرير لهم مع إنكار واستبعاد ﴿قُل لَّا أَشْهَدُ﴾ بما تشهدون . ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي بل أشهد أن لا إله إلا هو .﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ[١٩]﴾ يعني الأصنام .

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ يعرفون رسول الله ﷺ بحليته المذكورة في التوراة والإنجيل ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ بحلاهم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ من أهل الكتاب والمشركين . ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ[٢٠]﴾ لتضييعهم ما به يكتسب الإيمان .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ كقولهم : الملائكة بنات الله. وهؤلاء شفعاؤنا عند الله . ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ كأن كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحراً . وإنما ذكر (أو) وهم وقد جمعوا بين الأمرين تنبيهًا على أن كلا منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم على النفس . ﴿إِنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ[٢١]﴾ فضلا عمن لا أحد أظلم منه .

قوله: ويجوز أن يكون الله شهيد هو الجواب؛لأنه يستلزم ما هو الجواب عنه وهو أنه أكبر شيء شهادة .وقال العلامة التفتازاني:إنه يشبه الأسلوب الحكيم كأنه قيل معلوم أن الله هو أكبر شهادة لكن الكلام الأنسب هو الإخبار بأن الله شهيد لي عليكم مثبت لدعواي بإنزال هذا القرآن لينتبح مع قوله : الله اكبر شهادةأن الأكبر شهادة شهيد لي.

قوله: من الأسود والأحمر: أي العرب والعجم .

قوله: تقرير لهم مع إنكار واستبعاد: أي حمل لهم على الإقرار والاعتراف المؤكد بأن مع الله إلها آخر.

قوله:فضلا عمن لا أحدأظلم منه: حيث افترى على الله كذبا أو كذب بآياته.

﴿ وَيَومَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيْعًا﴾ منصوب بمضمر تهويلًا للأمر . ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِيْنَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ﴾ أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله . وقرأ يعقوب يحشرهم ويقول بالياء ﴿ الَّذِيْنَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ[٢٢]﴾ أي تزعمونهم شركاء . فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ . ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها . ويحتمل أن يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم .

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي كفرهم . والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون أن يتخلصوا بها ؛ من فتنت الذهب إذا خلصته . وقيل جوابهم وإنما سماه فتنة لأنه كذب . أو لأنهم قصدوا به الخلاص . وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على أنها الاسم . ونافع وأبو عمرو ابو بكر عنه بالتاء والنصب على أن الاسم أن قالوا. والتأنيث للخبر كقولهم من كانت أمك والباقون بالياء والنصب . ﴿وَاللّٰهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِيْنَ[٢٣]﴾ يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفعهم من فرط الحيرة والدهشة . كما يقولون: ربنا أخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود . وقيل معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وهو لا يوافق قوله .

قوله: منصوب بمضمر تهويلا للأمر: تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك الناصب ليبقى على الإبهام الذي هو أدخل في التخويف.

قوله: ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم الخ: وجهان في تقدير التوبيخ لأن لكل منهما دخلا في التوبيخ لأن لكل دخلا في التوبيخ، واختار المصنف الوجه الأول لأنه أظهر في التوبيخ والمعنى يجعل الحيلولة بينهم وبين آلهتهم في وقت التوبيخ ليفتدوهم في الساعة التي علقوا الرجاء فيها فيروا خسرهم وحسرتهم .

قوله: يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينتفع من فرط الحيوة والدهشة: إشارة إلى جواب سؤال. وهو أنه كيف يصح الكذب وهم يطلعون على حقائق الأمور وعلى أن لامنفعة لهم في الكذب. فأجاب بأنهم لا يميزون بين ما ينفعهم وما لا ينفعهم لغاية الدهش والحيرة فيكذبون كما أنهم يتيقنون بعد الخلاص من النار ويسألونه .

قوله: وقيل معناه: قال أبو علي الجبائي والقاضي عبد الجبار: إن أهل المحشر لا يجوز إقدامهم على الكذب لأنهم يعرفون الله بالاضطرار فيلجؤون إلى ترك القبيح وأقبح القبائح الكذب، ولما كان هذه الآية صريحة في كذبهم أجابوا عنه بأن معناه ما كنا

﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي بنفي الشرك عنها . وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله .﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم﴾[٥٨ . المجادلة:١٨] وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح .﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَاكَانُواْ يَفْتَرُونَ[٢٤]﴾ من الشركاء .

﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ حين تتلو القرآن . والمراد أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم . اجتمعوا فسمعوا رسول الله ﷺ يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول . فقال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثكم عن القرون الماضية . فقال أبو سفيان إني لأرى حقاً فقال أبو جهل كلا ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية جمع كنان وهو ما يسترالشيء ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفقهوه.﴿وَفِيٓ اٰذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يمنع من استماعه . وقد مر تحقيق ذلك في أول البقرة﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾أي بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم جاؤوك يجادلونك . وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها . والجملة إذا وجوابه وهو ﴿يَقُولُ الَّذِيْنَ

مشركين عند أنفسنا وفي معتقدنا وذلك صدق لأنهم كانوا يعتقدون أنهم موحدون فرد عليه المصنف بأنه لا يوافق قوله تعالىٰ:﴿ أُنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴾بنفي الشرك فإنه صريح في كذبهم ولوحمل قوله :﴿أُنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا﴾ على كذبهم في الدنيا فلا يلزم عدم الموافقة لكان تعسفا وأخذا على غير الطريق الذي يخلّ بالنظم لأن صرف أول الآية إلى أحوال القيامة وآخرها إلى أحوال الدنيا يوجب تفكيك النظم ونظير ذلك قوله تعالىٰ:﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ بعد قوله تعالىٰ:﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾من حيث أنه يدل على كذبهم في يوم القيامة .

قوله: جعلها بيته: أي جعل الله الكعبة بيته، والضمير في "يقول" راجع إلى محمدعليه الصلاة والسلام .

قوله: ما حدثكم: أي عن القرون الماضية .

قوله: وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها: يعني أن حتى حرف ابتداء يقع بعدها الجملة الشرطية .قال أبوالبقاء: "إذا" في موضع نصب بجوابها وهو "يقول" وليس لـ" حتى" ههنا عمل وإنما أفادت الغاية كما لا يعمل في الجمل .

كَفَرُوٓا إِنْ هٰذَآ إِلَّآ أَسَاطِيْرُ الْأَوَّلِيْنَ[٢٥]﴾ فإن جعل أصدق الحديث خرافات الأولين غاية التكذيب . ويجادلونك حال مجيئهم . ويجوز أن تكون الجارة وإذا جاؤوك موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تفسير له . والأساطير الأباطيل جمع أسطورة أو اسطارة أو أسطار جمع سطر . وأصله السطر بمعنى الخط .

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي ينهون الناس عن القرآن . أو الرسول والإيمان به . ﴿وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ﴾ بأنفسهم أو ينهون عن التعرض لرسول الله ﷺ وينأون عنه فلا يؤمنون به كأبي طالب . ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ﴾ وما يهلكون بذلك ﴿إِلَّآ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ[٢٦]﴾ أن ضرره لا يتعداهم الى غيرهم .﴿وَلَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ جوابه محذوف أى و لو تراهم حين يوقعون على النار حتى يعاينوها . أو يطلعون عليها . أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت أمراً شنيعًا . وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليها وقوفًا . ﴿فَقَالُواْ يٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ تمنيًا للرجوع الى الدنيا .﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِاٰيٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ[٢٧]﴾ استيناف كلام منهم على وجه الإثبات كقولهم : دعني ولا أعود . أي وأنا لا أعود تركتني . أو لم تتركني أو عطف على نرد أو حال من الضمير فيه فيكون في حكم التمني وقوله: ﴿وإنهم لكاذبون[٢٨]﴾ [الأنعام:٢٨] راجع إلى ما تضمنه التمني من الوعد

قوله: ويجوز أن يكون الجارة: بمنزلة إلى بمعنى حتى وقت مجيئهم حال كونهم مجادلين لك فيكون لها عمل .

قوله: كأبي طالب: فإنه ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وآله وسلم وينبىء عنه فلا يؤمن به وآتى بضمير الجماعة استعظاما لفعله .

قوله: حين يوقعون على النار: أي يرونها حتى يعاينوها أو يطلعون عليها من وقفته على ذنبه: أي اطلعته عليه، أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا: أي فهمته وعرفته .

قوله: استيناف كلام منهم على وجه الإثبات: أي لا على وجه التمني والتقدير ياليتنانرد ونحن لا نكذب ونحن من المؤمنين رددنا أو لم نرد.

قوله: وقوله تعالىٰ:﴿وإنهم لكاذبون﴾ راجع إلى ما تضمنه التمني من الوعد: جواب سؤال وهو أن يقال يدفع كونه في حكم المتمنى عنه بعد ذلك ﴿إنهم لكاذبون﴾ لأن التمني لا يكون كاذبا لأن الإنشاء لايحتمل الصدق والكذب لأنهما من خواص الخبر. أجاب بأن هذا تمنٍّ تضمن معنى الوعد وهو إن رددنالانكذب .

ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب بإضمار أن بعد الواو إجراء لها مجرى الفاء، وقرأ ابن عامر برفع الأول على العطف ونصب الثاني على الجواب.

﴿بَلْ بَدَالَهُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ الإضراب عن إرادة الإيمان المفهومية من التمني . والمعنى أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم . او قبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجراً لا عزمًا على أنهم لو ردوا لآمنوا. ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ أي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور. ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الكفر والمعاصي. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ[٢٨]﴾ فيما وعدوا به من أنفسهم .

﴿وَقَالُوا﴾ عطف على لعادوا ، أو على إنهم لكاذبون، أو على نهوا، أو استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ الضمير للحياة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمبْعُوثِيْنَ[٢٩]﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ . وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه . او عرفوه حتى التعريف .﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ﴾ كأنه جواب قائل قال: ماذا قال ربهم حينئذ ؟ والهمزة للتقريع على التكذيب . والإشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب .﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إقرار مؤكد باليمن لإنجلاء الأمر غاية الجلاء . ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ[٣٠]﴾ بسبب كفركم أو ببدله .

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ اللّٰهِ﴾ إذ فاتهم النعم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ السَّاعَةُ﴾ غاية لكذبوا لا لخسر . لأنه خسرانهم

قوله: على الجواب بإضمار أن: أي على جواب التمني ومعناه إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين، كذا في الكشاف .ووجهه المصنف بأن الواو أجري مجرى الفاء وهذا مبني على وقوع مثله في كلامهم فإن ثبت فلا كلام فيه. قال العلامة التفتازاني: وأما قراءة النصب فعلى تقدير ليت لنا ردا وعدم تكذيب فإن إضمار أن بعد الواو كإضمارها بعد الفاء، وما ذكر أي صاحب الكشاف من معنى الجزائية والسببية أي إن ردد نالم تكذب ففيه نظر

قوله: ضجرا:أي للضجر بسبب كفرهم وافتضاحهم .

قوله: مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ: إذ لا يجوز وقف على الله حقيقة ولا كناية لأن الكناية لاتنافي إرادة الحقيقة فوجب أن يكون مجازا:أي استعارة تمثيلية .

قوله: أو عرفوا حق التعريف، من قولك وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته.

لا غاية له . ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ونصبها على الحال . او المصدر فإنها نوع من المجىء. ﴿قَالُوا يٰحَسْرَتَنَا﴾ أي تعالى فهذا أو انك . ﴿عَلىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ قصرنا.﴿فِيْهَا﴾ في الحياة الدنيا أضمرت وإن لم يجر ذكرها للعلم بها . أو في الساعة يعني في شأنها والإيمان بها . ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ تمثيل لا ستحقاقهم آصار الآثام .﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ[٣١]﴾ بئس شيئًا يزرونه وزرهم .

﴿وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَّلَهْوٌ﴾ أي وما أعمالها إلا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية . وهو جواب لقولهم ﴿إن هي إلا حيٰوتنا الدنيا﴾[٦. الأنعام :٢٩]﴿وَلَلدَّارُ الْاٰخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِيْنَ يَتَّقُونَ﴾ لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله .﴿للذين يتقون﴾ تنبيه على أن ما ليس من أعمال المتقين لعب ولهو . وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة . ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ[٣٢]﴾ أي الأمرين خير . وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين .

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهٗ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله:

وَلٰكِنَّهٗ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهٗ

قوله: ونصبها على الحال أو المصدر: بمعنى باغتة أو جاء تهم الساعة بغتة .

قوله: أضمرت: أي جيء بضمير الحيوة الدنيا وإن لم يجر لها ذكر أي في هذا المقال، وبالنسبة إلى هو لاء القائلين، وأما قوله تعالىٰ: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ فمقال آخرو قوم آخرون لا يتعلق بهذه الآية .

قوله: آصار الآثام:قال في القاموس الوضر بالضاد المعجمة محركة: وسخ الدسم واللبن جمعه أوضار. وفي بعض النسخ آصار الآثام، قال فيه أيضًا هو جمع أصر بمعنى الذنب والثقل .

قوله:تنبيه على أن ما ليس من أعمال المتقين لعب ولهو:وذلك أنه لما خص بمزية أعمال الآخرة فهو من أعمال الدنيا لعب ولهو وليس من أعمال المتقين لعب ولهو.

قوله: الذي يقولون. أي يقولونه وهو قولهم ساحر كذاب .

قوله: معنى "قد" زيادة الفعل: يعني أن "قد" ليست لتقليل بل للتحقيق والتكثير كـ"رُبَّ" الذي يجيء للتكثير والنائل العطاء، وأول البيت:

"أخي ثقة لا يتلف الخمر ما له": يريد أن جوده ذاتي ما يحدث بالسكر .

والهاء في أنه للشأن . وقرئ ليحزنك من أحزن . ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في الحقيقة . وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من أكذبه إذا وجده كاذباً . او نسبه الى الكذب .﴿وَلَٰكِنَّ الظَّٰلِمِيْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ[٣٣]﴾ ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها . فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا بجحودهم . او جحدوا لتمرنهم على الظلم. والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب . روي أن أبا جهل كان يقول: ما نكذبك وإنك عندنا لصادق وإنما نكذب ما جئتنا به . فنزلت:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ . وفيه دليل على أن قوله: لا يكذبونك . ليس لنفي تكذيبه مطلقًا ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوْذُوا﴾ على تكذيبهم وإيذائهم فتأس بهم واصبر. ﴿حَتّٰى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ فيه إيماء بوعد النصر للصابرين ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمٰتِ اللّٰهِ﴾ لمواعيده من قوله .﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾[٣٧. الصافات: ١٧١] الآيات ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِنْ نَّبَإِالْمُرْسَلِيْنَ[٣٤]﴾ أي بعض قصصهم وما كابدوا من قومهم .﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ عظم وشق.

قوله: ليحزنك:من حزنه بالفتح يحزنه بالضم فهو متعدٍّي وأما حزن بالكسر وهو حزن وحزين فلازم .

قوله: فإنهم لا يكذبونك في الحقيقة: إشارة إلى دفع إشكال يرد هنا وهو أن ظاهر هذا الكلام كالمتناقض، بناء على أن قوله "ولقد كذبت" يدل على تكذيب الرسول لأن التسلية لا تكون بدون تكذيبه، وقوله :" فإنهم لا يكذبونك" نفي لتكذيبه. ووجه الدفع أن هذا ليس نفيا لتكذيبه في الحقيقة وإنما هو تكذيب لله تعالىٰ وإثبات التكذيب له إثباته له صورة .

قوله: وفيه دليل على أن قوله "لا يكذبونك" ليس بنفي التكذيب مطلقا: إذ التسلية إنما تكون لو كذب هو أيضًا فيكون التكذيب له في الصورة ولكن في الحقيقة لله ولآياته.

قوله: ﴿وإن كان كبر عليك﴾: والمعنى وإن عظم وشق إعراضهم عن الإيمان لأجل رجاء إيمانهم وللشفقة عليهم فإن استطعت أن تبتغي وتطلب نفقا في الأرض أو سُلَّما في السماء فتأتيهم بآية توجب الإيمان فافعل ابتغاء النفق والسلم. ثم الإتيان بآية كما هو مقتضى كمال الحرص والرجاء لكن ليس لك قدرة فلم تفعل ذلك. ولو قدرت لفعلت وأتيت بها فظهر أن هذا بيان كمال حرصه على إيمان قومه والشفقة عليهم فلا يرد ما قيل: ليس المقصود بيان حرصه البالغ بل المقصود منعه عن المبالغة على ما هو ظاهر الآية .

﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عنك وعن الإيمان بما جئت به .﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِى نَفَقًا فِى الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى السَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ منفذاً تنفذ فيه الى جوف الأرض فتطلع لهم آية ، أو مصعداً تصعد به إلى السماء فتنزل منها آية . وفي الأرض صفه لنفقًا وفي السماء صفة لسلّمًا، ويجوز أن يكونا متعلقين بـ" تبتغي". أوحالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل . والجملة جواب الأول والمقصود بيان حرصه البالغ على إسلام قومه . وأنه لو قدر أن يأتيهم بآية من تحت الأرض، أو من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم ﴿وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ لو فقهم للإيمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته . فلا تتهالك عليه والمعتزلة أولوه بأنه لو شاء لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ[٣٥]﴾ بالحرص على ما لا يكون . والجزع في مواطن الصبر فإن ذلك من دأب الجهلة .

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيْبُ الَّذِيْنَ يَسْمَعُونَ﴾ إنما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل لقوله تعالى ﴿أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [٥٠-ق:٣٧] وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون . ﴿وَالْمَوْتٰى يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ﴾ فيعلمهم حين لا ينفعهم الإيمان ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ[٣٦]﴾ للجزاء.

﴿وَقَالُوا لَولَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَّبِّهٖ﴾ أي آية بما اقترحوه ، أو آية أخرى سوى ما أنزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا ﴿قُلْ إِنَّ اللّٰهَ قَادِرٌ عَلٰى أَنْ يُّنَزِّلَ اٰيَةً﴾ مما اقترحوه . أو آية تضطرهم إلى الإيمان كنتق الجبل أو آية إن جحدوها هلكوا . ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[٣٧]﴾ أن الله قادرعلى إنزالها . وأن إنزالها يستجلب عليهم البلاء . وأن لهم فيما أنزل مندوحة عن غيره. وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد

قوله: فتطلع لهم آية:أي في جوف الأرض فتأتيهم بها .

قوله:والمعتزلة أَوَّلُوْه: لعله بناء على مذهبهم أن الله تعالىٰ يريد الخير في العباد ولكنهم يفعلون الشر ويخلقونه باختيارهم .

قوله: لعدم اعتدادهم بها عنادا: فكأنها لم تنزل.

قوله: كنتق الجبل:نتقه كما نتق على بني إسرائيل.

قوله:أوآية إن جحدو ها هلكوا: كإنزال الملك قال الله تعالى:﴿ ولو أنزلناملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾ .

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ تدب على وجهها ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيْرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ في الهواء وصفه به قطعاً لمجاز السرعة ونحوها . وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل . ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ محفوظة أحوالها مقدرة أرزاقها وآجالها . والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره . ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية . وجمع الأمم للحمل على المعنى .

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتٰبِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ . فإنه مشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر . حيوان ولا جماد . او القرآن فإنه قد دون فيه ما يحتاج إليه من أمر الدين مفصلًا او مجملاً . ومن مزيد وشيء في موضع المصدر لا بالمفعول به . فإن فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب . وقرئ ما فرطنا بالتخفيف . ﴿ثُمَّ إِلٰى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ[٣٨]﴾ يعني الأمم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي : أنه يأخذ للجماء من القرناء . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما . حشرها موتها.

﴿وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا صُمٌّ﴾ لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعاً تتأثر به نفوسهم . ﴿وَّبُكْمٌ﴾ لا ينطقون بالحق ﴿فِي الظُّلُمٰتِ﴾ خبر ثالث أي خابطون في ظلمات الكفر ، أو في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد . ويجوز أن يكون حالاً من المسكن في الخبر. ﴿مَنْ يَشَإِ اللّٰهُ يُضْلِلْهُ﴾ من يشأ الله إضلاله يضلله . وهو دليل واضح لنا على المعتزلة . ﴿وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ[٣٩]﴾ بأن يرشده إلى الهدى ويحمله عليه .

قوله: تدب على وجهها: أشار بذلك إلى أن "في الأرض" متعلق بذاته على معنى يدب على وجهها.

قوله: قطعا لمجاز السرعة ونحوها: بأن يراد به السريع كما يراد بالأسد الشجاع مجازا .

قوله: وجمع الأمم: جواب سؤال وهو أنه كيف قيل الأمم مع إفراد الدابة والطائر . وتقرير الجواب أنه حمل على المعنى لأن قوله: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه﴾ على معنى الاستغراق ومغن عن أن يقال ومامن دوابّ ولا طير .

﴿قُلْ أَرَئَيْتُكُمْ﴾ استفهام تعجيب . والكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الإعراب لأنك تقول: أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولاً كما قاله الكوفيون لعديت الفعل إلى ثلاثة مفاعيل . وللزم في الآية أن يقال: أرأيتوكم بل الفعل معلق أو المفعول محذوف تقديره : أرأيتكم آلهتكم تنفعكم . إذ تدعونها . وقرأ نافع أرأيتكم وأرأيت وأرأيتم وأفرأيتم أفرأيت وشبهها إذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء . والكسائي يحذفها أصلاً والباقون يحققونها وحمزة إذا وقف وافق نافعاً ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ كما أتى من قبلكم ﴿أَو أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ وهو لها ويدل عليه . ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ وهو تبكيت لهم . ﴿إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ[٤٠]﴾ أن الأصنام آلهة وجوابه محذوف أي فادعوه .

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع . وتقديم

قوله: والكاف حرف خطاب الخ: يعني أن التاء ضمير المخاطب والكاف حرف خطاب جيء به ليدل على أحوال المخاطب في الإفراد والتثنية والجمع وهو تأكيد لضمير المخاطب، ولكونه للخطاب كالضمير، ولا محل له من الإعراب لكونه حرفا.

قوله: أكد به الضمير للتأكيد :أي لمجرد التقرير لا لدفع السهو أو التجوز كما هو شأن التأكيد المصطلح فلا يرد ما قيل أن قوله: "أكد به الضمير" يوجب أن يكون قوله: "للتأكيد" لغوًا وليس الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون وإلا لكان الفعل متعديا إلى ثلاثة مفاعيل ولم يجيء رأيت متعديا إلى ثلاثة مفاعيل، وللزم أن يقال في الآية أرء يتموكم لاتحاد الفاعل والمفعول فيلزم تطابقهما بل الفعل متعدٍّي إلى مفعولين معلق عنهما لوقوعه قبل الاستفهام وهو "أغير الله تبغون" أو المفعول محذوف بقرينة بل "إياه تدعون" والتقدير آلهتكم تنفعكم أو تدعونكم، وأما قوله بل الفعل متعديٍّ إلى مفعولين الخ فمبني على ما ذكره الرضي أن المفعول قد يكون اسما نحو علمت أين جلست ومتى تخرج مع أن الجملة فعلية فعلق عنها، وعلى ما ذكره ابن مالك وجماعة: أن مثل قول الشاعر ولقد علمت لتأتين منيتي مما وقع فيه التعليق باللام. وردّ عليه بأن الناسخ إنما يدخل على ما كان في الأصل مبتدأ وخبرا وهو ههنامنتف والمعنى أخبروني "أغير الله تدعون"وإنما وضع الاستفهام عن العلم موضع الاستخبار لأنه لا يخبر عن الشيء إلا العالم به فوضع السبب موضع المسبب .

المفعول لإفادة التخصيص ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي ما تدعونه الى كشفه . ﴿إِنْ شَآءَ﴾ أ يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة . ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ[٤١]﴾ وتتركون في ذلك الوقت لما ركز في العقول على أنه القادر على كشف الضر دون غيره . أو وتنسونه من شدة الأمر وهوله .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ أي قَبْلِكَ. وَمن زائدة ﴿فَأَخَذْنٰهُمْ﴾ أي فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم ﴿بِالْبَأْسَآءِ﴾ بالشدة والفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ والضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما .﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ[٤٢]﴾ يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم .

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَاءَ هُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوْا﴾ معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم أي لم يتضرعوا. ﴿وَلٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوْا يَعْمَلُونَ[٤٣]﴾ استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وأنه : لا مانع لهم إلا قساوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم .

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوْا بِهٖ﴾ من البأساء والضراء ولم يتعظوا به . ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أنواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء . وامتحانًا لهم بالشدة والرخاء إلزاماً للحجة وإزاحة للعلة . أو مكراً بهم لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال' مكر بالقوم ورب الكعبة" وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الأعراف .﴿حَتّٰى إِذَا فَرِحُوْا﴾ أعجبوا .﴿بِمَآ أُوتُوْا﴾ من النعم ولم يزيدوا غير البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه سبحانه وتعالى . ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ[٤٤]﴾ متحسرون آيسون .

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا﴾ أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبراً ودبوراً إذا تبعه . ﴿وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ[٤٥]﴾ على إهلاكهم فإن هلاك الكفار

قوله: معناه نفي تضرعهم :كأنه قيل فلم يتضرعوا إذ جاء هم بأسناوعليهم أن يتضرعوا ولكن قست قلوبهم فلم يتضرعوا، وهذا معنى قوله استدراك على المعنى أي علىّ وعليهم أن يتضرعوا لأن "فلم يتضرعوا إذا جاء هم بأسنا" في معنى عليهم أن يتضرعوا .

قوله:مراوحة عليهم: بين نوبتي الضراء والسراء المراوحة في العمل أن يعمل هذا مرة وهذا مرة .

والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائد هم وأعمالهم . نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَاللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصَارَكُمْ﴾ أصمكم وأعماكم. ﴿خَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بأن يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم . ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ أي بذلك ، أو بما أخذ وختم عليه او بأحد هذه المذكورات . ﴿أُنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَٰتِ﴾ نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب . وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ[٤٦]﴾ يعرضون عنها . وثم لاستبعاد الإعراض بعد تصريف الآيات وظهورها .

﴿قُلْ أَرَءَيْتُكُمْ إِنْ أَتَٰكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾ من غير مقدمة . ﴿أَو جَهْرَةً﴾ بتقدمة أمارة تؤذن بحلوله وقيل ليلاً أو نهاراً . وقرئ بغتة أو جهرة . ﴿هَل يُهْلَكُ﴾ أي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب . ﴿إِلَّا الْقَومُ الظَّٰلِمُونَ[٤٧]﴾ ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه . وقرئ يهلك بفتح الياء .

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِيْنَ إِلَّا مُبَشِّرِيْنَ﴾ المؤمنين بالجنة ﴿وَمُنْذِرِيْنَ﴾ الكافرين بالنار . ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ ما يجب إصلاحه على ما شرع لهم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العذاب﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[٤٨]﴾ بفوات الثواب.

﴿وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾ جعل العذاب ماساً لهم كأنه الطالب للوصول إليهم . واستغنى بتعريفه عن التوصيف ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ[٤٩]﴾ بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة.

﴿قُلْ لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ مقدوراته أو خزائن رزقه ﴿وَلَآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول . ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكَ﴾ أي من جنس الملائكة . أو أقدر على ما يقدرون عليه . ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ

قوله: بذاك: يريدأن ضمير "به" عائد إلى السمع والأبصار والقلوب بتأويل اسم الإشارة فأفردإسم الإشارة بتأويل المذكورأو بتأويل ماأخذأوالضمير راجع إلى معنى الفعل.

قوله: ليقترح عليهم ويتلهى بهم : أي ليطالب عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة ويستسخربهم .قال الجوهري لوصية لهى به: لعب واستسخر .

إِلَيَّ﴾ تبرأ عن دعوى الألوهية والملكية .وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر رداً لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه . ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمىٰ وَالْبَصِيْرُ﴾ مثل للضال والمهتدي . او الجاهل والعالم . او مدعي المستحيل كالألوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة . ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ[٥٠]﴾ فتهتدوا أو فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل . او فتعلموا أن اتباع الوحي مما لا محيص عنه .

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ الضمير لما يوحى إلي. ﴿الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ أَنْ يُّحْشَرُوْٓا إِلىٰ رَبِّهِمْ﴾ هم المؤمنون المفرطون في العمل . أو المجوزون للحشر مؤمنًا كان أو كافراً مقراً به أو متردداً فيه . فإن الإنذار ينفع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته . ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَّلَا شَفِيْعٌ﴾ في موضع الحال من يحشروا فإن المخوف هو الحشر على هذه الحالة . ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ[٥١]﴾ لكي يتقوا.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِيْنَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ بعد ما أمره بإنذار غير المتقين ليتقوا أمره بإكرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش . روي أنهم قالوا: لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا إليك وحادثناك فقال: ما أنا بطارد المؤمنين . قالوا: فأقمهم عنا إذا جئناك قال نعم . وروي أن عمر رضي الله عنه قال له: لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله تعالى عنه ليكتب فنزلت. والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام . وقيل صلاتا الصبح والعصر . وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفي الكهف ﴿يُرِيْدُونَ وَجْهَهٗ﴾ قال من يدعون أي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالإخلاص تنبيهًا على أنه ملاك الأمر ورتب النهي عليه إشعاراً بأنه يقتضي إكرامهم وينافي إبعادهم ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسٰبِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ أي ليس عليك حساب إيمانهم فلعل إيمانهم عند الله

قوله: أو كافرا مقرا به: كأهل الكتاب لأنهم مقرون بالبعث.

قوله: أو مترددا فيه: كناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون إذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقا فيهلكوا.

قوله: أي ليس عليك حساب إيمانهم: يعني لوكان عليك حساب إيمان المشركين عليك فلعل إيمان المشركين أعظم عندالله من إيمان المؤمنين الذين تطردهم لو آمنوا كيلا يفوت الأمر الأعظم فعلى هذا يكون ضمير 'حسابهم' للمشركين وضمير'

أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم طمعاً في إيمانهم لو آمنوا. او ليس عليك اعتبار بواطنهم وإخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسا بهم عليهم لايتعدا هم اليك كما أن حسا بك عليك لا يتعداك اليهم.وقيل: ما عليك من حساب رزقهم أي من فقرهم . وقيل الضمير للمشركين والمعنى : لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك إيمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعًا فيه .﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ فتبعدهم وهو جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّٰلِمِيْنَ[٥٢]﴾ جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ ومثل ذلك الفتن . وهو اختلاف أحوال الناس في أمور الدنيا . فتنا أي ابتلينا بعضهم ببعض في أمر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشراف قريش بالسبق الى الإيمان. ﴿لِّيَقُولُوٓا أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَآ﴾أي أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا . ونحن الأكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء . وهو إنكار لأن يخص هؤلاء من بينهم بإصابة الحق والسبق إلى الخير كقولهم

'فتطردهم' للمؤمنين ويجوز أن يكون ضمير 'حسابهم' للمؤمنين، والمعنى ما عليك حساب إيمان المؤمنين واعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وإن كان غير مرضي كما قال به المشركون وطعنوا في دينهم حتى تطردهم على احتمال كونه غير مرضي،وإنما عليك ظاهر حالهم واتسامهم باتسام التقوى، وعلى التقديرين فقوله:فلعل الخ بالفاء من تتمة جواب النفيوبيان لسببه .

قوله: ويجوز عطفه على 'فتطردهم' على وجه التسبب: لأن كونه ظالما مسبب عن طرد هم، وهذا دفع لما يتوهم من أنه لو جعل عطفاً على جواب النفي يصح أن يقع جوابالنفي وليس كذلك إذ لا معنى لقولك:" ما عليك من حسابهم من شيء فتكون من الظالمين" .

قوله: وفيه نظر: لأنه لو كان الإيمان الأمر الأعظم ويكون حسابه عليك يكون الطرد لأجل تحصيله جائزا فلا يكون سببا للظلم وأيضًا عليك اعتبار بواطنهم وإن كان باطنهم غير مرضي وحسابه عليك يجوز طردهم فلا يكون سببا لظلمه. وأيضًا لو كان النبي مواخذا بعدم إيمانهم كان له عليه السلام التوصل إلى إيمانهم بأي سبب أمكن كطرد هم في بعض الأوقات فلا يكون الطرد أيضًا سببا للظلم .

﴿لوكان خيرًا ما سبقونا إليه﴾[٤٦. الأحقاف:١١] واللام للعاقبة او للتعليل على أن فتنا متضمن معنى خذلنا .﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِيْنَ[٥٣]﴾ بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه بمن لا يقع منه فيخذله

﴿وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُونَ بِاٰيٰتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالإيمان بالقرآن واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة وعلى العبادة . وأمره بأن يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله تعالى إليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله تعالى وفضله بعد النهي عن طردهم . إيذاناً بأنهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل . ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطرد . ويعز ولا يذل . ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة .و قيل إن قوماً جاء وا الى النبي ﷺ فقالوا: إنا أصبنا ذنوبًا عظامًا فلم يرد عليهم شيْئًا فانصرفوا فنزلت. ﴿ أَنَّهٗ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوْٓءً﴾ استئناف بتفسير الرحمة . وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها . ﴿بِجَهَالَةٍ﴾في موضع الحال أي من عمل ذنبًا جاهلًا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد . كعمر فيما أشار إليه . أو متلتسًا بفعل الجهالة فإن ارتكاب ما يؤدي إلى الضرر من أفعال أهل السفه والجهل .

﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهٖ﴾ بعد العمل أو السوء .﴿وَأَصْلَحَ﴾ بالتدارك والعزم على أن لا يعود إليه ﴿فَأَنَّهٗ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ[٥٤]﴾ فتحه من فتح الأول غير نافع على إضمار مبتدأ او خبر أي فأمره أو فله غفر انه.

﴿وَكَذٰلِكَ﴾ ومثل ذلك التفصيل الواضح .﴿نُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ﴾ أي آيات القرآن في

قوله: أوللتعليل على أن "فتنا" متضمن معنى خذ لنا: وذلك أن الخذلان سبب لهذا القول وإنكار كون الإيمان حقا بخلاف الابتلاء فإنه ليس سببا لذلك الإنكار، بل قد يكون لإقرار الحق وإنما عاقبة هذا الابتلاء إنكار كون الإيمان حقا.

قوله: جاهلا بحقيقة ما يتبعه : فعلى هذا يكون الجهالة مقيدة يقتضيه السياق وحقيقة، وعلى الوجه الثاني مطلقة ومجازا .

قوله: كعمر رضي الله تعالى عنه: فيما أشار إليه أشار بإجابة الكفرة فيما سألوا ولم يعلم أنها مفسدة .

صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والأوابين . ﴿وَلِتَسْتَبِيْنَ سَبِيْلُ الْمُجْرِمِيْنَ[٥٥]﴾ قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل . وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولنبين سبيلهم . والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فإنه يذكرو يؤنث . ويجوز أن يعطف على علة مقدرة أي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين .

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيْتُ﴾ صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة وأنزل علي من الآيات في أمر التوحيد . ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِيْنَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ﴾ عن عبادة ما تعبدون من دون الله . او ما تدعونها آلهة أي تسمونها . ﴿قُلْ لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَآءَ كُمْ﴾ تأكيد لقطع أطماعهم وإشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم . وبيان لمبدأ ضلالهم وأن ما هم عليه هوى وليس بهدي . وتنبيه لمن تحرى الحق على أن يتبع الحجة ولا يقلد ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ أي إن اتبعت أهواء كم فقد ضللت. ﴿وَّمَا اَنَامِنَ الْمُهْتَدِيْنَ[٥٦]﴾ أي في شيء من الهدى حتى أكون من عدادهم . وفيه تعريض بأنهم كذلك.

﴿قُلْ إِنِّى عَلٰى بَيِّنَةٍ﴾ تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين مالا يجوز اتباعه. والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل. وقيل: المراد بها القرآن والوحي، أو الحجج العقلية أو ما يعمها. ﴿مِنْ رَبِّى﴾ من معرفته وأنه لا معبود سواه ويجوز أن يكون صفة لبينة . ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهٖ﴾ الضمير لربي أي كذبتم به حيث أشركتم به غيره. أو لبينة باعتبار المعنى ﴿مَاعِنْدِى تَسْتَعْجِلُونَ بِهٖ﴾ يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم . ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم﴾[٨. الأنفال:٣٢] ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّٰهِ﴾ في تعجيل العذاب وتأخيره . ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ أي القضاء الحق ، أو يصنع وأصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل . وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يَقُصُّ من قص الأثر ، أو من قص الخبر .

قوله: المصرين منهم والأوابين: أي من هو مطبوع على قلبه لا يرجى إسلامه ومن يرى فيه أمارة القبول وهو الذي يخاف إذا سمع ذكراً لقيامه وقد دل قوله: ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم بكم﴾ على أهل الطبع، وقوله: ﴿ والذين يخافون أن يحشروا﴾ على أهل أمارة القبول .

قوله: وإشارة إلى الموجب للنهي: وهو اتباع الهوى دون اتباع الدليل والحجة .

قوله: باعتبار المعنى: وهو القرآن أو الدليل .

قوله: من قص الأثر: أي تبعه وقص الخبر ذكره .

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَٰصِلِيْنَ[٥٧]﴾ القاضين .

﴿قُلْ لَّوْ أَنَّ عِنْدِى﴾ أي في قدرتي ومكنتي . ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهٖ﴾ من العذاب . ﴿لَقُضِىَ الْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾لأهلكتكم عاجلاً غضبًا لربي .وانقطع ما بيني وبينكم . ﴿وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِالظّٰلِمِيْنِ[٥٨]﴾في معني الاستدراك كأنه قال: ولكن الأمر الى الله سبحانه وتعالىٰ وهو أعلم بمن ينبغي أن يؤخذ وبمن ينبغي أن يمهل منهم .

﴿وَعِنْدَهٗ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ خزائنه جمع مفتح بفتح الميم : وهو المخزن أو ما يتوصل به إلى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح . ويؤيده أنه قرئ مفاتيح والمعنى أنه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها . ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ فيعلم أو قاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهر ها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته . وفيه دليل على أنه سبحانه وتعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ عطف للاخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الإخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به . ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَّرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات .﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلَمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ معطوفات على ورقة وقوله . ﴿إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِيْنٌ[٥٩]﴾ بدل من الاستثناء الأول بدل الكل على أن الكتاب المبين علم الله سبحانه وتعالى أو بدل الاشتمال إن أريد به اللوح بالرفع للعطف على محل ورقة او رفعاً على الابتداء والخبر﴿إلا في كتاب مبين﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفّٰكُمْ بِالَّيْلِ﴾ ينيمكم فيه ويراقبكم . استعير التوفي من الموت للنوم

قوله: مستعار من المفاتح: يعني أن هذا استعارة مصرح بها، شبه علمه تعالىٰ بالمفتاح في أن يتوصل به إلى المغيبات، كالمفتاح يتوصل به إلى ما في المخازن من المتاع فالله تعالى يتوصل بعلمه إلى المغيبات فصار المعنى أنه تعالىٰ المتوصل إلى المغيبات المحيط علمه بها فالحصر مستفاد من تقديم الخبر وكذامن قوله:﴿لا يعلمها الا هو﴾ وقال العلامة التفتازاني:إنه استعارة بالكناية، شبه الغيب بالأشياء المستوثق منهابالأقفال واثبات المفاتح تخييلية كالأظفار للمنية .

قوله: بدل الكل على أن الكتاب المبين علم الله: "لأن لا يعلمها" في قوة إلا في علم الله.

قوله: ويراقبكم: وإنما زاد هذا مع أنه لم يكن مذكورا في الكشاف ليترتب عليه الإيقاظ لأنه لو لم يراقبكم لر بما هلكوا فلا يتصور الإيقاظ .

لما بينهما من المشاركة في زوال الإحساس والتمييز فإن أصله قبض الشي بتمامه . ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد . ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ يوقظكم أطلق البعث ترشيحًا للتوفي ﴿فِيْهِ﴾ في النهار ـ ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ليبلغ المتيقظ آخر أجله المسمى له في الدنيا ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالموت﴿ثُمَّ يَنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[٦٠]﴾ بالمجازاة عليه . وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى أنكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار . وأنه سبحانه وتعالى مطلع على أعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار . ليقضي الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم . ثم إليه مرجعكم بالحساب . ثم ينبئكم بما كنتم تعملون با لجزاء.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحفظ أعمالكم . وهم الكرام الكاتبون . والحكمة فيه أن المكلف إذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الأشهاد كان أزجر عن المعاصي . وأن العبد إذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه . ﴿حَتّىٰ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه . وقرأ حمزة توفاه بالألف ممالة.﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ[٦١]﴾ بالتواني والتأخير . وقرئ بالتخفيف والمعنى : لا يجاوزون ماحد لهم بزيادة أو نقصان .

﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى اللَّهِ﴾ إلى حكمه وجزائه .﴿مَولٰهُمُ﴾ الذي يتولى أمرهم .﴿الْحَقُّ﴾ العدل الذي لا يحكم إلا بالحق وقري بالنصب على المدح .﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ يو مئذ لا حكم لغيره فيه .﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحٰسِبِيْنَ[٦٢]﴾ يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب .

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيْكُمْ مِنْ ظُلُمٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ من شدائدهما . استعيرت الظلمة للشدة للمشاركتهما في الهول وإبطال الإبصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب . أو من الخسف في البر، والغرق في البحر . وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف

قوله: وقرئ بالتخفيف:من الإ فراط وهو مجاوزة الحد .

قوله:ويوم ذو كواكب .أي مظلم إذ لا يظهر الكواكب فيه إلا عند الإظلام بسبب خسوف أو غيره من أسباب الإظلام .

والمعنى واحد .﴿ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَّخُفْيَةً﴾ معلنين ومسرين . أو إعلاناً وإسراراً وقرأ أبو بكر هنا وفي الأعراف خفية بالكسر، وقرئ خيفة .﴿لَئِنْ أَنْجٰنَا مِنْ هٰذِهٖ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّٰكِرِيْنَ[٦٣]﴾ على إرادة القول أي تقولون لئن أنجيتنا . وقرأ الكوفيون لئن أنجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه إشارة إلى الظلمة .

﴿قُلِ اللّٰهُ يُنَجِّيْكُمْ مِّنْهَا﴾ شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون .﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ غم سواها . ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ[٦٤]﴾ تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد . وإنما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيهًا على أن من أشرك بعبادة اللّٰه سبحانه وتعالى فكأنه لم يعبده رأسًا.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلٰى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوقِكُمْ﴾ كما فعل بقوم نوح ولوط و أصحاب الفيل،﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كما أغرق فرعون ، وخسف بقارون . وقيل من فوقكم أكابركم وحكامكم ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيد كم . ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ يخطكم ﴿شِيَعًا﴾ فرقا متحزبين على أهواء شتى . فينشب القتال بينكم قال:

وَكَتِيبَةٌ لَبَّسْتُهَا بِكَتِيْبَةٍ حَتّٰى إِذَا التَبَسَتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي

﴿وَيُذِيْقَ بَعْضُكُمْ بَأسَ بَعْضٍ﴾يقا تل بعضكم بعضًا﴿ أُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْاٰيٰتِ﴾ بالوعد والوعيهد .﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُون[٦٥]﴾

﴿وَكَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكُ﴾ أي بالعذاب أو القرآن.﴿ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الواقع لا محالة أو الصدق . ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيل﴾ بحفيظ وكل إلى أمركم فأمتعكم من التكذيب . أو أجازيكم إنما أنا منذرو اللّٰه الحفيظ .

﴿لِكُلِّ نَبَإٍ﴾ خبر يريد به إما بالعذاب أو الإيعاد به . ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ وقت استقرار ووقوع. ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ[٦٧]﴾ عند وقوعه في الدنيا والآخرة .

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِيْنَ يَخُوضُونَ فِيْٓ اٰيَاتِنَا﴾ بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها .

قوله: كما فعل بقوم نوح : أرسل على قوم نوح الطوفان، وعلى قوم لوط المطرُ، وعلى أصحاب الفيل الحجارة .

قوله: على أهواء شتىٰ. كل فرقة منكم مشايعة لامامه أي تابعة له .

قوله: وكتيبة لبستها بكتيبة. أي رب جيش خلطتها بجيش فلما اختلطت نفضت يدي وتركتهم فنفض اليدي كناية عن التخلية .

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فلا تجالسهم وقم عنهم .﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أعاد الضمير على معنى الآيات لأنها القرآن .﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَٰنُ﴾ بأن يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي . وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد.﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾ بعد أن تذكره .﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ[٦٨]﴾ أي معهم . فوضع الظاهر موضع المضمر دلالة على أنهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ وما يلزم المتقين من قبائح أعمالهم وأقوالهم الذين يجالسونهم .﴿مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ شيء مما يحاسبون عليه .﴿وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ﴾ ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع ولكن عليهم ذكرى . ولا يجوز عطفه على محل من شيء ل أن من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولأن من لا تزاد في الإثبات . ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ[٦٩]﴾ يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساء تهم . ويحتمل أن يكون الضمير للذين يتقون والمعنى : لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم . روي: أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزءوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام ونطوف، فنزلت .

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾أي بنوا أمر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلاً وأجلاً . كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب .أوإتخذوا دينهم الذي كلفوه لعباً ولهواً حيث سخروا به .وجعلوا عيد هم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب .والمعني أعرض عنهم ولا تبال بأ فعا لهم وأقوالهم .ويجوز أن يكون تهديداً لهم كقوله تعالى﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾[٢. البقرة: ١١]ومن جعله منسوخاً بآية الصيف حمله على الأمر بالكف عنهم وترك التعرض لهم.﴿ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ حتى أنكروا البعث . ﴿ وَذَكِّرْ بِهِ﴾ أي بالقرآن.﴿ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾مخافة أن

قوله: النهي: أي النهي عن مجالستهم .

قوله: على المصدر: أي ولكن يذكرون الله ذكرا .

قوله: لأن "من حسابهم" يأباه: لأنه من حال من شيء قدم عليه فصار قيدا للعامل فإذا عطف "ذكرىٰ" على "شيء" عطف المفرد على المفرد لا سيما بحرف الاستدراك فالقيود المعتبرة في المعطوف عليه السابقة في الذكر عليه معتبرة في المعطوف البتة بحكم الاستعمال ويكون المعنى لكن عليهم من حسابهم ذكرىٰ. وذكرىٰ ليس من حسابهم .

تسلم إلى الهلاك وترهن بسوء عملها .وأصل الإبسال والبسل المنع ومنه أسد باسل لأن فريسته لا تفلت منه .والباسل الشجاع لأمتناع من قرنه وهذا بسل عليك أي حرام.﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيٌّ وَّلَا شَفِيْعٌ﴾ يدفع عنها العذاب.﴿ وَّإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾وإن تفد كل فداء والعدل الفدية لأنها تعدل المفدى وها هٰهنا الفداء وكل نصب على المصدرية . ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ الفعل مسند إلى منها لا إلى ضميره بخلاف قوله .﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾[٧٤ . المدثر:٤٨] فا نه المفدى به أُولٰئك الذين ابسلوا بما كسبوا أي أسلموا الى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة .

﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيْمٍ وَّعَذَابٌ أَلِيْمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ[٧٠]﴾تأكيد وتفصيل لذلك . والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم .

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ﴾ أنعبد. ﴿مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَالَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ ما لا يقدر على نفعنا وضرنا.﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ ونرجع الى الشرك .﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّٰهُ﴾ فأنقذنا منه ورزقنا الإسلام . ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيٰطِيْنُ﴾ كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه . استفعال من هوي يهوي هويًا إذا ذهب . وقرأ حمزة استهواه بألف ممالة محل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد أي : مشبهين الذي استهوته . او على المصدر أي رداً مثل الذي استهوته.﴿فِى الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾متحيراً ضالاً عن الطريق ﴿لَهٗ أَصْحَابٌ ﴾لهذا المستهوي رفقة ﴿يَدْعُونَهٗ إِلَى الْهُدىٰ﴾ إلى أن يهدوه الطريق المستقيم .أو إلى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر.﴿ ائْتِنَا﴾يقولون له ائتنا .﴿ قُلِ إِنَّ هُدَى اللّٰهِ﴾الذي هو الإسلام.﴿ هُوَ الْهُدىٰ﴾وحده وما عداه ضلال.﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ

قوله: مخافة أن تسلم إلى الهلاك: من التسليم يقال سلمت إليه الشيء فتسلمه: أي أخذه فإن المسلم إليه يمنع المسلم من التصرف، والفريسة الصيد .قال الجوهري: الفرس دق العنق، ومنه فريسة الأسد. والقرن بالكسر: كفؤك في الشجاعة .

قوله: وههنا الفداء: أي العدل، ههنا الفداء بمعنى المصدر لا المفدي .

قوله:لاإلى ضميره :أي ضمير الفعل العائد إلى العدل لأنه مصدر ولايتصور أخذه وإنما المأخوذ هو المفدي.

قوله: إلى أن يهدونه الطريق المستقيم: بناء على أن الهدى مصدر، والمفعول محذوف، أوالمراد بالهدى الطريق المستقيم .

الْعٰلَمِيْن[٧١]﴾من جملة المقول عطف على أن هدى الله .واللام لتعليل الأمر أي أمرنا بذلك لنسلم.وقيل هي بمعنى الباء، وقيل هي زائدة.

﴿وَأَنْ أَقِيْمُوا الصَّلوٰةَ وَاتَّقُوهُ ﴾عطف على لنسلم أي للإسلام وللإقامة الصلاة . أو على موقعه كأنه قيل :وأمرنا أن لنسلم وأن أقيموا الصلاة .روي: أن عبد الرحمٰن بن أبي بكر دعا أباه إلى عبادة الأوثان .فنزلت.وعلى هذا كان أمر الرسول ﷺ بهذا القول إجابة عن الصديق رضي الله تعالى عنه تعظيماً لشانه وإظهاراً للإتحاد الذي كان بينهما .﴿وَهُوَ الَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُون[٧٢]﴾يوم القيامة.

﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَق﴾ قائما بالحق والحكمة.﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الحَقُّ﴾جملة إسمية قدم فيها الخبر أي قوله الحق ويوم يقول كقولك:القتال يوم الجمعة والمعني أنه الخالق للسمٰوٰت والأرضين .قوله الحق نافذ في الكائنات .وقيل يوم منصوب بالعطف على السمٰوٰت أو الهاء في واتقوه . أو بمحذوف دل عليه بالحق .وقوله الحق مبتدأ وخبر أو فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أي لقضائى كن فيكون .والمراد به حين يكون الأشياء ويحدثها أو حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحيائها ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَومَ يُنْفَخُ فِى الصُّور﴾ كقوله سبحانه وتعالى﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾أي هو عالم الغيب ﴿وَهُوَ الْحَكِيْمُ الْخَبِيْرُ[٧٣]﴾ كالفذلكة للآية

قوله: أي أمرنا بذلك: أي أمرنا بهدى الله الذي هو الإسلام لأجل أن نسلم. وقيل اللام بمعنى الباء: أي أمرنا بالإسلام، وقيل: زائدة أي أمرنا أن نسلم ؛لأن 'أمر' يتعدى بدون الباء أيضًا .قال في القاموس: أمره وبه .

قوله: أو على موقعه:أي موضع لنسلم. قيل المراد أنه كثيرا ما يقع في هذا الموقع أن نسلم فعطف عليه وأن أقيموا بهذا الاعتبار على طريقة ﴿فأصدق وأكن﴾ وبهذا يشعر قوله" كأنه قيل: أمرنا أن نسلم وأن أقيموا .واعترض عليه العلامة التفتازاني بأن "أن" في أن نسلم مصدرية ناصبة للمضارع، وفي أن أقيموا مفسرة .

قوله: أي قوله الحق يوم يقول:أي ثابت مستقر يوم يقول .

قوله: أو بمحذوف دل عليه الخ: التقدير يقوم بالحق حين يكون الأشياء .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيْمُ لِأَبِيْهِ اٰزَرَ﴾وهو عطف بيان لأبيه .وفي كتب التواريخ أن إسمه تارح فقيل هما علمان له كإسرائيل ويعقوب . وقيل العلم تارح، وآزر وصف، معناه الشيخ او المعوج . ولعل منع صرفه لأنه أعجمي حمل على موازنه أو نعت مشتق من الأزر أو الوزر. والأقرب أنه علم أعجمي على فاعل كعبار وشالخ . وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته . او أطلق عليه بحذف المضاف . وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده أي أتعبد آزر ثم قال:﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًاالِهَةً﴾ تفسيراً وتقريراً . ويدل عليه أنه قرئ أزراً. تتخذ أصناماً بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم . وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على أنه علم .﴿إِنِّيٓ أَرٰكَ وَ قَوْ مَكَ فِي ضَلٰلٍ﴾ عن الحق . ﴿مُبِيْنٍ[٧٤]﴾ ظاهر الضلالة .

﴿وَ كَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰهِيْمَ﴾ومثل هذا التبصير نبصره . وهو حكاية حال ماضية . وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية . ﴿مَلَكُوْتَ السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضَ﴾ ربوبيتها وملكها . وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت أعظم الملك والتاء فيه للمبالغة .﴿وَلِيَكُوْنَ مِنَ الْمُوقِنِيْنَ[٧٥]﴾ أي ليستدل وليكون . أوفعلنا ذلك ليكون .

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الليل رَءَ اكَوْكَبًا قَالَ هٰذَا رَبِّى﴾ تفصيل وبيان لذلك . وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نري اعتراض فإن أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنام والكواكب . فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال . وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشتري وقوله: هذا ربي على سبيل الوضع فإن المستبدل على فساد قول يحكيه على ما يقول الخصم ثم يكر عليه بالإفساد، أو على وجه النظر والاستدلال. وإنما قاله زمان مراهقته أو أول أوان بلوغه . ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي غاب . ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ الأفِلِيْنَ[٧٦]﴾ فضلاً عن عبادتهم

قوله: آزر: أي تعبد آزر.

قوله: ومعناه تبصره دلائل الربوبية: أي تبصر الملكوت دلا ئل الربوبية .

قوله: وقوله ﴿هذا ربي﴾ على سبيل الوضع: وقوله أو على وجه النظر والاستدلال: الأول على تقدير أن يكون قوله:﴿ فلما جن عليه الليل﴾ إرشادا للخصم إلى الحق وإلزاما له من طريق النظر والاستدلال. والثاني على تقدير أن يكون استدلالا وإثباتا لما هو الحق من دينه وهذا إنما يكون في زمان مراهقته أو أوان بلوغه بخلاف الأول .

فإن الانتقال والاحتجاب بالأستار يقتضي ألامان والحدوث وينافي الألوهية .

﴿فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ مبتدئًا في الطلوع . ﴿قَالَ هٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ[٧٧]﴾ استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق. فإنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه إرشاداً لقومه وتنبيهًا لهم على أن القمر أيضًا لتغير حاله لا يصلح للألوهية . وأن من اتخذه إلهًا فهو ضال .

﴿فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّى﴾ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث . ﴿هٰذَا أَكْبَرُ﴾ كبره استدلالاً او إظهاراً لشبهة الخصم . ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ[٧٨]﴾ من الأجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به . ثم لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال:

﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ[٧٩]﴾ وإنما احتج بالأفول دون البزوغ مع أنه أيضًا انتقال لتعدد دلالته . ولأنه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال .

﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ﴾ وخاصموه في التوحيد . ﴿قَالَ أَتُحَآجُّوٓنِّى فِى اللّٰهِ﴾ في وحدانيته سبحانه وتعالى . وقرأ نافع وابن عامر ى بخلا ف عن هشام بتخفيف النون . ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾ الى توحيده . ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ أي لا أخاف معبوداتكم في وقت لأنها لا تضر بنفسها ولا تنفع . ﴿ إِلَّآ أَنْ يَشَآءَ رَبِّى شَيْئًا﴾ أن يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم إياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ كأنه علة الاستثناء . أي أحاط به علماً فلا يبعد أن يكون في علمه أن يحيق

قوله: فإن الانتقال والاحتجاب بالأستار يقتضي الإمكان والحدوث وتنافي الألوهية؛ لأن الإله يكون واجبا لذاته لا يتصف بسمات الحدوث والإمكان .

قوله: إرشادا لقومه: علة لاستعجز نفسه مع ما عطف عليه .

قوله: لتعدد دلالته: لأنه يدل على عدم ألوهية الكواكب أيضًا بخلاف البزوغ فإن دلالته لا يظهر في الكواكب؛ لأن البزوغ ابتداء في الطلوع والكواكب أصغر جرمه يطلع مرة في الرؤية وإن كان أيضًا ابتداء في الطلوع في نفس الأمر .

قوله: في التوحيد :أي توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك .

بي مكروه من جهتها ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ[٨٠]﴾ فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز .

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ ولا يتعلق به ضر . ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ﴾ وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لأنه إشراك للمصنوع بالصانع . وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع . ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ ما لم ينزل بإشراكه كتاباً . أو لم ينصب عليه دليلاً . ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أي الموحدون أو المشركون . إنما لم يقل أينا أم أنتم احترازاً من تزكية نفسه . ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ[٨١]﴾ ما يحق أن يخاف منه .

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ[٨٢]﴾ استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه . والمراد بالظلم ها هنا الشرك لما روي أن الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا: أينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام: "ليس ما تظنون إنما هو ما قال لقمان لابنه يا بنيّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" وليس الإيمان به أن يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الإشراك به . وقيل المعصية

﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله ﴿فلما جن عليه الليل﴾ إلى قوله. ﴿وهم مهتدون﴾ أو من قوله .﴿أتحاجوني﴾إليه ﴿حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَاهِيمَ﴾ أرشدنا وإليها أو علمناه إياها .﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ متعلق بحجتنا إن جعل خبر تلك وبمحذوف إن جعل بدله أي: آتينها ابراهيم حجة على قومه .﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَشَآءُ﴾ في العلم والحكمة . وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في رفعه وخفضه . ﴿عَلِيمٌ[٨٣]﴾ بحال من يرفعه واستعداده له.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ أي كلا منهما ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل إبراهيم . عد هداه نعمة على إبراهيم من حيث إنه أبوه وشرف الوالد يتعدى إلى الولد .﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام إذ الكلام فيه . وقيل لنوح عليه السلام لأنه أقرب ولأن يونس ولوطاً ليسا من ذرية إبراهيم . فلوكان لإبراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا

قوله: اختص البيان: أي اختص بيان المهدي من الذرية بالمعدودين في الآيتين الأوليين والمذكورون في الآية الثالثة معطوف على نوحا.

﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَنَ وَأَيُّوبَ﴾ أيوب بن أموص من أسباط عيص بن إسحاق. ﴿وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ[٨٤]﴾ أي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا إبراهيم برفع درجاته وكثرة أولاده والنبوة فيهم .

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ هو ابن مريم وفي ذكره دليل على أن الذرية تتناول أولاد البنت . ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ قيل: هو إدريس جد نوح فيكون البيان مخصوصًا بمن في الآية الأولى . وقيل هو من أسباط هارون أخي مو سى . ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّلِحِينَ [٨٥]﴾ الكاملين في الصلاح وهو الإتيان بما ينبعي والتحرز عما لا ينبغي .

﴿وَإِسْمَعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ هو اليسع بن أخطوب . وقرأ حمزة والكسائي والليسع ، وعلى القراء تين هو علم أعجمي أدخل عليه اللام كما أدخل على اليزيد في قوله :

رَأَيتُ الْوَلِيْدُ بن الْيَزِيْدِ مُبَارَكًا ... شَدِيْدًا بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهُ

﴿وَيُونُسَ﴾ هو يونس بن متى. ﴿وَلُوطًا﴾ هو ابن هاران أخي إبراهيم . ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَلَمِينَ[٨٦]﴾ بالنبوة . وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق .

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ عطف على كلا أو نوحًا أي فضلنا كلاً منهم أو هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم و إخوانهم فإن منهم من لم يكن نبيًا ولا مهدياً . ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ عطف على فضلنا أو هدينا. ﴿وَهَدَيْنَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ[٨٧]﴾ تكرير لبيان ما هدوا إليه .

﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ إشارة إما دانوا به ﴿يَهْدِى بِهِ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ دليل على أنه متفضل عليهم بالهداية ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ﴾ أي ولو أشرك هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع فضلهم وعلو شأنهم. ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ[٨٨]﴾ لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم بسقوط ثوابها .

قوله: فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الأولى: لأن إدريس المهدي ليس من ذرية نوح عليه السلام .

قوله: تكرير لبيان ما هدوا إليه. يعني كرر" هديناهم" لأجل بيان ما هداهم إليه وهو الصراط المستقيم .

قوله: إشارة إلى مادانوا به: يعني أن الضمير راجع إلى ما أشعر به ذكر الأنبياء وهو الذي دانوا به .

﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ﴾ يريد به الجنس ﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكمة أو فصل الأمر على ما يقتضيه الحق . ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ والرسالة.﴿فَإِنْ يَّكْفُرْ بِهَا﴾ أي بهذه الثلاثة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني قريشًا.﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أي بمراعاتها﴿قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ[٨٩]﴾ وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورون ومتابعوهم . وقيل: هم الأنصار او أصحاب النبي ﷺ . أو كل من آمن به أو الفرس . وقيل الملائكة .

﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يريد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتقدم ذكرهم . ﴿فَبِهُدَٰهُمُ اقْتَدِهْ﴾ فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توا فقوا عليه من التوحيد وأصول الدين دون الفروع المخلتف فيها . فإنها ليست هدى مضافاً الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعًا . فليس فيه دليل على أنه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله . والهاء في اقتده للوقوف ومن أثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم أجرى الوصل مجرى الوقف . ويحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة والكسائي وأشبعها بالكسر ابن عامر برواية ابن ذخوان على أنها كناية عن المصدر وكسرها بغير إشباع برواية هشام . ﴿ قُلْ لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على التبليغ او القرآن .﴿أَجْرًا﴾ جعلاً من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين . وهذا من جملة ما أمر بالاقتداء بهم فيه . ﴿ إِنْ هُوَ﴾ أي التبليغ أو القرآن أو الغرض .﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ[٩٠]﴾ إلا تذكيراً وموعظة لهم .

﴿وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والإنعام على العباد . ﴿إِذْ قَالُوٓاْ مَآ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ﴾ حين أنكروا الوحي وبعثة الرسل عليهم الصلاة

قوله: بهذه الثلثة:أي بالكتاب والحكم والنبوة .

قوله: ﴿وكّلنابها﴾ أي بمراعاتها:ومعنى تؤكليهم بها أنهم وفقواللإيمان بها والقيام بحقوقها كما يؤكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه .

قوله: فاختص طريقتهم بالاقتداء: ومعنى الاختصاص يفهم من تقديم المفعول.

قوله: على أنها كناية عن المصدر:أي ضميرالمصدر راجع إليه فيكون مفعولا مطلقا لاقتداء: أي اقتد بهداهم اقتداء .

قوله: أو الغرض: يعني ليس الغرض الأجر، وإنما الغرض الذكرى للعالمين فالضمير يرجع إلى ما يفهم من السياق: لأن قوله:﴿ قل لاأسألكم عليه اجرا﴾ مسوق لبيان الغرض .

والسلام . وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته أو في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة . والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن، بدليل نقض كلامهم . وإلزامهم بقوله ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتٰبَ الَّذِى جَآءَ بِهِ مُوسٰى نُورًا وَّهُدًى لِّلنَّاس قراءة الجمهور تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيْسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيْرًا﴾ بالتاء وإنما قرأ بالياء ابن كثير وأبوعمرو حملاً على قالوا وما قدروا . وتضمين ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمهم على تجزئتها بإبداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة وإخفاء بعض لا يشتهونه . وروي(أن مالك بن الصيف قاله لما أغضبه الرسول ﷺ بقوله : أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين قال: نعم إن الله يبغض الحبر السمين . قال عليه الصلاة والسلام : فأنت الحبر السمين) وقيل هم المشركون وإلزامهم بإنزال التوراة لأنه كان من المشهورات الزائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون ﴿لَوْ اَنَّا اُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتٰبَ لَكُنَّا أَهْدىٰ مِنهُمْ﴾٦. الأنعام:١٥٧]﴿وَعُلِّمْتُمْ﴾ على لسان محمد ﷺ ﴿وَمَا لَمْ تَعْلَمُوْٓا أَنْتُمْ وَلَآ اٰبَآئُكُمْ﴾ زيادة على ما في التوراة وبياناً لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا أعلم منكم نظيره ﴿إن هذا القراٰن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾[٢٧. النمل: ٧٦] وقيل الخطاب لمن اٰمن من

قوله: أو في السخط: عطف على قوله في الرحمة .

قوله: قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن: جواب عما يقال كيف يتصور هذا القول من اليهود وهم معترفون بأن الله أنزل التوراة على موسىٰ عليه السلام؟ فأجاب بأنهم قالوا ذلك لأجل المبالغة في إنكار إنزال القرآن، لا لأجل إنكار الإنزال مطلقا. فكأنهم قالوا ما أنزل الله القرآن البتة، فأجاب بأن الله تعالىٰ أنزل التوراة على موسىٰ كما اعترفتم فكذلك أنزل القرآن على محمد صلى الله تعالىٰ عليه وآله وسلم .

قوله: بدليل: متعلق بقوله والقائلون هم اليهود .

قوله: وقراءة الجمهور: أي وبدليل قراءة الجمهوربالتاء الفوقانية فإن اليهود هم الذين كانوا يجعلون التوراة قراطيس مقطعة ليتمكنوا من إبداء البعض وإخفاء البعض وهو ما فيه من نعت محمد ﷺ .وأما على قراءة الياء التحتانية فيكون التفاتا جعلوا غيبالارتكابهم شناعة ذلك الفعل. كذا ذكره العلامة التفتازاني. واعلم أنه لا يظهر وجه لاختصاص قراءة التاء دون الياء بكونه دليلا على أن المراد اليهود.

قريش ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي أنزله الله. أو الله أنزله. أمره بأن يجيب عنهم إشعاراً بأن الجواب متعين لا يمكن غيره . وتنبيهًا على أنهم بهتوا بحيث إنهم لا يقدرون على الجواب ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ في أباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ وإلزام الحجة . ﴿يَلْعَبُونَ[٩١]﴾ حال من هم الأول . والظرف صلة ذرهم او يلعبون أو حا ل منهم الأول والظرف صلة ذرهم أو يلعبون أو حال من مفعوله . أو فاعل يلعبون أو من هم الثاني والظرف متصل بالأول .

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير الفائدة والنفع . ﴿مُّصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني التوراة أو الكتب التي قبله . ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ عطف على ما دل عليه مبارك: أي للبركات ولتنذر، أو علة لمحذوف أي ولتنذر أهل أم القرى أنزلناه . وإنما سميت مكة بذلك لأنها قبلة أهل القرى ومحجهم ومجتمعهم وأعظم القرى شأنًا . وقيل: لأن الأرض دحيت من تحتها . او لأنها مكان اول بيت وضع للناس . وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء أي ولينذر الكتاب . ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ اهل الشرق والغرب . ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ[٩٢]﴾ فإن من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب . والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لأنها عماد الدين وعلم الإيمان .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعم أنه بعثه نبيًا كمسيلمة والأسود العنسي . أو اختلف عليه أحكاماً كعمر بن لحي ومتابعيه . ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله ﷺ فلما نزلت ﴿ولقد

قوله: لأنها قبلة أهل القرى: يتوجهون إليها، ومحجهم يحجون ويقصدون إليها ويجتمعون فيها فيكون مرجعاً لجميع القرى وأعظم القرى شأنا كالأم يتوجه إليها أولادها ويقصدون إليها ويجتمعون عندها وأعظم شأنا .

قوله: وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها: فكانت أصلا للأرض، ولأنها مكان أول بيت وضع للناس فكان الكعبة أصل البيوت. قال الجوهري: أم الشيء أصله، ومكة أم القرى، والأم الوالدة .

قوله: والضميريحتملهما: أي النبي والكتاب: يرجع إلى النبي أو الكتاب .

قوله: يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :أي الوحي وكان كاتب الوحي.

خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾[٢٣المؤمنون:١٢] فلما بلغ قوله ﴿ثُمَّ أنشأناه خلقًا آخر﴾[المؤمنون:١٤] قال عبد الله(فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ تعجبًا من تفصيل خلق الإنسان فقال عليه الصلاة والسلام : اكتبها فكذلك نزلت . فشك عبد الله وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إِلَيَّ كما أوحي إليك ولئن كان كاذبًا قلت كما قال﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الظَّٰلِمُونَ﴾ حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه أي ولو ترى الظالمين .﴿فِى غَمَرَٰتِ الْمَوْتِ﴾ شدائده من غمره الماء إذا غشيه﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ بقبض أرواحهم كالمتقاضي الملظ أو بالعذاب﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ أي يقولون لهم أخرجوها إلينا من أجساد تغليظًا وتعنيفًا عليهم . أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا . ﴿الْيَوْمَ﴾ يريدون وقت الإماتة . أو الوقت الممتد من الإماتة إلى مالا نهاية له . ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي الهوان يريدون العذاب المتضمن لشدة وإهانة . فإضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه . ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبًا.﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ[٩٣]﴾ فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون .

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ للحساب والجزاء ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ منفردين عن الأموال والأولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا . أو عن الأعوان والأوثان التي زعمتم أنها شفعاؤكم . وهو جمع فرد والألف للتأنيث ككسالى . وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى . ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بدل منه أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد . أو حال ثانية إن جوز التعدد فيها . أو حال من الضمير في فرادى أي مشبهتين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلاً بهما . أو صفة مصدر جئتمونا أي مجيئنا كما خلقناكم . ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة . ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ ما قدمتم منه شيئًا ولم تحتملوا نقيراً .﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ

قوله: فشك عبد الله: فارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل الفتح.

قوله: كالمتقاضي الملظ :أي الملازم هذا تمثيل وتشبيه لفعل الملائكة في قبض أرواح الظالمين بفعل العزم الملظ في استيفاء حقه يبسط يده إلى الساعة .

قوله: أوأخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا: أي لا تقدرون على الخلاص.

قوله: لعراقته وتمكنه فيه: أي لعراقة العذاب وتمكنه في الهوان كقولك رجل سيء.

شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ أي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم. والبين من الأضداد يستعمل للوصل والفصل . وقيل هو الظرف أسند إليه الفعل اتساعًا والمعنى: وقع التقطع بينكم. ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على إضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه. أو أقيم مقام موصوفه وأصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به. ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ ضاع وبطل. ﴿وَمَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ[٩٤]﴾ أنها شفعاؤكم أو أن لا بعث ولا جزاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ بالنبات والشجر . وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة. ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ يريد به ما ينموا من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله. ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ مما لا ينمو كالنطف والحب. ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ ومخرج ذلك من الحيوان والنبات. ذكره بلفظ الاسم حملاً على فالق الحب فإن قوله: يخرج الحي

قوله: لأنه يستعمل للفصل والوصل: قال الزجاج البينُ الوصل والهجر فعلى هذا يكون 'بين' إسما غير ظرف بمعنى الوصل، وقيل هو ظرف لازم الظرفية ينصب بمعنى 'في' ثم اتسع فيه فجعل مفعولا به مجازا ثم أسند إليه الفعل فجعل فاعلا. قال في التسهيل وشرحه التعليق: ويسوغ في الظروف حين التوسع فيه أي جعله مفعولا به الإضافة والإسناد إليه نحويا سارق الليلة وأهل الدار وقولهم صيد عليه يومان، فقوله: والمعنى الخحاصل المعنى الإسناد الفعل إلى المصدر.

قوله: أوأقيم مقام مو صو فه وأصله لقد تقطع ما بينكم: على أن يكون ما موصوفة إلا أنه على هذا يلزم حذف الفاعل ولم يثبت خلافا للكسائي فإن عنده يجوز حذفه مطلقا. كذا ذكره ابن قاسم في شرح الألفية.

قوله: بالنبات والشجر: الأول متعلق بالحب والثاني بالنوى.

قوله: يريد به ما ينمومن الحيوان والنبات: يعني يريد بالحي ما ينمو مطلقا لاالحيوان مع أن ظهور الحيوة فيه ليطابق الحب والنوى المختصين بالنبات والشجر وإنما لم يذكر النبات ههنا اكتفاء بما سبق أو بناء على أن الشجر في حكم النبات لأنهما من جنس الأجسام النامية فقط.

قوله: حملا على فالق الحب: يعني أنه عطف على 'فالق الحب' لا على 'يخرج الحي من الميت' لأنه بيان لفالق الحب لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من

واقع موقع البيان له .﴿ذٰلكم اللّٰه﴾ أي ذلكم المحي المميت هو الذي يحق له العبادة.﴿فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ[٩٥]﴾ تصرفون عنه الى غيره.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ شاقٌ عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار .أو شاق ظلمة الإصباح وهو الغبش الذي يليه، والإصباح في الأصل مصدر أصبح إذا دخل في الصباح سمي به الصبح .وقرىء بفتح الهمزة على الجمع وقرىء فالق الإصباح بالنصب على المدح ﴿ وجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا﴾يسكن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن إليه إذا إطمأن إليه إستئناسا به .أو يسكن فيه الخلق من قوله تعالى﴿لتسكنوا فيه﴾[١٢ .يونس:٢٧]-[٢٨ .القصص:٧٣]-[غافر:٦١]ونسبه بفعل دل عليه جاعل لا" به " فإنه في المعني الماضي .ويدل عليه قرأة الكوفين وجعل الليل حملاً على معني معطوف عليه فإن فالق بمعنى فلق ولذلك قرىء به .أو به على أن المراد منه جعل مستمر في الأزمنة المختلفة وعلى هذا يجوز أن يكون. ﴿ وَّالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾عطفاً على محل الليل ويشهد له قرائتهما بالجر والأحسن نصبهما بجعل مقدراً .وقرىء بالرفع على الإبتداء والخبر محذوف أي مجعولان ﴿حُسْبَانًا﴾ أي على أدوار مختلفة يحسب بهما الا وقات ويكو نا ن علمي الحسان وهو مصدر حسب بالفتح كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب . وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان .﴿ذٰلِكَ﴾ إشارة إلى جعلهما حسباناً أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم .﴿تَقْدِيْرُالْعَزِيْزِ﴾ الذي قهر هما وسيرتهما على الوجه المخصوص .

جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي في حكم الحيوان، ألا ترى إلى قوله تعالٰى:﴿كيف يحي الأرض بعد موتها﴾.

قوله: شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل الخ : إشارة إلى دفع سؤال، وهو أنه معنى فلق الصبح مع أن الظلمة هي التي تنفلق وتنشق عن الصبح فأجاب بأنه ضمن الفلق معنى التمييز ولذلك عدي بعن، وبأنه على تقدير مضاف والمعنى مميزا عمود الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض النهار أو شاق ظلمة الليل فانشق الظلمة عن الصبح فقوله: 'شاق' تفسير لمعنى 'فالق' لا دخل له في الجواب .

قوله: على أدوار مختلفة تحتسب بهما الأوقات:لأن بالأدوار المختلفة الحاصلة بالأفلاك الكلية والجزئية يتعين السنون والشهور. والحسبان بالضم الحساب وبالكسر الظن والتخمين.

قوله:أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم: وهو الحر كات اليومية الخاصة لكل منهما

﴿الْعَلِيْمِ[٩٦]﴾ بتدبير هما والأنفع من التداوير الممكنة لهما .

﴿وَهُوَ الَّذِىْ جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ خلقها لكم ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ في ظلمات الليل في البر والبحر . وإضافتها إليهما للملابسة أو في مشتبهات الطرق وسما ها ظلمات على الاستعارة وهو إفراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما أجملها بقوله لكم﴿قَدْ فَصَّلْنَا الاٰيٰتِ﴾ بيناها فصلاًفصلا﴿لِقَوْمٍ يَّعْلَمُونَ[٩٧]﴾ فإنهم المنتفعون به .

﴿وَهُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَّاحِدَةٍ﴾ هو آدم عليه الصلاة والسلام . ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أي فلكم استقرار في الأصلاب . او فوق الأرض واستيداع في الأرحام . أو تحت الأرض أو موضع استقراً واستيداع . وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على أنه اسم فاعل . والمستودع اسم مفعول أي فمنكم قار ومنكم مستودع . لأن الاستقرار منا دون الاستيداع . ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَّفْقَهُونَ[٩٨]﴾ ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لأن أمرها ظاهر . ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لأن إنشأهم من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر.

﴿وَهُوَ الَّذِىٓ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً﴾ من السحاب . أو من جانب السماء .﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ على تلوين الخطاب ﴿بِهٖ﴾ بالماء .﴿ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ نبت كل صنف من النبات والمعنى: إظهار القدرة في إنبات الأنواع المختلفة المفننة المسقية بماء واحد

قوله:أضافتها إليهما للملابسة: أي لأدنى ملابسة لان البر والبحر يكونان ظرفين للظلمات.

قوله:وسماهاظلمات على الاستعارة : شبه الطرق المشبهة بظلمات الليل في عدم الاهتداء فيها .

قوله: أي فلكم استقرارالخ:هذا بناء على أن مستقرا إما مصدر ميمى أو اسم مكان.

قوله:ذكر مع ذكر النجوم يعلمون الخ: يعني أن الفقه في العرف هو الفهم والحذاقة وتدقيق النظر فكان أليق بالاستدلال بالأنفس لما فيه من الدقة والخفاء بخلاف الاستدلال بالنجوم ففيه الظهور والجلاء فكان العلم الذي هو أعم منه أليق به .

قوله: على تلوين الخطاب: أي ما يخاطب به من الكلام حيث انتقل من الغيبة : إلى التكلم في 'أخرجنا' .

كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿تسقى بماء واحد﴾ ونفضل بعضها على بعض في الأكل.[١٣. الرعد:٤]﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ من النبات او الماء ﴿خَضِرًا﴾ شيئاً يقال أخضر وخضر كأعور وعور. وهو الخارج من الحبة المتشعب، ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ وهو السنبل .﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾ أي وأخرجنا من النخل نخلًا من طلعها قنوان أو من النخل شيء من طلعها قنوان . ويجوز أن يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى: وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الأعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو. وقرئ بضم القاف كذئب وَذؤ بأن وبفتحها على أنه اسم جمع إذ ليس فعلان من أبنية الجمع .﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة من المتناول . أو ملتفة قريب بعضها من بعض . وإنما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها . ﴿وَّجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ عطف على نبات كل شيء . وقرأ نافع بالرفع على الابتداء أي ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات . ولا يجوز عطفه على قنوان إذا العنب لا يخرج من النخل .﴿وَّالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ أيضًا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم . ﴿مُشْتَبِهاً وَّغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ حال من الرمان . او من الجميع أي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم.﴿انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ﴾ أي ثمر كل واحد من ذلك . وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء والميم . وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب . او ثمار ككتاب وكتب . ﴿ إِذَا أَثْمَرَ﴾ اذا أخرج ثمره كيف يثمر ضئيلاً لا يكاد ينتفع به . ﴿وَيَنْعِهِ﴾ وإلى حال نضجه أو إلى نضيجه كيف يعود ضخماً ذا نفع ولذة . وهو في الأصل مصدر ينعت الثمر إذا أدركت . وقيل جمع يانع كتاجر وتجر . وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه .﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُونَ[٩٩]﴾ أي لآيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده . فإن حدوث الأجناس المختلفة والأنواع المتفننة من أصل واحد ونقلها من حال

قوله: نبت: يعني أن نبات مصدر .

قوله: وهو السنبل: الذي تراكب حبه.

قوله: أو من النخل شيء من طلعها قنوان: فعلى هذا يكون 'من النخل' خبر مبتدأ هو 'شيء' و'من طلعها' صفة شيء، و'قنوان' بدل من شيء.

قوله: وإنما اقتصر على ذكرها: يعني اقتصر على ذكر الدانية عن غير الدانية لدلالتها عليهاأو قرينة عليها .

إلـى حـال لا يـكون إلا بإحداث قادر يعلم تفاصيلها . ويرجع ما تقتضيه حكمته مما يمكن مـن أحوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه أو ضد يعانده . ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال:

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ الْجِنَّ﴾ أي الملائكة بأن عبدوهم وقالوا: الملائكة بنات الله وسـمـاهـم جنـاً لاجتنـانهم تحقيراً لشأنهم ، أو الشياطين لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله تـعـالىٰ،أو عبدوا الأوثان بتسـويلهم وتـحريضهم ، أو قـالوالله خـالـق الـخير وكل نافع . والشيـطـان خالق الشر وكل ضا ركما هو رأي الثنوية . ومفعولاً جعلوا: لله شركاء . والجن بـدل مـن شـركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء . او حال منه وقرئ الجن با لرفع كأنه قيـل: مـن هـم فقيل الجن . والجن بالجر على الإضافة للتبيين ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ حال بتقدير قد والـمعنـى وقـد عـلموا أن الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق . وقرئ و خـلـقهم عطفاً على الجن أي ومـا يـخلقونه مـن الأصـنـام ، أو على شركاء أي وجعلوا له اختلافهم للإفك حيث نسبوه إليه . ﴿وَخَـرَقُـوا لَـهُ﴾ افتعلوا وافتروا له . وقرأ نا فع بتشديد الـراء لـلتـكثيـر . وقـرئ وحـرفـوا: أي وزوروا. ﴿بَنِيْنَ وَبَنٰتٍ﴾ فقالت اليهود عزيز ابن الله . وقالت النصارى المسيح ابن الله . وقالت العرب الملائكة بنات الله، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه ويروا عليه دليلاً . وهو في موضع الحال من الواو ، أو المصدر أي خرقاً بغير علم .﴿سُبْحٰنَهٗ وَتَعَالٰى عَمَّا يَصِفُوْنَ[١٠٠]﴾ وهو أن له شريكا أوو لداً .

﴿بَدِيْعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها ، أو إلى الظرف

قوله: بتسويلهم: أي بتسويل الشياطين وتزيينهم الأوثان .

قوله: أو قالوا: عطف على أطاعوهم .

قوله: أي وما يخلقونه:أي ينحتونه .

قوله: حيث نسبوه: أي اختلاقهم أي مختلفهم وقبائحهم إلى الله في قولهم والله أمرنا بها

قوله:افتعلوا. قال الجوهري: افتعل عليه كذبا وزورا أي اختلق انتهى .فيكون اللام بمعنى 'على' .

قوله: أي وزوروا: لأن المزور محرف مغير للحق إلى الباطل .

قوله: أو إلى الظرف:أي بديع في السموات والأرض كقولك ثبت الغدر أي ثابت فيهـا، قـال فـي الـقـامـوس رجـل ثبـت الـغدر محركة يثبت في القتال والجدال وفي جميع مايأخذ فيه .

كقولهم : ثبت الغدر بمعنى أنه عديم النظير فيهما . وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه . ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتدا وخبره .﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي من أين او كيف يكون له ولد . ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ يكون منها الولد . وقرئ بالياء للفصل او لأن الاسم ضمير الله او ضمير الشأن .﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ[١٠١]﴾ لا تخفى عليه خافية . وإنما لم يقل به لتطرق التخصيص إلى الأول .

وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه . الأول: أنه من مبدعاته السموات والأرضون . وهي مع أنها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة لاستمرار ها وطول مدتها فهو أولى بأن يتعالى عنها . أو أن ولد الشيء نظيره ولا نظير له فلا ولد . والثاني: أن المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وأنثى متجانسين والله سبحانه وتعالى منزه عن المجانسة .الثالث: أن الولد كفؤ الوالد، ولا كفؤله لوجهين : الأول أن كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه . والثاني أنه سبحانه وتعالى لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالإجماع.

﴿ذٰلِكُمُ﴾ إشارة إلى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ ﴿اللّٰهُ رَبُّكُمْ لآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ أخبار مترادفة ويجوز أن يكون البعض بدلًا او صفة والبعض خبراً .﴿فاعْبُدُوهُ﴾ حكم مسبب عن مضمونها فإن من استجمع هذه الصفات استحق العبادة .﴿وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَّكِيْلٌ[١٠٢]﴾ أي وهو مع تلك الصفات متولي أموركم فكلوها إليه وتوسلوا بعبادته الى إنجاح مآربكم ورقيب على أعمالكم فيجازيكم عليها .

﴿لَّا تُدْرِكهُ﴾ أي لا تحيط به .﴿الْأَبْصَارُ﴾ جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث إنها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف

قوله: بمعنى أنه عديم النظير فيهما :أشار بذلك إلى بيان وجه الظرفية على وجه لا يخل بالتنزه عن المكان والجهة، وحاصله أنه كناية عن انتفاء المثل والنظير وهو لا يوجب كونه نفسه في السموات .

قوله: وإنما لم يقل به لتطرق التخصيص إلى الأول:يعني أن الأول مختص بما سوى الله تعالىٰ فلو قال به لاختص علم الله به مع أنه بذاته أيضًا .

قوله: من جنس ما يوصف بالولادة: لأنها أجسام ذوات أنفس فلكية كالحيوانات أجسام ذوات أنفس حيوانية.

إذ ليس الإدراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاماً في الأوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الأشخاص .فإنه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع أن النفي لا يوجب الامتناع . ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ يحيط علمه بها .﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ[١٠٣]﴾ فيدرك ما لاتدركه الأبصار كالأبصار . ويجوز أن يكون من باب اللف أي لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير . فيكون اللطيف مستعاراً من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها .

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ البصائر جمع بصيرة للنفس كالبصر للبدن . سميت بهاا لدلالة لأنها تجلي لها الحق وتبصرها به .﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ أي أبصر الحق وآمن به . ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أبصر لأن نفعه لها .﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عن الحق وضل . ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وباله . ﴿وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ[١٠٤]﴾ وإنما أنا منذر والله سبحا نه تعالى هو الحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها . وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام .

قوله: اذ ليس الإدراك مطلق الروية: بل الإدراك هو أن يكون الروية على وجه الإحاطةبجوانب المرئي إذحقيقتة النيل والوصول ماخوذا من أدركت فلانا إذا لحقته فيكون أخص من مطلق الروية فلا يلزم من نفيه نفيها. ولو سلم أن الإدراك هو مطلق الروية فلانسلم أن النفي عام في الأوقات والأحوال فيجوز أن يكون مخصوصا ببعض الأوقات والأحوال فيحمل على نفي الروية في الدنيا جمعا بين الأدلة، ولا في الأشخاص فيحمل الكلام على سلب العموم لا عموم السلب فإنه في قوةقولنا: لا كل بصريدركه بل بعضه وهو بصر المؤمنين على أن النفي يدل على عدم الوقوع لا على الامتناع فلا يدل الآية على امتناع الروية كما هو المدعى عندكم .

قوله: فيدرك ما لا تدركه الأبصار: يعني للطفه وعلمه يدرك ما لطف فى غاية اللطف من الأشياء بخلا ف حاسة البصر فإنها ليست فى تلك المرتبة من اللطافة حتى تدرك ما هو فى الغاية من اللطف.

قوله: ولا ينطبع فيها: عطف تفسيري هذا على قول من يقول إن المبصرات تدرك بالانطباع فى الحاسة لا بخروج الشعاع.

قوله: سميت به الدلالة :أي سميت بالبصيرة الدلائل لأنها:أي الدلائل تجلى للنفس الحق وتبصرها الحق .

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الأيٰتِ﴾ ومثل ذلك التصريف نصرف . وهو إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف ، وهو نقل الشيء من حال إلى حال . ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ أي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة . والدرس القراءة والتعلم . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم . وابن عامر ويعقوب درست من الدروس أي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الأولين . وقرئ دَرُست بضم الراء مبالغة في درست ، ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت . او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمداً ﷺ . وجاز إضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة، ودرسن أي عنون ودرس أي درس محمد ﷺ ودارسات أي قديمات او ذوات درس كقوله تعالى ﴿في عيشة راضية﴾[٦٩.الحاقة:٢١]—[١٠١.القارعة:٧] ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ اللام على أصله لأن التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى . أو للقرآن وإن لم يذكر لكونه معلوماً أو للمصدر ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[١٠٥]﴾ فإنهم المنتفعون به .

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ﴾ بالتدين به ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراض أكد به إيجاب الاتباع . او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفرداً في الألوهية ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِيْنَ[١٠٦]﴾ ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت على آرائهم ومن جعله منسوخًا بآية السيف حمل الإعراض على ما يعم الكف عنهم .

﴿ وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ﴾توحيدهم وعدم إشراكهم .﴿مَآ أَشْرَكُواْ﴾ وهو دليل على أنه سبحانه وتعالى لا يريد إيمان الكافرين أن مراده واجب الوقوع . ﴿وَمَا جَعَلْنٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيْظًا﴾ رقيباً . ﴿وَمَآ أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيْلٍ[١٠٧]﴾ تقوم بأمورهم .

﴿وَلَا تَسُبُّواْ الَّذِيْنَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ﴾ أي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح . ﴿فَيَسُبُّواْ اللّٰهَ عَدْوًا﴾ تجاوزاً عن الحق الى الباطل . ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ على جهالة بالله سبحانه وتعالى وبما يجب أن يذكر به . وقرأ يعقوب عدواً يقال عدا فلان عدواً وعدواً وعداءً وعدّوانًا . . روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلتهنا أو لنهجون إلهك . فنزلت. وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سباً لسب الله سبحانه وتعالى . وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت الى معصية

قوله: وقرى "درست" بضم الراء مبالغة فى "درست" : وذلك للنقل إلى باب الطبائع.

قوله: اللام على أصله: أي التعليل .

راجحة وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر . ﴿كَذٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقًا وتخذيلًا . ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل أمة بالكفرة لأن الكلام فيهم . والمشبه به تزيين سب الله لهم .﴿ثُمَّ إِلىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ[١٠٨]﴾ بالمحاسبة والمجازاة عليه .

﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ مصدر في موقع الحال . والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول ﷺ في طلب الآيات واستحقار مارأوا منها .﴿لَئِنْ جَآءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ من مقترحاتهم . ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وإرادتي. ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ وما يدريكم استفهام إنكار .﴿أَنَّهَآ﴾ أي أن الآية المقترحة . ﴿إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ[١٠٩]﴾ أي لا تدرون أنهم لا يؤمنون . أنكر السبب مبالغة في نفي المسبب . وفيه تنبيه على أنه سبحانه وتعالى إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون بها . وقيل لا مزيدة وقيل أن بمعنى لعل إذ قرئ لعلها قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ويعقوب إنها بالكسر كأنه قال: وما يشعركم ما يكون منهم . ثم أخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فإنهم يتمنون مجيء الآية طمعاً في إيمانهم . فنزلت. وقيل للمشركين إذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعركم أنها إذا جاءتهم فيكون إنكاراً لهم على حلفهم أي : وما يشعرهم أن قلوبهم حينئذٍ لم تكن مطبوعة كما كانت نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها .

قوله:فان ما يؤدى إلى الشر شر: فخرج عن أن يكون طاعته فيجب النهي عنها وإنما لا يصح النهى عنها لوكانت باقية على صفة الطاعة .

قوله: مصدر فى موقع الحال: أي جاهدين إيمانهم أن ياتوا بأوكدالإيمان .

قوله: أنكر السبب مبالغة في نفي المسبب:السبب هو د راية أنهم لايومنون والمسبب هو عدم الحرص على إيمانهم فنفى ذلك السبب وأراد نفي عدم الحرص إيمانهم مبالغة على عدم الحرص ،يعنى أنكم لا تدرون أنهم لا يومنون فتحرصون ....

قوله: وقيل "لا"مز يدة: مقتضى ظاهرالكلام أن يقال ومايدريكم أنهاإذاجاء ت يومنون حتى تطمعون فى إيمانهم وتتمنون مجيء الآية.

قوله: وقيل "أن" بمعنى لعل: أي ما يشعركم بحقيقة الحال لعلهم لايومنون على تقدير نزول الآية فلا تطمعوا فى إيمانهم .

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ عطف على لا يؤمنون أي : وما يشعركم أنا حينئذ يقلب أفئدتهم عن الحق فلا يفقهونه . وأبصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها . ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي بما أنزل من الآيات .﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ[١١٠]﴾ وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين . وقرئ ويُقَلِّبُ ويذرهم على الغيبة . وتقلب على البناء للمفعول والإسناد الى الأفئدة.

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ كما اقترحوا فقالوا: لو أنزل علينا الملائكة فأتوا بآيا تنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا . وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل أي : كفلاء بما بشروابه وأنذروابه . او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات . أو مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراة نافع وابن عامر . وهو على الوجوه حال من كل وإنما جازذلك لعمومه .﴿ مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ لما سبق عليهم القضاء بالكفر .﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾استثناء من أعم الأحوال أي : لا يؤمنون من الأحوال الا حال مشيئة الله تعالى إيمانهم . وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة .﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ[١١١] ﴾أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤ منوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على مالا يشعرون . ولذلك أسند الجهل إلى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم . أوولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعاً في إيمانهم .

قوله: وإنما جاز ذلك لعمومه: لأن المنكرَّ حينئذ يصير مستغرقا فلا يبقى فيه إبهام كما ذكر نا في باب المبتدأ، كذا في الرضي. فيكون هذا المنكرَّ مثل تمرة خير من جراد .

قوله: وقيل منقطع:لأن المشية ليست من جنس ما سبق وهو ماكانوا ليومنوالأنه على هذا يكون التقدير لكن مشية الله إيمانهم حاصلة توجب إيمانهم إن وقعت .

قوله: وهو حجة واضحة على المعتزلة:في أن الله تعالىٰ يشاء إيمان الكافر قطعا ولكن يكفر بنفسه وذلك أن الآية تدل على أن الله تعالى إذا شاء إيمان الكافر يؤمن وإذا لم يشاء لا يؤمن .

قوله: فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لايشعرون: وهو الإيمان وذلك أن عدم إيمانهم عند نزول الآية المقترحة مقطوع به فيكون إيمانهم جهلا غير مطابق للواقع .

قوله: ولذلك أسند الجهل إلى أكثرهم: أي لأجل أن المراد الجهل المقيد أسند الجهل إلى أكثرهم وإلا فالمشركون متصفون بمطلق الجهل إذليس لهم كتاب .

﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً﴾ أي كما جعلنا لكل نبي سبقك عدواً . وهو دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بفعل الله سبحانه وتعالى وخلقه .﴿شَيٰطِيْنَ الإِنْسِ وَالْجِنِ﴾ مردة الفريقين . وهو بدل من عدواً . أو أول مفعولي جعلنا وعدواً مفعوله الثاني . ولكل متعلق به أوحال منه .﴿ يُوْحِى بَعْضُهُمْ إِلٰى بَعْضٍ﴾يوسوس شياطين الجن الى الإنس. او بعض الجن الى بعض . وبعض الإنس إلى بعض .﴿ زُخْرُفَ الْقَوِلِ ﴾الأباطيل المموهة منه من زخرفه اذا زينه.﴿غُرُورًا﴾ مفعول له او مصدر في موقع الحال .﴿ وَلَو شَآءَ رَبُّكَ﴾إيمانهم.﴿ مَا فَعَلُوهُ﴾أي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام و إيحاء الزخارف . ويجوز أن يكون الضمير للإ يحاء او الزخرف او الغرور وهو أيضاً دليل على المعتزلة ،﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ[١١٢]﴾ وكفرهم .

﴿ وَلِتَصْغٰى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِيْنَ لَايُؤْمِنُونَ بِالاٰخِرَةِ﴾ عطف على غروراً إن جعل علة . او متعلق بمحذوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل نبيٍ عدواً . والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا : اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون اولام الأمر وضعفه أظهر . والصغو : الميل والضمير لما له الضميرفي فعلوه .﴿ وَلِيَرْضَوهُ﴾لأنفسهم ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ﴾ ليكتسبوا.﴿ مَاهُمْ مُّقْتَرِفُون[١١٣]﴾ من الآثام .

﴿ أَفَغَيْرَ اللّٰهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾على إرادة القول أي: قل لهم يا محمد أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل ؛ وغير مفعول أبتغي وحكماً حال منه ويحتمل عكسه . وحكماً أبلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل .﴿ وَهُوَ الَّذِىٓ أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتٰبَ﴾القرآن المعجز.﴿ مُفَصَّلًا﴾مبيناً فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس. وفيه تنبيه على أن القرآن بإعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات.﴿وَالَّذِيْنَ اٰتَيْنٰهُمُ الكِتٰبَ يَعْلَمُوْنَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَّبِكَ بِا لحَقِّ﴾تأييد لدلالة الإعجاز على أن القرآن حق منزل من عندالله سبحانه وتعالى . يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علمائهم . وإنما وصف جميعهم

قوله: وهو أيضا دليل على المعتزلة: لأن مفهومه وإن لم يشأ ربك إيمانهم بل شاء كفرهم فعلوه فيكون بمشيته تعالىٰ.

قوله: والمعتزلة لما اضطروا فيه: حيث أوجبوا على الله الأصلح للعبد فكيف يجعل الله عندهم﴿ لكل نبى عدوا ولتصغىٰ إليه افئدة الذين لايومنون بالآخرة﴾ قالوا اللام الخ .

بالعلم لأن أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل . وقيل المراد مؤمنوا أهل الكتاب . وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد . ﴿فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ[١١٤]﴾في أنهم يعلمون ذلك أو في أنه منزل لجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله تعالى ﴿ولا تكونن من المشركين ﴾[٦.الأنعام:١٤] أو خطاب الرسول صلى اللّٰهعليه وسلم لخطاب الأمة . وقيل الخطاب لكل أحد على معنى أن الأدلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه .

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده ﴿صِدْقاً﴾ في الأخبار والمواعيد .﴿ وَعَدْلاً﴾في الأقضية والأحكام ونصبهما يحتمل التميز والحال والمفعول له .﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمٰتِهِ﴾ لا أحد يبدل شئياً منها بما هو أصدق وأعدل . اولا أحد يقدر أن يحرفها شائعاً ذائعاً كمافعل بالتوراة على أن المراد بها القرآن . فيكون ضماناً لها من اللّٰه سبحانه وتعالى بالحفظ كقوله ﴿وإنا له لحافظون ﴾[١١.يونس:١٢] أو لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها . وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة ربك أي ما تكلم به أو القرآن .﴿ وَهُوْ السَّمِيْعُ ﴾ لما يقولون .﴿العَلِيْمُ[١١٥] ﴾ بما يضمرون فلا يهملهم .

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الْأَرْضِ﴾ أي أكثر الناس يريد الكفار .أوالجهال أو أتباع الهوى . وقيل الأرض أرض مكة.﴿ يُضِلُّوْكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ﴾ عن الطريق الموصل إليه . فإن الضال في غالب الأمر لا يأمر الابما فيه ضلال.﴿إِنْ يَتَّبِعُوْنَ إِلَّاالظَّنَّ﴾ وهو ظنهم أن آبائهم كانوا على الحق . أو جهالاتهم وآرا ئهم الفاسدة فإن الظن يطلق على ما يقابل العلم .﴿وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُوْنَ[١١٦]﴾ يكذبون على اللّٰه سبحانه وتعالى فيما ينسبون إليه كاتخاذالولد وجعل عبادة الأوثان وصلة إليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر . أو يقدرون

قوله: فى أنهم يعلمون ذلك الخ: لما كان ظاهرالكلام النهي عن الامتراء فى حقيقة القرآن، وهذا لا يتصور من النبي فلا فائدة في النهي عنه. أجاب عنه بوجوه:الأول أن متعلق الامتراء هو علم أهل الكتاب بحقية القرآن. الثاني أنه من باب التهييج والتحريض على عدم القرب عن مثل هذا الفعل لا أنه كان متمكناً منه فنهي عنه. الثالث أن الخطاب له لكن المراد نهي الأمة وخطابها. الرابع أن الخطاب ليس للنهي بل لعموم الناس.

قوله:وهو ظنهم أن آبائهم كانوا على الحق:فهم يقلد ونهم .

قوله:﴿يخرصون﴾ يكذبون. وقوله أو يقدرون .قال الجوهري: الخرص جزر

أنهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيْلِهِ وَهُوْ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِيْنَ[١١٧]﴾أي أعلم بالفريقين . ومن موصوفة أو موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه أعلم لا به فإن أفعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك . أو إستفهامية مرفوعة بالإبتداء والخبر يضل والجملة معلق عنهاالفعل المقدر . وقرئ من يضل أي يضله اللّٰهفتكون من منصوبة بالفعل المقدر اومجرورة بإضافة أعلم إليه أي أعلم المضلين من قوله تعالى﴿ من يضلل اللّٰه﴾[٤ .النساء:٨٨] او من أضللته إذا وجدته ضالاً . والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم ولزموه وكونه بالذات لا بالغير.

﴿فَكُلُوْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّٰهِ عَلِيهِ﴾ مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام . والمعنى كلوا مما ذكر اسم اللّٰه على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف أنفه ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِاٰيٰتِهِ مُؤْمِنِيْنَ[١١٨]﴾ فان الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحلَّه اللّٰه سبحانه وتعالى واجتناب ماحرَّمه .

﴿وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوْ مِمَا ذُكِرَاسْمُ اللّٰهِ عَلِيهِ﴾ وأي غرض لكم في أن تتحرجوا عن أكله وما يمنعكم عنه . ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ممالم يحرم بقوله : ﴿حرمت عليكم الميتة﴾[٥ .المائدة:٣] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل . ﴿إِلَّا مَا اُضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ مما حرم عليكم فإنه أيضًا حلال حال الضرورة . ﴿وَإِنَّ كَثِيْرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ بتحليل الحرام وتحريم الحلال . وقرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح ﴿بِأَهْوَآئِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم . ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِيْنَ[١١٩]﴾ بالمجاوزين الحق إلى الباطل والحلال الى الحرام .

﴿وَذَرُواْ ظَاهِرًا الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ ما يعلن وما يسر . أو ما بالجوارح وما بالقلب . وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الأخدان ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوْا يَقْتَرِفُونَ[١٢٠]﴾ يكتسبون .

﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِاسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ﴾ ظاهر في تحريم متروك التسمية عمداً أو

ماعلى النخل من الرطب تمراءً وقد خرصت النخل، والخراص الكذاب، وقد خرص يخرص بالضم خرصا: أي كذب .

نسيـاناً. وإليه ذهب داود وعن أحمد مثله . وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلاة والسـلام " ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم اللّٰه عليه" وفرق أبو حنيفة رحمه اللّٰه بين العمد والنسيان وأولـه بالميتة أو بما ذكر غير اسم اللّٰه عليه لقوله :﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ فان الفسق ما أهل لغير اللّٰه به ، والضمير لما ويجوز أن يكون للأكل الذي دل عليه لا تأكلوا . ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُوحُونَ﴾ليوسوسون﴿ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾من الكفار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾بقولهم تـأكـلـون مـا قتـلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله اللّٰه . وهو يؤيد التأويل بالميتة . ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في استحلال ما حرم . ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ[١٢١]﴾ فان من ترك طاعة اللّٰه تـعالى الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك . وإنـما حسن حذف الفاء فيه لأن الشرط بلفظ الماضي .

قـوله:وفرق أبو حنيفة بين العمد والنسيان .فقال إن كان الترك عمدا فهو حرام وإلا فهو حلال، فإن الناسي ليس بتارك التسمية لأن تسمية الله في قلب كل مؤمن، على ماروي أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن متروك التسمية ناسيا فقال:كلوه فإن تسمية اللّٰه تعالىٰ في قلب كل مسلم .

قـولـه:فـإن الـفسـق مـاأهـل لـغيـر الـلّٰه به: لا متروك التسمية نسيانا لعدم التكليف والمواخذة.

قـولـه:فـقـد اشـرك: أيصـار مشـركا باللّٰه جاعلا له شريكا في استحقاق الطاعة وشـرعية الـديـن والـملة ونحو ذلك ما هو من خواص الآلهية للإتفاق على أنه لا حاكم في أمر الدين سواه .

قـولـه:لأن الشـرط بـلـفـظ الـماضى:وقد تقدم القسم على الشرط فيكون الجواب لـلـقسـم فـلا يـحسـن الفاء. قال في الكافية: وإذا تقدم القسم أول الكلام على الشرط لزمه الـمـاضـى لفظا و معنى وكان الجواب للقسم لفظا .ثم قال: وتقدير القسم كاللفظ نحو'لئن أخـرجـوا لا يـخـرجـون، وإن أطعتموهم أنهم لا مشركون، فلا يتجه ما قيل أن كون الشرط بلفظ الماضي لم نجده في كتب النحو، بل اتفق الكل على وجوب الفاء في الجملة الإسمية ولـم يـجـوزواتركها إلا في ضرورة الشعر، وكذا ماقيل إذاكـان الشـرط بلفظ الماضي كان الجزاء في حكم الماضي ولا يكون ثمه بُدَّ فلا يجوز إدخال الفاء حينئذ .

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ مثل به من هداه الله سبحانه وتعالى وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء . فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل . وقرأ نافع ويعقوب ميتًا على الأصل . ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ صفته وهو مبتدأ خبره ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ وقوله: ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل . وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال . ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما زين للمؤمنين إيمانهم . ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ[١٢٢]﴾ والآية نزلت في حمزة وأبي جهل وقيل في عمر أو عمار وأبي جهل.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ أي كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها . وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني . او في كل قرية أكابر ومجرميها بدل ويجوز أن يكون مضافًا إليه إن فسر الجعل بالتمكين . وأفعل التفضيل إذا أضيف جاز فيه الإفراد والمطابقة ولذلك قرئ "أكبر مجرميها" . وتخصيص الأكابر لأنهم أقوى على استتباع الناس والمكربهم . ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن وباله يحيق بهم . ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ[١٢٣]﴾ ذلك.

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ يعني كفار قريش لما روي أن أبا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي هان قالوا: منانبي يوحى إليه والله لا نرضىٰ به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه . فنزلت: ﴿ٱللَّهُ

قوله: مثل به من هداه الله: يعني إن هذااستعارةتمثيلية وكذا قوله : كمن مثل في الظلمات إذ لا ذكر المشبه صريحا شبه الذى هداه الله بمن كان ميتاء وشبه من على الضلالة بالخالط في الظلمات لا ينفق عنها فاستعار لفظا المشبه به للمشبه .

قوله : خبره "في الظلمات": أي صفته في الظلمات أي كائن فيها.

قوله: ويجوز أن يكون مضافا إليه إن فسر الجعل بالتمكين. قيل لم يصح أن يكون جعل بمعني صَيَّرَ لأن الصيرورة نقل من حال إلى حال، و ههنا لم يسد.لعل وجهه أن أكابر مجرميها قد كانوافي كل قرية لا أنهم لم يكونوا فيها ثم كانوا بل يقدروا"الجعل" بمعنى "التمكين" فيسد أي مكّنّاأكابر مجرميها في كل قرية فلا يتجه ما قيل لا تخصيص له بالجعل بهذا المعنى بل يصح معنى الجعل بمعنى التصيير .

أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وإنما هي بفضائل نفسانية يخص الله سبحانه وتعالى بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالاته من علم أنه يصلح لها. وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه . وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته . ﴿ سَيُصِيْبُ الَّذِيْنَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ﴾ ذل وحقارة بعد كبرهم . ﴿عِنْدَ اللّٰهِ﴾ يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله.﴿وَعَذَاب شَدِيْدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ[١٢٤]﴾ بسبب مكرهم أو جزاء على مكرهم .

﴿فَمَنْ يُّرِدِ اللّٰهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان .﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فيتسع له ويفسح فيه مجاله . وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاةٌ عما يمنعه وينافيه . وإليه أشار عليه أفضل الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال" نور يقذفه الله سبحانه وتعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح . فقالوا: هل لذلك من أمارة يعرف بها فقال: نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله"﴿وَمَنْ يُّرِدْ أَنْ يُّضِلَّهُ ,يَجْعَلْ صَدْرَهُ, ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الإيمان . وقرأ ابن كثير ضيقًا بالتخفيف ونافع وأبو بكر عن عاصم حرجًا بالكسر أي شديد الضيق . والباقون بالفتح وصفاً بالمصدر﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ﴾ شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه . فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة . ونبه به على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع الصعود . وقيل معناه كأنما يتاصاعد الى السماء نبوّ عن الحق وتباعداً في الهرب منه . وأصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وأبو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد﴿ كَذٰلِكَ﴾ أي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق . ﴿يَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِيْنَ لَايُؤْمِنُونَ[١٢٥]﴾ يجعل العذاب أو الخذلان عليهم . فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل .

﴿وَهٰذَا﴾إشارة إلى البيان الذي جاء به القرآن . أو إلى الاسلام أو ما سبق من التوفيق والخذلان ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ الطريق الذي ارتضاه او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته﴿مُسْتَقِيْمًا﴾ لا عوج فيه،أو عادلاً مطرداً وهوحال مؤكدة كقوله وهوالحق. مصدقاً ،أو مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة ﴿ قَدْفَصَّلْنَا الْاٰيٰتِ لِقَومٍ يَّذَّكَّرُونَ[١٢٦]﴾

قوله:بسبب مكرهم :يريد أن الباء للسببية متعلق بيصيب، وأما بمعنى على متعلق بجزاء محذوف هو حال من عذاب شديد .

فيعلمون أن القادر هو الله سبحانه وتعالى وأن كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضا ئه وخلقه . وأنه عالم بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم .﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ دارالله أضاف الجنة الى نفسه تعظيمًا لها . أو دار السلامة من المكاره أو دار تحيتهم فيها سلام . ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره .﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ مواليهم أو ناصرهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ[١٢٧]﴾ بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزائها فيتولى إيصاله إليهم .

﴿وَيَومَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيْعًا﴾نصب با ضمار اذكر او نقول . والضمير لمن يحشر من الثقلين . وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب يحشرهم بالياء . ﴿يٰمَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ يعني الشياطين .﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنْسِ﴾ أي من إغوائهم وإضلالهم .او منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشرو معكم كقوله استكثر الأمير من الجنود. ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآءُ هُمْ مِّنَ الْإِنْسِ﴾ الذين أطاعوهم . ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعْ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾أي انتفع الانس بالجن بأن دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها.والجن والإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم . وقيل إستمتاع الإنس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف،وإستمتاعهم بالإنس اعترافهم بأنهم يقدرون على إجارتهم.﴿ وَّبَلَغْنَآ أَجَلَنَا الَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾أي البعث وهو إعتراف بما فعلوه من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحشر على حالهم .﴿قَالَ النَّارُ مَثْوٰكُمْ﴾منزلكم أو ذات مثواكم .﴿خٰلِدِيْنَ فِيْهَآ ﴾حال والعامل فيها مثواكم إن جعل مصدراً ،ومعني الإضافة إن جعل مكانًا ﴿إِلَّا مَاشَآءَ اللّٰهُ﴾إلاالأوقات التي ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير وقيل إلا ماشاء الله قبل الدخول كأنه قيل : النار مَثْوَاكُمْ أبداً إلا ما أمهلكم .﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيْمٌ﴾ في أفعاله .﴿عَلِيْمٌ[١٢٨]﴾ بأعمال الثقلين وأحوالهم .

قوله: مُواليهم: أي محبّيهم .

قوله:بسبب أعمالهم: يعني إن كان الولي بمعني المحب أوالناصر فالباء للسببية وإن كان بمعنى متولي الأمر ومتصرفه للملابسة على حذف المضاف وهو الجزاء يعني يتولاهم ملتبسا بجزائهم .

قوله:وقيل استمتاع الإنس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم:لأن الرجل كان إذا نزل وادياًوخاف قال:أعوذبرب هذا الوادييعني به كبير الجن .

قوله: و معني الإضافة إن جعل مكانا: لأن اسم المكان لا يعمل أي انتسب المثوى إليكم خالدين .

﴿وَكَذٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظّٰلِمِيْنَ بَعْضًا﴾ نكل بعضهم إلى بعض . او نجعل بعضهم يتولى بعضًا فيغويهم أو أولياء بعض وقرناء هم في العذاب كما كانوا في الدنيا . ﴿بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ[١٢٩]﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿يٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ الرسل من الإنس خاصة. لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره .﴿يخرج منها اللؤلؤ والمرجان﴾[٥٥. الرحمن: ٢٢] والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم . وقيل الرسل من الجن رسل الرسل إليهم لقوله تعالى ﴿ولوا إلى قومهم منذرين﴾[٤٦. الأحقاف:٢٩]﴿يَقُصُّوْنَ عَلَيْكُمْ اٰيٰتِى وَيُنْذِرُوْنَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا﴾ يعني يوم القيامة .﴿قَالُوْا﴾ جواباً . ﴿ شَهِدْنَا عَلٰٓى أَنْفُسِنَا﴾ بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب . ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوْا عَلٰٓى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوْا كٰفِرِيْنَ[١٣٠]﴾ ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم . فإنهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة . وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذير للسامعين من مثل حالهم .

﴿ذٰلِكَ﴾ إشارة الى إرسال الرسل . وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك .﴿أَنْ لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرٰى بِظُلْمٍ وَّأَهْلُهَا غٰفِلُوْنَ[١٣١] ﴾ تعليل للحكم وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة أي: الأمر لانتفاء كون ربك او لأن الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلوه . او ملتبسين بظلم او ظالماً وهم غافلون لم ينتهوا برسول أو بدل من ذلك .

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من المكلفين﴿دَرَجٰتٌ﴾ مراتب﴿مِّمَّا عَمِلُوْا﴾ من أعمالهم أو من جزائها، أو من أجلها.﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُوْنَ[١٣٢]﴾ فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحق به من ثواب أو عقاب . وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة .

قوله:يا معشر الجن: يقال لهم يوم القيامة على سبيل التوبيخ .

قوله:او بدل من ذلك: أي بدل الاشتمال .

قوله:فيخفي عليه عمل الخ:الأول على تقدير أن يكون صح المراد "مما عملوا" نفس الأعمال والثاني على تقدير أن يكون المراد جزاء ما عملوا، أو من أجل أعمالهم .

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن العباد والعبادة ،﴿ذُوالرَّحْمَةِ﴾ يترحم عليهم بالتكليف تكميلاً لهم ويمهلهم على المعاصي. وفيه تنبيه على أن ما سبق ذكره من الإرسال ليس بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي ما به إليكم حاجة .إن يشأ يذهبكم أيها العصاة.﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَّا يَشَآءُ﴾ من الخلق ، ﴿كَمَآ أَنْشأَكُمْ مِّنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِيْنَ[١٣٣]﴾ أي قرنا بعد قرن لكنه أنبأكم ترحماً عليكم .

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من البعث وأحواله ﴿لَأٰتٍ﴾ لكائن لامحالة.﴿وَّمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ[١٣٤]﴾ طالبكم به .﴿قُلْ يٰقَوْمِ اعْمَلُواْ عَلٰى مَكَانَتِكُمْ﴾ على غاية تمكنكم واستطاعتكم، يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن . او على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة . وقرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو أمر تهديد . والمعنى: اثبتوا على كفركم وعداوتكم . ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الإسلام . والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعاً عليه فيحمله بالأمر على ما يفضي به إليه وتسجيل بأن المهدد لا يتأتى منه إلاالشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن ينقضي عنه . ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ, عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ إن جعل من استفهامية بمعنى أينا تكون له عاقبة الدار الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار . فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وإن جعلت خبرية فالنصب بتعلمون أي فسوف تعرفون الذي تكون له عاقبة الدار . وفيه مع الإنذار إنصاف

قوله:بمعجزين طالبكم به :أي بفائتين طالبكم بما توعدون من البعث والحساب وغير ذلك .

قوله:على غاية تمكنكم الخ:يريد أن مكانه يحتمل أن يكون على حقيقة معناها المصدرية وأن يكون كناية عن الجهة والحالة التى أنتم عليها .

قوله:مجمعا عليه: أي عازما عليه والعزم على التعذيب غاية في التهديد.

قوله: خلق الله تعالى لها هذه الدار: أي الدار الدنيا.

قوله: فمحلها الرفع: على أنه مبتدأ خبره يكون له عاقبة الدار،علق عنه فعل العلم .

قوله: وفيه مع الإنذار إنصاف الخ: أما أن فيه، انذارا وتنبيهاً على وثوق المنذر بأنه محق فلأن "فسوف تعلمون" ينبيء عن الوعيد الشديد ويدل على أن المنذرعالم بذلك اليوم وأنهم غدا سيعلمون، وأماأن فيه إنصافاً فلأنه ذكر العملين بطريق واحد حيث قال: اعملوا على مكانتكم إني عامل أي على مكانتي. وأما أن فيه من حسن الأدب فلأنه لم يخاشن في الكلام ولم يصرح بالعذاب.

في المقال وحسن الأدب، وتنبيه على وثوق المنذر بأنه محق . وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي .﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ[١٣٥]﴾ وضع الظالمين موضع الكافرين لأنه أعم وأكثر فائدة .

﴿وَجَعَلُواْ﴾ أي مشركوا العرب ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ روي: أنهم كانوا يُعَيِّنون شيئًا من حرث ونتائج لله ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين . وشيئًا منهما لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحونه عندها . ثم إن رأوا ما عينوا لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبًا لآلهتهم . وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فإنهم أشركوا الخالق في خلقه جماداً لا يقدر على شيء . ثم رجعوه عليه بأن جعلوا الزاكي له . وفي قوله بزعمهم تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به . وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر أيضًا كالود والود .﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ[١٣٦]﴾ حكمهم هذا.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك للتزيين في قسمة القربان . ﴿زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ﴾ بالوأد ونحوهم لآلهتهم ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الجن أو من السدنة . وهو فاعل زين . وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء بإضافة القتل إليه مفصولاً بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله :

قوله: لأنه أعم وأكثر فائدة؛ لأنه يفيد حكم مطلق الظالمين أعم من الكافرين والفاسقين بأنهم لا يفلحون .

قوله:أزكي:أي أنمى، قال الجوهرى: زكى الزرع يزكو زكاء ممدودا:أي نما .

قوله: فى قسمة القربان: أي بين الله والآلهة .

قوله: بالوأد: أي دفنها فى القبر وهى حية .

قوله:من الجن :أي من الشيطان كما فى الكشاف .

قوله:وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات الشعر: هذا مبنى على مذهب أكثر النحاة. قال الرضي :وأنكر أكثر النحاة الفصل بالمفعول وغيره في السعة وإلافقي التسهيل وإن كان المضاف مصدرا جاز أن يضاف نظما ونثرا إلى فاعله مفصولا بمفعوله، قال فى التعليق وشرحه: والصحيح جوازذلك في النثر بهذه القراء ة وحسبك بهذا دليلا.

فَزَجَجْتُهَا بِمَزَجَّةٍ زَجَّ القلوصِ أَبِي مُزَادَه

وقرئ بالبناء للمفعول وجر أولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين .﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم بالإغراء . ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ وليخلطوا عليهم ماكانوا عليه من دين اسماعيل . أو ما وجب عليهم أن يتدينوا به والـلام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين وللعاقبة إن كان من السدنة . ﴿وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ ما فعل المشركون ما زين لهم ، أو الشركاء التزيين أو الفريقان جميع ذلك . ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ[١٣٧]﴾ افتراء هم او ما يفترونه من الإفك .

﴿وَقَالُوا هَٰذِهِۦ﴾ إشارة الى ما جعل لآلهتهم . ﴿أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حرام فعل بمعنى مفعول . كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والأنثى . وقرئ حجر بالضم وحرج أي مضيق.﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَنْ يَشَآءُ﴾ يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء . ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ من غير حجة .﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ يعني البحائر والسوائب والحوامي.﴿وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في الذبح وإنما يذكرون أسماء الأصنام عليها . وقيل لا يحجون على ظهورها . ﴿افْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ نصب على المصدر لأن ما قا لوه تقول على الله سبحا نه وتعالى .والجا ر متعلق بقا لوا أو بمحذوف هو صفة له أو على

قوله:فزججتها: الضمير للكتيبة، والزج الطعن، والمزجة الرمح القصير، والقلوص الشابة من النوق .

قوله:بإضمار فعل دل عليه زين: أي زينه شركاء هم .

قوله:أو ما وجب عليهم أن يتدينوا به. وهو دين محمد ﷺ .

قوله: وللعاقبةإن كان من السدنة: لظهور أن قصد السدنة لم يكن الإرداء واللبس وإنما غرضهم أن ينتفع بما يتحرون للآلهة وبما ينفقون عليها .

قوله: أوالفريقان جميع ذلك :أي المذكور إن جعل الضمير جاريًا مجرى اسم الإشارة .

قوله: لأن ما قالوه تقول على الله: أي كذب عليه فيكون قالوا فى معنى 'افتروا' فيكون افتراء مصدرا موكدا والجار متعلق بقالوا، لا به لأن العمل للفعل لا للمصدر كما تقرر في علم النحو .

الحـا ل،أو عـلـى المـفـعـول لـه والـجـار متعلق به او بالمحذوف .﴿سَيَجْزِيْهِمْ بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ[١٣٨]﴾ بسببه او بدله .

﴿وَقَالُواْ مَافِى بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ يعنون أجنة البحائر والسوائب . ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾حلال للذكور خاصة دون الإناث إن ولد حياً لقوله :﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيْهِ شُرَكَآءُ﴾ فالذكور والإناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فإن ما في معنى الأجنة ولـذلك وافـق عـاصـم في رواية أبي بكر بن عامر في تكن بالتاء . وخالفه هو وابـن كثير في ميتة فنصب كغيرهم . او التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر او هو مصدر كـالـعـافية وقـع موقع الخالص . وقرئ بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا . او حـال مـن الـضـميـر الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لأنها لا تتقدم عـلى العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور . وقرئ خالصن بالرفع والنصب وخالصة بـالرفع والإضافة إلـى الـضـميـر عـلـى أنـه بدل من ها أو مبتدأ ثان والمراد به ماكان حياً . والتـذكيـر فـي فيـه لأن الـمـراد بـالـميتة مـا يـعم الذكر والأنثى فغلب الذكر . ﴿سَيَجْزِيْهِمْ وَصْفَهُمْ﴾أي جزاء وصفهم الكذب على الله سبحانه وتعالى في التحريم والتحليل من قوله ﴿وتصف ألسنتهم الكذب﴾[١٦ . النحل:٦٢] ﴿إِنَّهُ حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ[١٣٩]﴾

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِيْنَ قَتَلُواْ أَوْلَادَهُمْ﴾ يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبـي والـفقر . وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير . ﴿سَفْهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لـخـفة عـقـلهـم وجهـلهم بأن الله سبحانه وتعالى رازق أولادهم لاهم . ويجوز نصبه على الـحال أو المصدر ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّٰهُ﴾ من البحائر ونحوها﴿افْتِرَاءً عَلَى اللّٰهِ﴾يحتمل الوجوه المذكورة في مثله .﴿قَدْضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِيْنَ[١٤٠]﴾ إلى الحق والصواب.

قوله :فإن ما في معنى الأجنة: فأنّث رعاية للمعني و ذكّر "محرم "رعاية للفظ .

قوله: كما في رواية الشعراء :أي كثير رواية للشعراء.

قـولـه: وخـالـصـه بـالرفع والاضافة: أي جيده وخياره وهو الحي دون الميت وهذا معنى قوله: والمراد به ماكان حياً.

﴿وَهُوَ الَّذِىٓ أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ من الكروم . ﴿مَّعْرُوشَاتٍ﴾ مرفوعات ما يحملها . ﴿وَّغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ ملقيات على وجه الأرض . وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال. ﴿وَّالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية . والضمير للزرع والباقي مقيس عليه . او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفاً عليه . او للجميع على تقدير أكل ذلك أو كل واحد منهما ومختلفاً حالاً مقدرة لأنه لم يكن ذلك عند الإنشاء. ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَّغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ يتشابه بعض أفرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها ﴿كُلُواْ مِنْ ثَمَرِهِ﴾ من ثمر كل واحد من ذلك . ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ وإن لم يدرك ولم يينع بعد . وقيل فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله تعالى . ﴿وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لاالزكاة المقدرة لأنها فرضت بالمدينة والآية مكية . وقيل الزكاة والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية . وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه . ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ في التصدق كقوله تعالى :﴿ولا تبسطها كل البسط﴾[١٧.الإسرائيل: ٢٩]﴿إِنَّهُ لَايُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ[١٤١]﴾لا يرتضي فعلهم .

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حُمُولَةً وَّفَرْشًا﴾عطف على جنات أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح . او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره . وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها. ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ﴾ كلو مما أحل لكم منه . ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ في التحليل والتحريم من عند أنفسكم . ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ[١٤٢]﴾ظاهر العداوة .

قوله: على تقدير أكل ذلك: أي على تأويل الضمير باسم الإشارة حتى يرجع إلى الجميع بتأويل المذكور لأن هذا التأويل يختص باسم الإشارة .

قوله: ﴿ولاتسرفوا﴾ في التصدق :بأن تعطوا الكل وتضيعوا العيال .

قوله: الدانية من الأرض: إشارة إلى وجه استعارة فرشاً للصغار.

﴿ثَمٰنِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدل من حمولة وفرشًا . او مفعول كلوا . ولا تتبعوا معترض بينهما أو فعل دل عليه أو حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقف يقال لمجموعهما والمراد الأول ، ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ زوجين اثنين الكبش والنعجة . وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء . والضأن اسم جنس كالإبل وجمعه ضئين أو جمع ضائن كتاجر وتجر . وروئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه . ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ التيس والعنز . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ما عز كصاحب وصحب وحارس وحرس . وقرئ المعزى. ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ﴾ ذكر الضأن وذكر المعز. ﴿حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ أم أنثييهما ونصب الذكرين والاثنين بحرم .﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ أو ما حملت إناث الجنسين ذكراً كان أو أنثى﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ بأمرٍ معلوم يدل على أن الله تعالى حرم شيئًا من ذلك . ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ[١٤٣]﴾ في دعوى التحريم عليه.

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ كما سبق والمعنى إنكار أن الله حرم شيئًا من الأجناس الأربعة ذكراً كان أو أنثى أو ما تحمل إناثها رداً عليهم . فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى وأولادها كيف كانت تارة زاعمين أن الله حرمها.﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ﴾ بل أكنتم شاهدين حاضرين .﴿إِذْ وَصّٰكُمُ اللّٰهُ بِهٰذَا﴾ حين وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة والسماع . ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا﴾ فنسب إليه تحريم ما لم يحرم . والمراد كبراؤهم المقرون لذلك . او عمرو بن لحي بن قمعة المؤسس لذلك . ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ[١٤٤]﴾

﴿قُلْ لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَيَّ﴾ أي في القرآن . أو فيما أوحي إِلَيَّ مطلقاً . وفيه تنبيه على أن التحريم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى . ﴿مُحَرَّمًا﴾ طعاماً محرماً .﴿عَلٰى طَاعِمٍ يَّطْعَمُهُ إِلَّآ أَنْ يَّكُونَ مَيْتَةً﴾ أن يكون الطعام ميتة . وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء . ورفع الميتة على أن كان هي التامة وقوله : ﴿أَوْدَمًا

قوله: أو فعل دل عليه:التقدير كلوا ثمانية أزواج .

قوله: كيف كانت تارة :أي ذكورا وإناثا أو مختلطة .

قوله: بل أكنتم شا هدين حا ضرين: إنكار وتهكم بهم.

مَّسْفُوحًا﴾ عطف على أن مع ما في حيزه أي : إلا وجود ميتة او دماً مسفوحًا . أي مصبوباً كـالدم في العروق لا كـالكبد والطحال ، ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ فإن الخنزير أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسة أو خبيث مخبث .﴿أَوْ فِسْقاً﴾ عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّٰهِ بِهِ﴾ صفة له موضحة وإنما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقًا لتوغله في الفسق . ويجوز أن يكون فسقًا مفعولاً له من أهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع إلى ما رجع إليه المستكن في يكون .﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ فمن دعته الضرورة إلى تناول شيء من ذلك ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾على مضطر مثله ﴿وَّلَا عَادٍ﴾قدر الضرورة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ[١٤٥]﴾ لا يؤاخذه . والآية محكمة لأنها تدل على أنه لم يجب فيما أوحى إلى تلك الغاية محرماً غير هذه . وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الأشياء

قوله: لا كالكبد والطحال: فإنهما وإن كانا دمين كما ورد في الحديث لكنهما غير مسفوحين وقد رخص في دم العروق بعد الذبح على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى وذلك لأنه ليس بمسفوح لأن المسفوح هو السائل، وأما عند الشافعي فيحرم الدم مطلقاً لقوله تعالىٰ:﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم﴾ وهو مطلق .

قوله: أو خبيث مخبث: أي خبث ردي بجعل غيره خبثارديا وهو من أخبث إذا اتخذ أصحابا خبثاء فهو خبيث مخبث كذا في الصحاح.

قوله: والمستكن فيه راجع الخ: لا حاجة إلى المستكن لأن ضمير"به" مفعول ما لم يسم فاعله راجع إلى مارجع إليه المستكن في "يكون" قال في الصحاح :أهل به لغير الله أي نودي عليه بغير اسم الله ، وأصله رفع الصوت.

قوله: غير باغ على مضطر مثله: أي لا ينبغي أن يأخذ من ذلك المضطر الميتة .

قوله: لأنها تدل الخ : يعني أن الآية تدل على أنه لم يكن إلى تلك الغاية أي غاية نزول الآية محرم غير هذه، لا مطلقا فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد الدال على تحريم غير هذه وذلك أنه لاينا في ورود التحريم في شيء آخر غير هذه بعد زمان نزول الآية وإنما ينا فيه لو دلت عليه مطلقا أي غير مغياً بتلك الغاية وكذا لايصح الاستدلال بها على حل غير هذه الأشياء بالاستصحاب: أي إبقاء الحل على ماكان لما مر آنفا أنها تدل على تحريم هذه إلى تلك الغاية لا مطلقا حتى يستدل بها على إباحة غيرهابحكم الاستصحاب .

غيرها إلا مع الاستصحاب.

﴿وَعَلَى الَّذِيْنَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِىْ ظُفُرٍ﴾ كل ماله أصبع كالإبل والسباع والطيور . وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفراً مجازاً ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم . ﴿وَمِنَ البَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ الثروب وشحوم الكلى والإضافة لزيادة الربط . ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ إلا ما علقت بظهورهما ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ أو ما اشتمل على الأمعاء جمع حاوية . او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن . وقيل هو عطف على شحومهما وأو بمعنى الواو . ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ هو شحم الإلية لا تصالها بالعصعص.﴿ ذَلِكَ﴾ التحريم أو الجزاء .﴿جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم ﴿وَإِنَّا لَصادِقُونَ[١٤٦]﴾ في الإخبار أو الوعد والوعيد.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُوْ رَحمَةٍ وَّاسِعَةٍ﴾ يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بإمهاله فإنه لا يمهل . ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِيْنَ[١٤٧]﴾ حين ينزل . أو ذو رحمة واسعة على المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين . فأقام مقامه ولا يرد بأسه لتضنه التنبيه على إنزال البأس عليهم مع الدلالة على أنه لازب بهم لا يمكن رده عنهم .

﴿سَيَقُولُ الَّذِيْنَ أَشْرَكُواْ﴾ إخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على إعجازه .﴿لَوْ شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ آبَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ أي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾[٦. الأنعام:١٤٩]-[١٦. النحل:٩] لما فعلنا

قوله: الثروب: جمع ثرب وهو الشعر الدقيق الذي غشى الكرش والأمعاء.

قوله: والإضافة لزيادة الربط: وذلك أن أصل الربط حاصل مثله في ظاهر من البقر والغنم .

قوله: وقيل هو عطف على شحومهما وأو بمعنى الواو: لأنه لو كان أو على حقيقته يلزم أن يكون المحرم أحدهما لأن 'أو' حينئذ واقعاً في الإثبات فلا تعم وليس كذلك بخلاف ما إذا كان معطوفا على ظهورهما فإنه حينئذ يكون من جملة الاستثناء فيدخل في النفي فيعم .وردَّ عليه بأن النكرة إذا تعلقت بالمنفي عمت ضرورة أن نفي إيجاب المبهم لا يتحقق إلا بنفي الكل وإذا تعلقت بالنفي فلا تفيد سوى تعلق النفي لفرد مبهم .

قوله: ولو شاء الله خلاف ذلك مشية ارتضاء .يعني: سيقول الذين أشركوا لو شاء الله خلاف ما فعلنا مشية ارتضاء بأن شاء ما ارتضاه كمشية إيمان الأنبياء لما فعلنا نحن ولا

نـحن ولا آباؤنا . أرادوا بذلك أنهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتـكاب هذه القبائح بإرادة الله إياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلاً للمعتزلة ويؤيده ذلك قوله.﴿كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾اي مثل هذا التكذيب لك في أ ن الله تعالى منع من الشـرك ولـم يـحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤ نا على الضمير في أشركنا من غير تأكيد للفصل بلا . ﴿حَتّٰى ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾ الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم ﴿قُلْ هَـلْ عِـنْـدَ كُـمْ مِّـنْ عِلْمٍ﴾ من أمر معلوم يصح الاحتجاج به . على ما زعمتم . ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَـنَـآ﴾ فتـظهـروه لـنـا . ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ ما تتبعون في ذلك إلا الظن . ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَـخْرُصُونَ[١٤٨]﴾ تكذبون على الله سبحانه وتعالى . وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الأصول . ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع إذ الآية فيه .

﴿قُـلْ فَـلِـلّٰـهِ الْـحُـجَّةُ الْبَـالِغَةُ﴾ البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الإثبـات . أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد إثبات الـحكم وتطلبه . ﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِيْنَ[١٤٩]﴾بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين .

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَ كُمُ﴾ أحضروهم . وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز . وفـعـل يؤنث ويجمع عند بني تميم، وأصله عند البصريين : ها لم من لم، إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل . وعـند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء

آبـاء ونـا ولا حـرمـناك من شيء لكن شاء ما فعلناه مشية ارتضاء فنحن على الحق المشروع الـمرضي عند الله كسائر ما يشاء الله تعالىٰ من المرضيات وهذا تكذيب للأنبياء في أن الله مـنـع الشـرك ولم يحرم ما حرموه لأنه على هذا يكون حقا مشروعا مرضيا عند الله لا يمنع عنه فهذا الذم لا ينتهض دليلا للمعتزلة على دعواهم بأن مشية القبائح من العبد ولا يشاء الله الـقبـائح وإنما ينتهض دليلا لو كان هذا اعتذارا من هذه القبائح بإرادة الله تعالىٰ إياها منهم ثم ذمهم الله تعالىٰ عليه بأن هذا ليس بمشية الله بل بمشيئتهم .

قـولـه: ولعل ذلك:أي لعل المنع عن اتباع الظن فيما فيه دليل قاطع وهذا كذلك، إذ القاطع على أنه تعالىٰ لا يحكم بالشرك وهذه القبائح وإلا فاتباع الظن ليس بممنوع كما في الفروع وأمور الآخرة .

قوله: فإنه الأصل: أي السكون؟ لأن أصله"اُلْمُمْ" كما أن أصل قل "أقول":

حركتها على اللام . وهو بعيد لأن هل لا تدخل الأمر ويكون متعدياً كما في الآية ولازماً كقوله هلم إلينا. ﴿الَّذِيْنَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّٰهَ حَرَّمَ هٰذَا﴾ يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم . ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم . ﴿ فَإِنْ شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فإن تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة . ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِيْنَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لا غير ، وأن متبع الحجة لا يكون إلا مصدقاً بها، ﴿وَالَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ كعبدة الأوثان﴿ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ[١٥٠]﴾ يجعلون له عديلاً .

﴿قُلْ تَعَالَوا﴾ أمر من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم، ﴿أَتْلُ﴾ أقرأ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾منصوب بأتل و"ما" تحتمل الخبرية والمصدرية . ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة بـ"حرم" والجملة مفعول" أتل" لأنه بمعنى "أقل" فكأنه قيل أتل أي شيء حرم ربكم ﴿ عَلَيْكُمْ﴾ متعلق بـ"حرم ـ أو ـ أتل" . ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِ﴾ أي لا تشركوا به ليصح عطف الأمر عليه .

قوله: بانقطاعهم : أي بسبب انقطاعهم عن مقتداهم أي عن نصرته إياهم .

قوله: ولذلك :أي ولا جل استحضارهم لإلزام الحجة وإظهار ضلالتهم وإنه لا متمسك لهم كمن تقلدهم .قيل الشهداء بالإضافة ووصفهم بالموصول الذي يقتضي العهد بهم ولم يقل شهداء يشهدون ليدل على أن الشهداء ليست بشهداء في الحقيقة وإنما هي في زعمهم وأنهم الذين يعلمون أنهم شهداء لا في الحقيقة ففيه إشارة إلى التقييد بالإضافة والوصف الموصول لأن الموصول يقتضي العلم بمفهوم الصلة .

قوله: للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لا غير: إذ لواتبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله.

قوله: ومايحتمل الخبرية والمصدرية: أي على تقديرأن يكون كلمة "ما" مفعول "اتل" يحتمل الموصولية والمصدرية .

قوله: فكأنه قيل بمعنى أتل أي شيء حرم ربكم عليكم: يعني أن الجملة مفعول "اتل" لتضمنه معنى أتل .... قوله: أي لا تشركوا:يعني أن 'أن' مفسرة لاناصبة لأن ما بعد الناصبة خبرية لا يصح عطف الإنشاء عليه .

ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم . فإن التحريم باعتبار الأوامر يرجع الى أضدادها ومن جعل أن ناصبة فمحلها النصب بعليكم على أنه للإغراء . او باليدل من ما أو من عائده المحذوف على أن لا زائدة والجر بتقدير اللام . او الرفع على تقدير المتلو أن لا تشركوا او المحرم أن تشركوا.﴿شَيْـًٔا﴾ يحتمل المصدر والمفعول .﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾أي وأحسنوا بهما إحسانا وضعه موضع النهي عن الإساءة إليهما للمبالغة وللدلالة على أن ترك الإساءة في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما.﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾من أجل فقر ومن خشيته كقوله.﴿خشية إملاق﴾ [الإسرائيل:٣١]﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ منع لموجبيةٍ ما كانوا يفعلون لأجله واحتجاج عليه.﴿وَلَا تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ﴾ كبائر الذنوب أو الزنا﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه . ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى ماذكر مفصلًا﴿وَصَّٰكُمْ بِهِۦ﴾ بحفظه .﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[١٥١]﴾ ترشدون فإن كمال العقل هو الرشد .

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي بالفعلة التي هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره . ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ حتى يصير بالغًا . وهو جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد كصر وأصر وقيل مفرد كآنك. ﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل والتسوية .

قوله: ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم :جواب سؤال، وهو أن يقال كيف يصح عطف الأمر عليه مع أن الفعل المفسر بأن هو'اتل' معلق بما حرم أي المحرمات، والأوامر لا تصلح بيانا لتلاوة المحرمات بل الواجبات فأجاب بأن التحريم باعتبار الأوامر يرجع إلى أضدادها، وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث العهد.

قوله: كقوله:من خشية إملاق. أراد أن بعض القرآن يفسر بعضا. قال العلامة التفتازاني: هذا يخالف ما اشتهر من أن هذا الخطاب للفقراء الذين لهم إملاق بالفعل ولهذا قدم رزقهم فقيل ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ والخطاب في ﴿لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ للاغنياء ولهذا قدم رزق أولادهم فقيل:﴿ يرزقهم وإياكم﴾ .

قوله: نحن نرزقكم وإياهم. قيل الظاهر أن يقال نرزقهم وإياكم فعكس ليكون كالدليل فإن رزق الأصل يقدم على رزق التابع بالاولية ويمكن أن يقال أن قتلهم الأولاد لأجل فقرهم فيناسب تقديم رزقهم على رزق الأولاد .

قوله: ترشدون.يعني أن المراد بـ" تعقلون" ترشدون فإن كمال العقل سبب الرشد .

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلاما يسعها ولا يعسر عليها . وذكره عقيب الأمر معناه أن إيفاء الحق عسر عليكم فعليكم بما في وسعكم وما وراء ه معفو عنكم . ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكومة ونحوها . ﴿فَاعْدِلُواْ﴾ فيه . ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم . ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ﴾ يعني ما عهد إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع . ﴿ذَالِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[١٥٢]﴾ تتعظون به . وقرأ حمزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع إذا كان بالتاء والباقون بتشديدها .

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الإشارة فيه الى ماذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة . وقرأ حمزة والكسائي إن بالكسر على الاستئنا . وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف . وقرأ الباقون بها مشددة بتقدير اللام على أنه علة لقوله ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء . وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك . ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾ الأديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى . فإن مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات . ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ فتفرقكم وتزيلكم ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان .﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الاتباع ﴿وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[١٥٣]﴾ الضلال والتفرق عن الحق .

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ﴾ عطف على وصاكم . وثم للتراخي في الإخبار أو

قوله: وذكره عقيب الأمر: أي ذكر قوله:﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ عقيب الأمر بايفاء الكيل والميزان. ومعناه أن الحق بالكيل والوزن من غير زيادة ولا نقصان عسر جداً فعليكم بالايفاء الذي في وسعكم وما وراء ه معفو عنكم .

قوله:في حكومة: كما للحاكم، ونحوها كما للشاهد .

قوله: فتفرقكم وتزيلكم: يشير إلى أن الباء للتعدية .

قوله: وثم للتراخي في الإخبار: جواب سؤال. وهو أن يقال لفظة "ثم" يقتضي تأخير إيتاء موسى الكتاب عن الوصية مع أن الإيتاء مقدم عليها لأنها في القرآن المنزل بعد التوراة بمدة طويلة فأجاب بوجهين :أحدهما أن المراد التراخي في الإخبار بمعنى أنه تعالىٰ أخبر أولا عن الوصية ثم أخبر بعد مدة عن الإيتاء .وثانيهما أن المراد التراخي في الرتبة بمعنى أنه تعالىٰ وصّٰكم به زمانا قديما وحديثا لم يزل توصاها كل أمة على لسان نبيها ثم أعظم من ذلك إيتاء التوراة وإنزال القرآن لاشتمالهما عليهما وعلى أمثالها مع أحكام أُخر.

للتفاوت في الرتبة كأنه قيل : ذلكم وصاكم به قديماً وحديثًا ثم أعظم من ذلك إنا آتينا موسى الكتاب ﴿تَمَامًا﴾ للكرامة والنعمة ﴿عَلَى الَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ على كل من أحسن القيام به . ويؤيده إن قرئ على الذين أحسنوا أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى عليه الصلاة والسلام . او تماماً على ما أحسنه أي أجاده من العلم والتشريع أي زيادة على علمه إتماماً له . وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي على الذي هو أحسن او على الوجه الذي هو أحسن مايكون عليه الكتب﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ وبياناً مفصلًا لكل ما يحتاج إليه في الدين . وهو عطف على تمام ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر .

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾لعل بني إسرائيل﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ[١٥٤]﴾ أي بلقائه للجزاء ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ﴾ يعني القرآن . ﴿أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير النفع . ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ[١٥٥]﴾ بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه .

﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ كراهة أن تقولوا علة لأنزلناه . ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ اليهود والنصارى . ولعل الاختصاص في إنما لأن الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم . ﴿وَإِن كُنَّا﴾ إن هي المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان أي وإنه كنا . ﴿عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾قراء تهم .﴿لَغَافِلِينَ[١٥٦]﴾ لا ندري ماهي . أو لا تعرف مثلها.

قوله: على كل من أحسن القيام به :أي من قوم موسىٰ فعلى هذا يكون المراد بالذي أحسن الجنس ، وعلى الوجه الثاني يكون المراد العبد وهو موسىٰ ففاعل أحسن ضمير يعود إلى الذيومفعوله محذوف وهو تبليغه، وتماما مفعول له لكونه في معنى إتماما فيكون فعلا لفاعل الفعل المعلل وللكرامة مفعول به، أيإتماما إياها، ولما استبعد كون تماما بمعنى إتماما لأنه مصدر" تم" وهو لازم ذهب بعضهم إلى أنه في موقع المصدر لأتممنا المحذوف المدلول عليه بآياتنا على طريقة أنبت نباتًا، وعلى الوجهين الأخيرين حالا من الكتاب بمعنى تتمة له وزيادة عليه وفاعل أحسن ضمير موسىٰ ومفعوله محذوف وهو العائد إلى الموصول .

قوله: لاندري ما هي: أي دراستهم لأنه لم يكن على لغتنا فلم نعرف أصلا أو لم نعرف مثل دراستهم ولم نقدر على قراء ة مثل ما قدروا عليها .

﴿أَوْ تَقُولُواْ﴾ عطف على الأول . ﴿لَوْ أَنَّآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتٰبُ لَكُنَّآ أَهْدىٰ مِنْهُمْ﴾ لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنوناً من العلم كالقصص والأشعار والخطب على أنا أميون . ﴿فَقَدْ جَآءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ حجة واضحة تعرفونها. ﴿وَهُدىً وَّرَحْمَةٌ﴾ لمن تأمل فيه وعمل به . ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ﴾ بعد أن عرف صحتها او تمكن من معرفتها . ﴿وَصَدَفَ﴾أعرض أو صد﴿ عَنْهَا﴾ فضل او أضل ﴿سَنَجْزِى الَّذِيْنَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوٓءَ الْعَذَابِ﴾ شدته﴿بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ[١٥٧]﴾ بإعراضهم او صدهم

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي ما ينتظرون يعني أهل مكة . وهم ماكانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ملائكة الموت او العذاب . وقرأ حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل . ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ أي أمره بالعذاب . او كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله . ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يعني أشراط الساعة وعن حذيفة بن اليمان والبراء بن عازب : (كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله ﷺ فقال: ما تذاكرون ؟ قلنا: نتذاكر الساعة . قال: إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، و دابة الأرض، وخسفًا بالمشرق، وخسفًا بالمغرب ، وخسفًا بجزيرة العرب، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ، وناراً تخرج من عدن) ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ كالمحتضر إذ صار الأمرُ عياناً والإيمان برهاني . وقرئ تنفع بالتاء لإضافة الإيمان الى ضمير المؤنث ، ﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ صفة نفسًا ،﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ عطف على آمنت والمعنى : أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدمة إيمانها أو مقدمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيرًا . وهو دليل لمن لم يعتبر الإيمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم . وحمل الترديد على

قوله: ﴿فقد جاء كم﴾. الفاء فصيحة أي جواب شرط محذوف كما في قوله:

ع "فقد جئنا خراسانا"

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا أي إن صدقتم فيما كنتم تعدون فقد جاء كم بينة .

قوله: وهو دليل لمن لم يعتبر الإيمان المجرد عن العمل: وهم المعتزلة وذلك أن الله تعالىٰ سوّىٰ بين النفس الكافرة وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكسب خيرًا ومن

اشتراط النفع بأحد الأمرين على معنى لا ينفع نفسًا خلت عنها إيمانها. والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسًا إيمانها الذي أحدثته حينئذ وإن كسبت فيه خيرًا . ﴿قُلِ انْتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ[١٥٨]﴾ وعيد لهم . أي : انتظروا إتيان أحد الثلاثة فإنا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل .

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ فَرَّقُواْ دِيْنَهُمْ﴾ بددوه . فآمنوا ببعض وكفروا ببعض . أو افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام : " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة . وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة . وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة" وقرأ حمزة والكسائي فارقوا أي باينوا

اعتبر الإيمان المجرد عن العمل فله أن يقول: إن هذا الحكم وهو عدم نفع الإيمان المجرد عن العمل المخصوص بذلك اليوم أي بيوم ظهور أشراط ا الساعة بمعنى أن الإيمان المجرد غير نافع في ذلك اليوم. ولا يلزم منه أن الإيمان المجرد غير نافع في غير ذلك اليوم، فيجوز أن يكون المجرد قبل ذلك اليوم نافعًا، فلا ينتهض حجة عليه .وأن معنى الترديد اشتراط النفع بأحد الأمرين المطلق، والأمران هما صدور الإيمان قبل ظهور أشراط الساعة ومقارنة للعهد فعدم النفع بعدم أحد الأمرين المطلق: وعدم المطلق بعدم المعنيين، فإذا عدما لا يوجد النفع، لكن كون كسب الخير شرطا لنفع الإيمان محل تأمل؛ لأنه لو كان شرطا يلزم أن يكون الإيمان ذلك اليوم مع كسب الخير نافعًا مع كونه إيمان بأس، أو يكون الترديد عدم تقديم الإيمان على ذلك اليوم: أي إحداثه في ذلك اليوم وبين إيمانه فيه مع كسب الخير فيكون عدم النفع مشروطاً بمجرد إحداث الإيمان في ذلك اليوم و الإيمان مع كسب الخير فيه وهذا معنى قوله: والعطف على لم يكن الخ . وأجيب عن التمسك أيضًا بأن الآية من باب اللف التقديري، وأصله: يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان لم يكن آمنت من قبل أ وكسبت فيه، والمقصود أن الإيمان بعد ظهور الآية الملجئة إليه والعمل الصالح غير نافع فليتوافق الآيات والأحاديث الشاهدة بأن مجرد الإيمان ينفع ويورث النجاة ولو بعد حين .

قوله: أوافترقوا فيه: أي اختلفوا فإن الأختلاف في الدين تفريق له وكذلك الإيمان بالبعض والكفر بالبعض تفريق له بين القسمين .

قوله: أي باينوه: ولم يخالطوه بأن تركوه .

﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾فرقاً تشيع كل فرقة إماماً،﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم ، أو من عقابهم ، أو أنت برئ منهم ، وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولى جزاء هم .﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ[١٥٩]﴾ بالعقاب.

﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي عشر حسنات أمثالها فضلاً من الله. وقرأ يعقوب عشرة بالتنوين وأمثالها بالرفع على الوصف. وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل:المرا دبالعشر الكثرة دون العدد.﴿وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ قضية للعدل،﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ[١٦٠]﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ بالوحي والإرشاد الى ما نصب من الحجج،﴿دِينًا﴾ بدل من محل الى صراط إذ المعنى هداني صراطًا كقوله:﴿ويهديكم صراطاً مستقيماً﴾[الفتح:٢٥] أو مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ، ﴿قِيَمًا﴾ فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيماً على أنه مصدر نعت به وكان قياسه قوماً كعوض فأُعِلَّ لإعلال فعله كالقيام ، ﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف بيان لدينا، ﴿ حَنِيفًا﴾ حال من إبراهيم ،﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[١٦١]﴾ عطف عليه .

قوله: أو أنت بريء منهم: فعلى هذا يكون في بمعنى الباء: أي ليست من جملتهم بوجه .

قوله: وقيل هو نهي عن التعرض لهم :فعلى هذا يكون" في شيء" خبر ليس و"منهم" حالامنه.

قوله: أي عشر حسنات أمثالها: بيان لوجه ترك الحاق التاء مع أن المثل مذكر وهو أن المميز محذوف أقيمت صفته مقامه .

قوله: وهو أبلغ من المستقيم باعتبارالزنة، والمستقيم أبلغ منه باعتبارالصيغة: لأن صيغته تدل على الثبوت بخلاف صيغتهما فإنهما تدلان على الحدوث .

قوله: على أنه مصدر نُعِت به: أي أنه مصدر بمعنى القيام وصف به كما في رجل عدل والمعنى دينا قائما ثابتاً لازوال له .

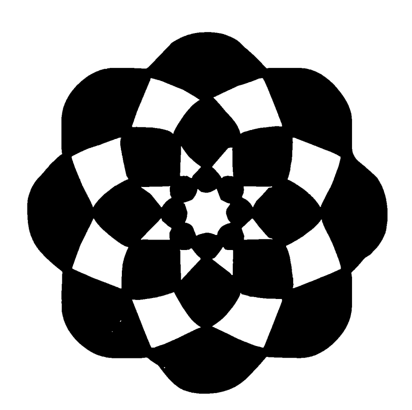
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِي﴾ عبادتي كلها ، أو قرباني أو حجي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ وما أنا عليه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والطاعة . أو طاعات الحياة والخيرات المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير . أو الحياة والممات أنفسهما . وقرأ نافع محياي بإسكان الياء إجراء للوصل مجرى الوقف ، ﴿لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ[١٦٢] لَا شَرِيْكَ لَهٗ﴾ خالصة له لا أشرك فيها غيرا. ﴿وَبِذٰلِكَ﴾ القول أو الإخلاص ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِيْنَ[١٦٣]﴾ لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته .

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّٰهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ فأشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم ، ﴿وَّهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ حال في موضع العلة للانكار والدليل له أي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية . ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك . ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِّزْرَ أُخْرىٰ﴾ جواب عن قولهم: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم . ﴿ثُمَّ إِلٰى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ يوم القيامة. ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُونَ[١٦٤]﴾ بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل .

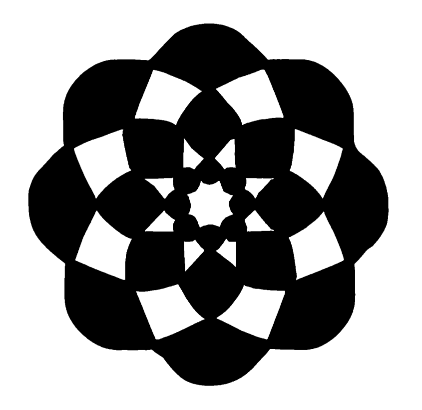
﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَآئِفَ فِى الْأَرْضِ﴾ يخلف بعضكم بعضًا، أو خلفاء في أرضه تتصرفون فيها على أن الخطاب عام ،أو خلفاء السالفة على أن الخطاب للمؤمنين . ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فُوقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ في الشرف والغني. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ آتَاكُمْ﴾ من الجاه والمال ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيْعُ الْعِقَابِ﴾لأن ما هو آت قريب أو لأنه يسرع إ ذا أراده .﴿وَإِنَّهٗ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ[١٦٥]﴾وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه . ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة . وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيهًا على أنه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها كثير العقوبة مسامح فيها . عن رسول اللّٰه ﷺ : "أنزلتَ عليَّ سورة الأنعام جملة واحدة ، يشيعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح والتحميد .فمن قرأ الأنعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يومًا وليلة"

قوله: فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك :هذا بطريق الفرض ،يعني أن ذلك ضارّو لو فرض أن لكم فيه نفعا فلا يتعدى نفعه إلينا .

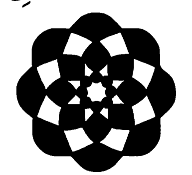
سورة آل عمران



سورة النساء



سورة المائدة



سورة الأنعام

